

تراثنا

مختار الأغانى

في

الآخبار والنهائى

اختيار

ابن منظور محمد بن مكرم

٦٣٠ هـ - ٧١١ هـ

الجزء الثامن

تحقيق

الدكتور حسين نصار

الدار المصرية للتأليف والترجمة



خرج هذا الكتاب بالتعاون

مع

معهد المخطوطات العربية بجامعة الدول العربية

القاهرة

١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م

طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه

٠٢٠٤٠٤

حرف النون

ناقد الدّلال*

كُنَيْتَهُ أَبُو يَزِيد^(١) ، وَهُوَ مَدِينِي^(٢) ، مَوْلَى فَهْمٍ .
هُوَ أَحَدٌ مِنْ خِصَامِ^(٣) ابْنِ حَزْمٍ^(٤) مَعَ الْمُخَانِثِ . وَلَمَّا فَعَلَ بِهِ ذَلِكَ قَالَ : الْآنَ
تَمَّ الْخَفْتُ^(٥) . وَلَمْ يَكُنْ فِي الْمُخَنَّثِينَ أَحْسَنُ وَجْهًا وَلَا أَنْظَفُ ثَوْبًا وَلَا أَظْرَفُ مِنْهُ .
وَقِيلَ : كَانَ مَوْلَى لِعَائِشَةَ بِنْتِ سَمِيعِ بْنِ الْعَاصِ .

* أَخْبَارُهُ فِي الْأَغَانِي ب ٤ : ٥٩ - ٧٣ ، س ٤ : ٥٩ - ٧٣ ، ٤٥ : ٢٦٩ - ٣٠٠ ،
ي ٤ : ٢٧١ - ٣٠١ ، تَجْرِيدُ الْأَغَانِي (ت) لابنِ وَاصِلِ الْحَمَوِيِّ ، الْقِسْمُ الْأَوَّلُ ، الْجُزْءُ الثَّانِي
٥٦٧ - ٥٧١ ، نِهَآيَةُ الْأَرْبِ لِلنُّوَيْرِيِّ ٤ : ٢٩١ - ٢٩٤ .
اِخْتَلَفَ الْمُرَاجِعُ فِي اسْمِهِ ، فِجْعَلُهُ الْأَكْثَرُونَ نَاقِدًا ، وَجَعَلَهُ جَمَاعَةٌ نَافِدًا ، وَنَافِدًا . وَلَمْ أَجِدْ عِنْدَ الْقَدَمَاءِ
مَا يَرْجِعُ لِأَحَدِي الصُّورِ . وَضَبَطَ الْفَيْرُوزَابَادِيُّ وَالزَّبِيدِيُّ الدَّلَالَ ، وَجَعَلَاهَا عَلَى وَزْنِ سَجَابِ .
(١) أَبُو يَزِيدٍ : كَذَا فِي الْأَصْلِ ، ب ، س ، وَجَمِيعُ أَصُولِ د . وَفِي د ، ي ، ت تَبَعًا لِنَهَآيَةِ
الْأَرْبِ وَتَاجِ الْعُرُوسِ : أَبُو يَزِيدٍ .
(٢) مَدِينِي : كَذَا فِي الْأَصْلِ . وَفِي بَقِيَّةِ الْمُرَاجِعِ : مَدَنِي . وَالْاِثْنَتَانِ صَحِيحَتَانِ نِسْبَةً إِلَى مَدِينَةِ
الرَّسُولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ . فَالصُّورَةُ الثَّانِيَةُ خَاضِعَةٌ لِلْقَاعِدَةِ الْأَصْلِيَّةِ فِي النِّسْبِ ، وَالصُّورَةُ الْأُولَى
أَجَازُوهَا شَدُوذًا لِلتَّمْيِيزِ بَيْنَ مَدِينَةِ الرَّسُولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَأَيَّةِ مَدِينَةٍ أُخْرَى .
(٣) مِنْ خِصَامٍ : كَذَا فِي ص . وَفِي بَقِيَّةِ الْمُرَاجِعِ : مِنْ خِصَاهِ . وَالْاِثْنَتَانِ صَحِيحَتَانِ .
(٤) يَرِيدُ أَبِي بَكْرٍ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ حَزْمِ الْأَنْصَارِيِّ ، الَّذِي وُلِيَ الْمَدِينَةَ مِنْ ٩٦ إِلَى ١٠١ هـ .
وَيُخَالَفُ هَذَا رِوَايَةَ الْجَاهِظِ الَّذِي جَعَلَ خَاصِيَهُ عُثْمَانَ بْنَ حِيَانَ الْمُرِّيَّ وَالِيَّ الْمَدِينَةَ فِي عَهْدِ هِشَامِ بْنِ
عَبْدِ الْمَلِكِ (الْحَيَوَانُ ١ : ١٢١) بِتَحْقِيقِ عَبْدِ السَّلَامِ هَارُونَ .
(٥) ذَكَرَ الْجَاهِظُ عَنْ مَشَايِخِ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ أَنَّهُ وَبَقِيَّةٍ مِنْ خِصْوَا قَالُوا عِنْدَ خِصَامِهِمْ : الْآنَ
صَرْنَا نِسَاءً بِالْحَقِّ .

ولم يكن أهل المدينة يمدُّون في الظرفاء وأصحاب النوادر إلا ثلاثة : طوَيْسًا ،
والدلال ، وهَيْت^(١) . وكان هيت أقدمهم ، والدلال أصغرهم . ولم يكن بمد طويس
أظرف من الدلال ولا أكثر مَلْحًا . وكان كثير النوادر ، نَزَرَ الحديث . فإذا تكلم
أضحك الشَّكْلِي . وكان ضاحك السن .
وصنَّعته نَزْرَةٌ جيدة .

قال أبووب بن عمّاية : شهدت أهل المدينة إذا ذكروا الدلال وأحاديثه فخرّوا
به وطوّلوا رقابهم^(٢) ، فملمت أن ذلك لفضيلة كانت فيه .
وكان مُبْتَلَى بالنساء والكُونِ ممهن ، يُطَلَّب فلا يُقَدَّر عليه .
ولُقِّب الدَّلَالُ لِشِكْلِهِ^(٣) ، وحُسْن ظَرْفِهِ ودَلَّه ، وحلاوة نُطقه ، وحسن
وجهه وإشارته .

وكان مشغوفًا بالنساء ويكثر وصفهن للرجال^(٤) . وكان من أراد خِطْبَةَ امرأة
سأله عنها وعن غيرها . فلا يزال يصف له النساء واحدة واحدة حتى ينتهي إلى وصف
ما يُعْجبه . ثم يتوسط بينه وبينها حتى يتزوجها . وكان يُشاغل من يجالسُه عن الغناء
بهذه الأحاديث كراهةً منه للغناء .

قال مُصَعبُ الزُّبَيْرِيُّ : : السبب الذي خُصِيَ الدلال من أجله أنه : كان القادم

(١) اختلف العلماء في حقيقة هذا الاسم منذ زمن بعيد . فرواه الشافعي والذهبي : هيت ،
وصوباه . وذهب صاحب التاج إلى أنه هنب ، وإنما صحفه المحدثون . واختلفت المراجع فيه ، واخترت
رواية الأصل لتركية الشافعي والذهبي . (انظر المعاجم اللغوية ، المادتين) .

(٢) غ : طولوا رقابهم وفخروا به .

(٣) الشكل : الدلال أو الهيئة . وفي د ، ي : لقب بالدلال . وفي غ : لشكله وحسن دله
وظرفه وحلاوة منطقه

(٤) كذا في ص ، وفي غ : بمخالطة النساء ووصفهن للرجال . وفي ت : بمخالطة النساء
ويكثر

يَقْدَمُ الْمَدِينَةَ فَيَسْأَلُ عَنْ امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا ، فَيَدُلُّ عَلَى الدَّلَالِ . فَإِذَا جَاءَهُ قَالَ لَهُ :
« صِفْ مَنْ تَعْرِفُ مِنَ النِّسَاءِ لِلتَّزْوِيجِ » . فَلَا يَزَالُ يَصِفُ وَاحِدَةً وَاحِدَةً حَتَّى يَنْتَهِيَ
إِلَى مَا يُوَافِقُ هَوَاهُ . فَيَقُولُ : « كَيْفَ لِي بِهَذِهِ ؟ » فَيَقُولُ : « مَهْرَهَا كَذَا وَكَذَا » .
فَإِذَا رَضِيَ بِذَلِكَ ، أَنَاهَا الدَّلَالُ ، فَيَقُولُ لَهَا : « أَصَبْتُ لَكَ رَجُلًا مِنْ حَالِهِ وَقِصَّتِهِ
وَهَيْئَتِهِ وَيَسَارِهِ ، وَلَا عَهْدَ لَهُ بِالنِّسَاءِ ، وَإِنَّمَا قَدِمَ بِلَدْنَاهَا آتِنَا » . وَلَا يَزَالُ بِهَا حَتَّى
تُطِئَهُ : فَيَأْتِي الرَّجُلَ فَيُعَلِّمُهُ أَنَّهُ قَدْ أَحْكَمَ مَا أَرَادَهُ . فَإِذَا تَزَوَّجَتِ الْمَرْأَةُ أَنَاهَا لَيْلَةَ
دُخُولِهَا ، فَقَالَ لَهَا : « إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ اللَّيْلَةَ مَوْعَدُهُ ، وَأَنْتِ مُنْتَمِلَةٌ شَبَقَةٌ ^(١) ،
فَسَاعَةَ يَجَامِعُكَ قَدْ دَفَقَتْ عَلَيْهِ مِثْلَ سَيْلِ الْعَرِيمِ فَيَقْدَرُكَ وَلَا يُعَاوِدُكَ ، وَتَكُونِينَ
مِنْ أَشْأَمِ النِّسَاءِ عَلَى نَفْسِكَ وَعَلَى غَيْرِكَ ! » فَتَقُولُ : « فَكَيْفَ أَصْنَعُ ؟ » فَيَقُولُ لَهَا :
« أَنْتِ أَعْلَمُ بِدَوَاءِ فَرَجِكَ وَدَائِهِ وَمَا يُسَكِّنُ غُلْمَتِكَ » فَتَقُولُ لَهُ : « مَا أَعْرِفُ شَيْئًا
أَشْفَى لِي مِنَ النَّيِّكِ » ^(٢) . فَيَقُولُ لَهَا : « إِنَّ لِي تَخَافِي الْفَضِيحَةَ فَأَبْمَثِي إِلَى بَمِضِ
الزَّوْجِ حَتَّى يَقْضَى وَطَرَكَ وَيَكْفُ عَادِيَةَ حَرِّكَ » . فَتَقُولُ لَهُ : « وَيَلِكُ ! وَلَا كَذَا
بِمِرَّةٍ » ^(٣) . فَلَا يَزَالُ يَحَاوِرُهَا حَتَّى يَقُولَ : « فَكَمَا حُكِمَ عَلَيَّ : أَقُومُ أَنَا فَأُخَفِّقُكَ ،
وَأَنَا إِلَى التَّخْفِيفِ أَحْوَجُ » . وَالتَّخْفِيفُ : الْجِمَاعُ . فَيَتَفَرَّحُ الْمَرْأَةُ وَتَقُولُ : « هَذَا
- إِمَالًا - أَمْرٌ مُسْتَوْرٌ ^(٤) » . فَيَجَامِعُهَا وَيَقْضِي وَطْرَهُ مِنْهَا . ثُمَّ يَقُولُ لَهَا : « قَدْ
اسْتَرَحْتِ وَأَمْنْتِ » . ثُمَّ يَجِيءُ إِلَى الزَّوْجِ فَيَقُولُ لَهُ : « قَدْ وَعَدْتَهَا ^(٥) أَنْ تَدْخُلَ بِهَا
اللَّيْلَةَ ، وَأَنْتِ رَجُلٌ غَرِيبٌ ^(٦) عَزَبٌ ، وَنِسَاءُ الْمَدِينَةِ خَاصَّةٌ يُحِبُّونَ الْمَطَاوِلَةَ فِي الْجِمَاعِ ،

(١) منتملة وشبقة بمعنى واحد ، أى عظيمة الشهوة .

(٢) غ : فتقول : أنت أعرف ؟ فيقول : ما أجد له شيئاً أشنى من النيك ؟ .

(٣) غ : ويلك ، ولا كل هذا .

(٤) كذا فى ص ، يريد : هذا أمر مستور إلا يكن غيره ممكناً . وفى غ : هذا أمر مستور .

(٥) غ : واعدتها .

(٦) كلمة غريب غير موجودة فى غ ما عدا إحدى المخطوطات التى اعتمدت عليها د .

وكأني بك كما تُجامعُها تُفرغ وتقوم ، فتُبغضُك وتَعْتُك ، ولا تُعاوِدك بمدها ولو أعطيتها الدنيا ولا تنظر في وجهك بمدها . فلا يزال في مثل هذا القول حتى يعلم أنه قد هاجت شهوته ، فيقول : « كيف أعمل » قال : « تطلب زنجية فتجامعها مرتين أو ثلاثا حتى تسكن غلَمَتك ، فإذا دخلت الليلة بأهلك لم تجد أمرك إلا جميلا . » فيقول له الرجل : « أعوذ بالله ! زنا وزنجية إلا أفعل ذلك ! » فإذا أكثر محاورته قال له : « كما حُكِمَ عليّ : قُمْ فافعل بي أنا حتى تسكن غلَمَتك وشَبَقك . » فيفرح وينيكه مرة أو مرتين . فيقول له : « قد استوى أمرك الآن وطابت نفسك ، وتدخل على زوجتك فتنيكها نيكًا يملؤها سرورا ولذة . » فينيك المرأة قبل زوجها وينيكه الرجل قبل امرأته . وكان ذلك دأبه حتى بلغ ذلك سليمان ابن عبد الملك^(١) ، وكان غيورا شديد الغيرة . فكتب بأن يُخصَى هو وسائر الخنثين بالمدينة ومكة . وقال : إن هؤلاء يدخلون على نساء قريش ويفسدونهن . فورد الكتاب على ابن حزم فخصاهم .

وقيل^(٢) : كان السبب الذي من أجله خصى الخنثون أن سليمان بن عبد الملك كان في سطح له يَسْمُرُ عليه . فتفرق عنه جلساؤه ، فدعا بوضوء . فجاءته جارية له به ، فبينما هي تصبُّ على يده إذ أشار إليها مرتين أو ثلاثا ، فلم تصب عليه : فأنكر ذلك ورفع رأسه ، فإذا هي مُصْفِيَةٌ بسمها إلى صوت رجل يعني . فأنصت له حتى سمع ما تمنّاه فلما أصبح أذن للناس . ثم أجرى ذكر الغناء ولَبَّن فيه حتى ظن القوم أنه يشتميه ويريده . فأفاضوا فيه بالتسمهيل وذكُر من كان يسمعه . فقال سليمان : « فهل بقي أحد يُسمَع منه ؟ » فقال رجل من القوم : « عندي - يا أمير المؤمنين - رجلان

(١) ولي الخلافة من ٩٦ إلى ٩٩ هـ . وذكرت قبلا أن الجاحظ صرح أن الخليفة هشام بن عبد الملك (١٠٥ - ١٢٥) هو الذي أمر واليه على المدينة عثمان بن حيان المرى بأن يقوم بالأمر .
(٢) الخبر مهروى في المحاسن والأضداد للجاحظ (مكتبة العرفان) ص ٢٢٧ أيضا .

من أهل أَيْلَةَ^(١) مجيدان . قال : « وأين منزلك ؟ » فأوماً إلى الناحية التي كان الغناء منها . قال : « فابعثْ حِجْمَتِي بهما » . ففعل . فوجد الرسول أحدهما فأدخله على سليمان . فقال : « ما اسمك ؟ » فقال : « سُمَيْر » . فسأله عن الغناء فاعترف به . فقال له : « متى عهدك به ؟ » قال : « الليلية الماضية » قال : « فما غنيت ؟ » فأخبره بالشعر الذي سمعه منه . فأقبل سليمان على القوم فقال ، « هَدَّرَ الجمل^(٢) فَضِيَمَتِ الناقاة^(٣) ، وَنَبَّ التَّيسُ^(٤) فَشَكَرَتِ الشاة^(٥) ، وَهَدَّرَ الطائر^(٦) فَزَافَتِ الحمامة^(٧) ، وَغَنَى الرَّجُلُ فَطَرَبَتِ الرَّأَة » . ثم أمر به نُحْصِي . وسأل عن أصل الغناء ، فقيل : « في المدينة ، في الخنثين ، وهم أُمَّتُهُ وَالْحَدَاقُ بِهِ » . فكتب إلى أبي بكر بن [محمد بن] عمرو بن حزم ، عامله على المدينة : أن أخصَّ مَنْ قَبْلِكَ مِنَ الخنثين المغنين . قال بعض الكتاب : « قرأت كتاب سليمان في الديوان ، فرأيت على الخلاء نقطة كتمرة العجوة^(٨) » . وقال من لا يعلم : « قد صحَّف القارئ وإنما هي : أخصَّ » .

-
- (١) ميناء على رأس خليج العقبة من البحر الأحمر . وفي المحاسن والأضداد : الأبله .
(٢) هدر البعير : ردد صوته في حنجرته ، وكذا يقال : هدر الحمام وهدل . وفي المحاسن والأضداد : هدر الفحل .
(٣) ضبعت الناقاة : اشتدت شهوتها الفحل .
(٤) نب التيس : صاح عند الهياج ، وهياج الشهوة خاصة . والتيس : ذكر المعز .
(٥) شكرت الشاة : امتلاً ضرعها لبنا . وذهب محققو الأغاني إلى أن هذه العبارة كناية عن حنينها . والشكر ، بفتح الشين وتسكين الكاف : الفرج أيضا ، ولعله اشتق منه فعلا دالا على الشهوة ، وإن لم أجد له فيما بين يدي من معاجم . وفي ت : استجمرت ، أى أرادت الفحل .
(٦) ت : وهدل الطائر . وفي المحاسن والأضداد : وهدل الحمام .
(٧) زافت الحمامة : مشت مدلة متبختره .
(٨) في الحيوان للجاحظ . ١ : ١٢٢ : ولقد كانت الخلاء معجمة بنقطة كأنها سهيل أو تمره صيحانية . والصيحاني : ضرب من التمر أسود صلب المضغ .

فتقبهم ابن حزم فخصى منهم تسعة ، منهم الدلال ، وطريفة^(١) ، وحبيب نومة الضحى . وجعلت لحية الدلال تتناثر بعد سنة أو سنتين .

وكان الشعر الذى غناه سُمير :

مَحْجُوبَةٌ سَمِعْتُ صَوْتِي فَأَرْقَبُهَا مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ لَمَّا طَلَّهَا السَّحَرُ^(٢)
تَدُنِي عَلَى حَبِيدِهَا ثَنِيئِي مَعْصِفَةٌ وَالْحَلِيُّ مِنْهَا عَلَى لَبَاتِهَا خَصِرِ^(٣)
فِي لَيْلَةِ النَّصْفِ مَا يَدْرِي مُضَاجِمُهَا : أَوْجُهَهَا عِنْدَهُ أَبْهَى أُمِّ الْقَمَرِ^(٤)
لَوْ خُلِّيتْ لَمَشَتْ نَحْوِي عَلَى قَدَمِ تَكَادَ مِنْ رِقَةٍ لَلْمَشَى تَنْفَطِرُ^(٥)

وقيل : إن سليمان لما رأى ذلك لم يشكَّ أن الجارية تهوى سميرا . فأحضره وحبسه . ودعا بسيف ورنطع^(٦) وقال للجارية : « اصدقينى وإلا ضربت عنقك » . فقالت : « سألنى عما بدا لك » قال : « أخبرينى عما بينك وبين هذا الرجل » . قالت : « والله ما أعرفه ولا رأيت قط ، وأنا جارية منسئى الحجاز ، ومن هناك حُملت إليك . والله ما أعرف بهذه البلاد أحدا سواك » . فرَّق لها ، وأحضر الرجل ،

(١) طريفة : كذا فى س ، ومخطوطتين من الأغاني . وفى ب ، س ، د ، ي : طريف .

(٢) طلها : أصابها بالطل ، وهو الندى . وفى غ : حتى شقها السهر . وفى المحاسن والأضداد : لما بلها .

(٣) المحاسن والأضداد : والحلى باد على . . . والثنى : واحد الأثناء ، وهى الطيات من الثوب . والمعصفة : المصبوغة بالصبغ الأصفر . واللبات : جمع لبة ، وهى موضع الفلاة من الصدر . وخصر : بارد .

(٤) أورد غ رواية أخرى فى الشطر الثانى ، وهى :

* أَوْجُهَهَا مَا يَرَى أُمَّ وَجُهَهَا الْقَمَرُ ؟ *

وفى المحاسن والأضداد : فى ليلة البدر . وزاد بعده البيت :

لَمْ يَمْنَعِ الصَّوْتُ أَبْوَابًا وَلَا حَرَسًا فَدَمَعُهَا لَطْرُوقُ اللَّحْنِ يَنْحَدِرُ

(٥) فى المحاسن والأضداد : لو تستطيع مشت .

(٦) الطع : بساط من الجلد يفرش تحت من يراد تعذيبه أو قطع رقبته .

وسأله عن مثل ذلك وتلطف في المسألة . فلم يجد بينه وبينها شيئاً البتة . ، فلم تطب نفسه بتخليته سَوِيّاً^(١) فخصاه . وكتب في المختين بمثل ذلك^(٢) .

وقيل : إن الوليد بن عبد الملك^(٣) قيل له : « إن نساء قريش يدخل عليهن المختون ، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : « لا يدخل عليكن هؤلاء » فكتب إلى ابن حزم أن أخصهم ، فخصاهم . فرآ ابن أبي عمير فقال : « أخصيتهم الدلال ! أم والله لقد كان يُحسِن »^(٤) :

لَمِنْ رَبْعٍ بَدَاتِ الْجَيْمُ شِ أَمْسَى دَارَسَا خَلَقَا

قال حمزة التوفلي : صلى الدلال يوماً في المسجد إلى جاني ، فصرط ضرطة هائلة سمعها من في المسجد . فرفع الناس رءوسهم وهو ساجد يقول رافعا صوته : « سَبَّحْ لَكَ أَعْلَى وَأَسْفَلَى » . فلم يبق في المسجد أحد إلا وقتن وقطع صلاته بالضحك . قال عبد الله بن جعفر لصديق له يوماً : « لو غنمك جاريتي فلانة :

لَمِنْ رَبْعٍ بَدَاتِ الْجَيْمُ شِ أَمْسَى دَارَسَا خَلَقَا

لما أدركت ذكائك^(٥) فقال : جُمِلت فذاك ، قد وَجِبَتْ جُنُوبُهَا ؛ فَكَلُّوا مِنْهَا

(١) السوي : المكتمل الخلق المستويه .

(٢) في الهامش دون علامة إلحاق الخبر التالي : « وقيل : إن سليمان كتب بإحصاء من في المدينة من المختين ليعرفهم ، فيوفد عليه من يختاره للوفادة ، فظن أنه يريد الحساء ، فخصاهم . »

(٣) ولى الخلافة من ٨٦ إلى ٩٦ . ولم يكن ابن حزم عاملاً له على المدينة ، ولما وُلد لها خلفه سليمان فالخبر غير صحيح النسبة إلى الوليد .

(٤) نسب ياقوت الشعر لـ جعفر بن الزبير بن العوام . وذات الجيش : واد على بريد من المدينة في الطريق إلى بدر . والدارس : المحو . والخلق : البالي .

(٥) الذكاة : كل مذبوح من الحيوان . والتذكية : أن تدرك الحيوان وفيه بقية تشخب معها الأوداج وتضطرب فتجهز عليه . ويريد أنها تلهيه بغنائها عن ذبح ذكاته فتموت فلا ينتفع بها . وفي أصول الأغاني : ذكائك ، وهو تحريف .

وَأَطْعَمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ^(١) . فقال عبد الله : « يا غلام ، مُرْ فِئْلَانَةَ أَنْ تَخْرُجَ » .
فَخَرَجَتْ مَعَهَا عَوْدُهَا . فقال عبد الله : « إِنْ هَذَا الشَّيْخَ يَكْرَهُ سَمَاعَ الْعُودِ » .
فَقَالَتْ : « وَيَجْهَلُ لَوْ كَرِهَ الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ كَانَ أَقْرَبَ لَهُ إِلَى الصَّوَابِ » . قال الشيخ :
« وَكَيْفَ ذَلِكَ وَبِهِمَا الْحَيَاةُ ؟ » فقالت : « إِنَّهُمَا رَبَّمَا قَتَلَا ، وَهَذَا لَا يَقْتُلُ » . ثم غنمت .
فَجَمَلَ الشَّيْخَ يَصْفُقُ وَيَرْقُصُ وَيَقُولُ :

* هَذَا أَوْانُ الشَّدِّ فَاشْتَدَّتْ زِيمٌ^(٢) *

ويحرك رأسه ويدور حتى سقط مَغْشِيَا عَلَيْهِ ، وَعَبَدَ اللَّهُ بِنِ جَعْفَرٍ يَضْحَكُ مِنْهُ .
قال المدائني : اِخْتَصَمَ شَيْعِيٌّ وَمُرْجِيٌّ^(٣) فِيمَا لَحَاكَمَا بَيْنَهُمَا أَوَّلُ مَنْ يَطَّلِعُ . فَطَّلَعَ
الدِّلالُ . فَقَالَا لَهُ : « يَا أَبَا زَيْدٍ^(٤) ، أَيُّهُمَا خَيْرٌ : الشَّيْعِيُّ أَوْ الْمُرْجِيُّ ؟ » فقال :
« لَا أَدْرِي ، إِلَّا أَنْ أَعْلَى شَيْعِيٌّ وَأَسْفَلِيٌّ مُرْجِيٌّ » .

كان الدلال ملازماً لأم سعيد الأَسَلْمِيَّةِ وَلَبِنَتْ يَحْيَى بْنَ الْحَكَمِ بْنِ أَبِي الْعَاصِ ،
وَكَانَتَا مِنْ أُمَّجَنَ النِّسَاءِ ، تَخْرُجَانِ وَتُرْكَبَانِ فَرَسَيْنِ وَتَسْتَبْقِيَانِ عَلَيْهِمَا حَتَّى تَبْدُو
خِلَافِيَّتَهُمَا . فقال معاوية لمروان : « اكْفَيْنِي ابْنَةَ أَخِيكَ » . قال : « أَفْعَلُ » .
فَاسْتَرَارَهَا وَحَفَرَ لَهَا بُئْرًا فِي طَرِيقِهَا وَغَطَّيْتُ بِمَحْصِيرٍ ، فَلَمَّا مَشَتْ عَلَيْهِ سَقَطَتْ فِي الْبُئْرِ ،
فَكَانَتْ قَبْرَهَا . وَطَلَبَ الدِّلالُ فَهَرَبَ إِلَى مَكَّةَ . فَقَالَ لَهُ نِسَاءُ مَكَّةَ : « قَتَلْتَ نِسَاءً

(١) جمع بين آيتين من سورة الحج ، ها قوله تعالى : « فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعَمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ »
(الآية ٢٨) ، وقوله : « فَإِذَا وَجِيتْ جَنُوبَهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعَمُوا الْقَانِعَ وَالْمَعْتَرُ » (الآية ٣٦)
ووجبت جنوبها : قيل معناها سقطت جنوب الإبل إلى الأرض . وقيل : خرجت أنفسها فسقطت هي ،
فكُلُوا مِنْهَا .

(٢) الرجز لجابر بن حني التغلبي . وزيم : فرسه (تاج العروس) .

(٣) المرجئة : جماعة كانوا يفصلون بين العمل والإيمان ، ويقولون : لا يضر مع الإيمان
معصية كما لا تنفع مع الكفر طاعة ، ويرجعون الحكم على أفعال العباد إلى الخالق .

(٤) د ، هـ : أبا زيد .

المدينة وجئت لتقتلنا ! » فقال : « والله ، ما قتلهن إلا الحُكَاكُ » . فقلن : « اغْرُبْ ^(١) ، أخزاك الله ولا أدنى لك دارا ! » : قال : « فَمَنْ لَكِنْ بَعْدِي يَدُلُّ عَلَى دَائِكُنَّ وَيَعْلَمُ مَوْضِعَ شَفَائِكُنَّ ؟ وَاللَّهِ مَا زَنَيْتُ قَطُّ وَلَا زُنَيْتُ بِي ، وَإِنِّي لَأَشْتَهِي مَا يَشْتَهِي نِسَاؤُكُمْ وَرَجَالِكُمْ » .

قدم مخنث من مكة يقال له مُخَنَّثَةٌ فجاء إلى الدلال فقال : « يا أبا يزيد ^(٢) ، دُأِّنِي عَلَى بَعْضِ مَخْنَثِي الْمَدِينَةَ أَكَايِدَهُ وَأَمَازِحَهُ وَأَحَادِيثَهُ » . قال : « قد وجدته لك » . وكان خُثَيْمُ بْنُ عِمْرَانَ بْنِ مَالِكٍ ، صَاحِبُ شَرْطَةِ زِيَادِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْحَارِثِيِّ ^(٣) ، جَارُهُ ، وَقَدْ خَرَجَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ لِيَصِلِيَ فِي الْمَسْجِدِ - فَأَوْمَأَ إِلَى خُثَيْمٍ وَقَالَ : « الْحَقُّهُ فِي الْمَسْجِدِ ، فَإِنَّهُ يَقُومُ فِيهِ لِيَصِلِيَ لِرَأْيِ النَّاسِ ، فَإِنَّكَ سَتَتَّظَرُ بِمَا تَرِيدُ مِنْهُ » . فَدَخَلَ الْمَسْجِدَ وَجَلَسَ إِلَى جَانِبِ ابْنِ عِمْرَانَ ، فَقَالَ : « عَجَّلِي صَلَاتِكَ لَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ ! » فقال له خُثَيْمٌ : « سُبْحَانَ اللَّهِ ! » فقال له المَخْنَثُ : « سَبَّحْتَ فِي جَامِعَةٍ ^(٤) قَرَّاصَةً ! انصرفي حتى أتحدث معك » . فانصرف خُثَيْمٌ مِنْ صَلَاتِهِ وَقَالَ لِلشَّرْطِ : « خذوه واضربوه » . فضربوه مائة وحبسوه .

صلى الدلال يوماً خلف الإمام بمكة فقرأ في صلاته : « وَمَالِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ » ^(٥) . فقال الدلال : « لا أدري والله » . فضحك أكثر الناس وقطعوا الصلاة . فلما قضى الوالى صلاته دعاه وقال له : « وبلك لا تدع هذا المجنون والسفه ! » فقال له : « كان عندي أنك تعبد الله عز وجل . فلما سمعتك تستفهم

(١) غ ، ت : اغرب . وها بمعنى واحد .

(٢) د ، ي : يا أبا يزيد .

(٣) ولى المدينة مرتين في العهد العباسي ، من ١٣٣ إلى ١٣٦ ، ومن ١٣٧ إلى ١٤١ هـ . وكل أخبار الدلال في العهد الأموي ، مما يلقى ظلالة من الشك على الخبر أو الرجال الذين اشتركوا فيه .

(٤) الجامعة : القيود لأنها تجمع اليدين إلى العنق .

(٥) سورة يس ، الآية ٢٢ .

ظننتُ أنك قد شككت في رَبِّكَ فَتَبَّتْكَ . فقال له : « وياك ! أنا أشك في ربي وأنت تثبتني ! اذهب - لعنك الله - ولا تعاودنا فأبلغِ واللهِ عقوبتك (١) ! » .
خرج الدلال يوما مع فتية من قريش في نُزْهَة ومعهم غلام جميل الوجه ، فأعجبه .
وعلم القوم بذلك وقالوا : « قد ظَفَرنا به سائرَ يومنا » - وكان لا يصبر في مجلس حتى يفرغ ، استنقلا لمحادثة الرجال ومحبةً لمحادثة النساء - . فغمزوا الغلام عايه .
وفطن لذلك فغضب وقام لينصرف . فأقسم الغلامُ عليه ، والقومُ جميعا ، فجلس .
وكان معهم شراب فشرَبوا وسقَوْه . وحملوا عليه اثلا يبرح ثم سأله أن يغمي فغمي (٢) :

زُبَيْرِيَّةٌ بِالْعَرَجِ مِنْهَا مَنَازِلٌ وَبِالْحَيْفِ مِنْ أَدْنَى مَنَازِلِهَا رَسْمٌ (٣)
أَسْأَلُ عَنْهَا كُلَّ رَكْبٍ لَقِيْتَهُ وَمَالِي بِهَا مِنْ بَعْدِ مَكْتَبِنَا عِلْمٌ (٤)

(١) أبلغ في عقوبتك : أي أوقع بك من العقوبة ما يبلغ الأذى والمكروه .

(٢) روى البكري في معجم ما استعجم ، رسم ودان ١٣٧٤ ، أن يعقوب بن حميد نسب الشعر إلى نصيب ، وأن إسحاق الموصلي نسبه إلى عبد الله بن أبي شجرة يشبب برملة بنت الزبير بن العوام . وربما كانت نسبته إلى نصيب أرجح لأنه كان كثير الذكر لودان في شعره ، وإن لم يقطم ذلك بأن الشعر له . وترتيب الأبيات مختلف في المراجع التي أوردتها .

(٣) البكري :

زبيرية بالجرع منها منازل وبالعرج من أدنى منازلها رسم

وياقوت :

تشوقى بالعرج منها منازل وبالحيث من أعلى منازلها رسم

ووس رواية أخرى : من أعلى منازلها . والعرج : قرية كبيرة على طريق مكة من المدينة .
والحيث : ما انحدر عن غلظ الجبل وارتفع عن مسيل الماء .

(٤) البكري :

أسائل عنها كل ركب لقيتهم ومالي بها من بعد أن فارقت علم

وياقوت : من بعد مكتبتنا .

أيا صاحب الخيّمات من بطن أرندٍ إلى النخل من ودان، ما فعلتُ نعيم؟^(١)
فإن بك حرب بين قومي وقومها فأني لها في كل نائرة سلم^(٢)
فاستطير القوم فرحا وسرورا وعلا نعيمهم^(٣). فبدّر لهم الشرط. فأحسوا
بالطلب فهربوا. وبقي الغلام والدلال لا يطيقون براحا من السكر. فأني بهما الأمير
في المدينة. فقال للدلال: «يا فاسق!» فقال: «من فك لأبواب السماء». فقال:
«جئوا^(٤) فكّه». فقال الدلال: «وعنقه أيضا». فقال: «يا عدو الله،
ما وسمك بيتك حتى خرجت بهذا الغلام إلى الصحراء تفسق به!» قال: «لو علمت
أنك تغار عليه وتستهي الفسق به سرا ما خرجت عن بيتي». قال: «جرّدوه
واضربوه حدّا». قال: «وأى شيء ينفعك من ذلك وأنا أضرب كل يوم حدودا؟»
قال: «ومن يتولى ذلك منك؟» قال: «أبور المسلمين». قال: «ابطحوه
على وجهه واجلسوا فوق ظهره». قال: «أحسن! لملك اشتهيت أن ترى كيف
أناك». قال: «أقيموه - لمنة الله! - وأشهروه بالمدينة مع الغلام». فخرج^(٥)
بهما يدار بهما في السكك. فقيل له: «ما هذا، يا دلال؟» قال: «الأمير

(١) اختلفت المراجع في رواية الشطر الأول من هذا البيت كثيرا. فجعله البكري (رسم ودان)
وابن منظور والزبيدي (مادة رند): ألا تسأل الخيّمات. وجعله البكري أيضا (رسم أرند):
ألم تسأل الأطلال. وجعله ياقوت: بعد أرند، والزبيدي (مادة ود): بعد مرهبد. وأرند:
واد بين مكة والمدينة في وادي الأبواء على أربعة أميال من المدينة. وودان: قرية جامعة من نواحي
الفرع، قريبة من الجحفة، بينها وبين الأبواء نحو ثمانية أميال.

(٢) في غ: فإن تك. وياقوت: في كل نائرة. والبكري:

فإن تك حرب بين قومي وبينها فقد ترتجي من كل نائرة سلم

والنائرة: الشر والحقد والعداوة والهياج بين القوم.

(٣) النعير: الصياح من الخيشوم.

(٤) جئوا: اضربوا.

(٥) ص: فأخرج بهما.

اشتهدى أن يجمع بين الرأسين فجمع بيني وبين هذا ونادى علينا ، ولو قيل له : إنه قواد ، غضب . « فبلغ قوله الوالى فقال : « خَلُوا سبيلهما ، لعنة الله عليهما ! » . كان الدلال ظريفا جميلا حسن البيان ، من أَحْضَرَ الناس جوابا وَأَحْجَبَهُمْ . وكان سليمان بن عبد الملك قد رَقَّ له لما خُصِيَ غلطا . فوجّه بمولى له وقال : « جئنى به سرا » وكان يبلغه نوادره وطيبه وحذر رسوله أن يعلم بذلك أحد . فلما قدم أنزله المولى منزله وأعلم سليمان بمكانه . فدعا به ليلا فقال : « وَيْلَكَ ! ما خبرك ؟ » قال : « خُتِنْتُ مِنَ الْقُبُلِ مرة أخرى ، فهل تريد أن تَخْتِنِنى مِنَ الدُّبُرِ ؟ » فضحك وقال : « أخزأك الله ! » ثم قال : « غَنِّ » فقال : « لا أحسن إلا بالدُّفِّ » . فَأَتَى بدف فتغنى فى شعر العَرَجِيِّ (١) :

أَفِي رَسْمِ دَارِ دَمْعِكَ الْمُتَحَدِّرُ سَفَاهَا ، وَمَا اسْتَنْطَاقُ مَا لَيْسَ يُنْخَبِرُ؟ (٢)
تَمَيَّرَ ذَاكَ الرَّبْعُ مِنْ بَمْدِ جِدَّةٍ وَكُلُّ جَدِيدٍ مَرَّةً يَتَغَيَّرُ (٣)
فقال له سليمان : « حُقَّ لَكَ يَا دَلالُ أَنْ يُقالَ لَكَ : أَحسنت وأَجَمَلت ، فما أدرى أى أمرىك أعجب : براعة جوابك وجودة فهمك أم حسن غنائك بل [هما] جميعا عَجَب » . وأمر له بِصِلَةِ سَنِيَّةٍ . وأقام معه شمرا يشرب على غنائه ثم سَرَّحَهُ إلى الحِجَازِ مَكْرَمًا .

لما حج هشام بن عبد الملك (٤) ، قَدِمَ المدينة . فنزل رجل من أشرف أهل الشام وقوادهم إلى جانب دار الدلال . فكان يسمع غناءه ويُصغى إليه ، ويصعد فوق السطح ليقرب منه . ثم بعث إلى الدلال : « إِمَّا أَنْ تَزورَنا وإِمَّا أَنْ نَزورك » . فبعث

(١) ديوانه (تحقيق خضر الطائى ورشيد العبيدى) ٨٩ ، ٩٠ .

(٢) الديوان : وما استخبار .

(٣) غ ، والديوان : متغير .

(٤) ولى الخلافة من ١٠٥ إلى ١٢٥ هـ .

إليه الدلال: « بل تزورنا أنت » فبعث الشامي بما يصلح وجاء . وكان للشامي غلمان رُوقة^(١) فضى بغلامين منهم كأنهما دُرَّتَان . فغناه الدلال في شعر المغيرة بن عمرو ابن عثمان :

قد كنت أُمَلُّ فيكمُ أملاً والمرء ليس بمُدْرِكٍ أَمَلَهُ
حتى بدالى منكمُ خُلْفٌ فزجرتُ قلبي عن هَوَى جَهْلِهِ^(٢)
ليس الفتى بمُخَلَّدٍ أبداً حقاً وليس بفائتٍ أجلكه

فاستحسن الشامي غناه . فقال : « زدنى » . فقال : « أو ما يكفيك ؟ » قال : « لا » . قال : « فإن لي حاجة ! » قال : « وما هي ؟ » قال : « تبيني أحد هذين الغلامين أو كليهما » . فقال : « اختر أيهما شئت » . فاختر أحدها . فقال له الشامي : « هو لك » . فقبله الدلال منه . ثم غناه :

دَعْنِي دَوَاعٍ مِنْ أُرْيَا فَهَيَّجَتْ هَوَى كَانِ قَدِماً مِنْ فَوَادٍ طَرُوبِ
سَبْتَنِي أُرْيَا يَوْمَ نَعْفٍ مُحَسَّرٍ بوجهٍ جَمِيلٍ لِلْقُلُوبِ سَلُوبِ^(٣)
لعل زمانا قد مضى أن يعود لي فتغفرَ أَرْوَى عِنْدَ ذَاكَ ذَنُوبِي
فقال له الشامي : « أحسنت » ثم قال له الشامي : « إن لي إليك حاجة » .
قال : « ما هي » قال : « أريد وصيفة وُلدت في حِجْرٍ صَالِحٍ ، ونشأت في خير ،

(١) رُوقة : حسان رائقون .

(٢) كذا روى الشطر الثاني في غ . وفي ص ، وبعض أصول د :

* فزجرت قلبي فارعوى جهله *

وفيه ضرائر شعرية ولفوية .

(٣) النعف : ما انحدر من حزونة الجبل وارتفع عن منحدر الوادي (الحيف) ، أو المكان المرتفع في اعتراض ، أو ما انحدر عن السفح وغاظ وكان فيه صعود وهبوط ، أو الناحية من الجبل أو من رأسه . ومحسر : واد بين يدي موقف المزدلفة مما يلي متى ووضع غ هذا البيت بعد تاليه .

جميلة الوجه ، مجدولة^(١) ، جمدة^(٢) ، في بياضٍ ، مُشْرِبة حمرة ، حسنة الهامة ، سَبْطَة^(٣) ، أسيلة الحد ، عَذْبَة اللسان ، لها شكل يملأ العين والنفس . فقال له الدلال : « قد أصبْتُها لك . فمالى عندك ؟ » قال : « غلامى هذا » قال : « إذا رأيتها وقبلتتها^(٤) فالغلام لى ؟ » قال : « نعم » . فأتى امرأة بقره فقال لها : « جُمِلتُ فداءك ! إنه نزل بقرى رجل من قواد هشام له ظَرْفٌ وسخاء . وجاءنى زائر فأكرمته . ورأيت معه غلامين كالشمس الباهرة والكواكب الزاهرة ، ما وقعت عيني على مثلها . فوهب لى أحدهما والآخر عنده ، وإن لم يصبر إلى فنفسى ذاهبة » . قالت : « فتريد ماذا ؟ » قال : « طلب منى وصيفة جميلة ، على صفة لا أعلمها إلا فى بنتك ، فهل لك أن تُريه إياها ؟ » قالت : « وكيف لك بأن يدفع لك الغلام إذا رآها ؟ » قال : « قد شرطت عليه ذلك عند النظر لا عند البيع » . قالت : « فشانك ، لا يعلم بذلك أحد » . فضى الدلال وجاء الشامى معه . فلما صار إلى المنزل أدخلته المرأة ، فإذا هو بمَجَلَه^(٥) وفيها امرأة على سرير مُشْرِف ، بَرَزَة^(٦) جميلة . فوَضِع له كرسى وجلس . فقالت له : « أمِن العرب أنت ؟ » قال : « نعم » . قالت : « من أيهم ؟ » قال : « من خزاعة » . قالت : « مرحباً بك وأهلاً ؟ أى شىء طلبت ؟ » . فوصف لها الصفة . قالت : « قد أصبْتُها » . وأسرت إلى جارية لها . فسكنت هنيهة ثم خرجت وصيفة ما رُئى مثلها . فقال لها : « أقْبِلى » . فأقبلت . ثم قال : « أذِرى » . فأدبرت . فلأت العين والنفس . فما بقى فيها شىء

(١) المجدولة : اللطيفة التكوين المحكمة القتل الحسنة الطى .

(٢) الجمدة : الشديدة الأسر والخلق غير المسترخية ولا المضطربة .

(٣) السبطة : الحسنة القد والاستواء .

(٤) د ، سى : وقبلتها .

(٥) الحجلة : كالبه تزين بالثياب والستور والأسرة للعروس .

(٦) البرزة : التى تبرز للقوم يجلسون إليها فى عفة وعقل أو البارزة المحاسن .

إلا وضع يده عليه . فقالت له : « أتحب أن نُوزَّرها لك ؟ » قال : « نعم » فائتَرت فضمَّها الإزار وظهرت محاسنها الحفِيَّة . فضرب بيده إلى عَجِيزَتِها وصدرها ، ثم قالت : « أتحب أن أُجَرِّدها ؟ » قال : « نعم » . فألقت الإزار فإذا أحسنُ خَلْقِ الله كأنها سَبِيكة . فقالت : « يا أبا العرب ، كيف رأيت ؟ » قال : « مُنيمة المتَمَسِّي » . [ثم] قال : « فبكم تقولين ؟ » قالت : « ليس يومُ النظر يومَ البيع ولكن تمود غداً حتى نبايحك ، فلا تنصرف إلا عن رضا » . فانصرف فقال له الدلال : « أرضيت ؟ » قال : « نعم ، ما كنت أحسب أن مثل هذه في الدنيا » . ثم دفع له الغلام الثاني . فلما كان من الغد ، قال له الشامي : « أمض بنا » . فضميا . ورحبت بهما المرأة ثم قالت للشامي : « أعطنا ما تبذل » قال : « ما لها عندي عن إلا وهي أكثر^(١) منه ، فقولي يا أمة الله » . قالت : « بل قل أنت ، فإننا لم نُوطئك أعقابنا^(٢) ونحن نريد خلافاً » . قال : « ثلاثة آلاف درهم » . قالت : « والله ، قبلة منها خير من ثلاثة آلاف درهم » . قال : « أربعة آلاف » . قالت : « غفر الله لك ، أيها الرجل ! » قال : « والله ، ما معي غيرها - ولو كان لزدتُك - إلا رقيق ودوابٍ أحمله إليك » . قالت : « ما أراك إلا صادقا . أنتدري من هذه ؟ » قال : « لا ، والله » . قالت : « ابنتي فلانة بنت فلان ، وأنا فلانة بنت فلان . وقد كنت أردت أن أعرض عليك وصيفة عندي ، فأحببت إذا رأيت غداً غلظ أهل الشام وجفأهم ذكرت ابنتي ، قمُ راشداً » . فقال للدلال : « خدعتني ! » قال : « وما ترضى أن ترى ما رأيت من مثلها وتَهَب مائة غلام مثل غلامك ؟ » قال : « أما هذا فنعم » . وخرجا من عندها .

(١) غ : أكبر .

(٢) كذا في غ . وفي ص : أعناقنا .

جاء الدلال يوماً إلى منزل نائلة بنت عمار الكلبى وكانت عند معاوية فطلقها .
فقرع الباب فلم يُفتح له . فتغنى في شعر مجنون بنى عامر ونقر بدقه^(١) :
خَلِيلِيَّ لَا وَاللَّهِ لَا أَمَلِكُ الْبُكَ إِذَا عَلِمَ مِنْ أَرْضِ لَيْلِي بَدَالِيَا^(٢)
خَلِيلِيَّ إِنِّ بَانُوا بَلِيلِيَّ فَهَيْئًا لِي الْنَمَشِ وَالْأَكْفَانِ ، وَاسْتَغْفِرَالِيَا^(٣)
قَضَاهَا لَفِيرِي وَابْتَلَانِي بِجَهَا فَهَلَّا بِشِيءٍ غَيْرَ لَيْلِي ابْتَلَانِيَا^(٤)
نَفْرَجَ حَشْمَهَا فَرَجَرَوْهُ وَقَالُوا : « تَنَحَّ عَنْ الْبَابِ » : فَسَمِعَتِ الْجَلْبَةَ فَقَالَتْ :
« مَا هَذِهِ الضَّجَّةُ بِالْبَابِ ؟ » فَقَالُوا : « الدَّلَالِ » . فَقَالَتْ : « ائْذَنُوا لَهُ » .
فَلَمَّا دَخَلَ شَقَّ ثُوبَهُ وَطَرَحَ التَّرَابَ عَلَى رَأْسِهِ وَصَاحَ بِوَيْلِهِ وَحَرَبَهُ^(٥) . فَقَالَتْ لَهُ :
« لَكَ الْوَيْلُ ، مَا لَكَ ؟ » . قَالَ : « ضَرَبَنِي حَشْمُكَ » . قَالَتْ : « لَمْ ؟ » قَالَ : « غَنَيْتُ صَوْتًا
أُرِيدُ أَنْ أُسْمِعَكَ إِيَّاهُ » . قَالَتْ : « أَفَ لَهُمْ ! نَحْنُ نَبْلُغُ لَكَ فِي ذَلِكَ مَا تَحِبُّ وَنُحْسِنُ
تَأْدِيبَهُمْ ، يَا جَارِيَةَ ، هَاتِي ثِيَابًا مَقْطُوعَةً » . فَلَمَّا طُرِحَتْ عَلَيْهِ الثِّيَابَ ، جَلَسَ . فَقَالَتْ :
« مَا حَاجَتِكَ ؟ » فَقَالَ : « لَا أَسْأَلُكَ حَاجَةً حَتَّى أَغْنِيكَ » . قَالَتْ : « فَذَاكَ إِلَيْكَ » .
فَانْدَفَعَ يَغْنَى فِي شِعْرِ جَمِيلِ^(٦) :

إِرْحَمْنِي فَقَدْ بَلَيْتُ فَحْسَبِي
بَعْضُ ذَا الدَّاءِ يَا بَشِينَةَ حُسْبِي
لَا مَنِي فَيْكَ يَا بَشِينَةَ صَحْبِي
لَا تُلُومُوا قَدَّ أَقْرَحَ الْحَزْنَ قَلْبِي^(٧)
زَعَمَ النَّاسُ أَنْ دَائِي طَبِّي
أَنْتِ وَاللَّهِ يَا بَشِينَةَ طَبِّي

(١) ديوان مجنون ليلي (مكتبة مصر) ٢٩٣ ، ٢٩٦ - ٢٩٨ .

(٢) في الديوان : من آل ليلي .

(٣) رواية الشطر الأول في الديوان مرة : فقرُّبا ، ومرة : خليليَّ إن ضنوا بليلى فقرُّبا .

(٤) البيت غير موجود في غ ، ت .

(٥) الحرب : السلب والحراب .

(٦) ديوان جميل (مكتبة مصر) ٣٢ .

(٧) غ والديوان : أقرح الحب .

ثم جلس فقال : « هل من طعام ؟ » قالت : « على بالمائدة » : فأتى بها .
فأكل ثم قال : « هل من شراب ؟ » قالت : « أما نبيذ فلا ولكن غيره » . فأتى
بأنواع الأشربة . فشرب ثم قال : « هل من فاكهة ؟ » فأتى بها ، ثم قال :
« حاجتي خمسة آلاف درهم ، وخمس حُللٍ من حلل معاوية^(١) ، وخمس حلل من
حلل حبيب بن مسَلَمَة ، وخمس حلل من حلل النعمان بن بشير » . قالت : « وما أردت
بهذا ؟ » قال : « هو ذاك ، والله ، وما أرضى بيمض دون بيمض ، فإما الحاجة
وإما الرد » . فدعت له بما سأل . فقبضه وقام . فلما توسط الدار نقر دفة وغنى في
في شعر جميل^(٢) .

ليت شعري أجفوة أم دلالٍ أم عدوٌّ أتى بثينةَ بمدى
فمرُّبني أطعمك في كلِّ أمرٍ أنتِ واللهِ أوجهُ الناسِ عندي

قال : وكانت نائلة عند معاوية فقال لفاخته بنت قرظلة : « اذهبي فانظري
إليها » . فذهبت ونظرت ، فقالت له : « ما رأيت مثلها ولكن رأيت تحت
سُرَّتِها خالا ليُوضَعنَّ معه رأسُ زوجها في حجرها » . فطلقها معاوية . وتزوجها
بعده رجلان : أحدها حبيب بن مسَلَمَة ، والآخر النعمان بن بشير ، فقتل أحدها
ووضع رأسه في حجرها^(٣) .

لما أراد عبد الله بن جعفر إهداء^(٤) ابنته إلى الحجاج ، كان ابن أبي عتيق عنده .
فجاء الدلال فقال له ابن جعفر : « قد جئت يا دلال في وقتٍ حاجتنا إليك » . قال :
« ذلك قصدتُ » . فقال ابن أبي عتيق : « غنَّنا » . وقال ابن جعفر : « ليس وقت ذاك ،

(١) ولي الخلافة من ٤١ إلى ٦٠ هـ .

(٢) ديوان جميل (مكتبة مصر) ٧٥ .

(٣) هو النعمان بن بشير (انظر ترجمته في هذا الجزء) .

(٤) إهداء : زفاف .

نحن في شغل عن هذا » . فقال ابن أبي عتيق : « وَحَقَّ الْبَنِيَّةُ ^(١) لِيُغْنَيْنِ » .
فقال ابن جعفر : « هات » . فتعنى وتقر بالدف ، والهوادج ، والرّواحل قد هُمّيت ،
وصيرت بنت ابن جعفر مع جواريتها والمشيّمون لها قيام :

يا صاح لو كنت عالماً خيراً بما يُبلاقي الحُبُّ لم تَلُمُهُ ^(٢)
لا ذنبَ في مُقرطَقِ حَسَنٍ يُعجبه ذلّه ومُبْتَسِمُهُ ^(٣)
شيمته البخلُ والِبِعادُ لنا يا حَبّذا هُوَ وَحَبّذا شِيمُهُ
مُضْمَخٌ بِالْعَبيرِ عارِضُهُ طُوبَى لَنْ شَمَهُ وَمَنْ لَثَمَهُ ^(٤)

فطرب ابنُ جعفر وابنُ أبي عتيق ، وقال ابن جعفر : « زدني » . فغناه في شعر
ابن قيس الرقيّات ^(٥) :

بَكَرَ العواذِلُ في الصَّبَوِ ح يَلْمَنِي وَأَلْوْمُهُنَّ ^(٦)
وَيَقْلُنْ : شَيْبٌ قَدَ عَلا كَ وَقد كَبِرتُ ، فقلت : إِنَّهُ ^(٧)
لا بُدَّ من شَيْبٍ فدَع نَ ولا تُطْلِنَ مَلامَكُنَّ

(١) غ : ورب الكعبة . والبنية هي الكعبة .

(٢) لم تلمه : حق الميم أن تسكن ولكنه نقل لإيهاضة الهاء بعدها للوقف .

(٣) غ :

لا ذنب لي في مقرط حسن أعجبه دله ومبتسمه

والمقرطق : الذي ألبس القرطق ، وهو قباء . والمبتسم : الفم .

(٤) لثمه : حق ميمه أن تفتح ، ولكنه نقل لإيهاضة الهاء بعدها على لغة لحم ، الذين يجيزون

في الوقف نقل حركة الحرف الأخير إلى المتحرك قبله .

(٥) ديوانه ، طبع فينا ١٩٠٢ ، ص ١٤١ .

(٦) غ : في الصباح . وفي الديوان .

بَكَرَتْ عَلَيَّ عواذِلِي يَلْحَمِينِي وَأَلْوْمُهُنَّ

(٧) ذهب النحاة في « لانه » مذهبين : رأى بعضهم أن معناها نعم وألحقت بها هاء السكت ،

ورأى آخرون أنها المؤكدة واسمها ، وحذف خبرها ، وتقديره : حق أو كذلك ، يريد : إن الشيب

علاني فعلا .

ومضت ابنة ابن جعفر . فاتبعها يغمها بشعر عمر بن أبي ربيعة^(١) :

إِنَّ الْخَلِيْطَ أَجَدَّ فَاحْتَمَلَا وَأَرَادَ غِيْظَكَ بِالذِّيْ فَعَمَلَا^(٢)
فَوَقَفْتُ أَنْظَرُ بَعْضَ شَأْنِهِمْ وَالنَّفْسُ مِمَّا تَأْمُلُ الْأَمَلَا^(٣)
فَهِنَاكَ كَادَ الشُّوقُ يَقْتُلُنِي لَوْ أَنَّ شَوْقًا قَبْلَهُ قَتَلَا^(٤)

قدمت عينا عبد الله بن جعفر وقال للدلال : « حَسْبُكَ فَقَدْ أَوْجَعْتَ قَلْبِي » .
ثم قال لهم : « امضُوا فِي حَفْظِ اللَّهِ ، عَلَى خَيْرِ طَائِرٍ^(٥) ، وَأَيِّمِنُ نَقِيْبَةً^(٦) » .

كان الدلال لا يشرب النبيذ . فخرج مع قوم إلى مَيْتَزَهْ لَهُمْ وَمَعَهُمْ نَبِيْذٌ .
فشربوا منه ولم يشرب . وسقوه عسلا بَجْدُوْحَا^(٧) . وكان كلما تغافل صَيَّرُوا فِي شِرَابِهِ
نَبِيْذًا فَلَا يَنْكُرُهُ ، حَتَّى كَثُرَ ذَلِكَ فَسَكَّرَ وَطَرَبَ . وقال : « اسقوني من شرابكم » .
فسقوه . وغنم في شمر الأحوص :

طَافَ الْخِيَالُ وَطَافَ الْهَمُّ فَاعْتَكَّرَا عِنْدَ الْفَرَاشِ فَآبَ الْهَمُّ مُحْتَضِرَا^(٨)
أَرَاقِبُ النُّجْمِ كَالْحَيْرَانِ مَرْتَقِيَا وَقَلَّصَ النَّوْمُ عَنِ عَيْنِي فَانْشَمَّرَا^(٩)

(١) ديوانه (ليبسك ١٣١٨ هـ) ١٤٢ .

(٢) الخليط : الخالط . أجد : أحدث نية على الرحيل أو صار ذا جِدِّ واجتهاد في الرحيل .

واحتمل : ارتحل .

(٣) الشطر الأول في الديوان :

* قد كنت آمل طول مكثهم *

(٤) في الديوان : كاد الحب . . . لو كان حب قبله قتلا .

(٥) الطائر : الحظ .

(٦) النقيبة : النفس والمشورة .

(٧) مجدوح : مخلوط .

(٨) غ : فبات الهم . ت وبعض أصول د : وطال الليل فاعتكرا . واعتكر : اختلط

واشدد سواده ، وهى أليق بالليل . ومحتضر : حاضر .

(٩) قلص ، انزوى وانقبض . وانشمر : ابتعد مسرعا .

فاسْتَحْسَنَهُ القومَ وطربوا . ثم غنّاهم :

طَرِبْتَ وَهَاجَكَ مَنْ تَدَاكَرَ^(١) وَمَنْ لَسْتَ مِنْ حُبِّهِ تَصْطَبِرُ^(٢)

فَإِنْ يَأْتِ مِنْهَا الَّذِي أُرْتَجَى فَذَلِكَ لَمَمَرِي الَّذِي أَنْتَظِرُ^(٣)

وَأِلَّا صَبَرْتُ فَلَا مُفْجِسًا عَلَيْهِمَا بِسُوءٍ وَلَا مُبْتَهَرًا^(٣)

وسكر حتى قطع ثيابه . ونام عريانا فغطاه القوم بثيابهم ، وحملوه إلى منزله ليلا ، وانصرفوا . فأصبح وقد فاء ولوث ثيابه بقيئه . فأنكر نفسه وحلف ألا يغنى أبدا ، ولا يعاشر من يشرب النبيذ . ووفى بذلك حتى مات . وكان يجالس المشيخة والأشراف ، فيفيض معهم في أخبار الناس وأيامهم حتى قضى نحبه .

(١) غ : من حبه تعففر . وتذكر : تذكر .

(٢) غ : فإن نلت منها . ت : فإن بان منها .

(٣) مبتهر : كذا في د ، ي ، أي مدع الكذب عليها . وفي ص ، ب ، س : منتهر .

نَبِيَّهِ*

هو رجل من بني تميم . وأصله من الكوفة .
 وكان في أول أمره شاعرا لا يغنى . فهوَى قينة ببغداد فتعلم الغناء من أجلها ،
 وجمله سببا للدخول عليها . وتزَيَّد فيه حتى عُدَّ من المحسنين .
 وكان له أخوان ، يقال لهما : مُنْبَهُ وَنَبَّهَان .
 قال علي بن الفضل : اصطبحنا يوما أنا ونبيه عند عبيد الله ^(١) بن أبي غسان ،
 ففنانا نبيه لحنه ^(٢) :

يا أيُّها الرجل الذي قدزان مَنطِقَه البَيَّانُ
 لا تَعْتَبَنَّ على الزمانِ نِ فليس يُعقبك الزمان

فما سمعت أحسن منه وشربنا عليه بقية يومنا . ثم سألنا الانصراف ، فسألنا
 عبيد الله ^(١) أن نبيت عنده ونصطحب من غد . وقال لنبيه : « أَيَسَّ تَشْتَهَى أَنْ نَصْلِحَ
 لَكَ » . فقال : « تَشْتَرِي غَزَالَ فَتَطْعَمُنِي كَبِدَهُ كِبَابَا ، وَتَجْعَلُ سَائِرُ مَا آكَلَهُ مِنْ لِحْمِهِ » .
 فقال : « أَفْعَلْ » . فلما اصطبحنا ^(٢) جئناه بغزال فأصلحه كما أحب . فلما استوفى أكله
 استلقى لينام ، فحركناه فإذا هو ميت ، فجزعنا من ذلك . وبعث عبيد الله ^(١) إلى أمه
 فجاءت ، فأخبرها بخبره ، فلما رآته استرجعت ثم قالت : « لا بأس عليكم ، وهو
 رابع أربعة أولاد ولدتهم كانت هذه منيتهم ومنية أبيهم ^(٤) من قبلهم » . فسكنا لذلك .
 وغُسل في دار عبيد الله ^(١) ، ودُفن .

* أخباره في ب ٦ : ١١ ، س ٦ : ١٠ ، د ٦ : ١٦١ ، ي ٦ : ١٥١ .

(١) كذا في غ . وفي ص : عبد الله .

(٢) الشعر لعبد الله بن هازون العروضي .

(٣) غ : أصبحنا .

(٤) غ : هذه منيتهم ومنية أبيهم .

* النعمان

أعشى بن تغلب

هو النعمان بن نجوان^(١) بن معاوية ، أحد بني معاوية بن جشم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم^(٢) بن تغلب بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دُعَمَى بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار .

شاعر من شعراء الدولة الأموية ، من ساكني الشام إذا حضر ، وإذا بدا نزل بديار قومه بنواحي الموصل وديار ربيعة .
وكان نصرانيا ، وعلى ذلك مات .

وكان يُنادم الحرّ بن يوسف بن يحيى بن الحَكَم^(٣) فشربا يوما في بستان بالموصل . فسُكر الأعشى فنَام في البستان . ودعا الحر جواريه فدخلن عليه قبتة . واستيقظ الأعشى فأقبل ليدخل القبة ، فأنه الخدم . ودافعهم حتى كاد يهجم على الحرمع جوارية ، فطمه خصيٌّ منهم . فخرج إلى قومه فقال لهم : « لطمني الحرُّ » . فوثب معه رجل من بني تغلب ، يقال له ابن أدعج ، وهو شهاب بن همام بن كملبة بن أبي سمد . فافتحما الحائط^(٤) ، وهجا على الحر حتى لطمه الأعشى ثم رجعا . فقال الأعشى في ذلك :

* أخباره في ب ١٠ : ٩٨ ، س ١٠ : ٩٣ ، ١١ د : ٢٨١ ، ي ١١ : ٢٦٣ .

(١) اختلف الرواة في اسم الأعشى التغلبي . فذكر الآمدي : المؤلفات والختلاف ٢٠ أن « اسمه نعمان بن نجوان ، ويقال ربيعة بن نجوان بن أسود » . وذكر أبو الفرج : « قال أبو عمرو الشيباني : اسمه ربيعة . وقال ابن حبيب : اسمه النعمان بن يحيى بن معاوية » . وقال الزبيدي تاج العروس ، مادة عشو : « هو النعمان ، ويقال له ابن جاوات » .

(٢) غنم : ساقطة من غ ، وموجودة في ص ، ت ، وتاج العروس .

(٣) ولاء هشام بن عبد الملك مصر في ١٠٥ هـ فثار القبط فأصلح أمرهم . ثم عزل عنها

وولى الموصل ١٠٨ هـ وبقى بها إلى أن مات في ١١٤ هـ .

(٤) الحائط : البستان .

كأني وابن أدعج إذ دخلنا
هزبرا غابة وقصاحارا
أنا الجسمي من جشم بن بكر
فما يستطيع ذو ملك عقابي
عشية غاب عنك بنو هشام
تروح إلى منازلها قريش
على قرشيك الورع الجبان^(١)
فظلا حوله يتبهنسان^(٢)
عشية رعت طرفك بالبنان^(٣)
إذا اجترمت يدي وجني لساني
وعثمان استها وبنو أبان
وأنت نخيم بالزرقان^(٤)

الزرقان : قرية للحجر كانت بسنجار .

كان شمعة بن عامر بن عمرو بن بكر ، أخو بني فائد ، نصرانيا ، وكان ظريفا .
فدخل على بعض خلفاء بني أمية ، فقال له : « أسلم يا شمعة » . قال : « لا والله ،
لا أسلم كارها أبدا ، ولا أسلم إلا طوعا إذا شئت » . فغضب وأمر فقطع قطعة من لحم
نخذه ، وشويت في النار ، وأطعمه إياها . فقال أعشى بني تغلب في ذلك :

أمن حذة بالفخذ منك تباشرت
وإن أمير المؤمنين وجرحه
عداك ؟ ولا عار عليك ولا وتر^(٥)
لكا الدهر لا عار بما فعل الدهر

ومات شمعة من الجرح الذي لحقه في نخذه بمد مدة طويلة . فقال الأعشى
في ذلك :

(١) الورع : الضعيف الجبان . والأبيات في ديوان الأعشين (طبع بيانة ١٩٢٧) ٢٩١ .

(٢) الهزير : الأسد الغليظ الضخم ، ووقص : كسر ودق . ويتبهنسان : يتبختران . وفي غ

والديوان : يتناهشان .

(٣) يريد عشية لطمتك بالكف .

(٤) كذا في غ ومعجم البلدان لياقوت والديوان . وفي ص : بالزندقان . وسنجار : مدينة

من نواحي الجزيرة بينها وبين الموصل ثلاثة أيام . وفي ب ، س ، والديوان : إلى منازلنا .

(٥) انظر ديوان الأعشين ٢٨٩ . وكذا الرواية في د ، ي ، والحذة : القطعة من اللحم .

وفي ص : حدوة . وفي ب ، س : جدوة . وفي الديوان : حزة . وفي غ والديوان : فلا عار .

- أَلَا يَا بَنِي مِرْوَانَ هَلْ نُوفِيْتُمْ
 أَنْتَسَى إِذَا مَا لَمْ تَنْبُكُم كَرِيهَةً
 أَلَمْ يَكْ غَدْرًا مَا فَعَلْتُمْ بِشَمْعَلٍ
 أَجِدْكُمْ مَا تَرَهَبُونَ كِتَابِيَا
 فَإِنْ تَكْفُرُوا مَا قَدْ عَلِمْتُمْ فُرُبَمَا
 وَأَقْسَمُ لَوْحَرْبٍ عَوَانَ تَلَقَّحَتْ
 لَنَحْنُ عَلَيْكُمْ لَا لَكُمْ إِنْ عَثَرْتُمْ
 وَكَمْ قَدْ دَفَعْنَا عَنْكُمْ مِنْ مُلَمَّةٍ
 وَنَحْنُ قَتَلْنَا مُضْعَبِيَا قَدْ عَلِمْتُمْ
- فروضكم من قبل أن يأتى الحشر^(١)
 ونُدعى إذا ما هُزِه الأسل السمر^(٢)
 وقد خاب من كانت سريرته الغدر
 بللم دعواها الأراقم والنمر^(٣)
 أتيح لكم قسرا بأسيافنا النصر^(٤)
 وحان من الناس التنمر والخطر^(٥)
 مع الصكة الأولى إذا قضي الأمر^(٦)
 ولكن أبيتكم لا وفلا ولا شكر
 بمسكن يوم الحرب أنيابها خضر^(٧)

(١) الأبيات الآتية موجودة في ت وديوان الأعشى ٢٨٩ ، وليست في غ . وفي ت : فروضكم
 وفي الديوان : توفينكم فروضكم .

(٢) في الديوان :

أُنْسَى إِذَا مَا هُزِهَ الْأَسْلُ الْحَرَّ

وهو محرف . وتنبؤكم : تعييكم . والأسل : الرماح .

(٣) الديوان : لا ترهبون . ولم : لم أجده في الأماكن ، وهو في اللغة الجمع الكثير ،
 والمعروف في الأماكن الملم ويلعلم ، وهاموض واحد على ليلتين من مكة يحرم منه أهل اليمن . والأراقم :
 أحياء من تغلب ، وهم جشم ومالك وعمرو وتعلبة ومعاوية والحارث بنو بكر بن حبيب بن غنم بن
 تغلب . والنمر : قبيلة .

(٤) الديوان : فطالما أتيح لها قسرا . .

(٥) الديوان : فأقسم إن حرب . والحرب العوان : التي قوتل فيها مرة بعد مرة . والنمر :
 الغضب والسخط . والخطر : الوعيد والتهديد ورفع السلاح ووضعها .

(٦) ت : من الصكة . الديوان : مع الصرعة .

(٧) الديوان : أنيابها حصر ، ت : أنيابها كشر . ومصعب : يريد به ابن الزبير ، وإلى العراق
 من قبل أخيه عبد الله ، وقد قتل في الحرب بينه وبين عبد الملك بن مروان سنة ٧٢ هـ . ومسكن :
 موضع على نهر دجيل عند دير الجائلق . وخضرة الأنياب : كناية عن الحدائث ، يريد في أول الحرب .

فَارَبُّ ذَاكَ الْفَضْلِ كَامَرَ عَيْنَهُ هَشَامٌ وَلَا عَبْدُ الْعَزِيزِ وَلَا بَشَرٌ^(١)
فَبِعَثَ إِلَيْهِ بَشْرُ بْنُ مَرْوَانَ خَاصَّةً^(٢) فَأَرْضَاهُ وَوَصَلَهُ صَلَّةً سَنِيَّةً ، وَحَمَلَهُ عَلَى فَرَسِ
جَوَادٍ ، وَكَسَاهُ كَسْوَةَ فَخْرَةٍ . فَقَالَ يَمْدَحُهُ مِنْ أَيْبَاتِ^(٣) :

مَتَى يَقُولُوا : أَبُو مَرْوَانَ سَيِّدُنَا وَخَيْرٌ مِنْ يُرْتَجَى بَشَرٌ ، فَقَدِصَدَقُوا
هُوَ الْجَوَادُ قَدِيمًا كَانَ سَابِقَهُمْ حَتَّى أَقْرَأُوا ، وَلَوْ لَمْ يَنْزِعُوا سُبِقُوا^(٤)
كَانَ الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ مُحْسِنًا إِلَى أَعْشَى بَنِي تَغْلِبَ . فَلَمَّا وُلِيَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ
الْخِلَافَةَ وَفَدَّ عَلَيْهِ وَمَدَحَهُ . فَلَمْ يُعْطِهِ شَيْئًا وَقَالَ : « مَا أَرَى لِلشُّعْرَاءِ فِي بَيْتِ الْمَالِ حَقًّا
وَلَوْ كَانَ لَهُمْ حَقٌّ مَا كَانَ لَكَ شَيْءٌ ، لِأَنَّكَ امْرُؤٌ نَصْرَانِيٌّ » . فَقَالَ :

لَعَمْرِي لَقَدْ عَاشَ الْوَلِيدُ حَيَاتَهُ إِمَامَ هُدًى ، لَا مُسْتَرَادٌ وَلَا نَزْرٌ^(٥)
كَأَنَّ بَنِي مَرْوَانَ بِمَدِّ وَقَاتِهِ جَلَامِيدٌ مَا تَنْدَى وَإِنْ بَلَّهَا الْقَطْرُ^(٦)

(١) أراد هشام بن عبد الملك ، وصفه بذلك لحول عينه . وعبد العزيز وبشر : ابنا مروان

ابن الحكم .

(٢) خاصة : رسولا خاصا .

(٣) ديوان الأعشى ٢٩١ .

(٤) ينزعوا : يكفوا وينتهوا .

(٥) مستراد : يطلب منه زيادة العطاء . والنزر : البخيل

(٦) غ والديوان : لا تندى . ت : ولو بلها . وتندى : تسخو . والقطر : الطر .

ناهض بن ثومة

هو ناهض بن ثومة بن نصيح بن فهيك بن إمام بن جهضم بن شهاب بن أنس ابن ربيعة بن كعب بن أبي بكر^(١) بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة .

شاعر فصيح ، بدوي ، فارس ، من شعراء الدولة العباسية . كان يقدم البصرة ، فُيكتب عنه شعره ، وتؤخذ عنه اللغة . روى عنه الرياشي وأبو سُرَاعَة^(٢) وغيرها .

وكان يهاجيه رجل من بني الحارث بن كعب ، يقال له : نافع بن أصغر الحارثي^(٣) ، فأبر عليه^(٤) ناهض . فما قال ناهض في جواب قصيدة هجا بها نافع قبائل قيس ، من قصيدة أولها :

وَهَلْ سَأَلْتُ بَاقِيَ عَلَى الْخَدَّائِنِ	أَلَا يَا سَأَلَا يَا أَيُّهَا الظَّلْمَانِ
كَفَانِي مَا بِي لَوْ تَرَكْتُ كَفَانِي ^(٥)	خَلِيلِي قَدْ أَكْثَرْتُمَا اللُّومَ فَارْبَعَا
بِحَبْلَيْهِمَا حَبْلِي ، فَمَنْ تَصْلَانِ ؟	إِذَا لَمْ تَصِلْ سَلْمِي وَأَسْمَاءُ فِي الصَّبَا
وَمَعْوَاهُ مِنْ نَجْرَانٍ حَيْثُ عَوَانِي ^(٦)	فَدَعُ ذَا ، وَلَكِنْ قَدْ عَجِبْتُ لِنَافِعِ

* أخباره في ب ١٢ : ٣٣ ، س ١٢ : ٣٢ ، د ١٣ : ١٧٥ ، ي ١٣ : ١٧٦ .

(١) غ : كعب بن بكر . وما أثبتته عن ص أصح .

(٢) ص : أبو سُرَاعَة . غ : أبو سُرَاقَة . والتصحيح عن أمالي القالي ١ : ٢٢ ، والأغاني

٢٠ : ٣٥ .

(٣) كذا في ص . في غ : نافع بن أشعر . ولم أجده فيما بين يدي من مراجع .

(٤) فأبر عليه : غلبه . وفي غ : فأثرى عليه .

(٥) أربعاً : أمسكا وتوقفا .

(٦) ب ، س : ودع ذا . وفي ص : حيث غواني ، تحريف . ومعواه : عواؤه ، شبه هجاءه

بعواء الكلب .

لعمري ، لقد قال ابن أصغر نافع^(١)
 هـ نافع كعبا ليذكر وتره
 ولم تَعْفُ من آثارِ كعبٍ بوجهه
 وقد خَضَبوا وجهَ ابنِ عُلبةَ جعفرِ
 فلم يُدْمِ كعبا نافعٌ منه ضربه
 فما لك مهجتي يا ابنِ أصغر^(٦) فالتقم
 إذا المرء لم ينهض بثأر لعمه
 أبي قيس عيلانٍ وعمي خذِفُ
 إذا ما تجمعنا وسارت حذاءنا
 أليس نبيُّ الله منّا محمدُ
 ومنّا ابنِ عباسٍ ومنّا ابنُ عمِّه

مقالة موطوء الحريم مُهان
 ولم يهيج كعبٌ نافعاً لأوان^(٢)
 قوارعُ منها وُضِحَ وقواني^(٣)
 خضابٌ نجيعٌ لا خضابَ دهان^(٤)
 بسيفٍ ولم يطعنهمُ بسنان^(٥)
 على حجرٍ واصيرُ لكل هوان
 فليس يُجَلِّي العارُ بالهذيان^(٧)
 ذوو البَذخِ عند الفخرِ والخطران^(٨)
 ربيعةٌ لم يُمدل بنا أخوان
 وحزّةُ والعباسُ والمُمران^(٩)
 على إمامِ الحقِّ ، والحسنان^(١٠)

- (١) ب ، س : لعمري لقد كان ابن أصغر نافع . د : ابن أسعر ، ي : ابن أشعر .
 (٢) كذا في غ ، أي أن كعبا لم يهيج نافعاً في أي وقت . وفي ص : ولم يهيج كعبا نافعاً لأوان .
 (٣) والقوارع : الإصابات . والوضيح : جمع واضحة ، وهي الشجة التي تبين العظم .
 والقواني : الشديدة الحرة .
 (٤) النجيع : دم الجوف . وانظر خبر جعفر بن علبه الحارثي في الأغاني (د) ١٣ : ٤٥ .
 (٥) غ : فلم يهيج كعبا نافع بعد ضربة .
 (٦) ب ، س : يابن أصغر فاكتم . د ، ي : يابن أشعر فاكتم .
 (٧) غ : فيثأر بعمه .
 (٨) ب ، س : أي ايا قيس عيلان . وفي ص : وعمي جنذب ، تحريف . فقد أراد أبناء ليلى
 من إلياس بن مضر بن نزار ، التي انتقل هذا اللقب منها إلى أبنائها في قصة تروى . وفي غ : ذوا
 البَذخِ . والبَذخ : الكبر والتطاول والفخر ، ولم تذكر فيه المعاجم التسكين ولكن الشاعر
 اضطر إلى ذلك . والخطران : الاهتزاز والتبختر في المشي والمساولة .
 (٩) الممران : أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب أو عمر بن الخطاب وعمر بن عبد العزيز .
 (١٠) ب ، س : أمان الحق .

وعثمانُ والصّدِّيقُ منا وإنا لنَعْلَمُ أن الحقَّ ما يَمدان^(١)
ومنا بنو العباسِ فضلاً، فمنَ لكم؟ هَلُمُّوهُ أو لا يَنْطِقَنَّ يَمَانُ

فأنشد ناهض هذه القصيدة أيوب بن سليمان بن علي بالبصرة ، وعنده خال له من الأنصار . فلما ختمها بهذا البيت ، قال الأنصاري : « أحرَسنا ، أحرسه الله تعالى ! » .

وكان جدُّه نصيح شاعرا أيضا .

قال الفضل بن العباس الهاشمي ، من ولد قُثم بن جعفر : كان ناهض بن ثومة يَفِدُ علي جدي قثم فيمدحه ، ويَصِلُه جدي ويَمِيرُه^(٢) ، وكان بدويا جافيا كأنه من الوحش ، وكان طيب الحديث . فحدثه يوما : أنهم اتجعوا الشام ، فقصد صديقاله من ولد خالد بن يزيد بن معاوية كان ينزل حلب . فمدحه وكان برآ به . قال : فررتُ بقرية يقال لها قرية بكر بن عبد الله الهلالي . فرأيت دُورا متباينة وخصاصا قد ضُمَّ بعضها إلى بعض ، وإذا بها ناس كثير مقبلون ومُدبرون ، عليهم ثياب تحكي ألوان الزهر . فقلت في نفسي : « هذا أحد العيدين : الأضحى أو الفطر » ثم تاب إلى ما عَزَبَ من عقلي ، فقلت : « خرجت من أهلي ببادية البصرة في صفر ، وقد مضى العيدان قبل ذلك . فما هذا الذي أرى ؟ وما هذا الذي يخيل إلى نفسي ؟ لا والله ما لهذا أصل ، وإن الذي أراه لَشَأْنٌ عظيم غير مايقع لي الأمر » . وأقبلت أتأملُه .

فبينما أنا واقف متعجب ، إذ جاءني رجل فأخذ بيدي ، فأدخلني داراً قوراء ، وأدخلني منها بيتاً قد نُجِدَّ في وجهه فُرُشٌ ومُهَدَّت ، وعليها شاب ينال فروع شعره منسكبيه ، والناس حوله سباطان . فقلت في نفسي : « هذا الأمير الذي حُكِيَ لنا جلوسه على السرير وجلوس الناس حوله وبين يديه ، ولقد أريت ما كنت أتمناه من

(٥) كذا في غ . وفي ص : تمدان .

(٦) غ : جدي وغيره . وفي الخبر كثير من العبارات الزائدة غير الموجودة في الأغاني .

دهر طويل ، فياليت شعري ، ما السبب في إدخالى عليه ؟ وما يريد منى ؟ » فقلت وأنا مائل بين يديه : « السلام عليك ، أيها الأمير ، ورحمة الله وبركاته » . ف جذب رجل بيدي وقال : « اجلس ! فإن هذا ليس بأمر » . فقلت : « وما هو ؟ » قال : « عروس » . فقلت : « وائسكل أماء ! لربّ عروسٍ بالبادية أهونُ على أهله من هنِ أمه ! » فلم أنشب أن دخل رجال يحملون هَنَات^(١) مدوّرات : أما ما خفّ منها فيُحمّل حملاً ، وأما ما ثقل وكبر فيدحرج . فوضع ذلك أمامنا ، وتخلّق القوم عليها حلقاً متزاحمين ، وأنا أنظر إليهم وأقول : « يا قوم ! يا هؤلاء الذين لم أر مثلهم قط » . ثم أتينا بمحرق بيض ، فألقيت بين أيدينا . فظننتها ثياباً وهممت أن أسأل القوم منها خرقاً أقطعها قميصاً ، وذلك أنى رأيت لها نسيجاً متلاحماً لا يبين له سدّى ولا لحمه . فلما بسط القوم أيديهم إذا هو يتمزق سريعاً فإذا هو - فيما زعموا - صنف من الخبز لا أعرفه . ثم أتينا بطعام كثير حلو وحامض ، وحرار وبارد ، فأكثرته منه وأنا لا أعرف ما في عقبه من التّخّم والبّشم . ثم أتينا بشراب أحمر في عِساس^(٢) ، فقلت : « لا حاجة لى فيه ، فإنى أخاف أن يقتلنى » . فضحكوا وقالوا : « يا بدوى ! هذا ينفع ما أ كات ويهضمه » . فقلت : « ما أريده » .

وكان إلى جنبي رجل ناصح لى من بين الجماعة ، جزاه الله خيراً . فقال لى : « يا بدوى ! أعلم أنك قد أ كات وأ كترت من الطعام ، وهذا النبيذ يهضم ما أ كات وإن أنت شربت الماء همى بطنك^(٣) » . فلما ذكر البطن تذكرت شيئاً كان أوصانى به أخى^(٤) والأشياخ من أهلى ، وقالوا : لا تزال حيا بخير ما دام بطنك شديداً ،

(١) هنات : أشياء .

(٢) العساس : جمع عس ، وهو القدح الكبير .

(٣) همى بطنك : أسهل .

(٤) غ : أبى .

فإذا اختلف^(١) فأوصي . وهذا والله مما قاله لي الرجل : إنى إذا أتحت هـى^(٢) بطنى . فقلت : « قد نصح لك هذا الرجل ، أحسن الله جزاءه ! » وشربت من ذلك الشراب لأتداوى ، ورأيت طبا فأكثرته منه وأنا لا أمل شربه . فتداخلى لذلك صلف لا أعرفه من نفسى ، وبكاء لا أعلم سببه ولا علم^(٣) لى بمثله ؛ واقنذار^(٤) على أمرى أظن معه أنى لو أردت نيل السقف لبلغته ، ولو ساورت^(٥) الأسد لقتلته ، ولو وثب إلى جماعة من الناس أقاتلهم لقتلتهم . وجمعت أتلفت إلى الرجل الناصح لى فتحدثنى نفسى بهتهم أسنانه وهشم أنفه . وأهم أحياناً بأن أقول له : « يا ابن الزانية ! » .

فبينما نحن كذلك إذ هجم علينا شياطين أربعة ، أحدهم قد علق فى عنقه جمبة^(٥) فارسية مشنجة^(٦) الطرفين ، دقيقة الوسط ، مشدودة بالخيوط شداً منكراً^(٧) لم أر مثله . ثم بدر الثانى فأخرج من كفه هنة سوداء كفينشة الحمار ، فوضعا فى فيه . وبقيت أنظر إليه وأتعجب وأقول : « ترى الشيطان أى شى يريد أن يصنع بهذه الهنة ؟ » . وضرط منها ضراطاً لا والله ما سمعت أعجب منه . فاستتم بها أمرهم . ثم حرك أصابعه على ثقب^(٨) فيها ، فأخرج منها صوتاً ليس كما بدأ يشبه الضراط ، ولكنه أتى منها لما حرك أصابعه بصوت عجيب متلائم مشا كل بمضه لبعض ، كأنه - علم الله - ينطق بكلام ما سمع السامعون أشجى منه^(٩) . قال : وضرب الأول

(١) كذا فى غ ، وفى س : رقت .

(٢) س : حب . وربما كان محرراً عما أثبت .

(٣) غ : ولا عهد :

(٤) ساورت الأسد : واثبته وصالته .

(٥) الجمبة : كناية السهام .

(٦) المشنجة : المنقبضة .

(٧) غ : مشبوحة بالخيوط شبعاً منكراً .

(٨) غ : على أجرة .

(٩) س : أسخى .

على الجعبة الفارسية التي كانت في يده من جانبها ، وقال عليها قولاً اختلط كلامه بصاحب
الهنئة . فسمعت شيئاً لا - وبيت الله - ما سمعت أطيب منه . ثم بدر ثالث كز مقيت^(١) ،
عليه قميص وسخ ، ومعه مرآتان فجعل يصفق بهما بيديه ، إحداهما على الأخرى .
فخالط بصوتها^(٢) ما يفعل الرجلان . ثم بدر رابع عليه قميص مصون وسراويل
مصونة ، وخفان أحذمان^(٣) لا ساق لواحد منهما ، فجعل يقفز كأنه يشب على ظهور
العقارب . ثم التبط^(٤) به على الأرض . فقالت : « معقوه ، ورب الكعبة ! » .
ثم ما برح مكانه حتى كان أغبط القوم عندي ، ورأيت القوم يحذفونه بالدرهم
حذفاً منكراً .

ورأيت الأربعة شياطين قد اختلط كلام صاحب الجعبة ، وضراط صاحب الهنئة ،
وقفز ذلك الشيطان ، وتصفيق صاحب المرآتين في موضع ، فكأنه - شهد الله - شيء
واحد أخذ بالقلب من ملاحظته . وطربت من طبيته حتى كدت أن أشق قميصي . ثم
قلت : « أبقى عرباناً بلا شيء ! » وجملتُ أشخص^(٥) إليهم ، وهم يُحذفون بالدرهم .
ويُلصق على وجوههم بالبصاق ، وأنا أقول : « ليت كان معي شيء فأعطيهم كما
يعطى هؤلاء^(٦) » . وإذا هم يدورون على واحد واحد فيعطيهم إلى أن جاءوا إلي .
فقالوا : « هات ، يا بدوي » . فقلت : « لاها الله ما معي شيء ، ولو كان معي

(١) الكز : الجهم المتقبض . والمقيت : الكريه .

(٢) ص : فخالط بصوتها . ب ، س : فخالط بصوته . د ، ي : فخالطنا بصوتها .
ولعل الصواب ما أنبت .

(٣) أحذم : مقطوع ب ، د ، ي : أحذمان . س : أحذمان .

(٤) التبط : سقط .

(٥) أشخص : أرفع بصرى دون أن يطرف .

(٦) ص : يعطون هؤلاء .

لفعلت . فأقبلوا يضحكون منى . وأعطاني صديقي الذى كان إلى جنبي درهما فأعطيتهم . ورأيت - والله - منهم منظراً حسناً . وأقبلت أفكر فى نفسى وأقول : « يا قوم ، رأيتم هذه الجمعة الفارسية ، والمرأة ، والهنة : أيش نشأ منهم من العجائب ؟ ! » وأنا شاخص الطرف إليهم .

ثم أرسل النساء إلينا أن أمتعنونا من لهوكم هذا . فبعثوا بهم إليهن . وجمالنا نسمع أصواتهم من بُعد . وكان معنا فى البيت شاب لا أبهة^(١) له . فعلت الأصوات بالثناء عليه والدعاء له . وإذا به قد خرج فجاء بخشبة ، عينها^(٢) فى صدرها ، فيها خيوط أربعة . فاستخرج من خلالها عوداً فوضعه خلف أذنه . ثم عرك آذانها وحركها بخشبة فى يده . فنطقت - ورب الكعبة - وإذا هى كأحسن قينة رأيته قط . وغنى عليها بغناء ما سمعته قط . فأطربنى حتى كدت أطيّر فرحاً ، واستخفنى من مجلسى فوثبت فجلست بين يديه . وقلت : « بأبى أنت وأمى ! ما هذه الدابة ؟ فلست أعرفها للأعراب . وما أراها خلقت إلا قريباً » . فأقبل يضحك ويصفق من كلامى ، وتضحك الجماعة معه منى أيضاً ، ويصفقون ويقولون : « هيه ، يا أعرابى ! بالله عليك ، هذه دابة ؟ » قلت : « فداكم أبى وأمى ! أنا بدوى لا أعرف فمرّفونى ، فقد والله تحيرت » . فقال لى المعنى : « هذا البربط » . فقلت : « بأبى أنت وأمى ! فما هذا الخيط الأسفل ؟ » قال : « الزّير » . قلت : « فالذى يليه ؟ » قال : « المثنى » . قلت : « فالذى يليه ؟ » قال : « المثلث » . قلت : « فالأعلى ؟ » قال : « البم » . فقلت : « آمنت بالله أولاً ، وبك ثانياً ، وبالبربط ثالثاً ، وبالهم رابعاً » .

فضحكنا حتى سقطنا^(٣) إلى الأرض . وجمل ناهض يهجم من ضحكنا وكاننا نسقميده . هذا الحديث ، ونظرف به إخواننا . وكان من ملاحظة الحديث على أمر جميل .

(١) غ : لا أبه له .

(٢) غ : عينها .

(٣) غ : فضحك أبى والله حتى سقط . والضمائر فى الفقرة كلها للمفرد الغائب .

نَبَاتَةُ أَبُو الْأَسَدِ*

هو نباتة بن عبد الله الحِمْيَاني ، من بني شَيْبَانَ (١) .
شاعر ، مطبوع ، متوسط الشعر ، من شعراء الدولة العباسية ، من أهل
الدينور (٢) .

[وكان] (٣) مليحاً ، طيب النادرة ، مزّاحاً ، خبيث الهجاء .
وكان صديقاً لعلّويه ، كثيراً ما يغني بأشعاره . وكان علويه يصفه للناس (٤)
ويعرضه للمنافع .

كتب أبو الأسد إلى موسى بن الضحاك :

لموسى أَعْبُدُ وأنا أخوه وصاحبه ، ومالي غيرُ عَبدِ
فلو شاء الإله وشاء موسى لأنسَ جانِبِي فرجَ بسَعْدِ (٥)
وفرج غلام أبي الأسد ، وسعد غلام كان لموسى . فبعث إليه موسى بسعد .
وشاطره بعدُ في بقية غلمانه ، فأخذ شطرهم وأعطاه شطرهم .
كان أبو الأسد مدح أحمد بن أبي دُواد ، فوعده بالثواب ومطلّه ولم يُثبّه .
فكتب إليه :

* أخباره في ب ١٢ : ١٧٤ ، س ١٢ : ١٦٧ ، د ١٤ : ١٣١ ، ي ١٤ : ١٢٥ .
(١) كذا في ص ، وبنو حمان المعروفون من تميم لاشيبيان . والشاعر فيه خلاف : هل هو
من تميم أو شيبيان ، فاختصر المؤلف الخلاف فأوهمت عبارته .
(٢) الدينور : مدينة من الجبل بينها وبين همدان أكثر من عشرين فرسخاً .
(٣) زيادة عن غ يستلزمها نصبه للصفات . وفيه : مليح النوادر .
(٤) غ : يصله بالأ كابر .
(٥) فرج : كذا في غ . وفي ص : فرج . وكثيراً ما تهمل ص النقط .

لِيَتَّكَ إِذْ نُبِتْتِي بِوَاحِدَةٍ تَحْلِفُ أَنْ لَا تَبْرَأَنِي أَبَدًا
 تَقْنَعُنِي مِنْكَ آخَرَ الْأَبَدِ أَشْفِ فَوَادِي مَنِي فَإِنَّ بِهِ
 فَإِنْ فِيهَا بَرَدًا عَلَى كَبِدِي إِنْ كَانَ رِزْقُ إِلَيْكَ فَارْمِ بِهِ
 مَنِي جُرْحًا نَكَأَتْهُ بِيَدِي قَدْ عَشْتُ دَهْرًا وَمَا أَقْدَرُ أَنْ
 فِي نَاطِرِي حَيَّةٌ عَلَى رِصَدِ فَكَيْفَ أَخْطَأْتُ؟ لَا أَصْبُتُ وَلَا
 أَرْضَى بِمَا قَدْ رَضِيتُ مِنْ أَحَدِ لَوْ كُنْتُ حُرًّا - كَمَا زَعَمْتُ - وَقَدْ
 نَهَضْتُ مِنْ عَشْرَةٍ إِلَى سَدَدِ (١) صَبَرْتُ لِمَا أَسَاتَبُنِي ، فَإِذَا
 كَدَدْتَنِي بِالْمِطَالِ ، لَمْ أَعُدْ فَإِنِّي أَهْلُ ذَاكَ فِي طَمَعِي
 عَدْتُ إِلَى مِثْلِهَا ، فَعُدُّ وَعُدُّ أَبْعَدَنِي اللَّهُ حَيْثُ يَحْمِلُنِي
 وَفِي خَطَائِي سَبِيلَ مُعْتَمِدِ (٢) الْآنَ أَيَقْنَتُ بَعْدَ فَعْلِكَ بِي
 حِرْصِي عَلَى مِثْلِ ذَا مِنَ الْأَوْدِ (٣) فَصَرْتُ مِنْ سُوءِ مَا رَضِيتُ بِهِ
 أَنِي عَبْدٌ لِأَعْبُدُ قَفْدُ (٤) ثُمَّ هَجَاهُ أَبُو الْأَسَدِ فَقَالَ :
 أَكْتَنِي أَبُو الْكَلْبِ لَا أَبُو الْأَسَدِ (٥) أَنْتَ امْرُؤٌ غَثُّ الصَّنِيعَةِ رَثُّهَا
 لَا تُحْسِنُ النُّعْمَى إِلَى أُمَّثَالِي نَعْمَاكَ لَا تَعْدُوكَ إِلَّا فِي أَمْرِي
 فِي مَسْكَ مِثْلِكَ مِنْ ذَوِي الْأَشْكَالِ (٦)

(١) السدد: السداد والاستقامة .

(٢) ب ، س : فإني . وخطائي : عدولي .

(٣) غ : حين يحملني . والأود : السكد والتعب ، والعوج أيضا .

(٤) قفد : كذا في د ، ي . وهم جمع أفقد أي مسترخي العنق أو غليظه ، أو من يمشي على

صدر قدميه ولا تبلغ عقباه الأرض أو الكبر اليدين والرجلين القصير الأصابع . وفي ص : فقد .

وفي ب ، س بدون ضبط .

(٥) غ : سوء ما رميت به .

(٦) المسك : الجلد .

وإذا نظرت إلى صنيعك لم تجد أحدا سموت به إلى الإفضال
 فاسلم لغير سلامةٍ تُرجى لها إلا لسدك خلة الأندال^(١)
 وأدى إليه سلامة وهو عبد الرحمن بن عبد الله بن عائشة ، هذه الأبيات عن أبي
 الأسد . فبعث إليه ببر^(٢) واستكفه^(٣) . وبعث ابن عائشة على مظالم ما سبذان^(٤) ،
 وقال له : « قد شرر كتمه في التوبيخ لنا فشرر كتمناك في الصنعة^(٥) فإن كنتم صادقين
 في^(٦) كنتما من الأندال ، وإن كنتم كاذبين فقد جزيتكما بالتبجح حسنا » .
 وكان أبو الأسد منقطعا إلى الفيض بن أبي صالح وزير المهدي^(٧) . وفيه يقول :
 ولائمة لا تمك يا فيض في الندى فقلت لها لن يقدح اللوم في البحر^(٨)
 أرادت لتثنى الفيض عن غاية الندى ومن ذا الذي يثنى السحاب عن القطر^(٩)
 مواقع جود الفيض في كل بلدة مواقع ماء المزن في البلد القفر^(١٠)
 كأن وفود الفيض لما تحملوا إلى الفيض لا قوا عنده ليلة الفطر^(١١)
 وكان قبله منقطعا إلى أبي دلف . فلما قدم عليه علي بن جبلة العكوك غلب عليه ،

(١) غ : بغير . والحلة : الحاجة .

(٢) غ : يبرد .

(٣) استكفه : طلب إليه أن يكف عن هجائه .

(٤) ما سبذان : أحد أقاليم فارس .

(٥) ب ، س : الصنعة . د ، ي : الصفقة .

(٦) غ . صادقين في دعواكما . وربما سقطت كلمة دعواكما من الأصل .

(٧) كذا في ص ، والجهمياري ١٦٤ ، وزامباور : معجم الأنساب ٥ : وفي غ : الفيض بن صالح .

(٨) الجهمياري : هل يقدح .

(٩) لتثنى : كذا في ص والجهمياري . وفي غ : لتنهى . ورواية الشطر الثاني ترجع ما أنيته .

وفي غ والجهمياري : عادة الندى . وهي أرجح من رواية الأصل المثبتة هنا .

(١٠) المزن : السحاب أو المطر منه .

(١١) الجهمياري : حين تحملوا . وفيه وفي غ : ليلة القدر .

وسقطت منزلة أبي الأسد عنده : فانتقطع إلى الفيض بعد عزله عن الوزارة ولزومه منزله ، وذلك في أيام الرشيد . وفيه يقول :

أُتيتُ الفيضَ مشتكياً زمانى فأعدانى عليه جودُ فيضٍ (١)

وفاضتُ كفه بالبدل منه كما كف ابن عيسى ذات غميض (٢)

زار أبو الأسد أبا دلف في الكرج (٣) فحجّب عنه أيا ما . فكتب إليه يعاتبه :

ليت شعري أضافت الأرض عنى أم بفتح أنا الغداة طريد

أم أنا قانع بأذن معاش همتي القوت والقليل الزهيد

مقولى قاطع وسيفي حسام وبدي حرة وقلبي سديد (٤)

رُبَّ بابٍ أعزَّ من بابك اليو مَ عليه عساكرٌ وجنود

قد ولجناه داخلين غدوا ورواحا ، وأنت عنه مذود (٥)

فاكف اليوم من حجابك إذلست أميراً ، ولا خميساً تقود (٦)

واعترف في فراقى الصدق إذلست أسيراً ، ولا على قيود (٧)

لا يقيم العزيز في بلد الهو ن ولا يكسد الأريب الجليل (٨)

(١) أعدانى : نصرنى . والخليفة الهادى هو الذى عزل الفيض وبقى معزولاً فى عهد الرشيد .

(٢) ابن عيسى : هو أبو دلف . وغيض : نقص وقلة ، يريد ذات بخل .

(٣) الكرج : مدينة فى منتصف الطريق بين همدان وأصبهان ، وهى إلى الأولى أقرب .

وأول من مصرها أبو دلف وجعلها وطنه وإليها قصد الشعراء وذكروها فى أشعارهم .

(٤) غ : قلبى شديد وسديد : قاصد موفق ، وكثيراً ما تترك ص التقط . والمقول : اللسان .

والحسام : القاطع .

(٥) ولجناه : دخلناه . ومذود : مدفوع مطرود .

(٦) الخميس : الجيش .

(٧) د ، ي : واغترب ، بدلا من : واعترف . وفى غ : فى فدافد الصد . واعترف :

اعرف .

(٨) ب ، س : ولا يكسب . د ، ي : ولا يكتب . والهون : الخزى والنلة . والجليل : ذوالقوة

والصبر .

ولأبي الأسد في بسطام^(١) ، وهي من جيد شعره ، ومنه أخذ البحترى في مدحه
على بن يحيى النجم^(٢) :

أَعْدُو عَلَى مَالِ بَسْطَامٍ فَأَنْهَبُهُ كَمَا أَشَاءُ فَلَا تُتْنَى إِلَى يَدِي
حَتَّى كَأَنِّي بَسْطَامٌ بِمَا احْتَكَمْتُ فِيهِ يَدَايَ ، وَبَسْطَامُ أَبُو الْأَسَدِ
كَانَ إِبْرَاهِيمَ الْمَوْصِلِيَّ صَدِيقًا لِأَبِي الْأَسَدِ . فَلَمَّا مَاتَ قِيلَ لَهُ : « أَلَا تَرْتِيهِ ! »

فقال :

تَوَلَّى الْمَوْصِلِيَّ فَقَدْ تَوَلَّتْ بَشَاشَاتُ الْمَزَاهِرِ وَالْقِيَانِ^(٣)
وَأَيُّ مَلَاحَةٍ تَبْقَى ، فَتَبْقَى حَيَاةُ الْمَوْصِلِيَّ عَلَى الزَّمَانِ^(٤)
سَقَبَكِيهِ الْمَزَاهِرُ وَالْمَلَاهِي وَتُسَعِدُهُنَّ عَاتِقَةُ الدَّنَانِ^(٥)
وَتَبْكِيهِ الْغَوِيَّةُ إِذْ تَوَلَّى وَلَا تَبْكِيهِ تَالِيَةُ الْقُرْآنِ^(٦)

فقالوا له : « ويحك ! فضحتك ، وكان صديقك » . فقال : « هي فضيحة عند
من لا يعقل ، فأما من يعقل فلا . وبأى شيء كنت أذكركه وأرثيه : بالفقه أم بالزهد
أم بالدين أم بالقراءة ؟ وهل يرثي مغن إلا بهذا وشبهه ؟ » .

قال أبو الفضل الكاتب : كنت مقبياً بالجبل . فربى أبو الأسد الشاعر ، فأثرتته
عندي أيا ما : وسألته عن خبره فقال : « قصدت شاهين بن عيسى ، ابن أخي أبي دلف ،

(١) بسطام : صديق له كان براهبه (غ) .

(٢) لم أعثر على الأبيات التي يشير إليها ديوان البحترى المطبوع .

(٣) المزاهر : جمع مزهر ، وهو العود . والقِيَان : جمع قينة ، وهي الجارية الغنية .

(٤) ب ، س : وأي فلاحه . غ : بقيت فتبقى .

(٥) تسعد : تعين . الدنان : جمع دن ، وهو الوعاء العظيم تعتنق فيه الحمر . والعاتق : القديم

والكريم ، يصف خرا .

(٦) القرآن : القرآن ، خفف همزته . والغوية : الضالة .

فما احتبسني ولا برّني ولا عرض على المقام عنده . وقد حضرني فيه أبيات
فاكتبها . وهي :

إني مررتُ بشاهينٍ وقد لَقِحتُ رِيحُ العُشِيِّ وَبُرْدُ الثَّلَاجِ يُؤذِينِي (١)
فما وَقَى عِرْضَهُ مِنِّي بِكُسُوتِهِ وَلَا عَلَي حَسَبٍ حَامِي وَلَا دِينَ (٢)
إِن لَّمْ يَكُنْ لِبْنِ الدَّايَاتِ غَيْرُهُ عَن طَبِيعِ آبَائِهِ الشَّمِّ العَرَانِينِ (٣)
فُرُبَّمَا غَابَ بِعَمَلٍ عَن حَلِيلَتِهِ فَنَاكَهَا بِعَضُ سُوَاسِ البَرَاذِينِ (٤)
وَمَا تَحْرَكُ أَيْرُ فَاستَوَى سَبَقَا إِلَّا تَحْرُكُ عِرْقٍ فِي اسْتِ شَاهِينِ (٥)

ثم قال : « والله لأمزقنه كل ممزق ، ولأصيرن إلى أبي دلف ولأنشدنه » . ومضى
من فوره يريد أبادلف فلم يصل إليه . وبلغ الشعر أبادلف فشوق ذلك عليه وغمه .
فأتاه أبو الأسد فدخل إليه فسأله عن قصته فأخبره بها (٦) . فقال : « هبه لي » .
فقال : « والله ، لا وهبته لك وقد حرمني واستخفني ، ولكن اشتر مني عرضه » .
قال : « بكم ؟ » قال : « بمشرة آلاف درهم » . قال : « قد فعلت » . فأمر له بمشرة
آلاف درهم ، وأمسك عنه .

(١) لفتحت : حامت الماء ومجته في السحاب . وكذا هي في ص . وفي ب ، س : لفتحت ،
وتوصف بذلك الرياح الساخنة لا ريح العشي . وفي د ، ي : لفتحت ، أي هبت .

(٢) الشطر الثاني في غ : « لا بل ولا حسب دان ولادين » .

(٣) الشم : جمع أشم ، وهو المرتفع . والعرائن : جمع عرين ، وهو الأنف أو ما صلب منه
وشمه كناية عن الكبرياء . والدايات : جمع داية ، وهي المرضعة .

(٤) البعل : الزوج . والحليلة : الزوجة . والبراذين : جمع برذون ، وهو غير العربي من
الحيل ويعمل في حمل الأنفال .

(٥) غ : فامتلا شبقا . والشبق : شدة الشهوة .

(٦) كذا في غ . وفي ص : فدخل إليه فأخبره عن قصته فأخبره بها . تحريف .

النُّعْمَانُ بْنُ بَشِيرٍ *

هو النعمان بن بشير بن سعد بن حصين (١) بن ثعلبة (٢) بن خَلاس (٣) بن يزيد (٤)
ابن مالك الأغر (٥) بن ثعلبة بن كعب بن الخَزْرَجِ بن الحارث بن الخَزْرَجِ .
وأمه عمرة بنت رَواحة ، أخت عبد الله بن رَواحة ، التي يقول فيها قيس بن
الخطيم (٦) :

أَجَدَّ بِعَمْرَةَ غُنْيَانُهَا فَتَهَجَّرَ أُمُّ شَانُنَا شَانُهَا (٧)
وعمرة من سَرَوَاتِ النِّسَاءِ تَنْفَحُ بِالمِسْكِ أَرْدَانُهَا (٨)

وله حصة بالنبي صلى الله عليه وسلم ، ولأبيه بشير بن سعد . وكان جاء إلى النبي
صلى الله عليه وسلم ، ومعه رجل آخر ليشهدا غزوة له ، فاستصغرها فردهما .
وأبوه بشير بن سعد أول من قام يوم السَّقِيْفَةِ من الأنصار إلى أبي بكر رضى الله عنه

* أخباره في ب ١٤ : ١١٩ ، س ١٤ : ١١٤ ، د ١٦ : ٢٨ ، ي ١٦ : ٣ .

(١) حصين : كذا في ص وبعض أصول د ، ي . وفي ب ، س : نصر . وحذفت د الكلمتين
اعتمادا على أنهما من حشو الناسخين ، إذ ليس لهما وجود في نسب النعمان الذي أورده ابن دريد في
الاشتقاق ٢٧١ ، والخزرجي في الخلاصة ٥٠ ، ومقدمة ديوان النعمان طبع دهلي بالهند ، صفحة ا
(٢) اختلفت المصادر في موضع « ثعلبة » من نسب النعمان ، فهو في الإصابة وطبقات ابن سعد ،
وسير أعلام النبلاء ٣ : ٢٧٤ النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة ، وكذا هو في أسد الغابة ١ :
١٩٥ ، ثم جملة مرة أخرى ٥ : ٢٢ : النعمان بن بشير بن ثعلبة بن سعد .
(٣) كذا في ب ، س ، د ، وتاج العروس (خلس) وجامع الأصول ، وأسد الغابة وابن
سعد . وفي ي ، والاشتقاق وخلاصة الخزرجي ، والإصابة : جلاس . وخطأها ابن هشام ٢ : ٣٤٨
وفي ص بدون نقط .

(٤) غ وأسد الغابة : زيد .

(٥) كذا هو في غ وأسد الغابة وطبقات ابن سعد . وفي ص : مالك بن الأغر .

(٦) ديوانه (مطبعة المدني) ٢٤ .

(٧) جد : استمر . وغنيانها : استغناؤها .

(٨) الأردن : جمع رذن ، وهو أصل السك من الملابس .

فبايعه . ثم توات الأنصار فبايعته . وشهد بشير مع النبي صلى الله عليه وسلم العقبة وبدرا وأحدا والخندق والمشاهد كلها . واستشهد يوم عين التمر^(١) مع خالد ابن الوليد .

وكان النعمان عثمانيا . وشهد مع معاوية صقّين . ولم يكن معه من الأنصار غيره . وكان كريما عليه ، رفيعا عنده . وعند يزيد ابنه .

ومحرّ إلى خلافة مروان بن الحكم . وكان يتولى حمص . فلما بويع مروان ، دعا إلى ابن الزبير ، وخالف على مروان ، وذلك بعد قتل الضحّاك بن قيس بمرّج راهط . فلم يُجبه أهل حمص إلى ذلك . فهرب منهم ، فتمبعوه فأدركوه فقتلوه ، وذلك في سنة خمس وستين .

ويقال إن النعمان أول مولود وُلد بالمدينة بعد قدوم النبي صلى الله عليه وسلم إليها . وقد قيل ذلك في عبد الله بن الزبير ، إلا أن النعمان أول مولود ولد بعد مقدمه صلى الله عليه وسلم من الأنصار .

وروى النعمان عن النبي صلى الله عليه وسلم حديثا كثيرا^(٢) .

قال الشعبي : سمعت النعمان بن بشير يقول : أعطاني أبي عطية ، فقالت أمي عمرة : « لا أرضى حتى تُشهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم » . قال : فأثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « إن ابني من عمرة أعطيته عطية فأمرتني أن أشهدك » . فقال : « أعطيت كلَّ ولد مثل هذا ؟ » قال : « لا » . قال : « فاتقوا الله واعدلوا بين أولادكم » .

(١) عين التمر : بلدة قريبة من الأنبار غرب الكوفة ، فنحها خالد عنوة سنة ١٢ هـ في عهد أبي بكر . وقد شهد بشير العقبة الثانية لا الأولى (أسد الغابة وطبقات ابن سعد) .
(٢) ذكر الزركلي أن له ١٢٤ حديثا (الأعلام) والذهبي ١١٤ (سير أعلام النبلاء) .

قال الشعبي : أمر معاوية لأهل الكوفة بزيادة عشرة دنانير في أعطيّاتهم ، وعامله على الكوفة وأرضها النعمان ، وكان عثمانيا يُبغض أهل الكوفة لرأيهم في علي بن أبي طالب عليه السلام . فأبى النعمان أن يُنفذها لهم . فكلموه وسألوه بالله ، فأبى أن يفعل . وكان إذا خطب على المنبر أكثر من قراءة القرآن ، وكان يقول : « لا ترون على منبري هذا أحدا بمدى ، يقول : « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم » . فصعد المنبر يوما . فقام إليه أهل الكوفة فقالوا : « نشدك الله والزيادة » . فقال : « اسكتوا » . فلما أكثروا ، قال : « أتدرون ما مثلي ومثلكم ؟ مثل الضبيع والضب والثعلب . فإن ثعلبا وضبما أتيا الضب في وجاره^(١) فزادياه : « أبا الحسل »^(٢) . فقال : « سميعا دعوتما » . قال : « أتيناك لتحكم بيننا » . قال : « في بيته يُوتى الحكم » . قالت الضبيع : « إني حملت عيبتى »^(٣) . قال : « فعمل الحرة فعلت » . قالت : « فلقطت تمرة » . قال : « طيبا لقطت » . قالت : « فأكلها ثمالة »^(٤) . قال : « لنفسه نظر » . قالت : « فلطمته » . قال : « بجُرْمه لطمته » . قالت : « فلطمني » . قال : « حر انتصر » . قالت : « فاقض بيننا » . قال : « قد فعلت » . حدّث امرأة حديثين ، فإن أبت فمُشّرة »^(٥) . فقال عبد الله بن همام السّوّلى :
زيادتنا نِعْمَانُ لَا تَحْبِسْنَهَا خَفِ اللَّهُ فِينَا وَالْكِتَابَ الَّذِي تَتْلُو^(٦)

(١) الوجار : جحر الضبيع وغيرها .

(٢) الحسل : ولد الضب حين يخرج من بيضته .

(٣) العيبة : الصرة تجعل فيها الثياب وغيرها .

(٤) ثعالة : اسم علم للثعلب .

(٥) هذا مثال يراد به أن المرأة لا تفهم ما تسمع للمرة الأولى وتحتاج إلى أن يكرر عليها .

ورى به الضبيع لأنها أنثى .

(٦) ب ، س : لا تحرمنا . وفي نوادر أبي زيد الأنصاري ٤ : تق الله فينا . وانظر

شرح الرضى على شواهد الشافية ٤٩٦ .

- فإنك قد حملت منا أمانة
فلا تكُ بابُ الشرِّ تحسِنُ فتَحِّه
وقد نأت سلطانا عظيما فلا يكن
وأنت امرؤُ حلو اللسان بليغهُ
وقبلك قد كانت علينا أئمةٌ
إذا نصَّبوا للقول قالوا فأحسنوا
يذمون ذى الدنيا وهم يرَضونها
- بما عجزت عنه الصَّلَاحَةُ البُزْلُ (١)
سريما ، وبابُ الخَيْرِ أنت له قُفْلُ (٢)
لغيرك جُمَّارُ الندى ولك النخل (٣)
فما باله عند الزيادة لا يحلو
يَهْمُهُمْ تَقْوِيمُنَا وَهُمْ عُصْلُ (٤)
ولكنَّ حسن القول خالفه الفِئْلُ (٥)
أفاوَبِقَ حتى ما يدرُّ لها ثَمْلُ (٦)

(١) الصَّلَاحَةُ : جمع صلخم ، وهو الجمل الصلب الشديد . والبزل : جمع بازل ، وهو الجمل الذى انشق نابه ، ويكون ذلك فى العام التاسع من عمره .
(٢) ب :

وإن يك باب الشر تحسن فتحه
وفى س الرواية نفسها مع لإصلاحها لى : باب الشر . وفى د :

فلا يك باب الشر تحسن فتحه
وفى رغبة الأمل للمرصنى ١ : ١٨٦ : باب الخير منك . وفى بعض أصول د :
فلا تك باب الشر تحسن فتحه
وفى :
فلا يك باب الشر تحسن فتحه
لدينا ، وباب الخير أنت له قفل

(٣) الجمار : شحم النخل يكون فى قمة رأسه ، تقطع القمة ثم تكشط عن الجمار الأبيض فى جوفها كأنه القطعة الضخمة من السنام ، وهو رخص يؤكل بالعدل . يريد فلا يكن لغيرك الثمر بالرغم من أن النخل لك . ورواية الشطر الثانى فى غ :

* لغيرك جَمَّات الندى ولك البِخْلُ *

(٤) غ : قد كانوا . والعصل : جمع أعصل ، وهو المعوج فيه صلابة وشدة .

(٥) نصبوا للقول : تهيئوا . وفى ب ، س ، ي : أنصتوا .

(٦) ب ، س ، د : يذمون دنياهم . ي : يذمون دنيانا . وأفاوَبِقَ : جمع فيقة ، وهى اللبن

يجتمع فى الضرع بين الحلبتين ، يريد أنهم يرَضونها ثم يتكونها مقدار ما يجمع اللبن ثم يرَضونها ثانية وهكذا . والثعل : ندى زائد صغير فى أثناء الناقة والشاة لا يدر من اللبن شيئا ، ذكره للمبالغة .

« ما رأيت مثلها ، ولقد رأيت خالاً تحت سُرَّتِها يُوضَعَنَّ في مكانه رأس زوجها » . فتطير من ذلك فطلقها . فتزوجها حبيب بن مسleme ثم طلقها . فتزوجها النعمان بن بشير فلما أُتِل الضحاك بمرج راهط في خلافة مروان بن الحكم ، أراد النعمان أن يهرب من حص ، وكان عاملاً عليها ، فخالف ودعا لابن الزبير . فطلبه أهل حص فقتلوه . واحتزوا رأسه ، فقالت امرأته هذه الكلبية : « ألقوا رأسه في حجرى فأنا أحق به » . فألقوه في حجرها فضمته إلى جسمه وكفنته ودفنته .

نظر معاوية إلى رجل في مجلسه فراقه حسناً وشارة^(١) وجسماً . فاستنطقه فرآه سديداً . فقال له النعمان^(٢) : « ممن أنت ؟ » قال : « ممن أنعم الله عليه بالإسلام ، فاجملني حيث شئت يا أمير المؤمنين » . فقال : « عليك بهذه الأزد الطويلة العريضة ، الكثير عددها ، التي لا تمنع من دخل إليهم ، ولا تبالي من خرج منهم » . فغضب النعمان بن بشير ، ووثب من بين يديه وقال : « والله ، إنك ما علمت لسيء المجالسة لجليسك ، عاق بزورك^(٣) ، قابل الرعاية لأهل الحرم بك » . فأقسم عليه إلا جلس ، فجلس . فضاحك طويلاً ثم قال له : « إن قوماً أولهم غسان وآخرهم الأنصار لكرام » . وسأله عن حوائجهم ففصاها حتى رضى .

خرج النعمان بن بشير في ركب من قومه ، وهو يومئذ حديث السن ، حتى نزلوا بأرض من الأردن يقال لها حفير^(٤) ، وحاضرتها بنو القين . فأهدت لهم امرأة من بني القين ، يقال لها ليلي ، هدية . فبينما القوم يأكلون ويتحدثون ويذكرون الشعراء ، قال بعضهم : « يا نعمان ، هل قلت شعراً ؟ » . قال : « لا » . فقال شميخ من بني الحارث يقال له ثابت بن سماك : « لم تقل شعراً قط ؟ » قال : « لا » . قال :

(١) الشارة : الحسن والجمال والهيئة واللباس والزينة وامتلاء الجسد .

(٢) يفهم من الأغاني أن السائل هو معاوية . ويرجع جوابه ذلك .

(٣) الزور : الزائر .

(٤) ب ، س : حفر . تحريف . وحفير : نهر بالأردن .

«فأقسمتُ لترَبَطَنَّ إلى هذه السَّرْحَةِ»^(١) فلا تفارقها حتى يرْتَحِلَ القوم أو تقول شعراً .
فقال عند ذلك ، وهو أول شعر قاله ^(٢) :

يا خَلِيْلِيَّ وَدَّعَا دارَ اِيمَلِي ليس مثلي يَحِلُّ دارَ هِوانِ ^(٣)
إِنَّ قَيْنِيَّةً تَحِلُّ مُحِبًّا فحَفِيْرًا فَجَنَّبَتِي تَرْفُلانَ ^(٤)
لا تُؤَاتِيكَ في المَغِيبِ إذا ما حالَ مِنْ دُونِها فَرُوعُ قَنانِ ^(٥)
إِنَّ لِيْلِيَّ وَلَوْ كَلَّفَتْ لِيْلِي عاقِبها عَنْكَ عاتِقُ غَيْرُ وانِ ^(٦)

وضرب الدهر ضربانه على ذلك وأنى له زمن طويل . ثم إن ليلى القينية قدمت عليه بمد ذلك ، وهو أمير الحمص . فلما رآها عرفها فأشأ يقول ^(٧) :

ألا استأذنتُ لِيْلِيَّ فقلتُ لها لِيْجِي وما لَكَ أَلَا تَدْخُلِي بِسَلامِ ^(٨)
وَإِنْ أَناسا زُرْتَهُمْ ثُمَّ حَرَمُوا عَلَيْكَ دَخولَ البِيتِ غَيْرُ كَرامِ ^(٩)
وأحسن صلتها ورفدها ^(١٠) طول مقامها إلى أن رحلت عنه .

ولما حضرت وفود الأنصار باب معاوية بن أبي سفيان ، خرج إليه حاجبه

(١) السرحة : الشجرة العظيمة أو التي لا شوك فيها .

(٢) ديوانه ١٤ . وياقوت : معجم البلدان (ترفلان - حفير) .

(٣) غ وياقوت والديوان : الهوان .

(٤) ي : تحل محلا . د : وحفيرا . ي وياقوت : فجنبت ترفلان . والبيت عند ياقوت

مرة أخرى :

إِنَّ قَيْنِيَّةً تَحِلُّ حَفِيْرًا وَحِبا فِجَنبِي تَرْفُلانِ

(٥) قنان : جبل بأعلى نجد . وفي معجم البلدان : القنان .

(٦) ياقوت : وإن كلفت . وفي ب ، س : عاتق وأوان ، تحريف . وفي الديوان : فليلي .

(٧) ديوانه ١٥ .

(٨) لجي : ادخلي . وفي ب ، س : فقلنا لها محي . وفي ي : فقلنا لها .

(٩) الديوان ، د ، ي : فإن أناسا . ب ، س : فإن أناسا زرتم . وفي الديوان : غير

حرام ، تحريف .

(١٠) الرفض : العطاء .

سمع أبو ذرّة - وقد حجب بعده عبد الملك بن مروان - فقيل له : « استأذن
للأنصار » . فدخل إليه ، وعنده عمرو بن العاص . فاستأذن لهم . فقال له عمرو :
« ما هذا اللقب يا أمير المؤمنين ! اردد انقوم إلى أنسابهم » . فقال له معاوية : « إني
أخاف من ذلك الشنعة » . فقال : « هي كلمة تقولها : إن مضت غضضتهم ونقصتهم
وإلا فهذا الاسم راجع إليهم » . فقال له : « اخرج فقل : من ها هنا من ولد عمرو
ابن عامر فليدخل » . فقالها الحاجب ، فدخل ولد عمرو بن عامر كلهم إلا الأنصار .
فنظر معاوية إلى عمرو نظر منكر . ثم قال له ^(١) : « باعدت جداً » . فقال :
« اخرج فقل : من كان ها هنا من الأوس والخزرج فليدخل » . فقالها فلم يدخل
أحد . فقال معاوية : « اخرج فقل : من كان ها هنا من الأنصار فليدخل » . فخرج
فقالها . فدخلوا ، يقدّمهم النعمان بن بشير وهو يقول ^(٢) :

يا سمعد لا تعد الدعاء فاننا نسبٌ نجيب به سوى الأنصار ^(٣)

نسبٌ تخيره الإله لقومنا أنقل به نسباً على الكفار ^(٤)

إن الذين ثوروا ببدر منكم يوم القليب هم وقود النار

فقال معاوية لعمرو : « لقد كنا أغنياء عن هذا ! » .

والنعمان بن بشير من المعروفين ^(٥) بالشعر سلفاً وخلفاً : جده شاعر ، وأبوه

شاعر ، وأخوه شاعر ^(٦) ، وعمه شاعر ، وهو شاعر ، وأولاده شعراء ، وأولاد
أولاده شعراء .

(١) يفهم من الأغاني أن القائل هو عمرو لا معاوية .

(٢) ديوانه ٢٣ .

(٣) ب ، س : لا تجب الدعاء . والديوان : لا تعد النداء ... نجيب له .

(٤) ب ، س : إلى الكفار .

(٥) كذا في س ، وفي غ : من المعرقين ، وهي أليق بالسياق .

(٦) وأخوه شاعر : ليست في غ .

فأما جدُّه سعد بن الحصين فهو القائل (١) :

إن كنتِ سائلةً والحقُّ مفضبةً^(٢) فالأزدُ نسبتنا والماء غسانُ^(٣)
شمُّ الأنوف لهم عزٌّ ومكرُمة كانت لهم من جبال الطود أركان^(٤)
وأبوه بشير بن سعد هو القائل من قصيدة طويلة (٤) :

تقول وتُدري الدمع عن حرٍّ وجهها لملك نفسي قبلَ نفسك باكر^(٥)
أباح لها بطريقُ فارس غائطا لها من ذرِّ الجولان بقلِّ وزاهر^(٦)
فقرَّبَتْها للرحلِ وهى كأنها ظليمُ نعامٍ بالسماوةِ نافر^(٧)
فأوردتها ماءً فما شربتُ به سوى أنه قد بلَّ منها المشافر^(٨)
فباتت سراها ليلةً ثم عرَّستُ يثيربَ والأعرابُ بادٍ وحاضر^(٩)

(١) ديوان النعمان ٣١ . وينسب البيتان إلى حسان بن ثابت . وانظر ديوانه ٤٠ ، وسيرة ابن هشام ١ : ١٠ ومعجم البلدان : غسان .

(٢) غ : الحق معتبة . ورواية الشطر الأول في ديوان النعمان وسيرة ابن هشام وياقوت : « لما سألت فينا معشر نجب » وفي ديوان حسان وسيرة ابن هشام : الأسد نسبتنا . وهى لغة في الأزد ، من أجداد الأنصار . وغسان : ماء بسد مأرب باليمن ، وآخر بالمشلل قرب الجحفة .
(٣) ص : جبال الطور ، تحريف . وفي ديوان حسان : لهم مجد . . . كجبال الطود . وجبال الطود : هى جبال السراة .

(٤) ديوان النعمان ٣٢ . وتنسب أيضا إلى حسان بن ثابت ، وإلى سعد بن الحصين جد النعمان (انظر ديوان حسان ٤٢) .

(٥) تندى : تسقط . وباكر : تريد مقدم على إهلاكى قبل أن تهلك نفسك بهذه الرحلة .
(٦) ص : الحوذان ، وهو تحريف الجولان : جبل بالشام . والغائط : المكان المنخفض يزرع .
(٧) الظليم : الذكر من النعام .

(٨) المشافر : جمع مشفر ، وهى شفة الناقة .

(٩) السرى : سير الليل . وعرست : أقامت . ويثيرب : الاسم الجاهلى لمدينة الرسول صلى

الله عليه وسلم ، وباد : فى البادية . وحاضر : فى الحضر .

وعمه الحصين^(١) بن سعد ، أخو بشير ، هو القائل :

إذا لم أزر إلا لآكل أكلةً فلا رفعتُ كفىً إلى طعَامِي

فإأكلةٌ إن نلتها بنعمةٍ ولا جوعاً إن جمتها بفَرَامِ

لما هجا الأخطلُ الأنصار ، دخل النعمان بن بشير على معاوية . فلما مثل بين يديه

أنشأ يقول^(٢) :

معاوِيَ إِلا تَعْتُنَا الحَقَّ تَعْتَرِفُ لِحَيِّ الأَزْدِ مشدودا عليها العاهم^(٣)

أيشتمنا عبْدُ الأراقِمِ ضلَّةً فإذا الذي تُجْدِي عليك الأراقِمِ^(٤)

فإلى نأرُ دون قطعِ لسانه فدُونك من يُرضيه عنك الدراهم^(٥)

وأرْعِ رُويدا لا تُسْمُنَا دَنِيَّةً لعلك في غِبِّ الحوادثِ نادِم^(٦)

متى تَلَقَ منا عُصْبَةَ خَزْرَجِيَّةً أو الأوسَ يوماً تَخْتَرِمُكِ المَخارِمِ^(٧)

وتَلَقَّ خَيْلُ كَالقِطَا مُسَبِّطَةً شِمَاطِيطُ أَرْسالِ عليها الشِّكَاكِمِ^(٨)

يُسومُها العَمْرانُ عمرو بن عامر وعمران حتى تُسْتَباحَ المَحارِمِ

(١) غ: الحسين . وانظر ديوان النعمان ٣٣ .

(٢) ديوانه ٢٧ .

(٣) تعترف : تعرف .

(٤) غ والديوان : وماذا . والأراقم : أحياء من تغلب ، هم جيش ومالك وعمرو ونعلبة

ومعاوية والحارث وبكر بن حبيب . وأراد بعيدهم الأخطل .

(٥) د : غير قطع لسانه . ودونك : اسم فعل أمر بمعنى خذ .

(٦) ب ، س ، والديوان : وراع رويدا . يريد كن شقيقاً بالرعية . وغب الحوادث : عقيها .

(٧) تخترمك : تهاكك . والمخارم : الطرق في الجبال . يريد نفزوك فتصبح طريدا تتجاذبك

مخارم الجبال فهلك .

(٨) ب ، س ، والديوان : وتلقاك خيل كالقطا مستطيرة . والقطا : طائر شبيه بالحمَام .

ومسبطرة : طويلة سريعة . والشماطيط : المتفرقة للاتباع ، وكذلك الأرسال . والشكائم : جمع

شكيمة ، وهي الحديدية المعترضة في فم الفرس من اللجام .

ويبدو من الخود الغريرة حجلها
 فتطلب رتق الصدع بعد انفتاقه
 وإلا فبزي لأمة تبعية
 وأسمر خطي كأن كعوبه
 وأجرد خوار العنان كأنه
 فإن كنت لم تشهد بيدرٍ وقيمة
 فسائل بنا حبي لوئى بن غالب
 ألم تبئدركم يوم بدرٍ سيوفنا
 ضربناكم حتى تفرق جمعكم

وبيدض من هول المقام المقادم (١)
 فتميا به فالآن والأمر سالم (٢)
 مواريث أبائي ، وأبيض صارم (٣)
 نوى القسب فيه، أهذمي خسارم (٤)
 بدومة موشى الذراعين صائم (٥)
 أذلت قريشا والأنوف رواغم
 وأنت بما تخفى من الأمر عالم
 وليلك عما ناب قومك نائم (٦)
 وطارت أكف منكم وجماجم

- (١) في الديوان : العزيمة . غ ، والديوان : هول السيوف . والخود : الفتاة الحسنة الخلق الشابة أو الناعمة . والحجل : الخلل . والمقادم : جمع مقدمة وهي الناصية والجهة .
- (٢) د : شعب الصدع . ي : شعب الصدع بعد انبثاقه . والديوان : شعب الصدع بعد الثمامه .
- (٣) الديوان : وإلا فثوبى . . . تواريث . البز : الثياب والسلاح . والأمة : الدرع ، نسبها إلى التبابعة من ملوك اليمن . والأبيض : السيف .
- (٤) الأسمر : الرمح . الخطي : نسبة إلى الخط وهو سيف البحرين؛ لأن أجود الرماح تباع به . والقسب : التمر اليابس تفتت في الفم، وتشبه الرماح بنواه في الصلابة . واللهذمي : القاطع من الأسنان . والحشارم : الأنف الغليظ يبدو أنه شبه الرمح به . وفد : ضيارم ، وهو الشديد الخلق من الأسد استعاره وصفا للرمح . وفي والديوان : خثارم ، وهو الغليظ الشفة . وفي والديوان : فيها .
- (٥) وضع د هذا البيت قبل سابقه ، ولم يرد في ب ، س والديوان . والأجرد : الفرس القصير الشعر . وخوار العنان : ضيفه ، يريد أنه طبع . ودومة : على الطريق بين المدينة ودمشق قرب جبل طي . وموشى الذراعين : صفة للثور . وصائم : قائم في سكون .
- (٦) الديوان : ألم تبئدركم يوم بدر . ب ، س والديوان : قائم . وليلك نائم : أى أنت نائم غافل في ليالك .

- وعاذت عن البيت الحرام عوانس^١ وعَضَّت قريش^٢ بالأناملِ بِنُضَّة فكننا لها في كل أمرٍ تَكِيدُهُ^٣ فما إن رَمَى رامٍ فأَوْهَى صَفَاتَنَا^٤ وإني لأَغْضِي عن أمورٍ كثيرةٍ أُصَارِعُ فيها عبدَ شمسٍ وإني فلا تَشْتُمْنَا يا ابنَ حَرْبٍ فإعما^٥ فأنت والأمر الذي لستَ أهله إليهم يصيرُ الأمر بعدَ شتاتِهِ بهم شرعَ اللهُ الهدى واهتدى بهم فأمر معاوية بدفع الأخطل إلى النعمان ليقطع لسانه . فاستجار يزيد بن معاوية فنع منه . وأرضوا النعمان حتى كف عنه .

- (١) غ والديوان : وعادت على البيت . والذي في المعاجم : عاذ بكذا ، إذا التجأ إليه ، فعل الأصل : عادت إلى البيت . وعوانس : كذا في ص ، د . وفي ي : عوابس ، يصف الخيل . وفي ب ، س ، والديوان : عرائس . وفي ب ، س : تمام .
- (٢) كذا روى البيت في د ، ي . وفي ب ، س والديوان : عضت عليك . وفي ص : بالأنامل بفتة . . عضت عليه .
- (٣) فكنا لها : كذا في غ ، وهو الصواب . وفي ص : فكنا لهم . وفي الديوان : نكيدته .
- (٤) غ والديوان : من الدهر ضأم . وأوهى : أضعف . والصفة : الحجر الصلد الضخم لا ينبت ، يستعار للجماعة الأقوياء .
- (٥) غ والديوان : سترقي بها يوما إليك السلام .
- (٦) مني : كذا في غ والديوان ، وفي ص : منها .
- (٧) البيت غير موجود في الديوان .
- (٨) الديوان : شرح الله . ب ، س والديوان : فاهتدى بهم . غ والديوان : ومنهم له . ي : إمام وحاكم .

لما ضرب مروان بن الحكم عبد الرحمن بن حسان ولم يضرب أخاه حين تهاجيا ، كتب عبد الرحمن إلى النعمان بن بشير يشكو ذلك إليه ، فدخل النعمان إلى معاوية وأنشأ يقول :

يا ابنَ أبي سفيانَ ما مثُلنا
 اذكُرُ بنا مَقْدَمَ أَفْرَاسِنَا
 فاذا كر غداة الساعديِّ الذي
 واحذر عليهم مثلَ بَدْرِ فُقد
 إن ابن حسان له نائِرُ
 ومثل أيام لنا شتتُ
 أما ترى الأزدِ وأشياعها
 يطوف حولي منهمُ معشرُ
 يأبى لنا الضيمَ فلا يُعتلى
 وعنصرُ في عزِّ جرثومةِ
 جارَ عليه ملك أو أمير
 بالحِفْوِ إذ أنت إلينا فقير^(١)
 آثركم بالأمر فيها بشير^(٢)
 مر بكم يومٌ ببدر عسير^(٣)
 فأعطه الحقَّ تصحَّ الصدور
 أطفالكم ، أمرُك فيها صغير^(٤)
 نحوك خُزرا كاظماتٍ تَزير^(٥)
 إن صُلَّتْ صالوا وهم لى نصير
 عزٌّ منيعٌ وعديدهُ كثير^(٦)
 عادِيَّةٌ تنقل عنها الصخور^(٧)

ومن مختار شعر النعمان (٨) :

(١) بالحنو : كذا في غ والديوان ، وهو المعوج من الرمل . وفي ص : بالحو ، تحريف .
 (٢) غ : واذا كر . والساعدي ، يريد اليوم الساعدي ، نسبة إلى بني ساعدة من الأنصار ، أصحاب السقيفة التي تمت فيها بيعة أبي بكر ، وكان بشير أبو النعمان أول من بايعه من الأنصار كما سبق أن قال أبو الفرج .
 (٣) ب ، س ، والديوان : فاحذر . . وقد . وفي ب والديوان : مر بكم يوم بدر عمير ، تحريف .

(٤) غ : شتتت ملكا لكم . أى : سبيت ملكا لكم .
 (٥) ب ، س ، والديوان : تجول خزرا . والخزر : جمع أخزر ، وهو الذي ينظر بمؤخر عينه غضبا . وتزير : تصيح كالأسد ، وأصله تزُرُّر فخفض همزته .
 (٦) سى : فلا نعتلى .

(٧) د : حر جرثومة . والجرثومة : الأصل . وعادية : نسبة إلى بني عاد ، أى قديمة .

(٨) ديوانه ١٠ .

كَأَنَّ الرُّضَابَ وَصَوَّبَ السَّحَابَ بَ بَاتٍ يُشَابُ بِذَوْبِ الْعَسَلِ^(١)
 مِنَ اللَّيْلِ خَالِطَ أُنْيَابِهَا يُعِيدَ الْكَرَى وَاخْتِلَافِ الْعَلَلِ^(٢)
 أَخَذَ هَذَا الْمَعْنَى جَمِيلٌ فَقَالَ^(٣) :

وَكَأَنَّ طَارِقَهَا عَلَى عِلَلِ الْكَرَى وَالنَّجْمُ وَهَنَا قَدْ دَنَا لَتَغَوَّرِ
 يَشْتَمُّ رِيحَ مُدَامَةٍ مَعَاوِلَةٍ وَسَحِيقَ مَسَكٍ فِي ذِكْيِ الْعَنْبَرِ^(٤)
 وَمَنْ شِعْرَاءُ أَوْلَادِ النِّعْمَانِ ابْنَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ النِّعْمَانِ [وَهُوَ الْقَائِلُ]^(٥) :

مَاذَا رَجَاؤُكَ غَائِبًا مِنْ لَمْ يَسُرُّكَ شَاهِدًا^(٦)
 وَإِذَا دَنَوْتَ يَزِيدُهُ مِنْكَ الدَّنْوُ تَبَاعِدًا

وَمَنْ شِعْرَاءُ أَوْلَادِهِ عَبْدِ الْخَالِقِ بْنِ أَبَانَ بْنِ النِّعْمَانِ، شَاعِرٌ مَكْتَرٌ ، وَهُوَ الْقَائِلُ^(٧) :

وَكَانَ أَبُوْنَا الشَّيْخَ عَمْرُو بْنَ عَامِرٍ بِأَعْلَى ذُرَا الْعَلِيَاءِ رَكْنَا تَائِلًا^(٨)
 وَخَطَّ حِيَاضَ الْمَجْدِ مُتْرَعَةً لَنَا مِلَاءً ، فَمَلَّ الصَّفْوَ مِنْهَا وَأَنْهَلًا^(٩)

(١) صوب السحاب : ما يسقط منه من مطر . ويشاب : يخلط .

(٢) رواية البيت في الديوان :

من الليل شارك أنيابها بعيد الرقاد وبعيد الكسل

والعلل : الشرب بعد الشرب تباعا ، ولعله أراد النوم بعد النوم .

(٣) ديوانه ١٠٧ .

(٤) ب ، س : كنسيم ريح . الديوان : يستاف . وفي ب ، س : لسجيق . وفي د ، ي :

بسجيق . وفي الديوان : بذكي مسك أو سجيق العنبر .

(٥) ديوان النعمان ٤٣ .

(٦) غ : لا يسرك .

(٧) ديوان النعمان ٤٤ .

(٨) د ، ي : وشاد أبونا . وتائل : تأصل .

(٩) الصفو : كذا في غ ، وفي ص : الضيف ، تحريف ، والعل : الشرب مرة بعد مرة

تباعا . والنهل : أول الشرب .

وَأَشْرَعَ فِيهَا النَّاسُ بَعْدُ فَمَالَهُمْ
وَفِي غَيْرِنَا مَجْدٌ مِنَ النَّاسِ كُلِّهِمْ

وَأَمَّا كَثَلُ الْعُشْرِ مِنْ مَجْدِنَا فَلَا^(٢)

وَمِنْهُمْ شَيْبُ بْنُ يَزِيدَ^(٣) بْنِ النَّمِئَانَ ، شَاعِرٌ مَكْتَبٌ مَجِيدٌ ، وَهُوَ الْقَائِلُ يَمَاتِبُ

بِنِي أُمَيَّةٍ عِنْدَ اخْتِلَافِ أَمْرِهِمْ فِي أَيَّامِ الْوَلِيدِ بْنِ يَزِيدَ مِنْ أَيْبَاتٍ :

يَا قَلْبَ صَبْرًا جَمِيلًا لَا تَمُتْ جِزْعًا
قَدْ كُنْتَ مِنْ أَنْ تَرَى جِلْدَ الْقَوَى قَمَنَا^(٤)

يَا أَيُّهَا الرَّاكَبُ الْمَرْجِي مَطِيئَتَهُ
لَقِيَتْ حَيْثُ تَوَجَّهْتَ اثْنَا الْحَسَنَا^(٥)

أَبْلَغُ أُمَيَّةَ أَعْلَاهَا وَأَسْفَلَهَا
قَوْلًا يَنْفَرُ عَنْ أَجْفَانِهَا الْوَسْنَا^(٦)

إِنَّ الْخِلَافَةَ أَمْرٌ كَانَ يُعْظِمُهُ
خِيَارُ أَوْلِيكُمْ قَدِيمًا وَأَوْلِنَا

فَقَدْ بَقَرْتُمْ بِأَيْدِيكُمْ بَطُونَكُمْ
وَقَدْ وُعِظْتُمْ فَمَا أَحْسَنْتُمْ الْأَذْنَا^(٧)

أَعْرَيْتُمْ بِكُمْ جَهْلًا عَدُوَكُمْ
فِي غَيْرِ فَائِدَةٍ فَاسْتَوْسِقُوا سَدْنَا^(٨)

لَمَّا سَفَكْتُمْ بِأَيْدِيكُمْ دِمَاءَكُمْ
بَغْيًا وَغَشَيْتُمْ أَثْوَابَكُمْ دَرْنَا^(٩)

وَأَخُو النَّمِئَانَ هُوَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ بَشِيرِ بْنِ سَعْدٍ ، شَاعِرٌ مَكْتَبٌ ، وَهُوَ الْقَائِلُ^(١٠) :

(١) أشرع فيها الناس : وردوا . السور : البقية تبقى في الحوض ونحوه بعد الشرب .

(٢) غ : فأما .

(٣) ب ، س : زيد . وانظر ديوان النعمان ٤٤ .

(٤) غ : تمت حزنا . وقرن : جدير .

(٥) د ، ي : بل أيها الراكب . والمرجى : السائق .

(٦) ب ، س ، د : عن نوامها . ي : عن ألباها . والوسن : النعاس .

(٧) بقرتم : شققتم . والأذن : الاستماع .

(٨) استوسقوا : اجتمعوا . والسنن : الطريق الواضح . يريد اجتمعوا وانفقوا على كلمة

واحدة .

(٩) غ : غشيتم أبوابكم . والدرن : الوسخ .

(١٠) ديوان النعمان ٢٠ .

ولم أر سلمى بعد إذ نحنُ جيرةٌ من الدهرِ إلا وقفةً بالمشاعرِ
ألا ربَّ ليلٍ قد سريتُ سواده إلى رُدْحِ الأَعْجَازِ غرُّ المَحَاجِرِ (١)
ليالى يدعونى الصبَا فأجيبه أجْرُ إِزَارِي عاصيَا أمرَ زاجِرِي
وإذ لَمَّتِي مثلُ الجَنَاحِ أُنَيْثَةٌ أمشيُّ الهُوَيْنَا لا يروَعُ طَائِرِي (٢)
فأصبحتُ قدودعتُ ذاكُم بَعْبِرَةٌ مخافةً ربي يوم تُنبلي سَرَائِرِي (٣)

وبنت النعمان بن بشير شاعرة ذات لسان وعارضة وشر ، واسمها حميدة . وكانت تهجو أزواجها . وكانت تحت الحارث بن خالد الخزومي - وقيل بل كانت تحت المهاجر ابن عبد الله بن خالد - وقالت فيه :

كحولٌ دمشقَ وشبانها أحبُّ إليّ من الجاليه (٤)

وقد ذكرت أخبارها مع زوجها الحارث بن خالد . وطلقتها فتزوجها روح بن زنباع فهجته أيضا .

(١) س: روح الأ كفال . ي: رجيع الأعجاز . والردح : جمع رداح ، وهى الضخمة .
والفر : جمع غراء ، وهى البيضاء . والمحاجر : جمع محجر ، وهو ما دار بالعين .
(٢) اللمة : الشعر الجاوز شحمة الأذن . وأنثية : كثيرة ملتفة .
(٣) د : ذاكم بغيره . وتبلى : تختبر .
(٤) الجالية : القوم الذين جلوا عن بلادهم .

نائلة بنت الفرافصة*

هي نائلة بنت الفرافصة بن الأحوص بن عمرو - وقيل : ابن عفر - بن ثعلبة ابن الحارث بن حصن بن ضمضم بن عدى^(١) بن جناب الكلبية ، زوجة عثمان ابن عفان .

كان سعيد بن العاص قد تزوج ، وهو على الكوفة^(٢) ، هند بنت الفرافصة ابن الأحوص ، فبلغ ذلك عثمان . فكتب إليه :

« أما بعد ،

فقد بلغني أنك تزوجت امرأة من كلب ، فكتب إليّ بنسبها وجمالها » .

فكتب إليه :

« أما بعد ،

فإن نسبها أنها بنت الفرافصة بن الأحوص ، وأما جمالها فإنها بيضاء مديدة » .
فكتب إليه عثمان :

« إن كان لها أخت فزوِّجنيها » .

فبعث سعيد إلى الفرافصة يخطب إحدى بناته على عثمان رضى الله عنه . فأمر

الفرافصة ابنه ضبّا فزوَّجها إياه ، وكان ضب مسلما ، وكان الفرافصة نصرانيا .

فلما أرادوا حملها إليه ، قال لها أبوها : « يا بُنَيَّة ، إنك تقدّمين على نساء من

نساء قريش ، هنّ أقدر على الطيب منك . فاحفظي عني خصلتين : تكحلي ،

وتطّبي بالماء حتى يكون ريحُك ريحَ شَنِّ^(٣) أصابه مطر » .

* أخبارها في ب : ١٥ : ٧٠ ، س : ١٥ : ٦٧ ، د : ١٦٥ : ٣٢٢ ، ي : ١٦ : ٢٤٩ .

(١) ب ، س : على .

(٢) من سنة ٣٠ إلى ٣٤ هـ .

(٣) الشن : القرية الخلق .

فلما حُمِلت ، كرهت الغربية وحرّزت لفراق أهلها . فأنشأت تقول :

أَلَسْتَ تَرَى بِاللّهِ يَا ضَبُّ أَنْبَى مُصَاحِبَةٌ نَحْوَ الْمَدِينَةِ أَرْكُبَا (١)
 إِذَا قَطَعُوا حَزَنًا تَخُبُّ رِكَابُهُمْ كَمَا زَعَزَعْتُ رِيحٌ يَرَاها مُتَقَبِّبًا (٢)
 لَقَدْ كَانَ فِي أَبْنَاءِ حِصْنِ بْنِ ضَمْضَمٍ لَكَ الْوَيْلُ مَا يُغْنِي الْخِباءَ الْمَطْنَبَا (٣)

فلما قدمت على عثمان ، قعد على سريرته ، ووضع لها سريرا حياياله ، فجلست عليه . فوضع عثمان قُلْنَسِيَّتَهُ فبدا الصلح . فقال : « يا بنت الفرافصة ، لا يهولنك ما ترين من صلمي فإن وراءه ما تحبين » . فسكتت . فقال : « إما أن تقومي إليّ وإما أن أقوم إليك » . فقالت : « أما ما ذكرت من الصلح فإنني من نساء أحبّ بمؤلّتهن (٤) إليهن السادة الصلح . وأما قولك : إما أن تقومي إليّ وإما أن أقوم إليك ، فوالله لما تجشمتُ إليك من جنّبات السماوة أبعد مما بيني وبينك ، بل أقوم إليك » . فقامت فجلست إلى جنبه ، فمسح رأسها ودعا لها بالبركة . ثم قال لها : « اطرحي عنك سخارك (٥) » . فطرحته . ثم قال : « انزعِي دِرْعَكَ » (٦) . فنزعته . ثم قال لها : « حُلِّيْ إِزَارَكَ » . فقالت : « ذاك إليك » ، فخلّ إزارها . فكانت من أحظى نسائه عنده .

قال أبو الجراح مولى أم حبيبة : كنت مع عثمان رضى الله عنه يوم الدار . فما

(١) غ : ألسنت ترى يا ضب بالله أنبى . وأركب : جمع ركب وهم الركاب .

(٢) ب ، س : تحت ركبهم . والحزن : ما غلظ من الأرض . ونخب : تسرع . والبراع :

القصب .

(٣) المطنب : ذو الأطناب ، وهى الجبال الطويلة تشد بها الخيام . وكنت بالجناب المطنب

عن نفسها .

(٤) البعولة : جمع بعل ، وهو الزوج .

(٥) غ : ردائك .

(٦) الدرع : القميص .

شَعَرَتْ إِلا وَقَدْ خَرَجَ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ ، وَنَحْنُ نَقُولُ : « هَمَّهُ فِي الصَّلَاحِ ^(١) » .
إِذَا بِالنَّاسِ قَدْ دَخَلُوا مِنَ الْخَوْحَةِ ^(٢) ، وَنَزَلُوا بِأَمْرَاسِ الْجِبَالِ مِنْ سَوْرِ الدَّارِ ،
وَمَعَهُمُ السِّیُوفُ . فَرَمِيتُ بِسِیْفِي ^(٣) وَجَلَسْتُ عَلَيْهِ ، وَسَمِعْتُ صِيَّاحَهُمْ . فَإِنِّي لَأَنْظُرُ
إِلَى مَصْحَفِ عُمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَإِلَى حِمْرَةِ أُدَيْمِهِ . فَدَنَسْتُ نَائِلَةَ شَعْرَهَا . فَقَالَ لَهَا
عُمَانُ : « خُذِي خِمَارَكَ ، فَلَمَعَمْرَى لِدُخُولِهِمْ عَلَيَّ أَهْوَنٌ ^(٤) مِنْ حَرْمَةِ نَشْرِ شَعْرِكَ » .
وَأَهْوَى إِلَيْهِ رَجُلٌ بِالسِّیْفِ . فَانْقَطَعَتْ بِيَدِهَا فَقَطَعَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِهَا . ثُمَّ قَتَلَاهُ
وَخَرَجُوا يَكْبُرُونَ . وَمَرَّ بِي مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ فَقَالَ : « مَا لَكَ ، يَا عَبْدَ أُمِّ حَبِيبَةَ ؟ »
وَمَضَى . فَخَرَجْتُ . فَقَالَتْ نَائِلَةُ لَمَّا قَتَلَ عُمَانَ ^(٥) :

أَلَا إِنَّ خَيْرَ النَّاسِ بَعْدَ ثَلَاثَةٍ قَتِيلُ التُّجَيْبِيِّ الَّذِي جَاءَ مِنْ مِصْرَ ^(٦)
وَمَا لِيَ لَا أَبْكِي وَتَبْكِي قَرَابَتِي وَقَدْ غُيِّبَتْ عَنَّا فُضُولُ أَبِي عَمْرٍو ^(٧)
وَلَمَّا قَتَلَ عُمَانَ ، بَمَثَ نَائِلَةَ بِقَمِيصِهِ إِلَى مَعَاوِيَةَ مَعَ النِّعْمَانَ بْنِ بَشِيرٍ أَوْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ
ابْنَ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَمَةَ . وَكَتَبْتُ إِلَيْهِ :

« مِنْ نَائِلَةَ بِنْتِ الْفَرَاغِصَةِ إِلَى مَعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سَفْيَانَ :

أَمَا بَعْدُ ،

فَإِنِّي أَذْكُرُّكُمْ بِاللَّهِ الَّذِي أَنْعَمَ عَلَيْكُمْ ، وَعَلَّمَكُمْ الْإِسْلَامَ ، وَهَدَاكُمْ مِنْ

(١) غ : هم في الصلح .

(٢) الخوخة : كوة تؤدى الضوء إلى البيت ، ومخترق ما بين كل دارين ليس عليه باب .

(٣) كذا في د ، ي ، وهو الذي يتفق مع العبارة . وفي ص ، ب ، س : بنفسى .

(٤) غ : أعظم .

(٥) غ : وقد قيل إن هذين البيتين للوليد بن عقبة .

(٦) أرادت بالثلاثة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر ، وبالتجيبى كنانة بن

بشر بن عتاب .

(٧) أبو عمرو : هو عثمان بن عفان . وفي اللسان : وقد حجبت .

الضلالة ، وأنقذكم من الكفر ، ونصركم على العدو ، وأسبغ عليكم النعمة .
وَأَنْشُدَكُمْ اللَّهُ تَعَالَى ، وَأَذْكَرُّكُمْ حَقَّهُ وَحَقَّ خَلِيفَتِهِ : أَنْ تَنْصُرُوهُ (١) ، وبمزمة الله
عليكم فإنه قال تعالى (٢) : « وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ،
فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ » .
وإن أمير المؤمنين بُغِيَ عليه . ولو لم يكن له عليكم إلا حق الولاية ثم أُتِيَ إليه
ما أُتِيَ لَحَقَّ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ يَرْجُو أَيَّامَ اللَّهِ أَنْ يَنْصُرَهُ ، لَقَدَمَهُ فِي الْإِسْلَامِ ، وَحَسَنَ
بِلَائِهِ ، وَأَنَّهُ أَجَابَ دَاعِيَ اللَّهِ ، وَصَدَّقَ كِتَابَهُ وَرَسُولَهُ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِهِ إِذَا اتَّخَذَهُ (٣) ،
وأعطاه شرف الدنيا وشرف الآخرة .

وإني أقص عليكم خبره ، لأنني كنت مشاهدة أمره كله حتى أُفْضِيَ إِلَيْهِ ، إن
أهل المدينة حصروه في داره يحرسونه ليلهم ونهارهم ، قياما على أبوابه بسلاحهم ،
يمنعونه كل شيء قدروا عليه حتى منعه الماء ، يُحْضِرُونَهُ الْأَذَى ، وَيَقُولُونَ لَهُ الْإِفْكَ .
فمكث هو ومن معه خمسين ليلة ، وأهل مصر قد أسندوا أمرهم إلى محمد بن أبي بكر
وعمار بن ياسر . وكان علي مع المحرضين (٤) من أهل المدينة ، ولم يقاتل مع أمير المؤمنين ،
ولم ينصره ، ولم يأمر بالعدل الذي أمره الله تبارك وتعالى به . فظلت تقاتل خزاعة ،
وبكر ، وسعد بن بكر (٥) ، وطوائف من مُزَيْنَةَ ، وَجُهَيْنَةَ ، وَأَنْبَاطَ يَثْرِبَ ، وَلَا أَرَى
سائرهم ، ولكن قد سميت لكم الذين كانوا أشد الناس عليه في أول أمره وآخره .
ثم إنه رمى بالنبل والحجارة . فقتل من كان في الدار ثلاثة نفر . فأتوه بصرخون

(١) غ : خلفته الذي لم تنصروه .

(٢) سورة الحجرات ، الآية ٩ .

(٣) د : انتجبه . وها بمعنى متقارب .

(٤) كذا في غ . وفي ص : مع الحضريين المصريين من أهل المدينة ، تحريف .

(٥) لم يذكر في بكر ، بل هذيل .

إليه ليأذن لهم في القتال ، فنهاهم عنه . وأمرهم أن يردوا إليهم نبلهم ، فردوها إليهم . فلم يزدهم ذلك على القتال إلا جراءة في الأمر . ثم أحرقوا باب الدار . فجاءه نفر من أصحابه وقالوا : « إن في المسجد ناسا يريدون أن يأخذوا أمر الناس بالعدل ، فاخرج إلى المسجد حتى يأتوك » . فانطلق مجلس فيه ساعة ، وأسلحة القوم مُطلَّة عليه من كل ناحية ، وما رأى أحدا يعدل . فدخل وقد كان نفرٌ من قريش على عامتهم السلاح . فلبس درعه وقال لأصحابه : « لولا أنتم ما لبست درعا » . فوثب عليه القوم . فكلّمهم الزبير^(١) وأخذ عليهم ميثاقا في صحيفة بعث بها إلى عثمان رضى الله عنه : « إنَّ عليكم عهد الله وميثاقه ألا تَمْرُوه^(٢) بشيء » . فكلّموه وتحرّجوا ، فوضع السلاح فلم يكن إلا وَضَعَهُ ، حتى دخل عليه القوم يقدّمهم ابن أبي بكر ، حتى أخذوا بلحيته ، ودَعَوْا باللقب . فقال : « أنا عبد الله وخليفته » فضربوه على رأسه ثلاث ضربات وطعنوه في صدره ثلاث طعنات . وضربوه على مقدم الجبين فوق الأنف ضربة أسرع في العظم . فسقط عليه ، وقد أُتخِنَ وبه حياة ، وهم يريدون قطع رأسه ليذهبوا به . فأنتنى بنت شَيْبَةَ بن ربيعة فألقت نفسها معى عليه . فوُطِئْنَا وَطْئًا شديدًا ، وعُرِّينَا من ثيابنا . وحرمة أمير المؤمنين أعظم . فقتلوه - رحمه الله - في بيته ، وعلى فراشه . وقد أرسلت إليكم بشوبه وعليه دمه .

وإنه - والله - إن كان أُنِّمَ من قَتَلَهُ لَمَّا يَسْلَمَ من خذله . فانظروا أين أنتم من الله عز وجل ، فإننا نشكى ما مسنا إليه ، ونستنصر وليه وصالح عباده . ورحمة الله على عثمان . ولعن الله من قتله ، وصرعهم في الدنيا والآخرة مصارع الخزي والمذلة .

وشقى منهم الصدور .

فخلف رجال من أهل الشام ألا يَطَّوُّوا النساء حتى يقتلوا قتلته أو تذهب أرواحهم .

(١) غ : ابن الزبير .

(٢) ب ، س ، د : تغزوه وعره : ساءه .

النَّمِرِ بْنِ تَوَلَّبٍ *

هو النمر بن تولب بن أقيش بن عبد كعب بن عوف [بن الحارث بن عوف]^(١)
ابن وائل بن قيس بن عُكْل ، واسم عكل عوف بن عبد مناة بن أد بن طابخة
ابن إلياس بن مضر بن نزار .

شاعر مُقَلِّ مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام . وأسلم وحسن إسلامه .
وكان جوادا فصيحاً شاعرا جريئاً على المنطق ، أحد فرسان العرب المذكورين .
وكان أبو عمرو بن الملاء يسمي النمر بن تولب الكَيْس لجودة شعره وحسنه .
وكان يشبه شعره بشعر حاتم الطائي .

ووفد على النبي صلى الله عليه وسلم . وكتب له كتاباً ، فكان في بيت أهله .
وروى عنه صلى الله عليه وسلم حديثاً واحداً .

حدث يزيد بن عبد الله أخو مطرف قال : بينا نحن بالمرْبَدِ جلوس - يعني مرْبَدِ
البصرة - إذ أتى علينا أعرابي أشعث الرأس ، فوقف علينا . فقلنا : « لكان هذا
الرجل ليس من أهل هذا البلد » . قال : « أجل » . وإذا معه قطعة من جراب أو
أديم ، فقال : « هذا كتاب كتبه لى رسول الله صلى الله عليه وسلم » . فقرأناه فإذا
فيه مكتوب^(٢) :

« بسم الله الرحمن الرحيم .

هذا كتاب من محمد رسول الله لى بنى زهير بن أقيش - حى من عكل - ،

* أخباره فى ب ١٩ : ١٥٧ ، س ١٩ : ١٥٧ ، ح ٢٢ : ٢٨٧ .

(١) زيادة عن غ .

(٢) انظر جمهرة رسائل العرب لأحمد زكى صفوت ١ : ٦٨ ، ومجموعة الوثائق السياسية

للدكتور محمد حميد الله الحيدرآبادى ١٩٤ (طبع ١٩٤١) .

إنكم إن شهدتم أن لا إله إلا الله ، وأنى رسول الله ، وأقم الصلاة ، وآتيتم الزكاة ، وفارقتم المشركين ، وأعطيتم الخمس من الغنائم وسبهم النبي والصفى ، فأنتم آمنون بأمان الله ورسوله ، لكم ما للمسلمين ، وعليكم ما عليهم .

فقال له القوم : « حدثنا - رحمك الله - ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم » : فقال : « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : صوم شهر الصبر ، وصوم ثلاثة أيام من كل شهر ، يذهبن كثيرا من وحر الصدر »^(١) . فقال له القوم : « أنت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ » فقال : « أراكم تخافون أن أكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم . لا حدثتكم حديثا . ثم أهوى إلى الصحيفة وانصاع مدبرا . فقبل بمد ما مضى : « هذا النمر بن توبل العكلى الشاعر » .

ولما وفد النمر على النبي صلى الله عليه وسلم أنشده :

يا قوم إني رجل عندي خبيرٌ لله من آياته هذا القمر^(٢)
والشمسُ والشَّعْرَى وآياتُ أخر من يتسام بالهدى فالخُبثُ شر
إنا أتيناك وقد طال السفر تقود خيلا رُجما فيما ضرر^(٣)
* نطعمها اللحم إذا عزَّ الشجر^(٤) *

قال الأصمعي : إطعامها اللحم سقيها اللبن ، والعرب تقول ، اللبن أحد اللحمين . وقال ابن الأعرابي وابن حبيب : العرب إذا لم تجد العلف دقت اللحم اليابس فاطعمته الخليل .

كان للنمر أخ يقال له الحارث بن توبل ، وكان سيدا مظهرا . فأغار الحارث على بني

(١) وحر الصدر : الحقد والغیظ .

(٢) ی : الله .

(٣) غ : أقود . والرجع : جمع الرجيع ، وهى المهزولة أو المتعبة من السفر .

(٤) غ : أطعمها .

أسد فسبى امرأة منهم يقال لها جمره بنت نوفل^(١) فوهبها لأخيه النمر ففركته^(٢) .
فحبسها حتى استقرت . فولدت له أولادا . ثم قالت له فى بعض أيامها : « أُرزنى أهلى
فإنى قد اشتقت لهم » . فقال لها : « إنى أخاف إن صرتِ إلى أهلك أن تغلبينى
على نفسك » . فوائتته لترجمنُ إليه . فخرج بها فى الشهر الحرام حتى أقدمها بلاد
بنى أسد . فلما أطلّ على الحى تركته واقفا وانصرفت إلى منزل زوجها الأول .
فكث طويلا فلم ترجع إليه ، فمرف ما صنعت وأنها خدمته فانصرف . فقال :

جزى الله عناجرة ابنة نوفلٍ جزاء مُغَلِّ بالأمانةِ كاذبِ
لَمَانَ عليها أمس موقفُ ركبِ إلى جانب السَّرْحَاتِ أخيبُ خائبِ
وقد سألتُ عنى الوشاة ليكذبوا علىّ وقد أبلتُهُما فى النوائبِ
ومرت^(٣) كأن الشمس تحت قناعها بدا حاجبُ منها وضنت بحاجبِ

ولما فارق النمر زوجته هذه جزع عليها حتى خيف على عقله . فكث أياما لا يطعم
ولا يشرب ولا ينام . فلما رأت عشيرته ذلك منه أقبلوا عليه يلومونه ويصبرونه .
وقالوا له : « إن فى نساء العرب مندوحة ومتسما » . وذكروا له امرأة من فخذ
الأدنين يقال لها دعد ، ووصفوها بالكمال^(٤) والصلاح . فتزوجها ووقعت فى قلبه
وشغلته عن ذكر جمره . وفيها يقول :

أهم بدعد ما حيت فإن أمت أوكل بدعد من يهيم بها بعدى

ومن الناس من يروى هذا البيت لنصيب ، وهو خطأ .

وعمر النمر طويلا . وكان جوادا واسع القربى ، كثير الأضياف ، وهابا لماله .

(١) غ : حمزة بنت نوفل .

(٢) فركته : كرهته .

(٣) غ : وصدت .

(٤) غ : بالجمال .

فلما كبر خَرَفَ وأهْتَر . فكان هِجِيرَاهُ : « اصْبَحُوا الرَّاكِبَ ! »^(١) « اغْبِقُوا
الرَّاكِبَ ! »^(٢) « أعطوا السائل ! » « افرُّوا الواردا ! » « انْحَرُوا للضيف ! »
« تحمّلوا لهذا في سَمالته^(٣) كَذَا وكَذَا ! » لعادته بذلك . فلم يزل يهندي بهذا مدة خرفه
حتى مات .

وخرفت امرأة من حى كرام ، عظيم خطرهم وخطرها . فكان هجيراها :
« زوَّجوني ! » « قولوا لزوجي يدخل ! » « مهِّدوا لى جانب زوجي ! » فقال عمر
ابن الخطاب رضى الله عنه : « ما لهج به أخو عكل النمر بن تواب فى خرفه أنخر
وأسرى وأجل مما لهجت به صاحبتكم » . ثم رحّم عليه .
ومات الحارث قبل أخيه النمر .

قال حماد : وكان النمر كثير البيت السائر والبيت التمثل به . فن ذلك قوله :

لا تفضبنّ على امرئ في مالهِ وعلى كرائمِ صُلبِ مالكِ فأنضبِ
وإذا تُصِبكَ خصاصة فارجُ العنبي وإلى الذى يُعطى الرغائب فارغب^(٤)

وقوله :

أعاذل إن يُصبح صدأى بققرة بعيدا تنأى ناصرى وقربى^(٥)
ترى أن ما بقيت لم أكرهه وأن الذى أفيت كان نصيبى

قيل للنمر بن توبل : « كيف أصبحت يا أباريمعة ؟ » وأنشأ يقول :

(١) اصبحوه : اسقوه الصبوح ، وهو شراب الصباح .

(٢) اغبقوه : اسقوه الغبوق ، وهو شراب المساء .

(٣) الحملّة : الدية يحملها قوم عن قوم .

(٤) الخصاصة : الفقر والحلل . وحزم إذا على غير اللغة المشهورة .

(٥) غ : فأنى ناصرى . والصدى : جسد الميت .

أصبحتُ لا يحمل بعضى بعضا أشكو العروق الأبيضا أبطا^(١)

كما تشكى الأرجى العرضا^(٢) كأنما كان شبابى قرضا^(٣)

قال الأصمى : أنشدنى حماد بن الأخطل بن النمر بن تولب لجدّه النمر :

أعدنى ربُّ من حصَّ وعيَّ ومن نفس أعالجها علاجا

ومن حاجاتِ نفسى فاعصمْنى فإنَّ لمُضمراتِ النفس حاجا

فأنت وليها وبرئتُ منها إليك فما قضيتَ فلا خلاجا^(٤)

ثم قال : « كان النمر بن تولب أفقتى خلق الله . قلت : « وما كان من فتوته ؟ »

قال : أو ليس فتى من يقول :

أهيم بدعد ما حييت فإن أمت فوا حزنا من ذا يهيم بها بمدى

(١) أبيض العرق : تقبض .

(٢) ب ، س : كما تشكى الأرجى العرضا . ي : كما تشكى الأرجى العرضا .

(٣) هذا الشطر غير موجود فى غ .

(٤) الخلاج : الجذب والغمز والطعن .

نُصَيْبُ الْأَصْفَرِ*

مولى المهدي

عبد نشأ باليمامة . واشترى للمهدي في حياة المنصور . فلما سمع شعره قال :
« والله ما هو بدون نصيب مولى مروان^(١) » . فأعتقه . وزوجه أمة له يقال لها
جَمْفرة . وكناه أبا الحُجْناء . وأقطعته ضيعة بالسواد . وعمرَّ بـمده .
وكان ملعونا هجاء .

فن شعره يمدح الرشيد هارون ، وهي من جيد شعره :

اللَّبِينِ - يا ليلي - جِمالِكَ تُرُحَلُّ ليقطع منا البين ما كان يوصلُ ؟
تعللنا بالوعد مُمتَّ تلتوى بموعدها حتى يفوتَ التعلُّلُ^(٢)
منها :

أمنَ أجلِ آياتِ ورسمِ كأنه بقيةٌ وحيٍّ أو رداءٍ مسلسل^(٣)
جرى الدمعُ من عينيك حتى كأنه تحدرُّ دُرٌّ أو جمانٌ مُفصل^(٤)
فيا أيُّها الزنجي مالك والصبي ؟

أفُقُ عن طلابِ البيضِ إن كنتَ تعقلُ
فمثلك من أحبوشة الزنج قُطعتْ وسائلُ أسبابِها يتوسَّلُ^(٥)

* أخباره في ب ٢٠:٢٥ ، س ٢٠:٢٥ ، ي ٢٢:٤٠٠ ، طبقات الشعراء لابن المعتز ١٥٠ .

(١) غ : مولى بنى مروان . وهي أدق ، لأن نصيبا كان مولى عبد العزيز بن مروان .

(٢) غ : يموت العلل .

(٣) الوحى : الكتابة .

(٤) الجمان : اللؤلؤ .

(٥) الأحبوشة : الجماعة من الناس ليسوا من قبيلة .

قصدنا أمير المؤمنين ودونه
على أرحبيات طوى السير فانطوت
إلى ملك صلت الجبين كأنه
شريكنا فينا منه : عين بصيرة
فأفات عينيه رعاه بقلبه
وما نازعت فينا أمورك هفوة
منها :

ورثت رسول الله عضوا ومفصلا
على ثقة منا تحن قلوبنا
إذا ما رهبنا من زمان ملمة
فليس لنا إلا عليك موعول^(٦)
وذا من رسول الله عضو ومفصل
إليك كما كنا أباك تؤمل^(٥)

وجه المهدي نصيبا الشاعر مولاه إلى اليمن في شراء إبل مهريّة . ووجه معه رجلا
من الشيعة . وكتب معه إلى عامل اليمن بمشرين ألف دينار . فمد نصيب يده في
الدنانير ينفقها في الأكل والشرب والتزويج والحواري . وكتب الشيعي بخبره .
فكتب المهدي في حمله موثقا بالحديد . فلما دخل على المهدي أنشده :

تأوبنّي قتل من الهمم موجع
فأرق عيني وأخليئون هجع^(٧)

(١) المهامة : جمع مهمه ، وهي الصحراء البعيدة والبلد القفر . والمومة : المفازة الواسعة
أو الفلاة التي لا ماء فيها .

(٢) الأرحبيات : النجائب القوية .

(٣) صلت الجبين : واضحه . والصفحة : العرض . والمسنون : أراد به السيف .

(٤) ي : وعاه بقلبه . غ : فآخر .

(٥) وضع غ هذا البيت بعد تاليه .

(٦) غ : ما دهتنا . . المعول .

(٧) تأوبني : أتاني ليلا مرة بعد أخرى .

منها :

إليك أمير المؤمنين ولم أجد سواك مُجيرا منك يُدّني ويمنع
 تأملت هل من شافع لي فلم أجد سوى رحمة أعطاكها الله تشفع (١)
 لئن جلت الأجرام مني وأفظمت لعفوك من جرّى أجلّ وأوسع (٢)
 لئن لم تسعني يا ابن عمّ محمد فما عجزت مني وسائلُ أربع (٣)
 طبعت عليها صبغة ثم لم تزل على صالح الأخلاق والدين تطبع: (٤)
 تغايبك عن ذى الذنب ترجو صلاحه وأنت ترى ما كان يأتي ويصنع (٥)
 وعفوك عن لو تكون جزيقته لطارت به في الجو نكباء زعزع (٦)
 وأنا لا تنفك تدمش عارثا ولم تعترضه حين يكبو ويخمع (٧)

وحلمك عن ذى الجهل من بعد ما جرى

به عتق من طائش الجهل أشنع (٨)
 ففهم لي إما شفعت منافع وفي الأربع الأولى إليهن أفزع: (٩)
 مُناصحتي بالفعل إن كنت نائيا إذا كان دان منك بالقول يخدع (١٠)

(١) غ : تلمست هل من شافع .

(٢) غ : عن جرّى .

(٣) غ : عجزت عنى .

(٤) صبغة : فطرة وطبيعة .

(٥) ب ، س : ذى اللب . سى : تبغى صلاحه .

(٦) النكباء : الريح التي تهب من غير الجهات الأصلية . والزعزع : التي تززع الأشياء .

(٧) يخمع : يعرج .

(٨) عتق : كذا في غ ، وهو سير ممتد سريع . وفى ص : عتق ، تحريف .

(٩) غ : شفعن .

(١٠) غ : نائيا .

وثانيةً ظنني بك الخير غائباً
 وثالثة أتى على ما هويته
 ورابعة أنى إليك يسوقنى
 وإنى لمولاك الذى إن جفونه
 وإنى لمولاك الضعيف فأعفينى
 وإن قلتَ عبدٌ ظاهرُ الغشِ مُسَمِّعٌ^(١)
 وإن كثرَ الأعداءُ فىّ وشتموا
 ولأنى ، فمولاي الذى لا يُضَيِّعُ^(٢)
 أنى مُستكينا راهبا يتضرع
 فإنى لعفوى منك أهلٌ وموضع

فقطع عليه المهدي الإنشاد . ثم قال له : « ومن أعتقك ، يا ابن السوداء ؟ »
 فقال - وأوما بيده إلى الهادى - : « الأمير موسى ، يا أمير المؤمنين » . فقال المهدي
 لموسى : « أعتقتَه ؟ » قال : « نعم ، يا أمير المؤمنين » . فأمضى المهدي ذلك . وأمر
 بحديده فُكَّ عنه . وخلع عليه عدة خلع ووصله بألفى دينار وأمر له بجمفرة ، وكانت
 جميلة فائقة من رُوقة الرقيق^(٣) . فقال له سالم قيِّم الرقيق : « لا أدفعها إليك أو
 تعطينى ألف درهم » . فقال قصيدته التى هى :

قد آذَنَ الحىُّ فأنصاعوا بترحالٍ
 وقام بها بين يدي المهدي حتى قال :
 فما كنت تبذل لى الأموال مجتهدا
 زوجتني يا ابن خير الناس جاريةً
 حتى لأصبحتُ ذا أهلٍ وذا مالٍ
 ما كان أمثالها يُهدى لأمثالى
 زوجتني بضَّةً بيضاء ناعمة
 كأنها دُرَّةٌ فى كَفِّ لثَّالٍ^(٤)
 فسأمتنى سالم ألفا فقلتُ له
 أنى لى الألفُ يا قُبِّحتُ من سألٍ^(٥)
^(٦)

(١) غ : غانيا . ومسبح : دعى ، أو أصيل فى العبودية .

(٢) ب ، س : فولاك .

(٣) الروقة : الدين يروقون الناس .

(٤) غ : أآذن . . . بلبال .

(٥) اللثال : بائع اللؤلؤ .

(٦) غ : فسألنى سالم ، أى سألتنى .

أراد من « سائل » كما قالوا : شاكي السلاح ، وشائك .

هيئات ألفك إلا أن أجيء بها من فضل مولى لطيف المن مفضل

فأمر له المهدي بألف دينار ، ولسالم بألف درهم .

وكان حُبس باليمن مدة طويلة فدخلت عليه ابنته حَجْنَاء . فلما رأت قيوده

بَكَت . فقال :

لقد أصبحت حجناء تبكي لوالد

أحجناء ، صبرا ، كلُّ نفس رهينة

أحجناء إن أفلت من السجن تلقني

أحجناء أسباب المنايا بمرصدي

أحجناء إن يُصبح أبوك ودلوه

لقد كان يُدلى في رجال كثيرة

أحجناء إن يصبح أبوك ونفسه

لقد كان في دنيا تفيء ظلالتها

ولما دخل مقيدا على المهدي رَفَدَه ^(٨) ثُمَامَةُ بن الوليد عنده ، واستمطفه له ، وسَوَّغَ

(١) درة العين : أراد بها ما تسقطه من دموع غزيرة .

(٢) يموت : كذا في غ . وفي ص : لموت .

(٣) وضع غ هذا البيت قبل سابقه .

(٤) غ : أضحى أبوك . ورت : بلى . والرشاء : جبل البئر .

(٥) يمتح : يستقى . يريد أنه كان يستقى مع الكثيرين ، فيخرج دلاها ملاءى بالماء

ويخرجون دلاءهم فارغة .

(٦) ب . س : قليل تمنىها .

(٧) غ : تفيأ ظلها .

(٨) رَفَدَه : أعانه وسانده .

عذره عنده . ولم يزل يرفقُ به حتى أطلقه . وكان نصيب منقطعا في متقدّم الأيام إلى أخيه شيبية ، فامتدح ثمامة بأبيات .

ودخل نصيب يوما على ثمامة - بعد وفاة أخيه شيبية - وهو يفرّق خيله على الناس .

فأمر له بفرس منها ، فأبى أن يقبله ، وبكى ، وأشد :

يا شيبيةَ الخيرِ إِمّا كنت لي شَجَنّا آليتُ بعدك لا أبكى على شَجَنِ
أضحتُ جِيادَ ابنِ قَمَاقِ مَقَسَمَةً في الأفرين بلا منٍّ ولا ثمنٍ (١)
ورثتهم فتمزّوا عنك أن ورثوا ولا ورثتُك غيرَ الهَمِّ والحزنِ (٢)

فبكى ثمامة ومن حضر . وشيبية بن الوليد وأخوه من وجوه قواد المهدي .

وفي شيبية يقول أبو محمد الزيدي ، وقد عارضه في شيء من النحو بحضرة المهدي :

عِشْ بِجَدِّ ولا يضرُّك نوكُ إنما عيشُ من ترى بالجدودِ (٣)
عش بجد وكن هَبْنَقَةَ القَيْدِ سىَّ أو شيبية بن الوليد (٤)

خرج المهدي يقتره بعيساباذ (٥) . وقدم نصيب ومعه ابنته الحجناء . فدخل

على المهدي فأنشدته (٦) :

رُبَّ عِيشٍ ولذة ونعيم وبهاءٍ بمُشرقِ الميدانِ

بسط اللهُ فيه أبهى بساطٍ من بهارِ وزاهرِ الحَوَضانِ

حتى أتى على القصيدة . فأمر له المهدي بمشرة آلاف درهم ، ولها بمثلها .

(١) سى : أبي القمقاع . غ : بلا حمد .

(٢) غ : لإذ ورثوا . . . وما ورثتك .

(٣) النوك : الحق .

(٤) هبنقة القيسي : رجل شهير بين العرب بالحق ، ورووا عنه قصصا كثيرة .

(٥) عيساباذ : حى بشرقي بغداد نسب إلى عيسى بن المهدي ، وقد بنى به المهدي قصر السلام

الذي بلغت النفقة عليه ٥٠٠٠٠٠٠٠ درهم .

(٦) نسب غ الشعر إلى حجناء بنت نصيب .

ثم دخلت الحجناء على العباسة بنت المهدي فأنشدتها :

أُتِينَاكَ يَا عَبَّاسَةَ الْخَيْرِ وَالْحَيَا وَقَدْ عَجِجْتُ أَدَمَ الْمَهَارِي وَكَلَّتْ
وَمَا تَرَكْتُ مَنَا السَّنُونَ بَقِيَّةً سَوَى رِمَّةٍ مَنَا مِنَ الْجَهْدِ رَمَتْ
فَقَالَ لَنَا مِنْ يَنْصَحِ الرَّأْيِ نَفْسَهُ وَقَدَوْلَتْ الْأَمْوَالَ عَنَا وَقَلَّتْ: (١)
عَلَيْكَ ابْنَةُ الْمَهْدِيِّ عَوْذَى بِيَابِهَا فَإِنْ مَحَلَّ الْخَيْرِ فِي حَيْثُ حَلَّتْ

فأمرت لها بثلاثة آلاف درهم وكسوة وطيب . فقالت :

أَغْنَيْتَنِي يَا ابْنَةَ الْمَهْدِيِّ أَيَّ غِنَى بَأَعْجَرَيْنِ كَثِيرٍ فِيهِمَا الْوَرِيقُ (٢)
مَنْ ضَرَبَ تِسْعٍ وَتَسْمِينَ مَحْكَاةً مِثْلَ الْمَصَابِيحِ فِي الظُّلْمَاءِ تَأْتَلِقُ
أَمَّا الْحَسُودُ فَقَدْ أَمْسَى تَأَوَّبَهُ غَمٌّ وَكَادَ بَرَجَعَ الرَّيِّقُ يَخْتَنِقُ (٣)
وَذَا الصَّدَاةُ مَسْرُورٌ لَنَا فَرِحَ بَادَى الْبِشَارَةِ ضَاحٍ وَجْهَهُ شَرِقَ

كان نصيب إذا قدم على المهدي استهداه منه القواد ، وسأله أن يأمره بزيارتهم .

فكان ممن استهداه خزيمية بن خازم ، فوصله وحمله . فقال :

وَجَدْتُكَ يَا خَزِيمَةَ أُرْيَحِيًّا بِمَا تَحْوَى ، وَذَا حَسَبِ صَمِيمٍ
تَمِيمٌ كَانَ خَيْرَ بَنِي مَعَدَّةٍ وَأَنْتِ الْيَوْمَ خَيْرُ بَنِي تَمِيمِ
سَوَى رَهْطِ النَّبِيِّ ، وَهُمْ أَدِيمٌ وَأَنْتِ قُدِدْتِ مِنْ ذَاكَ الْأَدِيمِ

وقال فيه أيضا :

يَا أَفْضَلَ النَّاسِ عُوْدَا مَعَجَمِهِ إِذَا تَفَاضَلَ يَوْمًا مُعْجَمَ الْعُوْدِ (٤)
إِنِّي لَوَاحِدٌ شِعْرٌ قَدْ شَهْرَتْ بِهِ وَذَا خَزِيمَةُ أُضْحَى وَاحِدَ الْجُوْدِ

(١) غ : عنا فقلت .

(٢) الأعجر : الكيس المتلى .

(٣) غ : أمسى تفيظه غمما .

(٤) تفاضل : كذا في غ . وفي ص : تقابل . ومعجمه : اختباره .

إِنْ يُعْطِكَ الْيَوْمَ مَعْرُوفًا يَمِدُّكَ غَدًا فَأَنْتَ فِي نَائِلٍ مِنْهُ وَمَوْعُودٌ^(١)
وَقَدْ رَأَيْنَا تَمِيمًا غَيْرَ مُكْرَهَةٍ أَلْقَبْتُ إِلَيْكَ جَمِيعًا بِالْمَقَالِيدِ
فَأَنْتَ أَكْرَمُهَا نَفْسًا وَأَفْضَلُهَا إِنْ الصَّنَادِيدِ أَبْنَاءَ الصَّنَادِيدِ

قال الزبير بن بكار : كتب إلى أبو محمد إسحاق بن إبراهيم التيمي يقول :

أنشدت الفضل بن يحيى قول أبي الحجناء نصيب :

عِنْدَ السَّلُوكِ مَضْرُوءٌ وَمَنَافِعُ وَأَرَى الْبِرَامِكَ لَا تَضُرُّ ، وَتَنْفَعُ
إِنَّ الْعُرُوقَ إِذَا اسْتَسْرَّ بِهَا الثَّرَى أَشْرَ النَّبَاتِ بِهَا وَطَابَ الزَّرْعُ
وَإِذَا نَكِرَتْ مِنْ أَمْرٍ أَعْرَاقَهُ وَقَدِيمَهُ فَانظُرْ إِلَى مَا يَصْنَعُ^(٢)

قال : فأعجبته الشمر وقال : « يا أبا محمد ، كأنني لم أسمع بهذا القول إلا الساعة ،
وماله عندي عيب ، إلا أنني لم أكافئه عليه . » قال : فقلت : « وكيف ذلك أصلحك
الله وقد وهبت له ثلاثين ألف درهم ؟ ! » فقال : « لا ، والله ، ولا ثلاثون ألف دينار
مكافئة له ، فكيف ثلاثون ألف درهم ؟ » .

وأحسن ما أنشد^(٣) قوله ، وقد رأى كثرة الشعراء على باب الفضل بن يحيى ،
فلما دخل الناس إليه قال له :

مَا لَقِينَا مِنْ جُودِ فَضْلِ بْنِ يَحْيَى تَرَكَ النَّاسَ كَلَّهَمَ شِعْرَاءَ
وَهُوَ الْقَائِلُ :

جَاءَ الرَّبِيعُ الَّذِي كُنَّا نَوْمُلُهُ فَكَلَّنَا بَرِيعَ الْفَضْلِ نَزَبَعُ^(٤)

(١) غ : معروفا على ثقة .

(٢) غ : فإذا . ابن المعتز : وإذا جهلت .

(٣) أنشد غير واضحة في ص . والعبارة في غ : أخبرني أحمد بن سليمان بن أبي شبيب قال :

كان أبي يستملح قول نصيب ..

(٤) غ : جاد الربيع . . . مرتب

- كانت تطول بنا في الأرض نُجْمَتْنَا
فاليومَ عند أبي العباس ننتِجِعُ^(١)
إن ضاق مذهبنا أو حلّ ساحتنا
ضَنَكٌ وَأَزْمٌ فَمِنْدَ الْفَضْلِ يَتَسَعُ^(٢)
إن يمنعوا ما حوت عنى أكَفَّهُمْ
فلن يضرَّ أبا الحجناء ما منعوا^(٣)
أو حلثونا وذادوا عن حياضهم
يومَ الشُّرُوعِ ففِي غُدْرَانِكَ الشَّرْعَ^(٤)

(١) النجمة : السعى وراء السكّاء ، كنى بها عن السعى وراء الرزق .

(٢) غ : متسع .

(٣) غ : حوت منا . فلن يضر : كذا في غ . وفي ص : فلم يضر ، تحريف .

(٤) حلثونا : منعونا عن الماء . والشروع : الاستقاء والشرب .

حرف الهاء

هلال المازني*

هو هلال بن الأسمر بن خالد بن أرقم بن قسيم بن ناشرة بن سيار بن رزام ابن مازن بن مالك بن عمرو بن تميم .

شاعر إسلامي ، من شعراء الدولة الأموية ، وأظنه أدرك الدولة العباسية . وكان رجلا شديدا ، عظيم الخلق ، أكولا ، معدودا من الأكلة ، فارسا ، شجاعا ، شديد البأس والبطش ، أعظم الناس في حرب غناء .
وعمر عمرا طويلا . ومات بعد بلايا عظام مرت على رأسه .

كان رجل من بطن من قومه من بني رزام بن مالك ، يقال له المغيرة بن قنبر ، يعمل هلالا ، ويُفضل عليه ، ويحتمل ثقله وثقل عياله . فهلك فقال هلال يرثيه :

الآليت المغيرة كان حيا وأفنى قبله الناس الفناء
لتبك على المغيرة كلُّ خيلٍ إذا أفنى عرائكها اللقاء^(١)
وبيك على المغيرة كلُّ جيشٍ تمور لدى معاركة الدماء^(٢)
فتي الفتيان فارس كلِّ حرب إذا شالت ، وقد رُفِع اللّواء^(٣)

* أخباره في ب ٢ : ١٨١ ، س ٢ : ١٧٥ ، د ٣ : ٥٢ ، ي ٣ : ٥١ ، ت ١/١ : ٣٣٣ .

(١) غ ، ت : ليك . والعرائك : جمع عريكة ، وهي النفس ، والقوة .

(٢) تمور : تجرى وتسيل .

(٣) شالت الحرب : تهبأت لأن يخوض الأبطال غمارها .

فَقِيرٌ كَانَ يَنْمُسُهُ الْعَطَاءُ (١)	وَيَبِيكُ عَلَى الْمَغِيرَةِ كُلُّ كَلِّ
خِصَالًا عَقَدُ عِصْمَتِهَا الْوَفَاءُ (٢)	لَقَدْ وَارَى جَدِيدُ الْأَرْضِ مِنْهُ
إِذَا مَا ضَاقَ بِالْحَدَثِ الْفَضَاءُ	فَصَبْرًا لِلنَّوَابِثِ إِنْ أَلَّتْ
نَقَى الْعَرِضُ هِمَّتَهُ الْعَلَاءُ	هَزَبْرٌ يُفْجَلِي الْغَمَرَاتُ عَنْهُ
بِحُورًا لَا تُكَدِّرُهَا الدَّلَاءُ	إِذَا شَهِدَ الْكَرْبِيهَةَ خَاضَ مِنْهَا
وَلَا يَبْنِي عَزِيمَتَهُ اتِّقَاءُ (٣)	جَسُورٌ لَا يَرُوعُهُ ارْتِيَاعُ
حُبًّا لِلْحُلَمَاءِ أَطْلَقَهَا الْمِرَاءُ (٤)	حَلِيمٌ فِي مَشَاهِدِهِ إِذَا مَا
يَطِيبُ عَلَيْهِ فِي الْمَلَأِ الثَّنَاءُ (٥)	حَمِيدٌ فِي عَشِيرَتِهِ فَقِيدٌ
وَحُمٌّ عَلَيْهِ بِالْتَلَفِ الْقَضَاءُ (٦)	فَإِنْ تَكُنْ الْمَنِيَّةُ أَقْصَدَتَهُ
وَعَوْدٌ بِالْفَضَائِلِ وَابْتِدَاءُ (٧)	فَقَدْ أُوْدَى بِهِ كَرَمٌ وَخَيْرٌ
مُرَاهِنَةٌ إِذَا جَدَّ الْجِرَاءُ (٨)	وَجَرِيٌّ لَا يُضْمُّ إِلَيْهِ جَرِيٌّ

وكان يرد مع الإبل فيأكل ما يجد عند أهله . ثم يرجع فيها ولا يتزود طعاما ولا شرابا حتى يرجع يوم ورودها ، لا يذوق فيما بين ذلك طعاما ولا شرابا .

-
- (١) جعل غ هذا البيت ناك الأبيات . وكذا روايته فيه . وفي س : فقير عر يلتمس العطاء وفيه لإقواء . والكل : اليتيم وصاحب العيال .
(٢) جديد الأرض : ظهرها .
(٣) غ ، ق : جسور لا يروع عند روع . س : عزيمته ارتقاء .
(٤) الحيا : جمع حوبة ، وهى أن يشتمل الرجل بثوبه أو يجمع بين ظهره وساقيه بعمامة ونحوها عند الجلوس . والمراء : المجادلة والمخاصمة .
(٥) فقيد : يفتقده طالبو المعروف .
(٦) أقصدته : أصابته فقتلته . وحم : قضى وقدر .
(٧) الحير : الشرف .
(٨) رواية الشطر الأول في غ : وجود لا يضم جوادا . ومراهنة : مسابقة . والجراء : المسابقة .

وكان عادِيَّ الخَلْقِ^(١) ، لا توصف صفته . حَدَّثَ عنه من أدركه أنه كان يوما في إبل له في يوم شديد وَقَع الشمس ، مُحْتَمِدُ المهاجرة . وقد عمد إلى عصاه ، فطرح عليها كساءه من الشمس ، وأدخل رأسه تحت كسائه . فبينما هو كذلك ، إذ مرَّ به في وقت الظهيرة رجلان : أحدهما من بني نَهْشَل والآخر من بني فُقيَم ، وكانا أشدَّ تميميين في ذلك الوقت بطشا ، يقال لأحدهما الهَيَّاج ، أقبلنا من البحرين معهما أنواطٌ من تمرِّ هَجْر^(٢) ، وهلال بناحية الصَّعَاب^(٣) . فلما انتهيا إلى الإبل ولم يعرفا هلالا^(٤) بوجهه ولا أن الإبل له ، ناديا : « يا راعي ، أعندك شراب تَسْقِينَا ؟ » وهما يظنَّان أنه عبد لبعضهم . فناداهما هلال ورأسه تحت كسائه : « عليكما الناقة التي صفتها كَيْت وكيت في موضع كذا ، فأنيخاها فإن عليها وَطْبَيْن^(٥) من لبن ، فاشربا منهما ما بدا لكما » . فقال له أحدهما : « ويحك ، يا غلام ! انهض فأتنا بذلك اللبن » . فقال لهما : « إن يكن لكما حاجة فستأتيانها فتجدان الوطيين فتشربان » . فقال أحدهما : « إنك ، يا ابن اللّخناء ، لَغَلِيظُ الكلام . قم فاسقنا » . ثم دنا من هلال ، وهو على تلك الحال ، وقد قال لهما : « أراكا ، والله ستلقيان هوانا وصَّغارا » وسمعا ذلك منه ؛ فدنا أحدهما فأهوى له ضربا بالسوط على عَجْرُوه ، وهو مضطجع . فتناول هلال يده ، وهو مضطجع ، فاجتذبه إليه ، فرماه تحت نخذه ثم ضغطه . فنادى صاحبه : « ويحك ! أغثني ! قد قتلتني » . فدنا صاحبه منه . فتناول هلال أيضا ، واجتذبه ، فرمى به تحت نخذه الأخرى ثم أخذ برقابهما فجعل يصك برءوسهما ببعضها يبيض ، لا يستطيعان أن يمتنعنا منه . فقال أحدهما : « كُنْ هلالا ولا نبالي ما صنعت

(٧) عادى الخلق: عظيمه ، نسبة إلى بني عاد الذين تضرب بهم العرب المثل في عظم البناء والقامة .

(٢) هجر : عاصمة البحرين أو البحرين كلها .

(٣) الصعاب : جبل بين اليمامة والبحرين أو رمال صعبة المسالك بين البصرة واليمامة .

(٤) غ : ت : ولا يعرفان هلالا بوجهه . وهى أدق .

(٥) الوطب : وعاء اللبن .

بنا . فقال : « أنا هلال . ووالله لا تفلتان مني حتى تعطيانى عهداً وميثاقاً لا تخيسان^(١) به : لتأتينان المربد إذا قدمتا البصرة ثم لتناديان بأعلى أصواتكما بما كان منى ومنكما » . فعاهداه وأعطياه نوطاً من التمر الذى معهما . وقدما البصرة فأتيا المربد ، فناديا بما كان منهما ومنه .

حدث كُثَيْف^(٢) بن عبد الله المازنى قال : كنت يوماً مع هلال ونحن نَبْنِي إبلا لنا . فدفعمنا إلى قوم من بكر بن وائل وقد لَعِبْنَا^(٣) وَعَطِشْنَا ، وإذا نحن بِفَتِيمة شباب عند رَكِيَّة^(٤) لهم وقد وردت إبلهم . فلما رأوا هلالاً استهولوا خَلَقَهُ وقامته . فقام رجلان منهم إليه . فقال له أحدهما : « يا عبد الله ، هل لك فى الصِّراع ؟ » فقال لهما هلال : « أنا إلى غير ذلك أَحْوَج » . قال : « وما هو ؟ » قال : « إلى ابن وماء فَإِنِى لَعِبَ ظَمَانٌ » . قالوا : « ما أنت بذائقٍ من ذلك شيئاً حتى تُمطينا عهداً لتُجيبننا إلى الصِّراع إذا رَوَيْتِ وَأَرَحْتِ » . قال لهما هلال : « إني لسكما ضيف ، والضيف لا يصارع رب منزله ، وأنتما مكتفیان^(٥) من ذلك بما أقول لسكما : اعمدوا إلى أشدِّ فخل شدة وهَيْبَة وَصَوْلَة ، وإلى أشد رجل منكم ذراعاً ، فإن لم أقبض على هامة البعير وعلى يد صاحبكم ، فلا يمتنع البعير ولا الرجل حتى أدخل يد الرجل فى فم البعير ، فإن لم أفعل ذلك فقد صرعتمونى . وإن فعلته علمتم أن صراع أحدكم أيسر من ذلك » فعجبوا من مقاتته . وأومئوا إلى فخل فى إبلهم هائج صائل قَطِمٍ^(٦) . فأتاه هلال ومعه نفر من أولئك القوم وشيخ لهم . فأخذ هلال

(١) تخيسان به : تخلفانه .

(٢) ب ، س : كفيف

(٣) لعبنا : لعبنا وأصابنا الإعياء .

(٤) الركية : البئر .

(٥) ص : مكتفون .

(٦) قطم : هائج . وفى س فى موضعها : فضطم .

بهامة الفحل مما فوق مشفره . فضغطها ضغطة جرجر الفحل [منها] واستخذى ورغا . وقال : « ليعطيني من أحب يده حتى أولجها في فم هذا الفحل » . قال : فيقول الشيخ : « يا قوم ، تنكبوا هذا الشيطان ! فوالله ما سمعت فلانا - يعني الفحل - جرجر منذ بَرَل^(١) قبل اليوم . فلا تعرضوا لهذا الشيطان » . فجمعوا يتبعونه وينظرون إلى خطوه ، ويمجّبون من طول أعضائه حتى جازهم .

قال هلال : قدّمت المدينة وعليها رجل من آل مروان . فلم أضع عن إبلى ما عليها من أخمال التجار حتى أخذ بيدي وقيل : « أحب الأمير » . فقلت لهم : « ويلكم ، إبلى وأحمال ! » فقيل : « لا بأس على إبلتك وأحمالك » . قال : فانطلق بي حتى أدخلت على الأمير فسلمت عليه . ثم قلت : « جُعلت فداك ! إبلى وأمانتي ! » فقال : نحن ضامنون لإبلتك وأمانتك حتى تؤديها إليك » . قال : قلت : « فما حاجة الأمير إلى ؟ » قال لي - وإلى جانبه رجل أصفر لا والله ما رأيت رجلا قط أشد منه خلقا ولا أغلظ عنقا ، ما أدرى أطولُه أكثر أم عرضه - : « إن هذا الفتى^(٢) الذي ترى ، لا والله ما ترك بالمدينة عربيا^(٣) يُصارع إلا صرعه . وبلغني عنك قوة ، فأردت أن يُجرى الله صرعه هذا العبد على يدك . فتدرك ما عنده من أوتار^(٤) العرب » . فقلت : « جعلني الله فداء الأمير ! إني تعب^(٥) نصّب جائع . فإن رأى الأمير أن يدعني اليوم حتى أضع عن إبلى ، وأؤدي أمانتي ، وأريح يومي هذا ، وأجيئه غدا ، فليفعل » . فقال لأعوانه : « انطلقوا معه وأعينوه على الوضع عن إبله والأداء لأمانته ، وانطلقوا به إلى المطبخ فاشبعوه » . ففعلوا جميع ما أمرهم به .

(١) بزل : بزغ نابه في السنة التاسعة من عمره . وفي ب ، س : نزل .

(٢) غ : هذا العبد .

(٣) ب : عبدا . س : عبدا عربيا ، ولا يكون ذلك .

(٤) الأوتار : جم وتر ، وهو النّار .

(٥) غ : لعب ، وهي بمعناها .

قال : فَظَلَّيْتُ بَقِيَّةَ يَوْمِي ذَلِكَ . وَبِتُّ لَيْلَتِي بِأَحْسَنِ حَالٍ شَبِيحًا وَرَاحَةً وَصَلَاحَ حَالٍ . فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْعَدَدِ ، غَدَوْتُ عَلَيْهِ ، وَعَلَى جَبَّةٍ لِي صُوفٌ وَبِتُّ^(١) ، وَلَيْسَ عَلَيَّ إِزَارٌ إِلَّا أَنِّي قَدْ شَدَدْتُ بِعِمَامَتِي وَسَطِي . فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ عَلَيَّ . وَقَالَ لِلْأَصْفَرِ : « قُمْ إِلَيْهِ ! فَقَدْ أَرَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَتَاكَ بِمَا يُخَيِّرُكَ » . فَقَالَ الْعَبْدُ : « أَتُتَرَّرُ ، يَا أَعْرَابِي » . فَأَخَذْتُ بَبْتِي وَانْتَرْتُ بِهِ عَلَى جَبَّتِي . فَقَالَ : « هَيْهَاتَ ! هَذَا لَا يَثْبُتُ إِذَا قَبِضْتَ عَلَيْهِ جَاءَ فِي يَدِي » : فَقُلْتُ : « وَاللَّهِ ، مَالِي مِنَ إِزَارٍ » . فَدَعَا الْأَمِيرُ بِعَلِّحَفَةَ مَا رَأَيْتُ قَبْلَهَا وَلَا عَلاَ جَلْدِي مِثْلُهَا . فَشَدَدْتُ بِهَا عَلَى حَقْوِي^(٢) وَخَلَمْتُ الْجَبَّةَ .

قال : وَجَمَلُ الْعَبْدِ يَدُورُ حَوْلِي وَيُرِيدُ خَتْلِي ، وَأَنَا مِنْهُ وَجِلٌّ لَا أُدْرِي كَيْفَ أَصْنَعُ بِهِ . ثُمَّ دَنَا مِنِّي دُنُودَ فَتَقَدَّ^(٣) جَبَّتِي بِظُفْرِهِ فَقَدَّةً ظَنَنْتُ أَنَّهُ قَدْ شَجَّعَنِي وَأَوْجَعَنِي . فَمَاطَنِي ذَلِكَ مِنْهُ . فَجَعَلْتُ أَفْكُرُ فِي خَلْقِهِ بِمَاذَا أَقْبِضُ مِنْهُ . فَمَا وَجَدْتُ فِي خَلْقِهِ شَيْئًا أَصْفَرَ مِنْ رَأْسِهِ . فَأَقْبِضُ عَلَى رَأْسِهِ ، فَوَضَعْتُ إِبْهَامِي فِي صُدْغِهِ وَأَصَابِي^(٤) الْأُخْرَى فِي أُصْلِ أُذُنِهِ الْأُخْرَى . ثُمَّ غَمَزْتَهُ غَمَزَةً ، صَاحَ مِنْهَا : « قَتَلْتَنِي ! » قَالَ : يَقُولُ الْأَمِيرُ : « انْغَمِسْ رَأْسَ الْعَبْدِ فِي التَّرَابِ » . قَالَ : فَقُلْتُ لَهُ : « لَكَ ذَلِكَ عَلَيَّ » . فَنَمَسْتُ رَأْسَهُ فِي التَّرَابِ وَوَقَعَ شَدِيدًا بِالْمَغْشَى عَلَيْهِ . فَضَحِكَ الْأَمِيرُ حَتَّى اسْتَلْقَى ، وَأَمْرِي بِجَائِزَةٍ وَكِسُودَةٍ . ثُمَّ انْحَدَرْتُ .

كَانَ هَلَالُ بْنُ الْأَسْمَرِ ضَرَبَهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي عَنَزَةَ ثُمَّ مِنْ بَنِي جَلَّانٍ يُقَالُ لَهُ عُيَيْدٌ

(١) البت : كساء غليظ مهلهل مربع ، وقيل من وير وصوف .

(٢) الحقو : الحضر .

(٣) تقد : نقر .

(٤) كذا في غ . وفي س : وإصبعي .

ابن جُرى^(١) في شيء كان بينهما فشجّه وخمّشه خُماشة . فأتى هلال بن جلان فقال : « إن صاحبكم قد فعل بي ما ترون ، فخذوا لي بحق » . فأوعده وزبروه^(٢) . فخرج وهو يقول : « عسى أن يكون لهذا جزاء » . ومضى لذلك زمن طويل حتى درّس ذكره^(٣) . ثم إن عبيد بن جري قدم الوقبا - موضعا من بلاد بني مازن^(٤) - فذكر ما بينه وبين هلال فخافه . فسأل عن [أعز]^(٥) أهل الماء فقيل له : « معاذ بن جمدة بن ثابت بن زُرارة بن ربيعة بن سيار بن رزام بن مازن » فوجده غائبا عن الماء . فعقد طرف ثوبه إلى جنب طنب بيت معاذ ، وكانت العرب إذا فعلت ذلك وجب على المعقود بطنب بيته أن يُجبر المستجير وأن يطلب له بظلامته ، وإن كان يومَ فعل ذلك غائبا عن الماء . فقيل : « رجل استجار بمعاذ بن جمدة » . ثم خرج عبيد بن جري ليسقى فوافق قدومَ هلال بإبله يوم وروده . فلما نظر إلى عبيد بن جري ذكر ما كان بينه وبينه ، ولم يعلم باستجارته بمعاذ . فطلب شيئا يضربه به فلم يجد . فانتزع محوّر السانية^(٦) ، فضربه على رأسه فصرعه وقيّدا^(٧) . وقيل : « قتل هلال بن الأسمر جار معاذ بن جمدة » . فلما سمع هلال ذلك تخوف بني جمدة الرّزاميين ، وهم بنوعمه . فأتى راحته ليركبها . فأتمته خوّلة بنت يزيد بن ثابت ، بنت أختي جمدة بن ثابت ، وهي جدة السفاح ، وهند بنت عبد الله بن مالك ، أم أبيه^(٨) . فتعلقت بثوب هلال

(١) ت : جرى .

(٢) زبروه : منعه ونهوه . وفي س ، د ، ي : زجروه .

(٣) درس : أمعى .

(٤) غ ، ت : بني مالك .

(٥) زيادة عن غ يقتضيه السياق .

(٦) ت : الساقية . والسانية : الدلو العظيمة مع أدواتها .

(٧) الوقيد : المشرف على الموت .

(٨) غ : وهي جدة أبي السفاح زهيد بن عبد الله بن مالك أم أبيه . ولا يقصد بالسفاح هنا

الحليفة العباسي بل هو أحد أشراف العرب ، لأن الحليفة جدته العالية بنت عبيد الله بن عبد الله ابن عباس . (انظر تاج العروس : سفح ، وتاريخ الإسلام للذهبي ٥ : ١٣٤) .

ثم قالت : « أرى عدو الله ، قتلت جارنا والله لا تفارقني حتى تأتنيك رجالنا » .
قال هلال : والمحور بيني لم أضمه . فهمت أن أعلو به رأس خولة . ثم قلت
في نفسي : « عجوز لها سنٌّ وقرابة » . قال : فضربتها برجلي ضربة رميتُ بها من بعيد
ثم ركبت ناقتي .

وجاء معاذ بن جمدة وإخوته ، وهم يومئذ تسعة إخوة ، وعبد الله بن مالك
ابن هند زوج ابنة معاذ جَبِيْلَة . فسمعوا الواقعة^(١) على الجلاني وهو دَرَف لم يمِت .
وأخبروا الخبر . فركب الإخوة التسعة وعبد الله بن مالك ، فكانوا مثل الجمال^(٢)
في شدة خَلْقهم . وركب معهم عشرة غلمة لهم أشد منهم خَلْقًا ، لا يقع لأحد منهم سهم
في غير موضعه . فلما أصبحوا من تلك الليلة قَصَّوا أثره وكان لا يخفى أثره على أحد لعظم قدمه .
فلحقوه من بعد الغد . فناداهم : « يا بني جمدة ، أنشدكم الله أن أكون قتلت رجلا غربيا
طلبته بترّة^(٣) ، وتقتلوني وأنا ابن عمكم » . وظن أن الجلاني قد مات . ولم يكن
قد مات إلى أن اتبعوه وأخذوه . فقال معاذ : « والله ، لو أيقنا أنه قد مات ما ناظرنا
بك القتل^(٤) من ساعتنا ، ولكننا تركناه ولم يمِت . واسنا نحب قتلك إلا أن تمتنع
منا ، ولا تقدم عليك^(٥) حتى نعلم ما يصنع جارنا » . فقالتهم وامتنع منهم . فقال معاذ
لأصحابه : « لا ترموه بالنبل ، ولا تضربوه بالسيوف ، وارموه بالحجارة ، واضربوه
بالعصى ، حتى تأخذوه » . ففعلوا وما قدروا على أخذه حتى كسروا من إحدى يديه
ثلاث أصابع ، ومن الأخرى إصبعين ، ودقوا ضلعين من أضلعه ، وأكثروا الشجاج

(١) الواقعة : الصراخ على الميت .

(٢) غ ، ت : الجمال .

(٣) الترة : الثأر .

(٤) ناظرنا بك القتل : أخرناه عنك .

(٥) كذا في غ ، ت . وفي ص : تمتنع منا فنقدم عليك .

في رأسه . ثم أخذوه وما كادوا يقدرّون على أخذه . فوضعوا في رجله قيّدا . وجاءوا به وهو معروض على بعير . فدفعوه إلى الجَلّاني ولم يمت بعد . فقالوا : « انطلقوا به معكم إلى بلادكم ولا تُحدّثوا في أمره شيئا . فإن مات صاحبكم فاقتلوه . وإن حيي فأعجلوهنا حتى نحمل أُرْشَ الجناية لكم »^(١) . فقال الجَلّانيون : « وفّت ذمتكم يا بني جمدة . إنا نخاف أن ينتزعه منا قومكم إن خلّيتم عنا وعنهم » . فقال لهم معاذ : فأنا أحمله معكم ، وأشيّعكم حتى تردوا ببلدكم » . فحمل معروضا على بعير . وركبت أخته جَماء بنت الأسمر معه . وجعل يقول : « قتلني بنو جمدة ! وتأتيه أخته بمقرّة »^(٢) فشرّبها حتى يقال : « هوذا يمشي بالدم »^(٣) لأنّ بني جمدة فرّثوا^(٤) كبده في جوفه » . فلما بلغوا أدنى بلاد بني بكر بن وائل ، قال الجَلّانيون لمعاذ وأصحابه : « قد وفّيتهم فانصرفوا » .

وجعل هلال يُرهبهم أنه يمشي بالدم في الليلة عشرين مرة . فلما ثقل الجَلّاني وتحوّف هلال أن يموت من ليلته أو أن يُصبح ميتا ، تبرّز هلال كما كان يصنع وفي رجله القيد كأنه يقضى حاجة . ووضع كساءه على عصاه في ليلة ظلّماء . ثم اعتمد على القيد فكسّره . ثم طارت تحت الليل على رجله وكان أدلّ الناس . فتتّكّب الطريق الذي يُعرّف ويُطلب فيه . وجعل يسلك المسالك التي لا يطعم فيها حتى انتهى إلى رجل من بني أناة بن مازن ، يقال له السّعر بن زيد^(٥) . فحمّله على ناقة يقال لها مَلّوة . فركبها ثم تجنّب بها الطريق . وأخذ نحو بلاد قيس بن عَمّيلان تخوفا من بني مازن أن يتبعوه : فسار ثلاث ليال وأيامها . ونزل اليوم الرابع فنحر الناقة ، وأكل لحمها

(١) الأرش : دية الجراح .

(٢) المقرّة : طين أحمر يصبغ به .

(٣) أمشى الرجل : أسهل من دواء تناوله .

(٤) فرث : شقّ وقتت . وكذا العبارة في غ ، ت . وفي ص : يمشى الدم ... رثوا .

(٥) غ : يزيد .

كاه إلا فَضْلَةً فَضَلْت منه فاحتملها . ثم أتى بلاد اليمن فوقع بها ، فلبث زمانا ، وذلك عند مقدم الحجاج العراق ^(١) .

فبلغ إفلاته من بالبصرة من بكر بن وائل ، واستعدوا عليه الحجاج ، وأخبروه بقتله صاحبهم . فبعث الحجاج إلى عبد الله بن شُعْبَةَ ، وهو يومئذ عريف بنى مازن ، فقال له : « لِمَا تَبْنِي بِهَلالٍ أَوْ لَأَفْعَلَنَّ بِكَ » . فقال : « إن أصحاب هلال ^(٢) وبنى عمه صنعوا كذا وكذا » . وقصّ عليهم قصته ، ودفعه إلى الجلائين وتشبيهم إياه . فقال : « ما يقول ؟ » فقال بعض البكرين : « صدق » . فقال الحجاج : « لا يُرغم الله إلا أنوفكم ! قد أمّنت كل قريب لهلال وحميم وعريف ، ومنعت من أخذ أحدي به ، حتى يظفر به البكريون أو يموت قبل ذلك .

ولما وقع هلال إلى اليمن بعث إلى بنى رزام بن مازن بشعر ، يما تبهم فيه ويعظم عليهم حقه ويذكر قرابته . فقال معاذ : « لا أرضى إلا أن تُؤدّي ثلاث ديات : دية المقتول ، ودية الجوار ، ودية الأمان » . فقال هلال من أبيات :

أخوكم وإن جرّت جرائرها يدي	بنى مازن ، لا تطردوني فإنني
بترك أخيكم كالتلحيع المطرد	ولا تثنجوا أكباد بكر بن وائل
بميدا ببغضاء روح ويغندي ^(٣)	ولا تجملوا حفظي بظهرٍ وتحفظوا
وكيف بقطع الكف من سائر اليد؟	فإنّ القريب حيث كان قريبكم
وإن شطّ عنكم فهو أبعد أبعد	وإنّ البعيد إن دنا فهو جاركم
لكم حفظ راضٍ عنكم غير موجد ^(٤)	وإني وإن أوجدتموني لحافظ

(١) قدمه في سنة ٧٥ هـ

(٢) كذا في غ ، ت . وفي ص : بنى هلال ، تحريف .

(٣) ب ، س : تروح وتغندي .

(٤) ب ، س : أوجدتموني ... موجد . وأوجدتموني : أغضبتموني .

سِيحَمِي حِمِي عِرْضِي وَإِنْ كُنْتُ غَائِبًا

أَغْرُ إِذَا مَارِيعَ لَمْ يَتَبَلَّدُ^(١)

وتعلم بكرُّ أنكم حيثُ كنتمُ وكنتمُ من الأرض الغربية مَحْتَدِي

وَأَنْي ثَقِيلٌ حَيْثُ كُنْتُ عَلَى الْعِدَا وَأَنْي وَإِنْ أَوْحِدْتُ لَيْسَ بِأَوْحِدٍ^(٢)

ولما دُفِعَ هلال إلى أولياء المقتول ليقتلوه بصاحبهم ، جاء رجل يقال له حُفَيْد ،

كان هلال قد وَتَرَهُ ، فقال : « لَأَتَيْنَهُ وَأُلْصِقَنَّ إِلَيْهِ نَفْسَهُ » ، وهو في القيود

مصفود للقتل^(٣) . فَأَتَاهُ فَلَمْ يَدْعُ لَهُ شَيْئًا إِلَّا عَدَّهُ عَلَيْهِ مِمَّا يَكْرَهُ . قال : وإلى جنب

هلال حجر مِلء الكف ، فأخذه هلال وأهوى به للرجل ، فأصاب جبينه ،

فاجتأف جُلْفَةً^(٤) من وجهه ورأسه . ثم رمى بها وقال : « خذ الآن القصاص

مني » . وأُشْد :

أَنَا ضَرَبْتُ كَرِبًا وَزَيْدًا وَثَابِتًا مَشَيْتُهُمْ رَوَيْدًا

كَمَا أَفَاتُ^(٥) حَيْثَهُ عُيَيْدًا وَقَدْ ضَرَبْتُ بَعْدَهُ حُفَيْدًا

وهؤلاء كلهم من بني رِزَام ، وكلهم نكأ فيه هلال .

ولما طال مقام هلال باليمن ، نهضت بنو مازن بأجمعهم إلى بني رِزَام بن مازن ،

رهط هلال ، ورهط معاذ بن جمدة جار الجلاني المقتول . فقالوا : « قد أسأتم بآبن

عمكم وجُزْتُم الحد في الطلب بدم جاركم فدحن نحمل لكم ما أردتم » . فحمل دَيْسَم

ابن المنهال بن خُزَيْمَةَ^(٦) بن مهاب بن أناة بن ضباب بن حُجَيْيَةَ بن كَابِيَةَ ابن

(١) غ : سِيحَمِي حِمَاكُم بِن .

(٢) غ : لست بأوحد ، وهي أحسن .

(٣) د ، ي : مصبور للقتل .

(٤) اجتأف جلفه : كشط قطعة .

(٥) د ، ي : أفدت .

(٦) ب ، س : جذيمة .

حُرْقُوصِ بْنِ مَازَنِ الَّذِي طَلَبَ مَعَاذَانَ يُحْمَلُ لِحَارِهِ ، لِفَضْلِ عِزِّهِ وَمَوْضِعِهِ فِي عَشِيرَتِهِ . وَكَانَ الَّذِي طَلَبَ ثَلَاثِمِائَةَ بَعِيرٍ ، فَقَالَ هَلَالٌ فِي ذَلِكَ :

إِنْ ابْنُ كَابِيَةِ الْمُرْزَأَ دَيْسَمًا وَارَى الزَّنَادَ بَعِيدُ ضَوْءِ النَّارِ (١)
 مَنْ كَانَ يُحْمَلُ مَا تَحْمَلُ دَيْسَمٌ مِنْ حَائِلٍ فُنُقٍ وَأُمٍّ حُورِ (٢)
 عَيَّتْ بَنُو عَمْرٍو بِحَمَلِ هِنَائِدِ فِيهَا الْعِشَارُ مَتَالَى الْأَبْكَارِ (٣)
 حَتَّى تَلَفَاهَا كَرِيمٌ سَابِقٌ بِالْخَيْرِ حَلَّ مَنَازِلَ الْأَخْيَارِ
 حَتَّى إِذَا وَرَدَتْ جَمِيمَا أَرْزَمَتْ جَلَّانٌ بِمَدِّ تَشْمُسٍ وَنِفَارِ (٤)

تَقَاوَمَ هَلَالُ بْنُ الْأَسْمَرِ الْمَازَنِيُّ وَنَهَيْسٌ (٥) الْجَلَانِيُّ وَهَمَا يَسْقِيَانِ إِبِلَهُمَا .
 فَخَذَفَ (٦) هَلَالٌ نَهَيْسًا بِمَجُورٍ فِي يَدِهِ فَأَصَابَهُ فَمَاتَ . فَاسْتَمَدَى وَلَدَهُ بِلَالُ بْنُ أَبِي بُرْدَةَ
 عَلَى هَلَالٍ فَجَبَسَهُ . فَأَسْلَمَهُ قَوْمُهُ بَنُو رِزَامٍ . وَعَمِلَ فِي أَمْرِهِ دَيْسَمٌ فَافْتَكَكَ بِثَلَاثِ دِيَّاتٍ .
 فَقَالَ هَلَالٌ يَمْدَحُهُ :

تَدَارِكُ دَيْسَمٌ حَسْبًا وَمَجْدًا رِزَامًا بِمَدِّ مَا أَنْشَقَّتْ عَصَاهَا
 هُمْ حَمَلُوا الْمَيْثِينَ وَأَحْقَوْهَا بِأَهْلِهَا وَكَانَ لَهُمْ سَنَاهَا (٧)
 وَمَا كَانَتْ لَتَحْمِلَهَا رِزَامٌ بِأَسْتَاهِ مُعَقَّصَةَ لِحَاهَا
 بَكَابِيَةِ بْنِ حُرْقُوصٍ وَجَدَّ كَرِيمٍ لَا فِتَى إِلَّا فَتَاهَا

(١) المرزأ : الكرم الذي يصاب في ماله كثيرا لاعتياد الناس سؤاله .

(٢) الحائل : الناقة التي لم تحمل سنة أو أكثر . والفنق : الناقة الفتيبة السمينة . والحوارة :

الفصيل .

(٣) د ، ي : ملائي الأبقار . وعيت : عجزت . وهنائد : جمع هنيذة ، وهي المثة من الإبل
 والعشار : جمع عشراء ، وهي الناقة التي أتى عليها عشرة أشهر من حملها أو هي كالفساء من النساء .

(٤) أَرزَمَتْ : أصدرت صوتا عند الحنين .

(٥) ب ، س : بهيس .

(٦) د ، ي : فخذف .

(٧) د ، ي : فألحقوها . . فكان .

قال العتمر بن سليمان : قلت لهلال بن أسعر : « ما أكلةٌ أكلتها بلغتني عنك ؟ » قال : « جُعت مرة ومي بميري فنحرته ، وأكلته إلا ما حملتُ منه على ظهري . ثم أردت زوجتي فلم أقدر على جماعها ، فقالت : وكيف تصل إليّ وبيننا بمير ؟ » قال : فقلت له : « فكلم تكفيك هذه الأكلة ؟ » قال : « أربعة أيام » .
روى المدائني قال : مر هلال بالبصرة على رجل من بني مازن وقد حمل من بستانه رطباً في زواريق^(١) . فجلس على زورق صغير منها وقد كُشِب^(٢) الرطب فيه وغطى بالبواري^(٣) . فقال له : « يا ابن عم ، آكلُ من رطبك هذا ؟ » قال : « نعم » . قال : « ما يكفيني^(٤) ؟ » قال : « ما يكفيك » . فجلس على صدر الزورق وجعل يأكل إلى أن اكتفى . ثم قام فانصرف . فكشِف الزورق فإذا هو مملوء نوى قد أكل رطبه وألقى النوى فيه .

وسئل عن أعجب شيء أكله ، قال : « مائتي رغيف مع مكوك^(٥) ملح » .
قال صدقة بن عبید المازني : أولم على أبي لما زوجت . فعملنا عشر جفان ثمريد من جزور . فكان أول من جاءنا هلال بن الأسعر المازني . فقدمنا إليه جفنة فأكلها ، ثم أخرى ثم أخرى حتى أتى على العشر . ثم استسقى ، فأتى بقربة نبيذ . فوضع طرفها في شدقه ففرغها في جوفه . ثم قام فخرج . واستأنفنا عمل الطعام .

(١) زواريق : جمع زورق ، أشجع كسرتة فأنت بياء .

(٢) كُشِب : جمع .

(٣) البواري : الحصر المصنوعة من القصب .

(٤) ب ، س : فيه ما يكفيني .

(٥) المكوك : مكبال يسع صاعاً ونصف صاع .

هارون الواثق*

هو الواثق بالله أبو جعفر هارون بن المعتصم بالله .

قال إسحاق بن إبراهيم : دخلت يوما دار الواثق بالله بغير إذن إلى موضع أمر أن أدخله إذا كان جالسا . فسمعت صوت عود وترنما لم أسمع أحسن منه . فأطلع خادم رأسه . ثم رده وصاح بي . فدخلت وإذا الواثق فقال : « أى شئ سمعت ؟ » فقلت : « الطلاق كامل لازم ، وكل مملوك [لى] حر ، لقد سمعت ما لم أسمع مثله قط حسنا . فضحك وقال : « وما هو إنما هو فضلة أدب ، وعلم مدحه الأوائل ، وكثر في حرم الله عز وجل ومُهَاجِرٌ ^(١) رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واشتهاه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعون بعدهم . أحب أن تسمعه ؟ » قلت : « إى والله الذى شرفنى بخطابك وجميل رأيك » . فقال : « يا غلام ، هات العود ، وأعط إسحاق رطلا » . فدفع الرطل إلى . وضرب وغنى في شعر أبي العتاهية بتأجينه ^(٢) :

أضحت قبورهم من بعد عزهم تسقى عليها الصبا والحر جف الشمل ^(٣)
لا يدفعون هواما عن وجوههم كأنهم خشب بالقاع منجدل
فشربت الرطل ثم قت فدعوت له ، فأجلسنى وقال : « أنتهى أن تسمعه بالله ؟ »
فقلت : « إى والله » . فغنايه ثانية وثالثة . وصاح بيمض الخدم وقال : « احمل إلى إسحاق ثلاث مائة ألف درهم » . ثم قال : « يا إسحاق ، قد سمعت ثلاثة أصوات ،

* أخباره في ب ٨ : ١٦٣ ، س ٨ : ١٥٦ ، ٩٥ : ٢٧٦ .

(١) حرم الله : مكة . ومهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم : المدينة ، حيث هاجر لآلها .

(٢) لم أجد البيهقي في ديوانه (المطبعة الكاثوليكية ١٩٠٩) .

(٣) تسقى التراب : تحمله وتشمه . والحر جف : الريح الباردة الشديدة الهبوب . والشملة :

الريح الهابة من الشمال .

وشربت ثلاثة أرتال ، وأخذت ثلاث مائة ألف درهم . فانصرفت إلى أهلك مسرورا
لئسروا معك . فانصرفت بالمال .

ومن مشهور أغاني الواثق في شعر حسان بن ثابت ^(١) :

إن التي عاطيتني فرددتها قتلت قتلت فهايتها لم تقتل ^(٢)

كلماتها حلب المصير فعاطني بزجاجة أرخاها للمفصل ^(٣)

ومن مشهور أغاني الواثق :

سقى العلم الفرد الذي في ظلاله غزالان مكحولان مؤنلفان

إذا أمنا التفا بجيدى تواصل وطرأها للرب مسـترقان

أرغمتما ختلا فلم أستطعهما ورميا ففاناني وقد رمياني ^(٤)

قال إسحاق بن إبراهيم : صرت إلى سر من رأى بعد قدومي من الحج ، فدخلت
إلى هارون الواثق . فقال : « بأى شيء أطرفتنى من أحاديث العرب وأشعارهم ؟ »
فقلت : « يا أمير المؤمنين ، جلس إلى فتى من الأعراب في بعض المنازل . فحدثني
فرايت منه أحلى ما رأيت من القميان منظرا وحديثا وطرأ وأدبا . فاستنشدته
فأنشدني :

* سقى العلم الفرد الذي في ظلاله *

الآيات . وتمنفس نفسا ظننت أنه قد قطع حيزومه . فقلت له : « مالك ، بأبى
أنت ؟ » فقال : « وراء هذين الجبلين لى شجن ، وقد حيل بيني وبين المرور بهذه

(١) ديوانه ١٧ .

(٢) في ديوانه : إن التي ناولتني . وفي غ : إن التي عاطيتها . يصف خرا . وقتلت : مزجت
بالماء .

(٣) بعد هذا الخبر بياض في ص بمقدار نحو ١٥ سطرا .

(٤) أرغت : أردت وطلبت . والختل : الخداع . وقدرمياني : كذا في غ ، وهامش ص .
وفيها : وقد قتلتاني .

البلاد، ونَدَّرُوا دمي، وأنا أفنع بالنظر إلى الجبلين تملأا بهما إذا قدم الحاج، ثم يحال
بيني وبين ذلك». فقلت له: «زدني مما قلت في ذلك» فأشدد:

إذا ما وردت الماء في بعض أهله حَضُورُ فَعَرَّضُ بِي كَأَنَّكَ مَازِحُ
فإن سألتُ عني حَضُورُ فقل لها: به غُبَّرُ من دائه وهو صالح^(١)

فأمرني الواصل فكتبت له الشعرين. فلما كان بعد أيام. دعاني فقال: «قد صنع
بعض مجازنا في أحد الشعرين لحنا فاسمعه، فيما ارتضيتَه أظهرناه، وإن رأيت فيه
موضع إصلاح أصلحته». ففُغِنِي لنا من وراء الستارة، فكان في نهاية الجودة.
وكان كذلك يفعل إذا صنع شيئاً. فقلت: «أحسن، والله، صانعه، يا أمير المؤمنين،
ما شاء». فقال: «بجياتي؟» فقلت: «وحياتك». وحلفت له بما وثق به.
فأمر لي برطل فشربته. ثم أخذ العود فغناه ثلاث مرات. وسقاني ثلاثة أرطال،
وأمر لي بثلاثين ألف درهم. فلما كان بعد أيام، دعاني فقال: «قد صنُع أيضاً عندنا
لحن في الشعر الآخر»، وأمر به فُغِنِي. فكانت حاله فيه مثل الأولى. وأخذت ثلاثين
ألف درهم أخرى. ثم قال لي: «هل قضيتُ حقَّ هديتك؟» فقلت: «نعم»،
يا أمير المؤمنين، فأطال الله بقاءك وتمم نعمتك! فقال: «إنك لم تقض حق
جليسك الأعرابي، ولا سألتني معونته على أمره. وقد سبقتُ مسألتك، وكتبت بخبره
إلى العامل بالحجاز، وأمرت بإحضاره وخطبة المرأة وحمل صداقها إلى قومها عنه
من مالنا». فقلت: «السبق إلى المكارم لك، وأنت أولى بها من عبدك ومن سائر
الناس». وقبلت يده وانصرفت.

ومن أغاني الواصل:

في فمي ماءٌ وهل ينبُ طقُ من في فيه ماء

(١) غير: بقية.

أنا مملوكٌ لملوكٍ عليه رقباء^(١)
كنت حُرّاً هاشمياً فاسترقتني الإمام
ما بعيني دموغٌ أنفد الدمع البكاء

وكان الواثق أحذق من يعنى ويضرب بالعود . وبلغت صنمته مائة صوت .
ومن شعره وأصواته :

سألته حوَيْجَةَ فَأَعْرَضَا وَعَلَّقَ الْقَلْبَ بِهَا وَأَمْرَضَا^(٢)
فاستلّ مني سيفَ عزمٍ مُنْتَضَى وَكَانَ مَا كَانَ وَكَابَرْنَا الْقَضَا^(٣)

كان الواثق يحب خادماً أهدي إليه من مصر . فغاضبه يوماً وهجره . فسمع الخادم يحدث صاحباً له بحديث غضبه عليه وهو يقول : « والله ، إنه ليجتهد منذ أمس أن أصلحه فلم أفعل » . فقال الواثق :

يا ذا الذي بعداني ظلّ مُفْتَخِراً هل أنت لإمليكَ جارٍ إذ قَدَرَا
لولا الهوى لتجارينا على قَدَرٍ وَإِنْ أَفِقَ مَرَّةً مِنْهُ فَسَوْفَ تَرَى^(٤)

وقيل : إن هذا الشعر لأبي حفص الشُّطْرَنَجِي .

لما خرج المعتصم إلى عمورية^(٥) ، استخلف الواثق بسر من رأى . فكانت أموره كلها كأموه أبيه . فوجه إلى الجلساء والمغنين يوماً أن يبكروا إليه يوماً حدّده لهم ، ووجه إلى إسحاق . فحضر الجميع . فقال لهم الواثق : « إنى عزمت على الصُّبوح . ولست أجلس على سرير حتى أختلط بكم ونكون كالشيء الواحد . فجلسوا معي حلقة . وليكن كل جليس إلى جانبه مغن » . فجلسوا كذلك . فقال الواثق : « أنا أبداً » .

(١) غ : الرقباء .

(٢) غ : وعلق القلب به ومرضا .

(٣) غ : فكان .

(٤) د : لتجارينا .

(٥) عمورية : من بلاد الروم فتحها المعتصم في سنة ٢٢٣ هـ .

فأخذ العود فغنى وشربوا . وغنى من بعده حتى انتهى إلى إسحاق فأعطى العود ، فلم يأخذه . فقال : « دعوه » . ثم غنوا دورا آخر . فلما بلغ الغناء إلى إسحاق لم يغن . وفعل ذلك ثلاث مرات . فوثب الواصل فجلس على سريره . وأمر بالناس فدخلوا ، فما قال لأحد منهم : اجلس . ثم قال : « على إسحاق » . فأتى به . فلما رآه قال : « يا خوزى ، يا كلب ! أئبذل لك وأغنى فقترفع على ! أترانى لو قتلتك كان المعتصم يُقيدنى بك ! ابطحوه » . فبطح وضرب ثلاثين مِقرعة ضربا خفيفا . وحلف : لا يغنى سائر اليوم سواه . فاعتذر وتكلمت الجماعة فيه . فأخذ العود وما زال يغنى حتى انقض مجلسه .

قال إسحاق : دخلت يوما إلى الواصل وهو مُصطبيح . فقال : « غنى ، بحياتى ، يا إسحاق ، صوتا غريبا لم أسمعه منك حتى أسر به بقمية يومى » . فكان الله أنسانى الغناء كله إلا هذا الصوت :

يا دارُ إن كان البلى قد سحاكُ فإنه يُعجبسنى أن أراكُ
أبكى الذى قد كان لى مألُفاً فيكِ وآتى الدار من أجل ذاكِ^(١)

قال : فتبينت الكراهة فى وجه الواصل ، وندمت على ما فرط منى . وتجلد وشرب رطلا كان فى يده . وعدلت عن الصوت إلى غيره . فكان ذلك اليوم آخر جلوسى معه .

(١) غ : فأتى .

هَمَامُ الْفَرَزْدَقِ*

هو هَمَامُ بْنُ غَالِبِ بْنِ صَعْصَعَةَ بْنِ نَاجِيَةَ بْنِ عِقَالِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ سُفْيَانَ بْنِ مُجَاشِعِ بْنِ دَارِمِ بْنِ مَالِكِ بْنِ حَنْظَلَةَ بْنِ مَالِكِ^(١) بْنِ زَيْدِ مَنَاةَ بْنِ تَمِيمٍ . واسم دارم بَحْرٌ . وإنما سمي دارما ، لأن قوما أتوا أباه مالكا في سَحَابَةٍ ، فقال له : « قم - يا بحر - فأنتني بِمَجْرِبَتِي^(٢) » . يعني خريطة كان له فيها مال ، فحملها وهو يَدْرِمُ عنها ثِقَلًا ، والدِّرْمَانُ : تَقَارُبٌ فِي الْخَطِّ ، فقال : « لقد جاءكم يَدْرِمُ بها » . فسمى دارما .
واسم مالك أبيه عُرْفٌ ، سمي عُرْفًا لوجوده^(٣) .

والفرزدق لقب غلب عليه ، وتفسيره الرغيف الضخم الذي يُجفِّفه النساء للفتوت .
وقيل : بل هو القطعة من العجين الذي يُعمل رغيفًا . شُبِّهَ وجهه بذلك ، لأنه كان غليظًا جَهْمًا .

وأم غالب ليلي بنت حابس بن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع .
وأم الفرزدق لينة بنت قريظة^(٤) الضبية .
وكان للفرزدق أخ يقال له هَمَمِيمٌ ، ويلقب الأخطال ، ليست له نباهة . فأعقب ابنا يقال له محمد ، فمات والفرزدق حي .
وكان يقال لصعصعة « مُحْسِي المَوءودات » . وذلك أنه كان خرج باغيا ناقنين

* أخباره في ب ١٩ : ٢ ، س ١٩ : ٢ ، ي ٢١ : ٢٩٩ ، ت ١ / ٣ / ١١٠٦ ، وابن

سلام ٢٥٠ .

(١) ابن مالك : عن هامش س مع إلحاقها بالأصل ، ت ، وليست في غ .

(٢) الحريرة : وعاء من آدم وغيره .

(٣) عرف : كذا في غ . وفي ص بالغين تحريف .

(٤) غ : قرظة .

فَارِقَتَيْنِ^(١) - والفارقة : التي تَفْرُقُ إذا ضربها المَخاضُ فَتَنَدُّ على وجهها حتى تنفج - .
قال : فُفِرُّمَعْتُ لى نار فسرت نحوها . وهمت بالنزول فجمعت النار تضىء مرة وتخبو
أخرى ، حتى قلت : « اللهم ، لك على - إن بلغتني هذه النار - ألا أجد أهلها
يوقدونها لكربة يقدر أحد من الناس أن يُفَرِّجَها إلا فرجتها عنهم » . قال : فلم أسر
إلا قليلا حتى أنيتها ، فإذا حَيُّ من بنى أنمار بن الهجيم بن عمرو بن تميم ، وإذا أنا
بشيوخ حادرٍ أشعر^(٢) يوقدها في مقدم بيته ، والنساء قد اجتمعن إلى امرأة ماخض
قد حبستهن ثلاث ليال - فسلمت ، فقال الشيخ : « من أنت ؟ » فقلت : « أنا
صمصمة بن ناجية بن عقال » . فقال : « مرحبا بسيدنا . فيم أنت يا ابن أخي ؟ »
فقلت : « فى بُغَاءِ نَاقَتَيْنِ لى فارقَتَيْنِ عَمَى على أمرهما » . فقال : « قد وجدتهما بعد
أن أحيا الله بهما أهل بيت من قومك . وقد نتجناها ، وعطفت إحداها على
الأخرى . وهما تانك في أدنى الإبل » فقلت : « فيم توفد نارك منذ الليلة » . قال :
« قد أوقدتها لامرأة ماخض قد حبستنا منذ ثلاث ليال » . وتكلم النساء فقلن :
« قد جاء الولد ! » فقال الشيخ : « إن كان غلاما ، فوالله ، ما أدري ما أصنع به .
وإن كانت جارية فلا أسمعن صوتها » . أى اقتلنها . فقلت : « يا هذا ، ذرها فإنها
ابنتك ورزقها على الله » . فقال : « بل أقتلها » . فقلت : « أنشدك الله » . فقال :
« إني أراك بها حَفِيًّا فاشترها منى » . فقلت : « إني اشتريتها منك » . فقال :
« ما تعطيني ؟ » فقلت : « أعطيك إحدى ناقتي » . قال : « لا » . قلت :
« فأزيدك الأخرى » . فنظر إلى جملى الذى تحتى فقال : « لا ، إلا أن تزيدنى جملك
هذا فإنى أراه حسن اللون شاب السن » . فقلت : « هو لك والناقتان على أن تبلغنى
أهلى عليه » . قال : « قد فعلت » . فابقتها منه بَلْقُوحَيْنِ وجمل ، وأخذت عليه

(١) ي : فارقين . وهى الصيغة الموجودة فى كتب اللغة التى لم تورد التأنيث .

(٢) حادر : سمين غليظ . أشعر : كثير شعر الجسم .

عهد الله وميثاقه أن يحسن برّها وصلّتها ما عاشت حتى تبين عنه أو يدركها الموت .
فلما خرجت من عنده حدّثتني نفسي أن هذه مكرمة ماسبقني إليها أحد من العرب .
ثم قلت : « اللهم ، إن لك عليّ ألا أسمع برجل من العرب يريد أن يئد بنتا له
إلا اشتريتها بلقوحين وجمل » . فبعث الله - عز وجل - نبيه محمدا - صلى الله عليه
وسلم - وقد أحييت مائة موءودة إلا أربعا ، لم يشاركني في ذلك أحد حتى أنزل الله -
عز وجل - تحريمه في القرآن . وقيل : بل فدى ثلاثمائة موءودة أو أربعمائة .

وقد فخر الفرزدق بذلك في عدة مواضع من شعره . فن ذلك قوله (١) :

أَبِي أَحَدُ الْغَيْثِينَ صَعْمَةَ الَّذِي مَتَى تُخْلِفِ الْجَوَازِ وَالنَّجْمُ يُمَطِّرُ (٢)
أَجَارَ بَنَاتِ الْوَائِدِينَ ، وَمَنْ يُجِرُ عَلَى الْفَقْرِ يَعْلَمُ أَنَّهُ غَيْرُ مُخْفَرٍ
عَلَى حِينَ لَا تَحْيَا الْبَنَاتُ ، وَإِذْ هُمْ عَكُوفٌ عَلَى الْأَنْصَابِ حَوْلَ الْمُدُورِ

يعنى الدّوّار ، وطوافهم حول الصنم .

ووفد غالب بن صعصعة إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فأسلم . ووفد أبوه صعصعة
قبله إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - وعرض عليه الإسلام فأسلم . وأخبره بفعله
في الموءودات فاستحسنه . وسأله : « هل له في ذلك من أجر ؟ » قال : « نعم » .
وعمرّ غالب بن صعصعة حتى لقي أمير المؤمنين عليا - عليه السلام - بالبصرة ،
وأدخل إليه الفرزدق ، وأظنه مات في إمارة زياد (٣) ، ومُلك معاوية .

ومما قال الفرزدق (٤) :

وَجَدُّي الَّذِي مَنَعَ الْوَائِدِينَ وَأَخِيَا الْوَيْدِ فَلَمْ يُوَادِّ (٥)

(١) ديوان الفرزدق ٤٧٧ ، وناقض جرير والفرزدق ٩٥٠ .

(٢) غ : والدلو يمطر .

(٣) ولي زياد بن أبيه البصرة من ٤٥ - ٥٣ وأضيفت الكوفة إليه من ٥٠ - ٥٣ هـ .

(٤) ديوانه ٢٠٣ ، وناقض ٧٨٩ .

(٥) الديوان وناقض : ومنا الذي .

وقيل : إنه قال للنبي - صلى الله عليه وسلم - : « أَوْصِنِي ! » قال : « أوصيك بأملك وأبيك ، وأختك وأخيك ، وأدانيك أدانيك ^(١) » . قال : « زدني ! » قال : « احفظ ما بين لأحبيك وما بين رجلك » . ثم قال له النبي - صلى الله عليه وسلم - : « ما شيء بلغني عنك فعلته ؟ » قال : « يا رسول الله ، رأيت الناس يموجون في غير وجه ، ولم أدر أين الوجه ؟ غير أني علمت أنهم ليسوا عليه ، ورأيتهم يثدّون بناتهم ، وعلمت أن ربهم لم يأمرهم بذلك . فلم أركمهم يثدون ، وفديت من قدرت عليه . وقال للنبي - صلى الله عليه وسلم - : « إني حمت آحالات ^(٢) في الجاهلية فجاء الإسلام وعلى منها ألف بعير ، فأديت من ذلك سبعمائة » ، فقال : « إن الإسلام أمر بالوفاء ، ونهى عن الغدر » . فقال : « حسبي ! حسبي ! » ووفى بها . ويقال : إنه قال هذا القول لعمر بن الخطاب ، رضى الله عنه ، وقد وفد عليه في خلافته .

وكان صعصعة شاعرا . وهو القائل :

إذا المرء عادى من يودُّك صدُّه
وكان لمن عاداك خِدنا مُضافيا
فلا تسألنَّ عمالديه فإنه
هو الداء لا يُخفي بذلك خافيا

قال عوانة : تراهن ثلاثة نفر من كلب على أن يختاروا من تميم وبكر نفرا يسألونهم ، فأبهم أعطى ولم يسألهم عن نسبهم ومن هم ، فهو أفضلهم . فاختار كل واحد منهم رجلا ، والذين اختيروا : عمير بن السليل بن قيس بن مسعود الشيباني ^(٣) ، وطلبة بن قيس بن عاصم المنقرى ، وغالب بن صعصعة المجاشي أبو الفرزدق . فأتوا

(١) ب ، س : وإمائك . ي : وإمائك وأدانيك .

(٢) الحالة : الدية يحملها قوم عن قوم .

(٣) كذا في ي . وفي ب ، س : عمير بن السليل . وفي ص : عمير بن السليل بن مسعود بن

قيس الشيباني . وانظر النقائص ٨٠٦ .

ابن السليل فسألوه مائة ناقة . فقال : « من أتم ؟ » فانصرقوا عنه . ثم أتوا طلبة ابن قيس فسألهم عن نسبتهم . فأتوا غالبا فسألوه . فأعطاهم مائة ناقة وراعيتها ولم يسألهم : من هم . فساروا ليلة ثم ردوها . وأخذ صاحب غالب الرهن . وفي ذلك يقول الفرزدق^(١) :

وَإِذَا نَاحَبَتْ كَلْبٌ عَلَى النَّاسِ : أَيُّهُمْ أَحَقُّ بِتَاجِ الْمَاجِدِ التَّكْرِمِ؟^(٢)
عَلَى تَقَرُّهِمْ مِنْ زَرَارِ ذَوَى الْمَلَا وَأَهْلِ الْجَرَائِمِ الَّتِي لَمْ تَهْدَمْ^(٣)
فَلَمْ يَجْزُ عَنْ أَحْسَابِهِمْ غَيْرُ غَالِبٍ جَرَى بِعِنَانِي كُلِّ أبيضَ خَضْرَمِ^(٤)
أَجْدَبَتْ بِلَادَ بَنِي تَمِيمٍ ، وَأَصَابَتْ بَنِي حَنْظَلَةَ سَنَةَ^(٥) ، فِي خِلاَفَةِ عُمَانَ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُ . فَبَلَغَهُمْ خِصْبٌ عَنْ بِلَادِ كَلْبِ بْنِ وَبَرَةَ . فَانْتَجَمَهَا بَنُو حَنْظَلَةَ فَزَلُّوا أَقْصَى
الْوَادِي . وَتَسَرَّعَ غَالِبُ بْنُ صَعْصَعَةَ فِيهِمْ وَحَدَّهُ دُونَ بَنِي مَالِكِ بْنِ حَنْظَلَةَ . وَلَمْ يَكُنْ
مَعَ بَنِي يَرْبُوعَ مِنْ بَنِي مَالِكِ غَيْرُ غَالِبٍ . فَنَحَرَ نَاقَةَ فَأَطْعَمَهُمْ إِيَّاهَا فَلَمَّا وَرَدَتْ إِبِلُ
سُحَيْمِ بْنِ وَثِيلِ الرَّيَّاحِي ، حَبَسَ مِنْهَا نَاقَةَ فَنَحَرَهَا مِنْ غَدٍ . فَقِيلَ لِنِغَالِبِ : « إِنَّمَا نَحَرَ
سُحَيْمٌ مَوَامِعَةَ لَكَ » : أَي مَسَاوَاةً . فَضَحِكَ غَالِبٌ وَقَالَ : « كَلَّا ، وَلَكِنَّهُ امْرَأُ
كَرِيمٍ ، وَسَوْفَ أَنْظُرُ فِي ذَلِكَ » . فَلَمَّا وَرَدَتْ إِبِلُ غَالِبٍ ، حَبَسَ مِنْهَا نَاقَتَيْنِ فَنَحَرَهَا
وَأَطْعَمَهُمَا . فَلَمَّا وَرَدَتْ إِبِلُ سُحَيْمٍ ، نَحَرَ نَاقَتَيْنِ فَأَطْعَمَهُمَا . فَقَالَ غَالِبٌ : « الْآنَ
عَلِمْتُ أَنَّهُ يُوَأْتِنِي » . فَعَقَرَ غَالِبٌ عَشْرًا ، فَأَطْعَمَهَا بَنِي يَرْبُوعَ وَغَيْرَهُمْ ، فَعَقَرَ سُحَيْمٌ
عَشْرًا . فَلَمَّا بَلَغَ غَالِبًا فَعَلَهُ ضَحِكَ . وَكَانَتْ إِبِلُهُ تَرُدُ خِلْمَسَ ، فَلَمَّا وَرَدَتْ عَقَرَهَا كُلَّهَا

(١) ديوانه ٧٥٩ .

(٢) الديوان : وإذا نَحَبَتْ . وناحبت : راهنت .

(٣) الديوان : زرار ذؤابة . والجرائم : الأصول .

(٤) الديوان : فلم يجمل : والحضرم : الكثير العطاء .

(٥) السنة : القحط .

عن آخرها . فالكثير يقول : « كانت أربعمائة ، والمقلل يقول : كانت مائة . فأمسك
سحيم حينئذ .

ثم إنه عقر بعد ذلك ، في خلافة علي بن أبي طالب - رضى الله عنه - بكناسة
الكوفة ، مائتي بعير وناقة . فخرج الناس بالزُّبُل^(١) والأطباق والجبال لأخذ
اللحم . فقال علي - رضى الله عنه - : « أيها الناس ، لا يحمل لكم ، إنما أهل بها
لغير الله - جل وعز » . وكان الفرزدق يومئذ مع أبيه غلام . وجعل غالب يقول :
« يا بني ، اردد علي » . والفرزدق يردها عليه ويقول : « يا أبه ، اعقر ! » .

فلم يُغن عن سحيم فعله ، ولم يُجمل كغالب إذ لم يُطبق فعله .

وجاء غالب أبو الفرزدق إلى علي - عليه السلام - بالفرزدق بعد وقعة الجمل
بالبصرة ، فقال : « إن ابني هذا من أشعر مضر - أوقال : شاعرهم ، فاسمع منه » .
فقال : « علمه القرآن » . وكان ذلك في نفس الفرزدق ، فقيّد نفسه في وقت ،
وآلى الأيمل قيده حتى يحفظ القرآن .

وكان الفرزدق وجري والأخطل أشعر طبقات الإسلاميين ، ولهم التقدم في
الطبقة الأولى منهم ، وقد صح أن الفرزدق كان شاعراً موصوفاً أربعاً وسبعين سنة ،
وندع ما قبل ذلك ، لأنه جاء به بعد الجمل على سبيل الاستظهار سنة ست وثلاثين ،
وتوفى الفرزدق سنة عشر ومائة في أول خلافة هشام هو وجري والحسن البصرى
وابن سيرين في ستة أشهر .

ومات غالب أبو الفرزدق في أول أيام معاوية ، ودُفن بكازمة . وقال الفرزدق
يرثيه^(٢) :

لقد ضمت الأكفان من آل دارم
فتى فائض الكفّين محض الضرائب

(١) الزبل : جمع زبل ، وهو الفقة أو الجراب أو الرعاء .

(٢) ديوانه ٤٢ .

قيل للمفضل الضبي : « أَيْمًا أشعر : الفرزدق أم جرير ؟ » قال : « الفرزدق » .
قيل : « لم ؟ » . قال : « لأنه قال بيتًا هجا فيه قبيلتين ومدح قبيلتين ، وأحسن
في ذلك ، وهو (١) :

عجبتُ لمِجْلٍ إذ تُهاجِي عبيدَهَا كما آلُ يرْبوعٍ هَجَّوا آلَ دارِمِ
فقيل له : « وقد قال جرير (٢) :

إن الفرزدقَ والبَعِيثَ وأُمَّه وأبا البَعِيثَ ، لَشَرِّ ما إِسْتارِ (٣)

قال : « وأى شيء أهون مما يقول الإنسان : فلان وفلان وفلان والناس جميعا ،
كلهم بنو الفاعلة » .

قال أبو عبيدة معمر بن المثنى : « كان الشعراء في الجاهلية في قيس ، وليس في
الإسلام مثل حظ تميم في الشعر . وأشعر تميم جرير والفرزدق والأخطل (٤) .
وما ذُكر (٥) جرير والفرزدق في مجلس قط ، فاتفق أهل المجلس على أحدهما . وكان يونس
ابن حبيب فرزدقياً » .

قال أبو عثمان المازني : مر الفرزدق بالرماح بن ميادة ، والناس حوله ،
وهو ينشد :

لَوَ أنَّ جَمِيعَ النَّاسِ كانوا برَبْوَةٍ وجئتُ بِجِدِّي ظالمٍ وابنِ ظالمِ
لَظَلَّتْ رِقابُ النَّاسِ خاضعةً لَنَا سُجودًا على أقدامنا بِالْجَاجِمِ

(١) ديوانه ٨٤٨ .

(٢) ديوانه ٣١٧ . النقائض ٣٣٤ .

(٣) إستار : كلمة فارسية معربة ، بمعنى أربة .

(٤) الأخطل من بني تغلب لا من بني تميم .

(٥) العبارة الآتية من قول يونس بن حبيب ، كما بصرح الأغاني .

فقال له الفرزدق : « يا بن الفارسية ، اتدعنه لي أو لأبشَنَّ أمك من قبرها » .
فقال له ابن ميادة : « حُذِّه ، لا بارك الله لك فيه » . فقال الفرزدق (١) :
لَوْ أَنَّ جَمِيعَ النَّاسِ كَانُوا بِرَبْوَةٍ وَجِئْتُ بِجَدِي دَارِمَ وَابْنَ دَارِمَ
وَأَتَّبَعَهُ الْبَيْتَ الثَّانِي .

قال حماد الراوية : أنشدني الفرزدق يوماً شعراً له ثم قال : « أتيت
الكلب (٢) ؟ » يعني جريراً . قلت : « نعم » . قال : « أنا أشعر أو هو ؟ » فقلت :
« أنت في بعض ، وهو في بعض » . فقال : « لَمْ تُنَاصِحْنِي » . فقلت : « هو أشعر
منك إذا رُوخِي من خنَاقَةٍ ، وأنت أشعر منه إذا خِفْتَ أَوْ رَجَوْتَ » . فقال : « قضيت
لي ، والله ، عليه ، وهل الشعر إلا في الخير والشر ؟ » .

روى أبو الزناد عن أبيه قال : قال لي جريير : « يا أبا عبد الرحمن ، أيُّما
أشعر : أنا أو هذا ؟ » يعني الفرزدق . وناشدني لأخبرته . فقلت : « لا ، والله ،
ما يشاركك ولا يتعلق بك في النسب » . فقال : « أوّه ! قضيت ، والله ، له على .
وأنا أخبرك : مادهانِي إلا أنني هاجيت كذا وكذا شاعراً (وسمى عدداً كثيراً)
وأنه تفرغ لي وحدي (٣) » .

قال خالد بن كلثوم الكلبي : مررت بالفرزدق وقد كنت رويت (٤) شيئاً من
شعره وشعر جريير وبلغه ذلك . فاستجَلَسَنِي فجلست بإزائه ، وعُدَّتْ بالله من شِره .
فحدثته حديث أبيه ، وذكرته بما يمجبه . ثم قلت : « إني لأذكرك يوم لَقَبْتُكَ
بالفرزدق » ، فقال : « وأي يوم ؟ » فقلت : « مررت به وأنت صبي ، فقال له بعض
من كان يجالسه : كأن ابنك هذا الفرزدق دهقان الحيرة في أهته ونباهته ، فسأك

(١) لم أجده في ديوانه ولا النقايس .

(٢) ب ، س : الكلبي . ي : الكلبي .

(٣) ب ، س : وأنه تفردي وحده .

(٤) غ : دوت .

بذلك . وأعجبه هذا القول منى وجعل يستعمده . ثم قال : « أنشدني بمض شعر ابن المراجعة » . فجعلت أنشده حتى انتهيت . ثم قال لي : « فأنشد نقائضها التي أجبته بها » . فقلت : « ما أحفظها » . فقال : « يا خالد ، أتحفظ ما قاله في ولا تحفظ نقائضها ، والله لأهجونّ كلبا هجاء يتصل بأعقابها إلى يوم القيامة إن لم تقم حتى تكتب نقائضها وتحفظها وتنشدينها » . فقلت : « أفل » . ولزمته حتى حفظت نقائضها وأنشدته إياها خوفاً من شره .

كان الفرزدق يقول : « قد علم الناس أني فحل الشعراء ، وربما أتت على الساعة لقلع خرس من أضرارى أهون على من قول بيت شعر » .

لما تزوج الفرزدق حدراء بنت زيق بن بسطام بن قيس . فخاصمته النوار وأخذت بلحيته ، فحادثها وخرج وهو يقول^(١) :

قامت إلى نوارٍ تنفٍ لِحيتي تنفٍ جمدةٍ لحية الخشخاش^(٢)

كثاها أسدٌ إذا ما أغضبت وإذا رضين فهن خير معاش^(٣)

والخشخاش : رجل من عزة . وجمدة : امرأته . فجاءت جمدة إلى النوار ،

فقلت : « ما يريد الفرزدق مني ؟ أما وجد لا مرأته غيري أسوة ؟ » .

وكان للفرزدق ثلاثة أولاد : حبطة وسبطة ولبطة . وكان لبطة من العققة ،

فقال له الفرزدق^(٤) :

إن أرعشت كفا أيبك وأصبحت يداك يدي ليث فإنك جاذبه^(٥)

(١) ديوانه ٤٨٦ .

(٢) الديوان : بكرت على . . تنف الجميدة . غ : قامت نوار إلى .

(٣) الديوان : إذا حربتها . . ورضاها وأيبك خير معاش .

(٤) ديوانه ١٢٤ .

(٥) ي : جادبه ، أى عائبه .

إذا غالبَ ابنٌ بالشَّبابِ أباهُ كبيراً، فإنَّ اللهَ لا شكَّ غابُهُ (١)
 وكان له بنات خمس أو ست . وكان للفرزدق ابنة يقال لها مَكِّيَّة . فغاب
 الفرزدق فكتبت النّوار تشكو إليه بنته . وكتب إليه أهله يشكون إليه سوء
 خلقها وتبديها عليهم . فكتب إليهم (٢) :

كتبتمُ إلينا أنها ظلمتكمُ كذبتمُ ، وبيتِ اللهِ ، بل تظلمونها (٣)

فإلا تَعُدُّوا أنها من نساءكمُ فإن ابن ليلي والسدُّ لا يشينها (٤)

وإن لها أعمامَ صدقٍ وإخوةً وشيخاً إذا شاءت تَنَمَّرَ دونها (٥)

قدم لبطة بن الفرزدق الحيرة . فر بقوم من بني تغلب ، فاستقرأهم فقرؤه . ثم

قالوا له : « من أنت ؟ » فقال : ابن شاعركم وما دحككم الذي يقول فيكم (٦) :

أضحى لتغلب من تميمِ شاعرٌ يرمى الأعدى بالقريضِ المُثَقَّلِ (٧)

إذا غاب كعبٌ عنهمُ ابنُ جُمَيْلِهمُ وتَنَمَّرَ الشمراءُ بعد الأخطلِ (٨)

يتباشرون بموتهِ ووراءه مني لهم قطعُ العذابِ المُرسَلِ (٩)

فقالوا له : « فأنت ابن الفرزدق إذن ؟ » قال : « فأنا هو » . فتنادوا :

« يا آل تغلب ، افضوا حق حاميكم والذائد عنكم في ابنه ! » فجمعوا له مائة ناقة ،

فانصرف بها .

(١) غ ، والديوان : لا بد غابه .

(٢) ديوانه : ٨٨ .

(٣) غ : كتبتم عليها . الديوان : كتبتم زعمتم .

(٤) الديوان : تعدوا أمها .

(٥) ي : صدق وأسوة . الديوان : شتمت .

(٦) ديوانه ٧٠٨ .

(٧) غ : الأثقل . الديوان :

أمسى لتغلب من تميم شاعر يرمى القبائل بالقصيد الأثقل

(٨) غ : إن غاب كعب بن جعيل عنهم . ومثله في الديوان مع : إذا ، في موضع : إن .

(٩) غ ، والديوان : ووراءهم .

أبي الفزدقُ عبدُ الله بن مسلم الباهليّ ومعه عمرو بن عَفْرَى الضَّبِّيُّ (١) راوية الفزدق ، وقد هجاه جرير (٢) في قوله :

وَبُنْتُ جَوَابَا وَشِمَاكَ يَسْبِي وَعمرو بن عَفْرَى ، لاسلامٌ على عمرو (٣)

فقال ابن عفرى للباهلي : « لا يهولنك أمره . أنا أرضيك عنه » بدون ما هم له به . فأعطاه ثلاثمائة درهم . فقبلها ورضى عنه . وبلغه بمد ذلك صنّع عمرو فقال (٤) :

سَتَعْلَمُ يَا عَمْرَوُ بْنُ عَفْرَى مَنْ الَّذِي يَسْلَمُ إِذَا مَا الْأَمْرُ غَبَّتْ عَوَاقِبُهُ (٥)

نَهَيْتُ ابْنَ عَفْرَى أَنْ يُعْفِرَ أُمَّهُ كَعَفْرِ السَّلَا إِذْ جَرَّرْتَهُ ثَعَالِبَهُ (٦)

فَلَوْ كُنْتَ ضَبِيًّا صَفَحْتُ لَوْ مَشَتْ عَلَى قَدَمِي حَيَاتُهُ وَعَقَارِبُهُ (٧)

منها :

تَضِنُّ بِمَالِ الْبَاهِلِيِّ كَأَنَّما تَضِنُّ عَلَى الْمَالِ الَّذِي أَنْتَ كَاسِبِهِ (٨)

فَإِنَّ امْرَأً يَعْتَابِنِي لَمْ أَطَأْ لَهُ حَرِيماً وَلَا يَنْهَاهُ عَنِّي أَقَارِبُهُ (٩)

(١) كذا في ي ، وطبقات فحول الشعراء لابن سلام ٢٧٧ عن المقصور والمدود لابن ولاد

٨٧ . وفي ب ، س : عمرو بن عفراء . وفي ص : محمد بن عمرو . وانظر الشعر الآتي .

(٢) كذا في غ ، وطبقات فحول الشعراء ، والمقصور والمدود لابن ولاد . وفي ص : هجاه

وابنه . وانظر ديوان جرير ٢٧٩ .

(٣) غ ، والديوان ، وطبقات فحول الشعراء ، والمقصور والمدود : جوابا وسكتنا .

(٤) ديوانه ٥٠ .

(٥) كذا روى الشطر الثاني في الديوان وفي غ . وفي ص : إذا ما المرء عيت عواقبه ، تحريف

وغيت : صارت إلى أواخرها .

(٦) الديوان : عفرتة ثعالبه . والسلا : الجلدة التي ينزل فيها الطفل من الناس والمواشي

من بطن أمه .

(٧) غ ، والديوان ، والطبقات : ولو سرت .

(٨) الديوان : ثمر مال الباهلي . الطبقات : تفوقت مال الباهلي . الديوان والطبقات : تهر

على المال .

(٩) غ : وإن . غ ، والديوان : يعتابني . الديوان : نهاه . ي : تنهاه عن تجاربه ويعتابني : يعيبي .

كَمْ حَتَّطِبِ يَوْمًا أَسَاوِدَ هَضْبَةٍ أَتَاهُ بِهَا فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ حَاطِبُهُ (١)

فَأَتَاهُ عَمْرُو بْنُ عَفْرَى فِي نَادَى قَوْمِهِ ، وَقَالَ لَهُ : « اجْهَدْ جَهْدَكَ ! هَلْ هُوَ إِلَّا هَذَا ؟ وَاللَّهِ ، لَا أَدْعُ لَكَ مَسَاءَةً إِلَّا أُتِيَتْهَا ، وَلَا تَأْمُرُنِي بِشَيْءٍ إِلَّا اجْتَنَبْتَهُ ، وَلَا تَنْهَانِي عَنْ شَيْءٍ إِلَّا رَكِبْتُهُ » . فَقَالَ الْفَرَزْدَقُ : « انْتَهَدُوا أُنَى أَمْرِهِ أَنْ يَبْرَّ أَبَاهُ ، وَأَنْهَاهُ أَنْ يَنْيِكَ أُمَّهُ » . فَضَحِكَ الْقَوْمُ ، وَخَجَلَ ابْنُ عَفْرَى .

قَالَ أَبُو بَكْرٍ (٢) : كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ الْحَسَنِ ، إِذْ جَاءَهُ الْفَرَزْدَقُ فَتَخَطَّى حَتَّى جَلَسَ إِلَى جَنْبِهِ . فَجَاءَ رَجُلٌ فَقَالَ : « يَا أَبَا سَعِيدٍ ، الرَّجُلُ يَقُولُ : لَا وَاللَّهِ ، وَبَلَى وَاللَّهِ ، فِي كَلَامِهِ ، لَا يَرِيدُ الْهَيْبِينَ ؟ » فَقَالَ الْفَرَزْدَقُ : « أَوْ مَا سَمِعْتَ مَا قُلْتُ فِي ذَلِكَ ؟ فَقَالَ الْحَسَنُ « وَمَا قُلْتَ ؟ » قَالَ (٣) :

وَلَسْتُ بِمَأْخُوزٍ بَلَدٌ وَتَقَوْلُهُ إِذَا لَمْ تَعَمَّدْ عَاقِدَاتِ الْمَرَائِمِ

فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ جَاءَ رَجُلٌ آخَرَ ، فَقَالَ : « نَكُونُ فِي هَذِهِ الْمَغَازِي ، فَنُصِيبُ الْمَرْأَةَ لَهَا زَوْجٌ : أَفَيَحِلُّ غَشْيَانُهَا وَإِنْ لَمْ يَطْلُقْهَا زَوْجُهَا ؟ » فَقَالَ الْفَرَزْدَقُ : « أَوْ مَا سَمِعْتَ مَا قُلْتُ فِي ذَلِكَ ؟ » فَقَالَ الْحَسَنُ : « مَا كُلُّ مَا قُلْتَ سَمِعُوا . فَمَا قُلْتَ ؟ » قَالَ : قُلْتُ :

وَذَاتِ حَلِيلٍ أَنْكَحْتُمَا رِمَاخُنَا حَلَالًا مِنْ يَبْنَى بِهَا لَمْ تُطَلَّقِ

أَنَّى الْفَرَزْدَقُ الْحَسَنُ فَقَالَ : « إِنِّي قَدْ هَجَوْتُ إِبْلِيسَ فَاسْمِعْ » . قَالَ : « لَا حَاجَةَ لَنَا بِمَا تَقُولُ » . قَالَ : « لَنْ لَمْ تَسْمَعْ لِأَخْرَجْنِي فَأَقُولُ لِلنَّاسِ : إِنَّ الْحَسَنَ يَنْهَى عَنِ هِجَاءِ إِبْلِيسَ » قَالَ : « اسْكُتْ فَإِنَّكَ بِلِسَانِهِ تَنْطِقُ » .

قَالَ عَلِيُّ بْنُ زَيْدٍ : مَا سَمِعْتُ الْحَسَنَ مَتَمَثِّلًا بِشَعْرٍ قَطُّ إِلَّا يَهْدِي الْبَيْتَ :

(١) الْأَسَاوِدُ : جَمْعُ أَسْوَدٍ ، وَهُوَ الْحَيَّةُ الْعَظِيمَةُ .

(٢) الْهَنْدَلِيُّ الْمَدَنِيُّ . وَانظُرْ طَبَقَاتِ فَجُولِ الشُّعْرَاءِ ٢٨٣ .

(٣) دِيوَانُهُ ٨٥١ .

(٤) غُ وَالطَّبَقَاتُ : أَنْكَحْتُمَا ، س ، وَالطَّبَقَاتُ : حَلَالٌ .

الموت بابٌ ، وكلُّ الناسِ داخلُهُ ياليتَ شعريَ: هذا الباب ، ما الدارُ؟^(١)

قال : وقال لي يوما : « ما تقول في قول الشاعر :

لولا جريرٌ هلكتُ بجياله نعيمَ الفتى وبئستِ القبيلةُ

أجاء أم مدحه ؟ » قلت : « مدحه وهجا قومه » . قال : « ما مدح من هجى

قومه » .

وقال رجل لابن سيرين وهو مستقيمُ القبلة يريد أن يكبرُ : « أتوضأ من

الشعر ؟ » فانصرف إليه بوجهه وقال^(٢) :

ألا أصبحتِ عرسُ الفرزدقِ ناشزا ولورضيتِ رمحَ استه لاستمقرتِ
ثم كبر .

قال ابن سلام^(٣) : كان الفرزدق أكثر بيتا مُقلدا . والمقلد البيت الذي يُضرب به

المثل . فمن ذلك قوله^(٤) :

فوا عَجبا حتى كَلِيبٌ تَسْبِيئِي كَأَنَّ أَبَاهَا نَهْشَلٌ أَوْ مُجَاشِعٌ^(٥)

وقوله^(٦) :

تُرَجِّي رُبَيْعٌ أَنْ تَجِيءَ صِغَارُهَا بِخَيْرٍ ، وَقَدْ أَعْيَا رَبِيمَا كِبَارُهَا^(٧)

(١) غ : فليت شعري بعد الباب ما الدار .

(٢) ديوان جرير ٨٨ .

(٣) طبقات فعول الشعراء ٣٠٥ .

(٤) ديوانه ٥١٨ . النقائض ٦٩٩ .

(٥) غ . والطبقات : فاعجبا . الديوان : فباعجبي .

(٦) ديوانه ٣٣٨ . النقائض ١٢٤ .

(٧) الديوان والنقائض : أترجو . الديوان والطبقات : يجيء .

وقوله (١) :

قَوَارِصُ تَأْتِينِي وَتَحْقِرُونَهَا وَقَدْ يَمَلُّ الْقَطْرُ الْإِنَاءَ فَيَقْمَمُ (٢)

وقوله (٣) :

أَحْلَامُنَا تَزِنُ الْجِبَالَ رَزَانَةً وَيَزِيدُ جَاهِلُنَا عَلَى الْجَهَالِ (٤)

وقوله (٥) :

وَإِنَّكَ إِنْ تَسْعَى لَتُدْرِكَ دَارِمَا لَأَنْتَ الْمُعَمَّنَى يَا جَرِيرُ الْمَكْفِ (٦)

وقوله (٧) :

فَإِنْ تَنْجُ مِنْهَا تَنْجُ مِنْ ذِي عَظِيمَةٍ وَإِلَّا فَإِنِّي لَا إِخَالَكَ نَاجِيَا (٨)

وقوله (٩) :

وَالشَّيْبُ يَنْهَضُ فِي الشَّبَابِ كَأَنَّهُ لَيْلٌ يَسِيرُ بِجَانِبِيهِ نَهَارًا (١٠)

(١) ديوانه ٧٥٦ . كامل المبرد (طبع الحلبي) ٢٨ . أمالي المرتضى ١ : ٣٠٥ .

(٢) الطبقات والكمال : ويحتمقرونها . الديوان والأمالى : فيحتمقرونها . الديوان : القطر

الأتى . والقوارص : جمع قارصة ، وهى الكامة المؤذبة ، فعم الإناء يغممه : ملاءه وبالغ فى ملئه .

(٣) ديوانه ٧٣٠ .

(٤) كذا روى البيت فى ص ، س ، ي . والشطر الثانى فى ب ، س ، والطبقات : وتخالنا جنا

إذا مانجهل . وهما بيتان من قصيدتين مختلفتين فى ديوانه ، أولهما هو (٧١٧) :

أَحْلَامُنَا تَزِنُ الْجِبَالَ رَزَانَةً وَتَخَالُنَا جِنَا إِذَا مَا نَجْهَلُ
وثانيهما هو (٧٣٠) :

لَنَا لِنُوزِنَ بِالْجِبَالِ حُلُومَنَا وَيَزِيدُ جَاهِلُنَا عَلَى الْجَهَالِ

(٥) ديوانه ٥٦٧ ، والنقائض ٥٧٢ .

(٦) الديوان والنقائض : فإنك . وهما والطبقات وى : إذ تسعى . والبيت غير موجود فى

ب ، س . والمعنى : المتعب .

(٧) البيت غير موجود فى ديوانه . وقطع محمود محمد شاكر عن معارف ابن قتيبة ٢٧٦ ،

وبيان الجاحظ ٣٦٧ ، بنسبته إلى الأسود بن سريع التميمي (طبقات فحول الشعراء ١٥١) .

(٨) غ : فإن تنج منى . وذو عظمة : أراد أمرا ذا داهية عظيمة .

(٩) ديوانه ٤٦٧ . ووضعه غ خطأ فى الأبيات المتداخلة المعقدة .

(١٠) غ والديوان : فى السواد . وهما والطبقات : يصيح بجانبيه ، وهى الرواية المشهورة .

وقوله (١) :

ترى كلَّ مظلومٍ إلينا فرارُهُ ويهرب منا جاهداً كلُّ ظالمٍ (٢)

وقوله (٣) :

ترى الناسَ ماسرينا يسرون خلفنا وإن نحن أومأنا إلى الناس وقفوا (٤)

وقوله (٥) :

فسيفُ بنى عبسٍ وقد ضربوا به نيا بيدي ورقاء عن رأس خالدٍ (٦)

كذلك سيوفُ الهندِ تذبُّو ظلماتها وتقطعُ أحياناً مناط القلائد (٧)

وكان يُدخل الكلام (٨) . وذلك يُعجب أصحاب النحو . فمن ذلك قوله يمدح هشام

ابن إسماعيل المخزومي (٩) خال هشام بن عبد الملك (١٠) :

(١) ديوانه ٨٥٧ ، النقائض ٣٨٢ .

(٢) الديوان والنقائض والطبقات و غ : ويهرب منا جهده .

(٣) ديوانه ٥٦٧ ، النقائض ٥٧٢

(٤) الديوان : إلى النار .

(٥) ديوانه ١٨٦ ، ٢١٢ . النقائض ٣٨٤ .

(٦) الطبقات : وسيف . وورقاء : ابن زهير بن جذيمة العبسي . خالد : ابن جعفر بن كلاب

وضربه وورقاء ضربات بسيفه فلم يقن شيئاً .

(٧) غ والديوان والنقائض والطبقات : ويقطن . الديوان : نياط القلائد . الطبقات : جمع

ظبة . وهي حد السيف .

والمناط : الموضع الذي تناط فيه ، أي تعلق . والقلائد : جمع فلادة ، وهي حلي يعلق في العنق

ولم يرد الفرزدق أن عادة سيوف الهند أن تذبو ولكنها تقطع الأعناق أحياناً ، فهذا فاسد . بل

أراد أنها تذبو أحياناً ، وعادتها أن تقطع الرقاب (طبقات فعول الشعراء ٣٠٨) .

(٨) كذا في غ . وفي ص : أصحاب الكلام ، خطأ .

(٩) كذا في ص ، غ ، وهو خطأ . والصواب ما قاله المبرد : الكامل ١ : ٢٨ من أنه يمدح

لإبراهيم بن هشام بن إسماعيل المخزومي .

(١٠) ديوانه ١٠٨ ، كامل المبرد ١ : ٢٨ .

وأصبح ما في الناس إلا مملكا أبو أمه حتى أبوه يُقارِبُه^(١)
وقوله^(٢) :

تعال فإن عاهدتني لا تخونني نكن مثل من - يا ذئب - يصطحبان
مر الفرزدق بمجلس بني حرام فألقى عَبَسَةَ مولى عثمان : فقال . « يا أبا فراس ،
متى تذهب إلى الآخرة ؟ » قال : « وما حاجتك إلى ذلك : يا بن أخي ؟ »^(٣) قال :
« أكتب معك إلى أبي » . قال : « لا أذهب حيث أبوك ، أبوك في النار ، فاكتب
إليه مع رِيَالَوَيْه وأصطفانوس » .

قال سلمة بن عَمَاش^(٤) : حُبست في السجن ، فإذا فيه الفرزدق قد حبسه مالك
ابن المنذر بن الجارود . فكان يريد أن يقول البيت ، فيقول صدره وأسبِقُه إلى القافية ،
وتجيء القافية فأسبِقُه إلى الصدر . فقال لى : « ممن أنت ؟ » . قلت : « من قريش » .
قال : « كل أير حمار من قريش ، من أيهم أنت ؟ » قلت : « من بنى عامر
ابن لؤي » . قال : لثام أذلة ، جاورتهم ، فكانوا شرّ جوار . « قلت ألا أخبرك
بأذلّ منهم وألم ؟ » قال : « مَنْ ؟ » قلت : « بنو مجاشع » . قال : « ولم ،
ويلك ؟ » قلت : « أنت سيدهم وابن سيدهم وشاعرهم ، جاءك مُرَطِيٌّ للملك بن المنذر .
فأخذك وأدخلك السجن ، فلم يمنعوك » . قال : « قاتلك الله » .

كتب يزيد بن المهلب^(٥) إلى أخيه مُدْرِكَةَ أو مروان : « اجمل إلى الفرزدق ،

(١) الكامل : وما مثله في الناس . والديوان : وما مثله في الناس لإملاك . ومعناه كما شرحه
المبرد : « وما مثله في الناس حتى يقاربه لإملاك ، أبو أم هذا الملك أبو هذا الممدوح ، فدل على
أنه خاله بهذا اللفظ البعيد ، وهجته بما أوقع فيه من التقديم والتأخير » .

(٢) ديوانه ٨٧٠ . أمالي ابن الشجري ٢ : ٣١١ .

(٣) غ : يا بن أخي .

(٤) طبقات فحول الشعراء ٢٨٧ .

(٥) طبقات فحول الشعراء ٣٨٦ .

فإذا شَخَّصَ فَأَعْطِ أَهْلَهُ عَشْرَةَ آلَافٍ [درهم] : فقال له الفرزدق : « ادفمها إلى »
قال : « اشخَّص وأدفمها إلى أهلك » . فأبى وخرج وهو يقول (١) :

دَعَانِي إِلَى جُرْجَانَ وَالرَّيِّ دُونَهُ لَأَتِيَهُ إِنِّي إِذْنُ لَزَّوْرٌ (٢)
لَأَتِيَنَّ مِنْ آلِ الْمُهَلَّبِ نَائِرًا بِأَعْرَاضِهِمِ وَالِدَائِرَاتُ تَدُورُ (٣)
سَابِّي وَتَأْتِي لِي تَعِيمٌ وَرَبِمَا أَبَيْتُ فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَيَّ أَمِيرٌ
كَانَ مَسْأَلَةً بَنَ عَبْدِ الْمَلِكِ عَلَى الْعِرَاقِ بَعْدَ قَتْلِ يَزِيدَ بْنِ الْمُهَلَّبِ (٤) . فلبث بها غيرَ
كثيرٍ ، ثم عزله يزيد بن عبد الملك . واستعمل عمر بن هُبَيْرَةَ عَلَى الْعِرَاقِ ، فَأَسَاءَ عِزْلُ
مَسْأَلَةً . فقال الفرزدق (٥) :

وَلَّتْ بِمَسْأَلَةِ الرَّكَّابِ مُودَعًا فَارَعَى فَزَارَةً لَا هَنَّاكَ الْمَرْتَعُ (٦)
فَسَدَّ الزَّمَانَ وَبُدِّلَتْ أَعْلَامُهُ حَتَّى أُمِّيَّةٌ عَنِ فَزَارَةَ تَنْزِعُ (٧)
وَلَقَدْ عَلِمْتُ إِذَا فَزَارَةُ أُمِّرَتْ أَنْ سَوْفَ تَطْمَعُ فِي الْإِمَارَةِ أَشْجَعُ (٨)

(١) ديوانه ٢٤٣ .

(٢) الديوان : أبو خالد لم يذت لزور . وجرجان : مدينة عظيمة بين طبرستان وخراسان .

والرى : مدينة أخرى هناك . وزور : مبالغة زائر ، من زئير الأسد .

(٣) الديوان : نائرا بأعراضها . الطبقات : ذائرا بأعراضهم .

(٤) طبقات فحول الشعراء ٢٨٧ . وولى مسلة من ١٠٢ - ١٠٣ هـ .

(٥) ديوانه ٥٠٨ . كامل المبرد ٤٤٣ ، ٨٠٧ . الطبرى ٢ : ١٤٣٣ . وولى عمر بن هبيرة

من ١٠٣ - ١٠٥ هـ .

(٦) الديوان : ومضت لمسلة . والسكامل والطبرى : راحت بمسلة البغال عشية . وهناك

تخففه من هناك ، أى كان هنيئا .

(٧) الشطر الأول في الديوان : إن القيامة قد دنت أشراطها ، وفي السكامل : فأرى الأمور

تتسكرت أعلامها . والأعلام جمع علم ، وهو النار يوضع على الطريق ليستدل به . ونزع عن القوس :

رمى ، يقول : تبدلت الدنيا حتى صار بنو أمية يحتمون ببني فزارة ويصدرون عن رأيهم .

(٨) الديوان والطبرى : لئن نزاره . السكامل : يطمع .

وَلَخَلَقُ رَبِّكَ مَا هُمُ وَلِئَلَّهِمْ فِي مِثْلِ مَا نَالَتْ فِزَارَةُ يُطْمَعُ^(١)
عُزْلُ ابْنِ بَشْرٍ وَابْنُ عَمْرٍو قَبْلَهُ وَأَخُو هَرَاةَ لِمِثْلِهَا يُتَوَقَّعُ^(٢)
ابن بشر : هو عبد الملك بن بشر بن مروان ، كان على البصرة ، أمره عليها
مسلمة . وابن عمرو : هو سعيد بن حذيفة بن عمرو بن الوليد بن عتبة بن أبي مُعَيْط .
وأخو هراة : هو عبد العزيز بن الحكم بن أبي العاص .

لما قدم خالد بن عبد العزيز القسري واليا على ابن هُبيرة ، حبسه . فَنُقِبَ لَهُ
سَرَبٌ ، فخرج منه ، فهرب إلى الشام . وقال الفرزدق يذكر خروجه^(٣) :

لَمَّا رَأَيْتَ الْأَرْضَ قَدْ سُدَّ ظَهْرُهَا وَلَمْ تَرَ إِلَّا بَطْنَهَا لَكَ مَخْرَجًا
دَعَوْتَ الَّذِي نَادَاهُ يُونُسُ بَعْدَ مَا تَوَى فِي ثَلَاثِ مُظْلَمَاتٍ فَفَرَّجًا^(٤)
فَأَصْبَحَتْ تَحْتَ الْأَرْضِ قَدْ سِرَّتْ لَيْلَةً وَمَا سَارَ سَارٍ مِثْلَهَا حِينَ أَدْلَجَا^(٥)

قيل لابن هبيرة : « من سيد العراق ؟ » قال : « الفرزدق ، هجاني ملكا
ومدحني سُوقَةً » .

(١) غ : ولخلق مثلك . الطبري : من خلق . ب ، س : مطعم . يقول : إنما أشجع - على
هوانها - شيء مما خلق الله ، فإذا نالت فزارة ما نالت ، فغير عجيب أن تطمع أشجع في أن تنال
مثل ما نال هؤلاء الأخساء (الطبقات) .

(٢) الديوان والطبقات : نزع ابن بشر . والكامل مرة : عزل ابن عمرو وابن بشر قبله
والطبقات : متوقع . وناب عبد الملك بن بشر عن مسلمة بن عبد الملك من ١٠٢ - ١٠٣ هـ .
أما سعيد بن حذيفة رعبد العزيز بن الحكم فلم يذكر بين الولاة ، وذهب الطبري إلى أنه عنى محمدا
ذا الشامة بن عمرو بن الوليد نائب مسلمة ، وذهب ابن سلام إلى أنه عنى سعيد بن عمرو بن عتبة
ابن أبي معيط ، وسعيد بن عبد العزيز بن الحارث بن الحكم بن أبي العاص نائب مسلمة أيضا .

(٣) ديوانه ١٤١ . طبقات فحول الشعراء ٢٩١ ، كامل المبرد ٨١٣ .

(٤) نوى : أقام . والظلمات الثلاث : ظلمة البحر وظلمة بطن الحوت ، وظلمة الليل . بشير
إلى قصة سيدنا يونس عليه السلام .

(٥) الكامل : سرت سيرة . والسارى : السائر ليلا . وأدلج : سار في أول الليل .

وقال الفرزدق لخالد القسري حين قدم أميراً لهشام^(١) :

أَلَا قَطَعَ الرَّحْمَنُ ظَهْرَ مَطِيَّةٍ أَتَنَّا تَخَطَّى مِنْ دَمَشْقَ بِخَالِدِ^(٢)
وَكَيْفَ يَوْمُ الْمُسْلِمِينَ وَأُمُّهُ نَدِينُ بَأْنَ اللَّهِ لَيْسَ بَوَاحِدِ^(٣)
بَنَى بَيْعَةً فِيهَا الصَّلِيبُ لِأُمِّهِ وَهَدَمَ مِنْ كَفْرِ مَنَارَ الْمَسَاجِدِ^(٤)

وقال فيه^(٥) :

لَمَعْرِي لَيْنٌ كَانَتْ بِجَيْلَةَ زَانَهَا جَرِيرٌ ، لَقَدْ أَخْزَى بِجَيْلَةَ خَالِدِ^(٦)

لقي الفرزدق جارية لبني نهشل ، فجعل ينظر إليها نظراً شديداً . فقالت له :
« ما لك تنظر ؟ والله لو كان لي ألف حرٍّ لما طمعت في واحد منها » . فقال : « ولم
يا لحناء ؟ » قالت : « لأنك قبيح المنظر سيء الخبر فيما أرى » . فقال : والله ،
لو جربتنى لعفى خُبْرِي على منظري » . ثم كشف لها عن مثل ذراع البكر .
فكشفت له عن مثل سنام الناب^(٧) . فمالجها . فقالت : « أنكاح بدسيثة ! هذا شرُّ
القضية » . قال : « ويحك ! ما معي إلا جُبَّتِي ، أفنسلبيني إياها ؟ » ثم تسنمها .
وقال في ذلك يرتجز^(٨) :

أَوْجَلْتُ فِيهَا كِذْرَاعَ الْبَكْرِ مُدْمَلِكَ الرَّامِي شَدِيدَ الْأَسْرِ^(٩)

(١) ديوانه ١٨٩ . طبقات فحول الشعراء ٢٩٢ . كامل البرد ٨١٢ :

(٢) الكامل : أتتنا تهادى . ب ، س : أتتنا تطى .

(٣) الكامل والطبقات : وكف يؤم الناس من كانت أمه .

(٤) الديوان : ويهدم . الكامل : بنى بيعة فيها النصارى لأمه .

(٥) طبقات فحول الشعراء ٢٩٣ .

(٦) جرير : بن عبدالله الصحابي .

(٧) الناب : الناقة للسنة .

(٨) ديوانه ٣٠٨ ، النقاظ ١٠٤٣ .

(٩) البكر : ولد الناقة أو الفتى من الإبل . ومدملك : مفتول معصوب . والأسر : الخلق

زاد على شبر ونصف شبر كأنني أولجته في جمر
يُطير عنه نفيان الشعر نفي شعور الناس يوم النحر^(١)

حملت منه ثم ماتت بجمع^(٢) . فبكاها وبكى ولده منها ، فقال^(٣) :

وغمد سلاح قد رزئت فلم أنح عليه ولم أبعث عليه البواكيا
وفي جوفه من دارم ذو حفيظة لو أن المنايا أنسأته لياليا^(٤)
ولكن رب الدهر يعثر بالفتي ولا يستطيع رد ما كان جائيا^(٥)
وكم مثله في مثلها قد وضعته وما زلت وثابا أجر المخازيا^(٦)
فقال جرير يميده^(٧) :

وكم لك يا بن القين إن جاء سائل من ابن قصير الباع مثلك حامله^(٨)
وآخر لم تشعر به قد أضعته وأوردته رحا كثيرا غوائله^(٩)

كان الفرزدق قد تزوج ظبية ابنة أدلم^(١٠) من بنى مجاشع بعد أن أسن وكبر ،
وتركها عند أمها بالبادية سنة ، ولم يكن صداقها عنده . فكتب إلى أبان بن الوليد

(١) نفيان الشعر : ما تطاير منه وأطرافه .

(٢) ماتت بجمع : ماتت حاملا .

(٣) ديوانه ٨٩٤ . النقااض ١٠٤٣ .

(٤) الديوان : لوان الليالي . وأنسأته : أخرته .

(٥) الديوان : ولكن رأيت الدهر . ب ، س : فلم يستطيع ردا لما كان جائيا . ي : ولا يستطيع رد الذي كان جائيا .

(٦) الديوان : وقد كنت وثابا أجر الدواهيا .

(٧) النقااض ١٠٤٣ . ديوان جرير ٤٨٦ .

(٨) النقااض والديوان : قد جاء سائلا .

(٩) النقااض : وأودعته رحا . ب ، س : وأوردته جا . والديوان : وأودعته رحا كثيرا

حوائله .

(١٠) غ : حالم . النقااض ١٠٤٤ : ولم .

البَجَلِي ، وهو على فارس عامل لخالد بن عبد الله القَسْرِي ، بهذه الأبيات من أبيات .
فأعطاه ما سأل وأرضاه^(١) :

فلو جَمَعُوا من الخِلَآنِ ألفَا وقالوا : أَعْطِنَا بِهِمْ أَبَانَا^(٢)

لَقَلْتُ لَهُمْ : إِذَنْ لَقَبِنْتُمُونِي وكيف أبيع من شَرَطَ الضَّانَا^(٣)

خَلِيلٌ لا يَرى المائَةَ الصَّفَايَا ولا الخيلَ الحِيَادَ ولا القِيَانَا^(٤)

عَطَاءً دونَ أضعافِ عليها ويُطعمُ ضَيْفَهُ العُبطِ السَّمَانَا^(٥)

فما أرجو لظبيةَ غيرَ ربي وغيرَ ابنِ الوليدِ بما أعانَا^(٦)

أعانَ بهجَمَةٍ أرضتَ أباهَا وكانتَ عنده غَلَقًا رِهَانَا^(٧)

فلما بنى بها عجزَ عنها ، فقال^(٨) :

يا لهَفَ نفسى على نَعْظٍ فُجِعتُ به حينَ التقى الرَّكْبُ المَحْلوقُ والرَّكْبُ^(٩)

(١) ديوانه ٨٧٦ .

(٢) الديوان : لو ، غ والديوان : فقالوا .

(٣) كذا روى البيت في الديوان . وفي ص ، غ حرف لى :

لقلت لهم إذا ما تقبسونى وكيف أبيع من شرط الزمانا

(٤) الصفايا : جمع صفى ، وهى الناقة الغزيرة .

(٥) الديوان : ويعلف قدره العبط السمانا . والعبط : كذا فى ي ، وهى جمع عبيط ، وهى

الناقة السمينة الفتية ينحرها صاحبها من غير علة . وفى ب ، س : العبط ، تحريف .

(٦) الديوان : وما . غ : وغير أبى الوليد .

(٧) الديوان : أعان بدفعة . ب ، س : ورضا أباهَا . الديوان : فكانت . والهجمة : من

الإبل أولها أربعون إلى مازادت ، أو ما بين السبعين إلى المائة .

(٨) ديوانه ١٠٥ نقائض ١٠٤٤ .

(٩) الديوان : إذا التقى .

فقال جرير (١) :

وتقول ظبيبةٌ إذ رأتك مُحَوِّفِلا - حَوِّقِ الحِمارِ - من الخِبالِ الخِبالِ (٢)
إِنَّ البَلْبِيبَةَ فوقَ كلِّ بَلْبِيَةٍ شَيْخٌ يُعَلِّلُ نَفْسَهُ بالباطلِ (٣)
لو قد عَلِقَتِ من المهاجرِ سُلماً لَنَجوتِ مِنْهُ بالقضاءِ الفاصلِ (٤)
فَنشزَتْ عليه ونافرته إلى المهاجرِ ، وبلغه قول جرير ، فقال : « لو أَنتَنِي بالملائكةِ

معها لَقَضَيْتُ للفرزدقِ عليها » .

دخل الفرزدق المدينة هاربا من زياد ، وعليها سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس
أميرا من قبيل معاوية . فثَلَّ بين يديه وهو مُعْتَمِّمٌ ، وعنده الحُطَيْيئةُ وكمب بن جُعيلِ
التَّغَلْبِي . فصاح به الفرزدق : « أصلح الله الأمير ! هذا مقام المائد بك . أنا رجل
من تميم ثم أحد بني دارم . أنا الفرزدق بن غالب » . فأطرق سعيد مليا ولم يُجِبْه :
فقال الفرزدق : « رجل (٦) لم يُصب دما حراما ولا ما لآحراما » . فقال : « إن كنتَ
كذلك فقد أمنت » . فأَنشده (٧) :

إليك فررتُ منك ومن زيادٍ ولم أحسب دمي لسا حلالا (٨)

(١) النقاظ ١٠٤٤ ديوان جرير ٤٢١ .

(٢) حوقل الرجل : ضعف . وحوق الحمار : لقب الفرزدق . وفي ص ، ب ، س : خوف
الحمار ، تحريف . والشطر الأول في الديوان : قالت هنيذة إذ رأتك مقنعا .

(٣) غ : وهي كل بلية . النقاظ : وهو كل بلية . وها : يعلل عرسه . ورواية البيت في
في الديوان :

إن الرزية لا رزية مثلها قرد يعلل نفسه بالباطل

(٤) الديوان : من المهاجر ذمة .

(٥) الخبر في ي ، وطبقات فحول الشعراء ٢٧٠ ، ومجمع الأدباء ٧ : ٢٥٨ ، وليس في ب

وس . وكان ذلك في سنة ٥٠ هـ ، كما يقول الطبري ٢ : ٩٤ .

(٦) كذا في ي وفي ص : من رجل ولا معنى لها هنا .

(٧) ديوانه ٦١٧ .

(٨) ي : ضلالا .

ولكنى هجوتُ وقد هجاني معاشرُ قد رَضَخْتُ لهم سِجَالاً^(١)
 فإن يكن الهجاءُ أحلَّ قَتْلِي فقد قلنا لشاعرِكم وقالوا^(٢)
 أَرِقتُ فلم أُنمَ ليلاً طويلاً أراقبُ هل أرى النَّسْرَيْنِ زالا^(٣)
 عليك بنى أمية فاستَجْرَهُم وخُذْ منهم لما تخشى حبالاً
 فإن بنى أمية من قريش بنوا لبيوتهم عمداً طوالاً^(٤)
 ترى الغرَّ الحجاجَ من قريش إذا ما الأمرُ في الحدَّانِ غالا^(٥)
 قيما ينظرون إلى سعيدي كأنهم يرون به الهللاً^(٦)

فلما قال هذا البيت، قال الحطيئة لسميد: « هذا والله هو الشعر لاما كنت تُعملُّ به منذ اليوم ». فقال كعب بن جميل . فضَّله على نفسك ولا تفضله على غيرك . قال : « بلى والله ، إنه ليُفضِّلُنِي وغيري . يا غلام ، أدركت من قبلك وسبقت من بمدك . ولئن طال بك عمر لتبرزنَّ » .

ثم عبث الحطيئة بالفردق فقال : « يا غلام ، أنجَدتَ^(٧) أمك ؟ » قال : « لا بل أبى » . أراد الحطيئة : إن كانت أمك أنجَدت فقد أصبَتْها فولدَتْكَ إذ شابهتني في الشعر . فقال الفردق : لا بل أبى . فوجده لَقِينَا^(٨) .

-
- (١) الديوان : وقد هجنتي . ورضخ له : أعطاه عطاء غير كثير . والسجال : جمع سجال ، وهو الدلو العظيمة .
 (٢) ي ، والديوان : لشاعرهم .
 (٣) والنسران : كوكبان .
 (٤) ي ، والديوان : في قريش .
 (٥) الديوان : ترى الشم ، والغر : جمع أعر ، وهو السيد الأبيض . والحجاج وهو السيد السمح الكريم والحدنان : ما يحدث من نوائب الدهر . وغال : أصاب بشر .
 (٦) ي ، والديوان ، والطبقات : هلالا .
 (٧) أنجَدت : أنت نجدا .
 (٨) اللقن : سريع الفهم والجواب .

وقيل : إن الفرزدق لما أنشد هذه الأبيات ، قال كعب : « هذه ، والله ، رؤياى
البارحة : رأيت كأن أبا مرة^(١) فى نواحي المدينة ، وأنا أضْمُ ذَلالِي^(٢) خوفاً منه .
فلما خرج الفرزدق ، خرج مروان فى أثره فقال له : « لم ترضَ أن تكون قعوداً
حتى جعلتنا قياماً ؟^(٣) » فقال له : « يا أبا عبد الملك ، إنك من بينهم لَصافِن^(٤) » .
فقد مروان عليه ذلك . ولم تطل الأيام حتى عُزل سعيد وولى مروان^(٥) . فلم يجد على
الفرزدق متقدماً حتى قال أبيانه التى فيها^(٥) :

هما دلتانى من ثمانينَ قامَةً كما انقَضَ بازٍ أَقْتَمُ الراسِ كاسِرُهُ^(٦)
فلما استوتَ رجالى فى الأرضِ قالتا : أَحَىُّ نُرَجَّى أم قَتِيلُ نَحاذِرُهُ^(٧)
فقلت : ارفموا الأسبابَ لا يشعروا بنا وأقبلتُ فى عِجْازِ ليلِ أبادره^(٨)
أبادر بوابينَ قد وُكِّلوا بنا وأحمر من ساجٍ تلوح مَسامره^(٩)
فقال له مروان : « أتقول هذا بين أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم ! اخرج
من المدينة ! » فذلك قول جرير^(١٠) :

(١) أبو مرة : كنية إبليس ، وفى : ابن قنبر .

(٢) الذلال : أسافل القميص الطويل .

(٣) يشير إلى قوله فى مدح سعيد :

قياما ينظرون إلى سعيد كأنهم يرون به الهللا

(٤) صفن الرجل : صف قدميه ، والفرس : قام على ثلاث قوائم وطُرف حافر الرابعة .

(٥) ديوانه ٣٦١ . النقائض ٣٩٨ ، ٧٦٣ ، ١٠٥١ ، وكانت ولاية مروان من ٥٦ - ٥٧ هـ .

(٦) النقائض : أقم اللون . غ ، والديوان ، والنقائض : أقم الريش .

(٧) الديوان : نادنا . غ ، والديوان : يرجى .

(٨) ي والديوان : أرفعا . والديوان : ووليت .

(٩) الديوان :

أحاذر بوابين قد وكلا بها وأحمر من ساج تثط مسامره

(١٠) ديوانه ٥٦٠ . النقائض ٣٩٨ .

تَدَلَّيْتُ تَزَنِي مِنْ ثَمَانِينَ قَامَةً وَقَصَّرْتُ عَنْ بَاعِ النَّدَى وَالْمَكَارِمِ (١)
 وَأَرْعَجَهُ مِرْوَانَ فِي الْخُرُوجِ ، وَهُوَ وَالْيَا لِمَاوِيَةَ ، وَأَجَّلَهُ ثَلَاثًا . فَقَالَ فِي ذَلِكَ (٢) :
 فَأَخْرَجَنِي وَأَجَّلَنِي ثَلَاثًا كَمَا وَعَدْتَ لِمَهْلِكِكُمْ ثَمُودَ (٣)
 فَذَكَرَ ذَلِكَ جَرِيرٌ فِي مَنَاقِضِهِ وَقَالَ (٤) :
 وَشَبَّهْتَ نَفْسَكَ أَشَقَى ثَمُودَ فَقَالُوا : ضَلَلْتَ وَلَمْ تَهْتَدِ
 يَعْنِي فِي التَّاجِيلِ .

قال الأصمعي : ومن عبتات الفرزدق أنه لقي مخنثا فقال له : « أين راحت
 عممتنا ؟ » فقال له المخنث : « نفاها الأغر ابن عبد العزيز » يريد قول جرير (٥) :
 نَفَاكَ الْأَغْرُ ابْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَحَقَّكَ تُنْفَى مِنَ الْمَسْجِدِ (٦)
 قال عوانة بن الحكم : بينا جرير واقف في المرْبَدِ وقد ركبته الناس ، وعمر بن لُجَأِ
 مُوَافِقَهُ ، إِذْ أُنْشِدَهُ عَمْرُ جَوَابًا عَنْ قَوْلِهِ (٧) :
 يَا تَيْمُ تَيْمَ عَدِيٍّ ، لَا أَبَالِكُمْ لَا يَقْدِرَنَّكُمْ فِي سَوَاءِ عُمُرٍ (٨)
 أَحِينَ صَرْتُ سَمَامَا يَا بَنِي لُجَأِ وَخَاطَرْتُ بِي عَنْ أَحْسَابِهَا مُضَرَ (٩)

(١) الديوان والنقائض : الملا والمكارم .

(٢) ديوانه ١٨٥ .

(٣) الديوان : أوعديني فأجلني ثلاثا . ب ، س : دعاننا ثم أجلنا ثلاثا . ي : دعاني ثم أجلني

ثلاثا . النقائض : أوعديني وأجلني ثلاثا .

(٤) النقائض ٧٩٩ . ديوان جرير ١٢٨ .

(٥) النقائض ٧٩٨ . ديوان جرير ١٢٨ .

(٦) النقائض والديوان : بحقك تنفي عن المسجد .

(٧) النقائض ٤٨٨ . طبقات فحول الشعراء ٣٦٤ . ديوان جرير ٢٨٥ .

(٨) ي : لا يلقينكم . الديوان : لا يوقعنكم .

(٩) الطبقات : كنت سماما والسمام : السموم . وخاطرت بي : دافعت بي .

فأنشده عمر جواباً عن ذلك :

لقد كذبت ، وشرُّ القولِ أَكْذَبُهُ ما خاطرتُ بك عن أحسابها مضراً
أَلَسْتَ نَزْوَةَ خَوَّارٍ عَلَى أُمَّةٍ لَا يَسْبِقُ الحَدَبَاتِ اللُّؤْمُ وَالْخَوَّرَ^(١)

وكان الفرزدق قد ردَّه بهذين البيتين . فقال جرير لما سمعهما : « قُبِحَا
يا بن لجأ ! أهذا شعرك ! كذبت ، والله ، ولومت ! هذا شعر العزيز^(٢) » .
الفرزدق . فأبليس عمر فمرد جواباً . وخرج عيَّش^(٣) بن أبي الرِّقَّاق حتى أتى الفرزدق
بالخبر . فضحك وقال : « إيه ، وبلك يا بن أبي الرِّقَّاق ! إن عندك لخبراً » . قلت :
« خزي ابن قتب » . وحدثتة الحديث فضحك حتى ضرب برجله وقال^(٤) :

وما أنتَ إنَّ قرماً تميمٍ تسامياً أخا التَّيمِّمِ ، إلا كالوشِيظَةِ في العَظْمِ^(٥)
فلو كنتَ مولى الظلمِ أو في ثيابه ظلمتَ ولكن لا يدى لك بالظلمِ^(٦)
فلما بلغ هذان البيتان جريراً ، قال : « ما أنصفتي في شعر قط قبل هذا » .
قوله : * وما أنت إن قرما تميم تساميا *

وكان الفرزدق مهيباً تخافه الشعراء . فمر يوماً بالشَّمرَدَل ، وهو ينشد قصيدته حتى
بلغ إلى قوله :

وما بين من لم يُعطِ سِمْما وطاعة وبين تميمٍ غيرُ حَزِّ الغَلاصِمِ^(٧)

(١) النقائص : بل أنت نزوة . . لن يسبق .

(٢) ي : الفريد .

(٣) غ : غنيم .

(٤) ديوانه ٨٢٥ طبقات فحول الشعراء ٣٧٠ .

(٥) ص : تساويا ، تحريف . الديوان : كالشظية . ب ، س : في الغرم . والقرم : السيد

العظم . والوشية : قطعة عظم تكون زيادة في العظم الصميم .

(٦) الديوان : ولو كنت مولى العز أو في ظلاله . ي ، والطبقات : الظلم أوفى ظلاله . ولا

يدى لك بالظلم : لا طاقة لك بإتيانه .

(٧) الغلاصم : جمع غلصمة ، وهى اللحم بين الرأس والعنق ، أو رأس الحلقوم .

فقال : « والله ، لتتركن هذا البيت أو لتتركن عِرْضَكَ » . قال : « خذه على كُرْهٍ مِنِّي » . فهو في قصيدة الفرزدق التي أولها :

* تَحْنُ بَزَوْرَاءِ الْمَدِينَةِ نَاقَتِي ^(١) *

وكان الفرزدق يقول : « خير السرقة ما لا يجب فيه القطع » . يعني سرقة الشعر .

قال الضحاك بن بهلول الفُقَيْمِي : بينا أنا بكازمة ^(٢) ، وذو الرمة ينشد قصيدته التي يقول فيها ^(٣) :

أَحِينُ أَعَاذَتْ بِي تَمِيمٌ نَسَاءَهَا وَجُرِّدَتْ تُجْرِبِدَ الْيَمَانِ مِنَ الْغَمْدِ ^(٤)
وَمَدَّتْ بِضَبْعِي الرَّبَابُ وَمَالِكُ وَعَمَرُو ، وَشَالَتْ مِنْ وِرَائِي بِنُوسَعِدِ ^(٥)
وَمِنْ آلِ بَرْبُوعٍ زُهَاءٌ كَأَنَّهُ دُجِي اللَّيْلُ مَحْمُودِ النَّكَايَةِ وَالْوَرْدِ ^(٦)
وَكُنَّا إِذَا الْجَبَّارُ صَعَّرَ خَدَّهُ ضَرْبَاهُ حَتَّى يَسْتَقِيمَ عَلَى الْكَرْدِ ^(٧)

إذا رآك إبان قد تدلياً من نَعْفِ كَازِمَةٍ مَتَقَنَّمَانِ ، فَوْقَهَا . فلما فرغ ذو الرمة ، حَسَرَ الفرزدق عن وجهه وقال : « يَا عُبَيْد ، اضممها إليك » . يعني روايته ، وهو عُبَيْدُ أَحَدِ بَنِي رَبِيعَةَ بْنِ حَنْظَلَةَ . فقال ذو الرمة : « نَشَدْتُكَ اللَّهُ ، يَا أَبَا فِرَاسِ ،

(١) ديوانه ٨٥١ ، ٨٥٥ . النقااض ٣٤٣ ، ٣٧٥ . وروايته فيهما : فابين حز

الحلاقم .

(٢) كازمة : موضع على ساحل الخليج العربي في طريق البحرين من البصرة بينها وبين

البصرة مرحلتان .

(٣) ديوانه ١٤٢ . وطبقات فحول الشعراء ٤٧٠ .

(٤) الديوان : تجريد الحسام .

(٥) الضبع : وسط المضد بلحمه ، ومدت بضبعي : أخذت به فأعانتني . وشالت : دافعت .

وديوان الفرزدق : الرباب ودارم .

(٦) الطبقات : زها الليل . والزهاء : القدر ، وأراد الجمع الكثيف . والطبقات وديوان

الفرزدق : النكاية والرند .

(٧) غ : ضربناه فوق الأنثيين . والكرد : العنق . وفي ديوان الفرزدق وذو الرمة :

وكنسا إذا القيسي نب عتوده . ضربناه فوق الأنثيين على الكرد

إن فعلت ! » . فقال : « دع ذا عنك » . وانتحلها في قصيدته (١) .

قال أبو عبيدة : اجتمع الفرزدق وجريـر وكثير وابن الرقاع عند سليمان بن عبد الملك

فقال : أنشدوني من فخركم شيئاً حسناً » . فبدر الفرزدق فقال (٢) :

وما قومٌ إذا العلماء عَدَّتْ عُرُوقَ الْأَكْرَمِينَ إِلَى التُّرَابِ (٣)

بمختلفين إن فَضَّلْتُمُونَا عليهم في القديم ، ولا غِضَابِ (٤)

ولو رَفَعَ السحابُ إليه قوما عَلَوْنَا فِي السَّمَاءِ عَلَى السَّحَابِ (٥)

فقال سليمان : « لا تنطقوا . فوالله ما ترك لكم مقالا » .

ذكر أبو عبيدة أن رجلا من بني عبد الله بن دارم خطب النوار بنت أعين بن

صَعْمَةَ (٦) بن ناجية بن عقال المجاشمية . فرضيته وجعلت أمرها إلى الفرزدق .

فقال لها : « أشهدى لى بذلك على نفسك شهودا : أنك قد رضيت بمن زوجتكم » .

فعلت : واجتمع الناس لذلك في مسجد بنى مجاشع . فتكلم الفرزدق ثم قال :

« اشهدوا أنى قد تزوجتها وأصدقتهما مائة ناقة حمراء سود الحَدَق ، فإنى أنا ابن عمها

(١) التي هجا بها جندل بن الراعى وقومه بنى قيس ، ومطلعها :

أتوعدن قيس ودون وعيـدا ثراء تميم والعوادى من الأسد

أنظر ديوانه ٢٠٧ .

(٢) ديوانه ٣٦ . النقائض : ١٠٢٨

(٣) البيت في النقائض :

وما أحد من الأقوام عدوا فروع الأكرمين إلى التراب

وفي الديوان :

فما أحد من الأقوام عدوا عروق الأكرمين على انتساب

(٤) الديوان والنقائض : محتفظين .

(٥) في هامش س والنقائض : على السحاب . وفى : مع السحاب . وفى الديوان :

ولو رفع الإله إليه قوما لحقنا بالسماء مع السحاب

(٦) س ، والنقائض ٨٠٣ ، وطبقات فحول الشعراء ٢٨٠ : ضبيعة . ولكن انظر نسب

الفرزدق ، والنوار بنت عمه ، ولذلك جعلت أمرها في الزواج إليه .

وأحق الناس بها . فبلغ ذلك النوار فأبته . واستمرت من الفرزدق وجزعت ، ولجأت إلى بني قيس بن عاصم المنقرى . فقال فيهم (١) :

بني عاصم لا تُلجِثوها فإنكم مَلَجِي السَّوَاتِ دُئِمُ الْعَمَامِ (٢)

بني عاصم لو كان حياً أبوكم للام بنيه اليوم قيس بن عاصم (٣)

فقالوا للفرزدق : « والله ، لئن زدت على البيتين لنقتلنك غيلة » .

فنافرته النوار إلى عبد الله بن الزبير ، وأرادت الخروج إليه . فتحاى الناس كراءها . ثم إن رجلاً من بني عدى بن زيد مناة يقال له زهير بن ثعلبة ، وقوما يعرفون ببني أم النسيير أكرّوها ، لأنها كانت بينها وبينهم قرابة ، وسألتهم بالرحم التي تجمعهم . فقال في ذلك (٤) :

ولولا أن يقول بنو عدى أليست أم حنظلة النوار (٥)

أنتكم يا بني ملكان عني قواف لا تقسمها التجار (٦)

يعنى بالنوار هنا بنت جُل (٧) بن عدى بن عبد مناة (٨) ، ومنهم أم حنظلة بن

مالك ، وهي إحدى جداته .

(١) النقاظ ٨٠٣ ، وليس في الديوان .

(٢) ب ، س : لا تجنّبوها . وألبأه : عصمه .

(٣) النقاظ : حبا لديكم .

(٤) النقاظ ٨٠٣ . وفي الديوان بيتان مماثلان ٢٣٩ مع اختلاف حركة الروى ، وهما :

لولا أنت تقول بنو عدى أليست أم حنظلة النوار

إذن لآتى بنى ملكان قول إذا ما قيل أنجد ثم غارا

(٥) غ : ألم تك أم حنظلة النوار .

(٦) ب ، س : تقسمها الجار . النقاظ :

إذن لآتى بنى ملكان منى قواذف لا تقسمها التجار

(٧) جل : كذا في غ ، والنقاظ ، وتاج العروس (جلد - دول) . وفي ص : حمل تحريف .

(٨) كذا في غ ، وهو الصواب . وفي ص : زيد مناة ، خطأ . (انظر معجم القبائل العربية

لعمر رضا كحالة : عبد مناة بن كنانة ، وملكبان بن كنانة) وتاج العروس ٧ : ٣٢٧ .

وقال لبني أم النسيير^(١) :

لعمري لقد أردي النوارَ وساقها
أطاعتُ بني أم النسييرِ فأصبحتُ
وقد سخِطتُ مني نوارُ الذي ارتضى
وإنَّ أمراً أمسى يُحبُّ زوجتي
ومن دون أبواب الأسودِ بسالةٌ
وإنَّ أمير المؤمنينَ لعالمٌ
فدونكها يا بن الزبيرِ فإنها
إلى النورِ أحلامٌ خفافٌ عقولها^(٢)
على قتبٍ يملو الفلاةَ دليلها^(٣)
به قبلها الأزواجُ ، خابَ رحيلها^(٤)
كأشٍ إلى أسدِ الشرى يستبيلها^(٥)
وبسطةُ أيدٍ يمنعُ الضيمَ طولها^(٦)
بتأويلِ ما وصى العبادَ رسولها^(٧)
مولمةٌ يوهي الحجارةَ قيلها^(٨)

(١) ديوانه ٦٠٣ ، النقائض ٨٠٤ ، طبقات فحول الشعراء ٢٨١ ، كامل المبرد ٧٥٦ .

(٢) ص : أودى النوار ، والذي في كتب اللغة أن أودى تتعدى بالباء . وفي الديوان والنقائض

نوار . ب ، س : إلى البو ، الديوان : قليل عقولها .

(٣) يبدو أن ابن سلام وأبا الفرج ، وابن منظور بعدها ، جمعوا في هذا البيت شطرا من

بيت وشطرا من آخر ، فرواية الشعر في الديوان والنقائض :

مُعارضة الرُّكبانِ في شهرِ ناجِرِ
على قتبٍ يملو الفلاةَ دليلها

أطاعت بني أم النسيير فأصبحت
على شارف ورفاء صعب ذلولها

والقتب : رحل البعير .

(٤) غ : النوار .

(٥) الديوان : فإن امرأ يسمى غ ٩ : ٣٢٦ : تحب زوجتي وغ والديوان : كساع لى

أسد الشرى . يحب زوجتي . يفسدها على . والشرى : موضع ببلاد العرب تكثر به الأسود .
ويستبيلها : يأخذ بولها .

(٦) ب ، س : أبواب الأسود . الديوان : وصوله أيد .

(٧) الشطر الأول في الديوان : فإن أبا بكر لإمامك عالم .

(٨) الطبقات :

تأمل أمير المؤمنين فإنها مولهة يوهي الحجارة قبلها

ومولمة : من الولم ، وهو الكذب . والقتيل : القول .

فلما قدمت مكة نزلت على زوجة عبد الله بن الزبير ، وهي تماضر بنت منظور
ابن زبَّان الفزاري واستشفعت بها إلى زوجها عبد الله . وانضم الفرزدق إلى حمزة بن
عبد الله بن الزبير ، وأمه بنت منظور هذه . ومدحه فقال (١) :

أصبحتُ قد نزلتُ بحمزة حاجتي إنَّ المنوَّةَ باسمه الموثوقُ (٢)
بأبي عمارةٍ خيرٍ من وطئ الحصى وجرتُ له في الصالحين عروقُ (٣)
بين الحوارى الأعرَّ وهاشمٍ ثم الخليفة بعدُ والصدِّيقِ (٤)
وقال في نوار (٥) :

هلمِّي لابن عمك لا تكوني كمختارٍ على الفرسِ الحمارِ (٦)
وقال في حمزة (٧) :

يا حمز ، هل لك في ذي حاجةٍ غرِضتُ أنضأوه بمكانٍ غيرٍ ممطورٍ (٨)
فأنت أحرى قريش أن تكون لها وأنت بين أبي بكرٍ ومنظورٍ (٩)
بين الحوارى والصدِّيق في شُعبٍ نبتن في طيب الإسلامِ والخيِرِ (١٠)
وجعل أولاد عبد الله بن الزبير يستنشدونه ويستجدونونه . ثم شفَعوا له إلى أبيهم .

(١) ديوانه ٥٧٠ ، النقائض ٨٠٥ .

(٢) غ والنقائض : أمسيت .

(٣) الديوان : زخرت له في الصالحين عروق .

(٤) غ : الأعر . وفي البيت إقواء .

(٥) ديوانه ٣٨٦ . النقائض ٨٠٥ .

(٦) الديوان والنقائض : هلم لي ابن عمك لا تكوني .

(٧) ديوانه ٣٠٨ .

(٨) كذا روی البيت في الديوان . وفي س ، ب ، ج : عرضت أنضأه بمكان غير

ممطور . و غرِضت : هزلت بعد سمن ، فبقي جسدُها نبتن . والأنضاء : جمع نضوء ، وهو البعير المهزول

(٩) الديوان : وأنت .

(١٠) غ : نبتن في طنْب .

فجعل يُشفِّمهم في الظاهر ، حتى إذا صار إلى زوجته قلبته عن رأيه فقال إلى النوار .
فقال الفرزدق (١) :

أما بنوه فلم تقبل شفاعتهم وشفعت بنت منظور بن زبانا (٢)
ليس الشفيع الذي يأتيك مؤتزا مثل الشفيع الذي يأتيك عريانا (٣)

فبلغ ابن الزبير ذلك . فلقيه على باب المسجد ، فضغط حلقه حتى كاد أن يقتله
ثم خلاه وقال (٤) :

لقد أصبحت عرسُ الفرزدق ناشزا ولو رضيت رمحَ استيه لاستقرت (٥)
ثم دعا بالنوار وقال : « إن شئت ، فرقتُ بينكما وقتلتُهُ ، فلا يهجوننا أبدا .
وإن شئت ، سقرتُهُ إلى بلاد المدو » . فقالت : « ما أريد واحدة منهما » . فقال :
« إنه ابن عمك وهو راعب فيك ، أفزوجه إياك ؟ » قالت : « نعم » . فزوجه إياها ،
وكان الفرزدق يقول : « خرجنا متباغضين ، ورجعنا متحابين » .

وقيل : إنهما سَفَر بينهما رجال من بني تميم كانوا بكرة . فاصطلحا على أن يرجعا
إلى البصرة ، فلا يجمهما ظلّ ولا كَنّ حتى يراجما في أمرهما ذلك بني تميم ، وبصيرا
إلى حكمهم . فلما صار إلى البصرة ، رجعت إليه النوار بحكم عشيرتها .

وقيل : إن ابن الزبير قال للفرزدق : « جئني بصدافها وإلا فرقت بينكما » .
فقال الفرزدق : « أنا في بلاد غربة ، فكيف أصنع ؟ » فقالوا (٦) : « عليك بسلم

(١) ديوانه ٨٧٣ . النقااض ٨٠٥ . طبقات فحول الشعراء ٢٨٢ .

(٢) الطبقات : أما البنون . الديوان : فلم تنجح شفاعتهم .

(٣) الطبقات : متزا . والمتزر والمؤتزر : لابس المتزر ، أى الثوب .

(٤) البيت لجرير . (ي ٣١٤) وينسب أيضا لجعفر بن الزبير (ي ٣١٩) . وانظر ديوان

جرير ٨٨ .

(٥) الطبقات : ألا أصبحت . وفي غ : مرة والنقااض : ألا تأسكم عرس الفرزدق جامعاً .

(٦) كذا في غ وهو الصواب . وفي ص : فقال .

ابن زياد فإنه محبوس في السجن يطالبه ابن الزبير بمال . فأتاه فقص عليه القصة . فقال : « كم صداقها ؟ » قال : « أربعة آلاف درهم » . فأمر له بها وبالفين للنفقة . فقال الفرزدق (١) :

دَعَى مُغْلِقِ الْأَبْوَابِ دُونَ فِعَالِهِمْ وَلَكِنْ تَمَشَّى بِي هَيْبَتٍ إِلَى سَلْمٍ (٢)
إِلَى مَنْ يَرَى الْمَعْرُوفَ سَهْلًا سَبِيلُهُ وَيَفْعَلُ أَعْمَالَ الرِّجَالِ الَّتِي تَنْمِي (٣)

وقيل : إن الفرزدق قال لعبد الله بن الزبير : « إنما حكمت على لأفارفها فتنب أنت عليها » . وكان ابن الزبير حديداً (٤) فقال : « وهل أنت وقومك إلا جالية العرب ! » ثم أمر به فأقيم . وأقبل علينا ثم قال : « إن بني تميم كانوا وثبوا على البيت قبل الإسلام بمائة وخمسين سنة فاستلبوه . فأجمعت العرب عليهم لما انتهكت منه مالم ينتهكه أحد قط . فأجلتهم من أرض تهامة » .

قال : فلقى الفرزدق بعض الناس فقال : « أيعبرنا ابن الزبير بالجلاء ! اسمع » . ثم قال (٥) :

فَإِنْ تَغْضَبَ قَرِيضٌ أَوْ تَغْضَبَ فَإِنَّ الْأَرْضَ تُوعِبُهَا تَمِيمٌ (٦)
هُمْ عِدَدُ النُّجُومِ ، وَكُلُّ حَيٍّ سِوَاهُمْ لَا تُعَدُّ لَهُ نَجُومٌ (٧)
أَعْبَدَ اللَّهُ ، مَهْلًا عَنْ أَدَاتِي ! فَإِنِّي لَا الضَّعِيفُ وَلَا السُّثُومُ

(١) ديوانه ٧٧٥ .

(٢) الديوان : ولكن تمشى . وهببت : فقدت بنيك ت ، د ٩ : ٣٣٠ : ومرى تمشى .

(٣) الديوان : ويعقل أخلاق الرجال التي تنمي . ت ، د ٩ : ٣٣٠ : أفعال الكرام .

(٤) حاد المزاج .

(٥) لم أجده في ديوانه .

(٦) توعبها : تأخذها جميعها . وفي د ٩ : ٣٢٨ : ثم تغضب . الأرض ترعاها .

(٧) د ٩ : ٣٢٨ : لهم نجوم .

ولكّتي صفاة لم تدّس تزلّ الطيرُ عنها والعصوم^(١)

فذلك حين خرج ابن الزبير وغمز على عنقه فكاد يذوقها ، وأنشد :

* لقد أصبحت عرس الفرزدق ... *

وقيل : إن الذي كان تقرر عليه عشرة آلاف درهم ، وإن سلم بن زياد أمر له بمشرين ألف درهم مهرا ونفقة : فقبضها . فقالت له زوجته أم عثمان بنت عبد الله بن عمرو بن أبي العاص الثقفية^(٢) : « أعطى عشرين ألف درهم وأنت محبوس ! » فقال :

ألا بكرت عرسي تلوم سفاهة
على مامضى منى وتأمر بالبخل
فقلت لها ، والجود منى سجيّة :
وهل يمنع المعروف سؤ الله مثلى ؟
ذربني فإني غير تارك شيمتي
ولا مقصر طول الحياة عن البذل^(٣)
ولا طارد ضيفي إذا جاء طارقا
وقد طرق الأضياف شيخى من قبلى^(٤)
أبخل ! إن البخل ليس بمخلدي
ولا الجود يذنيبي إلى الموت والقتل^(٥)
أبيع بني حرب بآل خويلد !
وما ذاك عند الله في البيع بالعدل^(٦)
وليس ابن مروان الخليفة مشيها
لفحل بني العوام ، قبّح من فحل^(٧)

(١) الصفاة : الحجر الصلد الضخم الأملس لا يثبت شيئا . والعصوم : لعله جمع عصم ، وهي الظباء . وفي د ٩ : ٣٢٨ : لم تؤبس ، أى تكسر .

(٢) د ٩ : ٣٣١ : أم عثمان بنت عبد الله بن عثمان بن أبي العاص الثقفية .

(٣) د ، ت : ولا مقصر عن الساحة والبذل .

(٤) د : فقد .

(٥) د : ليس بمخلد .

(٦) خويلد : الجد الثاني لابن الزبير .

(٧) د :

وأشرى ابن مروان الخليفة طائما
بنجل بني العوام ! قبّح من نجل

فإن تُظهِروا لي البخل آلَ خويلد فإدا بُكم دأبي ولا شكلكم شكلي^(١)
 وإن تقهروني حين غابت عَشيرتي فمن عَجَب الأيام أن تقهروا مثلي^(٢)
 فلما اصطلحا ورضيت به ، ساق إليها مهرها ودخل بها وأحبها ، قبل أن يخرج
 من مكة . ثم خرجا وهما عديلان في محمل .

وكانت تُساوره^(٣) وتخالفه ، لأنها كانت سالحة حسنة الدين . وكانت تـكـره
 كثيرا من أمره . فتزوج عليها حدراء بنت زريق بن بسطام بن قيس بن مسعود بن
 [قيس بن] خالد بن ذى الجدين - وهو عبد الله - بن عمرو بن الحارث بن همام
 ابن مُرّة بن ذهل بن شيبان وقيل : زيق هو بسطام بن قيس . فتزوجها على مائة من
 الإبل . فقالت له النوار : « وبلك ، أتزوجت أعرابيةً دقيقة الساقين بوالّة على عقيها
 بمائة ناقة » . فقال يفضّلها عليها ويميرها بأمها ، وكانت أمة^(٤) :

لجارية بين السليل عروفتها وبين أبي الصهباء من آل خالد^(٥)
 أحقُّ بإعلاء المهوور من التي ربّت وهى تزوي حجور الولائد^(٦)
 ومدحها أيضا فقال^(٧) :

عقيلةٌ من بنى شيبان يرفعها دعائمٌ للُملا من آلِ همام^(٨)

(١) د : فادلكم دلي .

(٢) د : حيث غابت .

(٣) تساوره : توائبه . وفي ت : تشاره .

(٤) ديوانه ١٨١ . والنقائض ٨٠٦ .

(٥) السليل : كذا في خ ٩ : ٣٣٢ ، ت ، والديوان ، وهو أخو بسطام بن قيس ، وفي ص

السلول ، تحريف . وأبو الصهباء : بسطام .

(٦) ربّت : نمت وكبرت . تزوي : تثب . والولائد : الجوارى والعبيد .

(٧) ديوانه ٧٦٠ ، النقائض ٨٠٦ .

(٨) د ، ت ، والنقائض : ترفعها .

من آل مُرَّةَ بين المُستضاء بهم من رَهْطِ صَيْدٍ مَصَالِيَتٍ وَحُكَّامٍ (١)
بين الأَحَاوِصِ من كَلْبٍ مُرَّ كَبَّهَا وبين قَيْسِ بنِ مَسْعُودٍ وَبِسْطَامٍ (٢)
وأغضب النوار بمدحه ضرتها . فقالت : « والله ، لأخزبنك يا فاسق » . وبعثت
إلى جرير فجاءها . فقالت : ألا ترى ما قال لي الفاسق ! « وشكته إليه . فقال
جرير : « أنا أ كُفَيْكِهِ » . وقال من أبيات (٣) :

لست بمُعْطِي الحُكْمِ عن شِفِّ مَنصِبٍ ولا عن بنات الحَنظَلِيَّينِ راعِبٍ (٤)
وهن كِأَنَّ المُرْنَ يُشْفِي به الصَّدَى وكانت مِلاحا غَيْرَ هُنِ المِشارِبِ (٥)
لقد كنتُ أَهْلًا - أن تسوقَ دِيَاتِكُمْ إلى آلِ زَبِقٍ - أن يَعْيَبَكَ عَائِبٍ (٦)
وما عَدَلْتُ ذاتُ الصَلِيبِ ظَعِيمَةً عُتَيْبَةٌ والرَّدْفانُ مَنها وَحاجِبٍ (٧)
أهديتُ يازِيقَ بنِ بِسْطامٍ ظَبيَّةً إلى شَرِّ مَن تُهْدَى إليه الرِّعائِبُ! (٨)

(١) النقائض : من بين صيد . الديوان : من رؤساء مصاليت وحكام . والصيد : جمع أصيد وهو التكبير رافع الرأس . والمصاليت : جمع مصلات ومصلت ، وهو الرجل الماضى فى الحوائج .
(٢) س : ومركبها ، تحريف . والأحاوص : جمع أحوص ، وهم عوف ، وعمرو ، وشريح ، وأولاد الأحوص بن جعفر .

(٣) ديوانه ٤٢ . النقائض ٨٠٧ . طبقات فحول الشعراء ٣٣٥ .

(٤) غ : ولست . والشف : النقصان . الطبقات : فلا أنا معطى .

(٥) النقائض والديوان : أراهن ماء المزن يشفى به الصدى . غ : يشفى . والصدى : العطش

(٦) غ : لئن كنت . النقائض والديوان : لاذ تسوق .

(٧) عتبية : كذافى ، والديوان والنقائض . وفى س ، ب ، س : عينسة ، تحريف .

والظعينة : المرأة ، وأصلها المرأة على البعير . وعتبية : ابن الحارث بن شهاب اليربوعى فارس مضر فى زمانه . والردفان : عتاب بن هرمى اليربوعى وابنه عوف . وحاجب : ابن زرارة بن عدس الدارمى .

(٨) النقائض والديوان : يازيق بن زريق غريبة لى شرماء . غ ، والديوان والنقائض : الغرائب .

والرغائب : جمع رغبية ، وهى الأمر المرغوب فيه ، والعطاء الكثير .

الارُبَمَا لم نَمَطْ زَيْقًا بِحُكْمِهِ وَأَدَى إِلَيْنَا الْحَكْمَ وَالغُلَّ لِأَزْبِ (١)
 حَوَيْنَا أَبَا زَيْقٍ وَزَيْقًا وَنَمَّه وَجَدَّةَ زَيْقٍ قَدْ حَوَتْهَا الْمَقَابِ (٢)
 فَأَجَابَهُ الْفَرَزْدَقُ (٣) .

أَلَسْتَ إِذَا الْقَعْسَاءُ أُنْسَلَتْ ظَهْرُهَا إِلَى آلِ بَسْطَامٍ بِنِ قَيْسٍ بِخَاطِبِ؟ (٤)
 فَغَلَّ مِثْلَهَا مِنْ مِثْلِهِمْ ثُمَّ أُمَّهُمْ بِمِلْكِكَ مِنْ مَالِ مُرَاحٍ وَعَازِبِ (٥)
 وَإِنِّي لِأَخْشَى إِنْ خَطَبْتَ إِلَيْهِمْ عَلَيْكَ الَّذِي لَاقَى يَسَارُ الْكَوَاعِبِ

يسار : كان عبدا لبني غُدانة (٦) ، فأراد مولانته على نفسها ، فنهته مرة بعد مرة ، فألح عليها فوعده ، فجاء فقالت : « إني أريد أن أبجرك ، فإن رأحتك متغيرة » ، فوضعت تحته بحجر مرة وقد أعدت له مديفة حادة . فأدخلت يدها فقبضت على ذكره ، وهو يرى أن ذلك لشيء ، فقطعته بالمديفة . فقال : « صبرا على بحامر الكرام » . فذهبت مثلا .

وَقَالُوا : سَمِعْنَا أَنْ حَدْرَاءَ زُوِّجَتْ عَلَى مَائَةٍ شَمِّ السُّدْرَا وَالْعَوَارِبِ (٧)
 وَلَوْ كُنْتَ مِنْ أَكْفَاءِ حَدْرَاءَ لَمْ تَلْمُ عَلَى دَارِمِيٍّ بَيْنَ لَيْلَى وَغَالِبِ (٨)

(١) الغل : القيد . لازب : لازم .
 (٢) المقاب : جمع مقب ، وهو جماعة الخيل ما بين الثلاثين أو الأربعين أو زهاء الثلاث مائة
 (٣) ديوانه ١١١ . النقائض ٨١٣ . طبقات فحول الشعراء ٣٣٥ .
 (٤) ب ، س : القعساء مرت براكب . والقعساء : الداخلة الصلب العظيمة البطن ، يصف ناقه .
 (٥) ٩٤ : ٣٣٤ . ثم لمهم ، الديوان والنقائض : ثم لمهم بمالك . وانظر الطبقات والتعليق عليها
 وأممهم : اقصدهم . والمراح : الذي أربح على أهله من الرعي ليلا فبات عند أربابه . والعازب :
 الذي يبني بيت في الرعي .
 (٦) ص : لأبي غُدانة ، تحريف .
 (٧) الديوان والنقائض : فقالوا . ب ، س : وشم الذرا . وشم الذرا : مرتفعة الأسممة .
 والعوارب : جمع غارب ، وهو مقدم السنام .
 (٨) الديوان والنقائض : فلو .

ولو قَبَلُوا مِنِّي عَطِيَّةَ سَقْتِهِ
إلى آلِ زَيْقٍ مِنْ وَصِيفٍ مُتَّارِبٍ^(١)
هُمُ زَوْجُوا قَبْلِي ضِرَارًا وَأَنْكَحُوا
لَقِيطًا ، وَهُمْ أَكْفَاؤُنَا فِي الْمُنَاسِبِ
وَلَوْ تَنَكَّحَ الشَّمْسُ النُّجُومَ بَنَاتِهَا
إِذْنًا لَنَكَّحْنَا هُنَّ قَبْلَ الْكَوَاكِبِ^(٢)
وَقَالَ جَرِيرٌ أَيْبَاتَهُ الَّتِي أَوْلَاهَا^(٣) :

يَا زَيْقُ أَنْكَحْتَ قَيْمًا فِي اسْتِهِ حَمَمٌ

يَا زَيْقُ ، وَيَحْكُ ! مَنْ أَنْكَحْتَ ، يَا زَيْقُ !^(٤)
أَيْنَ الْأَلَى أَنْزَلُوا النِّعْمَانَ ضَاحِيَةً
يَارُبُّ قَائِلَةٌ بَعْدَ الْبِنَاءِ بِهَا :
أَمْ أَيْنَ أَبْنَاءَ شَيْبَانَ الْغَرَانِيقُ ؟^(٥)
غَابَ الْمُثَنَّى فَلَمْ يَشْهَدْ نَجِيحًا
وَالْفَرَزْدَقُ يَقُولُ لَجَرِيرٍ^(٦) :

إِنْ كَانَ أَنْفُكَ قَدْ أَعْيَاكَ مَحْمِلُهُ
فَارْكَبْ أَتَانَكَ ثُمَّ أَخْطِبْ إِلَى زَيْقٍ

(١) المقارب: الدون، أو الوسط بين الجيد والردى .
(٢) غ : نكحنا بنات الشمس قبل الكواكب .
(٣) ديوانه ٣٩٤ . النقااض ٨١٨ . طبقات فحول الشعراء ٣٣٣ . وفي الديوان بيتان قبل البيت المذكور .

(٤) النقااض والديوان : باسته . الديوان : ما أنكحت . ورواية ابن سلام تقتضى أن البيت ملفق من اثنين ها :

يَا زَيْقُ ! قَدْ كُنْتَ مِنْ شَيْبَانَ فِي حَسَبِ
يَا زَيْقُ وَيَحْكُ مِنْ أَنْكَحْتَ يَا زَيْقُ
أَنْكَحْتَ وَيَلِكُ قَيْمًا بِاسْتِهِ حَمَمٌ
يَا زَيْقُ وَيَحْكُ ! هَلْ بَارَتْ بِكَ السُّوقُ

(٥) الطبقات: استزلوا النعمان ٩٥ : ٣٣٤ : النعمان مقسرا . النقااض : نعمان . والنعمان ابن المنذر ملك الحيرة . والغرائق : جمع غرنوق ، وهو الشاب التام الممتلىء الناعم .

(٦) المثني : ابن حارثة الشيباني أول من حارب الفرس في عهد أبي بكر الصديق . والحوفزان الحارث بن شريك بن الصلب . ومفروق : الحارث بن الصلب ، أو النعمان بن عمرو الأصم ، وكلهم من سادات شيبان (الطبقات) .

(٧) ديوانه ٥٩٨ . النقااض ٨١٩ :

وكان الفرزدق قد دخل على الحجاج يَسْتَمِجِيهِ مهر حدراء لما تزوجها . فقال له :
« أتزوجت أعرابية على مائة ناقة ؟ » فقال له عنبسة بن سعيد : « إنما هي فرائض
قيمتها ألفا درهم ، الفريضة عشرون درهماً » . فقال له الحجاج : « ليس غيرها .
يا أبا كعب ^(١) ، أعط الفرزدق ألفي درهم » . قال : ثم قدم الفضل ^(٢) العنزى بصدقات
بكر بن وائل . فاشترى الفرزدق مائة بعير بألفين وخمسمائة درهم ، على أن يثبتها
في الديوان .

قال الفرزدق : فصليت مع الحجاج الظهر ، حتى إذا سلم خرجت فوقفت في الدار ،
فرآني فقال « مَهَيْمٌ ؟ » فقلت : « إن الفضل العنزى قدم بصدقات بكر بن وائل ،
وقد اشتريت منه مائة بعير بألفين وخمسمائة درهم ، على أن تحتسب له بها في الديوان .
فإن رأى الأمير أن يأمر لي بإثباتها في الديوان ، فعل » . فأمر أبا كعب أن يثبت للفضل
ألفين وخمسمائة درهم . ونسى ما كان أمر له به .

قال : فلما جاء الفرزدق بالإبل ، قالت له النوار : « خسرت صفتك ! أتزوج
نصرانية سوداء مهزولة حشاء الساقين ^(٣) على مائة من الإبل ! » وأبت النوار عليه
أن يسوقها كلها . فحبس بمضها ، وأمّات عليها ما يحتاج إليه أهل البادية ، ومضى
ومعه دليل يقال له أوفى بن خنزير ، أحد بني التميم بن شيبان بن ثعلبة . فلما كانوا
ببعض الطريق رأوا كبشاً مذبوحاً . فقال : « يا أوفى ، هلكت والله حدراء » .
قال : « مالك بذلك علم ! » فلما وصلا ، قال له بعض أهلها : « هذا البيت فانزل .
وأما حدراء فقد هلكت . وقد عرفنا الذي يصيبك في دينك من ميراثها ،

(١) غ : يا كعب .

(٢) غ والنقائض : الفضيل .

(٣) حشاء الساقين : دقيقتها .

وهو النصف ، فهو لك » . فقال : « والله ، لا أرزأُ من ذلك قِطْميراً^(١) . وهذا صداقها فاقبضوه » . فقال زيق : « يا بني دارم ، ما صاهرنا أكرم منكم في الحياة ، ولا أكرم منكم شركة في المات » . فقال الفرزدق^(٢) :

عَجِبْتُ لِحَادِيْنَا الْمُقَحِّمِ سَيْرِهِ بِنَا مُزْحِفَاتٍ مِنْ كَلَالٍ وَظُلْمَا^(٣)
 لِيُدْنِيْنَا مِنْ إِلَيْنَا لِقَاؤُهُ حَبِيبٌ ، وَمِنْ دَارِ أَرْدُنَا أَنْتَجَمَا
 وَلَوْ نَعْلَمُ الْغَيْبَ الَّذِي مِنْ أَمَامِنَا لَكَّرَبْنَا الْحَادِي الْمَطِيِّ وَأَمْرَعَا^(٤)
 يَقُولُونَ زُرْحَدَاءَ ، وَالتُّرْبُ دَوَّهَا وَكَيْفَ بِشَيْءٍ وَصَلَهُ قَدْ تَقَطَّعَا
 يَقُولُ ابْنُ خَنْزِيرٍ : بِكَيْتٍ وَلَمْ تَكُنْ عَلَى امْرَأَةٍ عَيْنِي إِخَالُ لَتَدَمَّعَا
 وَأَهْوَنُ رُزْءٌ لِامْرَأَةٍ غَيْرِ جَاذِعٍ رَزِيئَةٌ مُرْتَجِّجِ الرَّوَادِفِ أَفْرَعَا^(٥)
 وَلَسْتُ - وَإِنْ عَزَّتْ عَلَيَّ - بِزَائِرٍ تُرَابًا عَلَى مَرْمُوسَةٍ قَدْ تَضَعَضَمَا^(٦)
 وحدرات هذه هي التي يقول فيها الفرزدق^(٧) :

عَزَفَتْ بِأَعْيَاشٍ وَمَا كِدْتَ تَعْرِفُ وَأَنْكَرْتَ مِنْ حَدَرَاءَ مَا كُنْتَ تَعْرِفُ
 وقيل : إن النوار كانت استعمانت بأم هانم لا بماضر ، وأم هانم أخت تماضر ، لأن تماضر ماتت عند عبد الله ، بعد أن ولدت له حُبيبا وثابتا ابني عبد الله بن الزبير ، وتزوج بعدها أختها أم هانم ، فولدت له هاشما وحمزة وعبادا . وفي أم هانم يقول الفرزدق^(٨) :

(١) أرزأُ : أصيب . والقطمير : القشرة الرقيقة بين النواه والقرية .

(٢) ديوانه ٥٢٢ . النقائض ٨٢١ .

(٣) ٩٥ : ٣٣٥ : بنا موجفات . المقحم : السائر أشد السير . والمزحف من الإبل : الذي

قد أعيا فلا يستطيع السير . والطلع : جمع ظالم ، وهو الأعرج .

(٤) غ : فأسرعا . والديوان والنقائض : ولولعلم العلم . . الركاب فأسرعا .

(٥) الديوان والنقائض : غير عاجز . والأفرع : الطويل الشعر .

(٦) ب ، س : عزت لى . والمرموسة : المدفونة . وتضعع : اطمان .

(٧) ديوانه ٥٥١ . النقائض ٥٤٨ .

(٨) لم أجد لها في ديوانه .

تَرَوَّحَتْ الرُّكْبَانُ يَا أُمَّ هَاشِمٍ وَهُنَّ مُنَاخَاتٌ لهنَّ حَنِينٌ
 وَجُبُّسَنَ حَتَّى لَيْسَ فِيهِنَّ نَافِقٌ لِيَبِيعَ ، وَلَا مَرْكُوبُهُنَّ سَمِينٌ ^(١)
 وَمَكَّتْ النُّوَارَ عِنْدَ الفَرَزْدَقِ تَرْضَى عَنْهُ أَحْيَانًا وَتُخَاصِمُهُ أَحْيَانًا . وَمَا قَالَتْ فِيهَا ^(٢) :
 مُتَخَاصِمُنِي وَقَدْ أَوْلَجْتُ فِيهَا كُرَاسَ الصَّبِّ يَلْتَمَسُ الجَّرَادَا ^(٣)
 وَكَانَتْ النُّوَارُ امْرَأَةً صَالِحَةً . فَلَمْ تَزَلْ تَشْمِئُ مِنْهُ وَتَقُولُ لَهُ : « وَيْحَكَ ! أَنْتَ تَعْلَمُ
 إِنَّمَا تَزَوَّجْتَ بِي ضَغْطَةً ^(٤) وَعَلَى خُدْعَةٍ ! » وَلَا تَزَالُ فِي كُلِّ ذَلِكَ حَتَّى حَلَفَتْ ^(٥) بِبَيْمِينِ
 مُوَبَّقَةٍ ، ثُمَّ خَبِثَتْ ^(٦) وَتَجَنَّبَتْ فِرَاشَهُ . فَتَزَوَّجَ عَلَيْهَا امْرَأَةً مِنَ النَّمْرِ بْنِ قَاسِطٍ يُقَالُ لَهَا
 رَهْمِيمَةٌ ^(٧) بِنْتُ عُمَانَ ^(٨) بِنْتُ دَرِّهَمٍ ^(٩) مِنَ الْبَرَايِيعِ ، قَوْمٌ فِي بَنِي مِرَّةَ بْنِ عَبَّادٍ ، مِنَ النَّمْرِ
 ابْنِ قَاسِطٍ ، وَأُمُّهَا الخَمِيصَةُ ^(١٠) مِنَ بَنِي الحَارِثِ بْنِ عَبَّادٍ ^(١١) . فَنَافَرَتْهُ الخَمِيصَةُ ، وَاسْتَعَدَّتْ
 عَلَيْهِ ، فَأَنكَرَهَا الفَرَزْدَقُ وَقَالَ : « إِنَّهَا مِنِّي بَرِيءٌ طَالِقٌ » . وَطَلَّقَ ابْنَتَهَا وَقَالَ ^(١٢) :
 إِنْ الخَمِيصَةُ كَانَتْ لِي وَلَا ابْنَتَهَا مِثْلَ المِهْرَاسَةِ بَيْنَ النَّمْلِ وَالْقَدَمِ ^(١٣)

(١) ت ، غ ، ٩ : ٣٣٠ : وخيسن .

(٢) ديوانه ١٩٥ . النقائض ٨٠٥ .

(٣) النقائض ، ٩٥ : ٣٢٧ : تخاصمني النوار وغاب فيها .

(٤) ضغطة : على كره .

(٥) كذا في غ . وفي ص : في كل ليلة قد حلقت .

(٦) غ : موثقة ثم حثت .

(٧) غ : جهيمة .

(٨) د ٩ : ٣٤٣ النقائض ٥٩٥ : غنيم .

(٩) كذا في النقائض ، د ، وهامش ص . وفي ص : لإبراهيم .

(١٠) د : الخميصة . الحارث بن عباد : كذا في النقائض د ، وفي ص : الحارث بن كعب .

وانظر شعر الفرزدق الآتي .

(١١) ديوانه ٨٤٥ . النقائض ٥٩٥ .

(١٢) المهراسة : كذا في الديوان والنقائض ، د ٩ : ٣٤٣ . وفي ص : الفراشة . والمهراسة

شوك كأنه حسك .

إذا أنتُ أهملها منى مطلقةً^(١) فلن أزد عليها زفرة الندم^(١)
ولما تزوج رهيمة جمل يأتي النوار وبه ردع الخلق^(٢) وعليه الأثر . فقالت له
نوار : « هل تزوجت إلهادية ! » تعني حيا من أزد عمان . فقال الفرزدق^(٣) :
تريك نجومَ الليلِ والشمسُ حيةً^(٤) كرامُ بناتِ الحارثِ بنِ عبّادِ^(٤)
نساءُ أبوهنَّ الأعزُّ ولم تكن من الأزدِ في أجبالها وهُدادرِ^(٥)
ولم يكُ في الحىِّ الغموصِ محلها ولا في العُمانيين رهطِ زيادِ^(٦)
أبوها الذي أدنى النمامةَ بعدما أبتْ وائلٌ في الحربِ غيرِ تَمادى^(٧)
عدلتُ بها مئيلَ النوارِ فأصبحتُ مُقاربةً لى بعدَ طولِ إمّادِ^(٨)
ولستُ وإنْ أنبأتُ أنى أحبها إلى دارِمياتِ النجّارِ جيادِ

(١) النقائض :

إن تأتِ بنتك من بيتي مطلقةً فلن تردى عليها زفرة الندم

(٢) الخلق : ضرب من الطيب . وردعه : أثره في الجسد .

(٣) ديوانه ١٥٩ . النقائض ٥٩٥ .

(٤) الديوان :

أراها نجومَ الليلِ والشمسُ حيةً زحامُ بناتِ الحارثِ بنِ عبّادِ
والنقائض :

سوف يريك النجمَ والشمسُ حيةً زحامُ بناتِ الحارثِ بنِ عبّادِ
و ٩٠ د : ٣٤٣ :

أرتك نجومَ الليلِ والشمسُ حيةً زحامُ بناتِ الحارثِ بنِ عبّادِ

(٥) غ والديوان : الأعز . غ وهامش ص . من الأزد في جاراتها . ٩ د : ٣٤٣ ، الديوان

والنقائض : من الحت في أجبالها .

(٦) الديوان ، د : ولم يكن الجوف الغموص محلها . ولا في الهجاريين رهط زياد . والغموص

المحتقر المتهاون به .

(٧) غ : قاد النعامه . والنعامه : فرسه .

(٨) النقائض . أقت بها ، غ والديوان : وقد رضيت بالنصف بعد إمّاد .

(٩) الديوان : وليست وإنْ أنبأت . .

يعنى بأبيها الذى أدنى النعمة الحارث بن عباد ، وأراد قوله :
* قرَّباً مربوط النعمة منى ^(١) *

فلم تزل النوار تستعطفه وترقِّفه حتى أجاب إلى طلاقها . وأخذ عليها ألا تفارقه ،
ولا تبرح منزله ، ولا تتزوج بعده ، ولا تمنعه من مالها ما كانت تبذله . وأخذت عليه
أن يشهد الحسن البصرى بطلاقها . ففعل ذلك . فاستصحب أبا شَفَقْل راويته
ورواية آخره ، وأتوا الحسن البصرى . فقال له : « ما تشاء ؟ » قال : « لتشهد أن
النوار طالق ثلاثاً » . فقال له الحسن : « قد شهدنا » . فلما انصرف قال :
« يا أبا شَفَقْل قد ندمت » . فقال : « والله ، إني لأظن أن دمك يتفرق ، أتدرى
من أتمهدت ؟ والله ، لئن رجعت لترجمن بأحجارك » . فمضى وهو يقول ^(٢) :

ندمتُ ندامةَ الكُسعِيِّ لما غَدَتُ منى مطلقَةً نوارُ ^(٣)
ولو أنى ملكتُ يدي وقلبي لكان علىَّ للقَدَرِ الخِيارُ ^(٤)
وكانتُ جَنَّتِي تخرُجُ منها كآدمَ حينَ أخرجَه الضَّرارُ ^(٥)
وكنْتُ كفراقٍ عينيهِ عمداً فأصبح ما يُضِيءُ له النهارُ ^(٦)

قال إبراهيم بن محمد بن سعد بن أبي وقاص الزهرى : قدم الفرزدق المدينة

(١) انظر الخبر والشعر في كامل المبرد ٩٥٤ .

(٢) ديوانه ٣٦٣ . طبقات فحول الشعراء ٢٦٧ . كامل المبرد ١٠٧ .

(٣) الطبقات : مضى منى ، والكسعى : رجل عرف بحسن الرماية ووطن ذات مرة أنه أخطأ

الإصابة فكسر قوسه وسهامه ثم اكتشف إصابته فعضمت حسرته وندامته ، وضرب بها التل .

(٤) الكامل : يدي ونفسي . والشطر الأول في الطبقات : ولو ضنت يداي بها ونفسي .

والبيت في الديوان :

ولورضيت يداي بها وقرت لكان لها على القدر الخيار

(٥) الطبقات : وكانت جنة . وفي الديوان : حين ليج به الضرار . الضرار : العصيان والمخالفة .

(٦) الكامل : لا يضيء .

في إمرة أبان بن عثمان بن عفان^(١) . فإني والفرزدق وكثيرٌ جلوس في المسجد تتناشد الأشعار ، إذ طلع علينا غلام شخّث آدم^(٢) ، في ثوبين مُمَصَّرين - أي مصبوعين بصفرة غير شديدة . فجاء إلينا فقال : « أيكم الفرزدق ؟ » فقلت مخافة أن يكون من قريش : « أهكذا تقول لسيد العرب وشاعرها ! » فقال : « لو كان كذلك ، لم أقل هكذا » . فقال له الفرزدق : « من أنت ، لا أم لك ؟ » قال : « رجل من الأنصار ، من بني مالك بن النجار . ثم أنا ابن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم . بلغني أنك تزعم أنك أشعر العرب ، وتزعم مضر ذلك لك . وقد قال صاحبنا حسان بن ثابت شعرا ، فأردت أن أعرضه عليك ، وأؤجِّلك سنة . فإن قلت مثله فأنت أشعر العرب ، وإلا فأنت كذاب منتحل » ثم أنشد قول حسان^(٣) :

* ألم تَسْأَلِ الرَّبْعَ الجَدِيدَ التَّكْلُمَا *

حتى بلغ إلى قوله :

وأَبَقِيَ لَنَا مَرُّ الحُرُوبِ ورُزُوقُهَا سيموفا وأدراعا وجَمَا عَرَمَرَمَا^(٤)
مَتَى مَا تَرُدُّنَا مِنْ مَعَدِّ عَصَابَةٍ وغسانَ نَمْعُ حَوْضَنَا أَنْ يُهْدَمَا^(٥)
قوله : وغسان : قَسَمَ أقسَمَ به ، لأنَّ غسان لم تسكن تغزوهم مع معد :
لَنَا حَاضِرٌ فَعَمٌّ وَبَادٍ كَأَنَّهُ شمَارِيخُ رَضْوَى عِزَّةً وَتَكَرَّمَا^(٦)
أَبَى فَعِلْنَا المَعْرُوفَ أَنْ نَنطِقَ الخَنَا وقائلُنَا بِالعُرْفِ إِيَّا تَكْلُمَا^(٧)

(١) من سنة ٧٥ إلى ٨٢ هـ .

(٢) الشخث : الدقيق الضامر من غير هزال . وآدم : أسمر .

(٣) ديوانه ٤ .

(٤) غ : وجعا عرمرما .

(٥) الديوان : متى ما تزرنا من معد بعصبة .

(٦) فعم : مليء والشماريخ : جمع شمراخ ، وهو رأس الجبل . رضوى : جبل قريب من يثيب

(٧) العرف : المعروف .

وَلَدْنَا بَنِي الْعَنْقَاءِ وَابْنِي مَحْرَقٍ فَأَكْرِمُ بِنَا خَالَا وَأَكْرِمُ بِنَا ابْنَمَا^(١)
 نُسُودُ ذَا الْمَالِ الْقَلِيلِ إِذَا بَدَتْ مَرُوءَتُهُ فِينَا وَإِنْ كَانَ مُدْمَا
 وَإِنَّا لَنَقْرِي الضَّيْفَ إِنْ جَاءَ طَارِقًا مِنْ الشَّحْمِ مَا أَمْسَى صَحِيحًا مُسَلَّمًا
 لَنَا الْجَفْنَاتِ الْغُرُّ يَلْمَعْنَ بِالضَّحَى وَأَسْيَافُنَا يَقَطْرُنَ مِنْ نَجْدَةٍ دَمَا

وأنشده القصيدة إلى آخرها وقال: « قد أجتك في جوابها حولا ». ثم انصرف.

وانصرف الفرزدق مغضبا يسحب رداءه لا يدري أية طريقة يذهب^(٢) حتى خرج

من المسجد . فأقبل كثير على وقال : « قاتل الله الأنصارى ! ما أفصح لهجته ، وأوضح حجته ، وأجود شعره ! » .

ولم نزل في حديث الفرزدق والأنصارى بقية يومنا . حتى إذا كان الغد ، خرجت

من منزلي فأتاني كثير فجلس معي . فإنا لتتذاكر الفرزدق ونقول : « ليت شعري ،

ما فعل ؟ » إذ طلع علينا في حلة أفواف يمانية موشاة ، له غديران ، حتى جلس مجلسه

بالأمس . ثم قال : « ما فعل الأنصارى ؟ » قال : فنلنا منه وشتمناه . فقال : « قاتله

الله ! ما رُميت بمثله ، ولا سمعت بمثله شعره ! فارتكبا فأتيت منزلي . فأقبلت أصوب

وأصعد في كل معنى من الشعر ، فكأنني مفحم لم أقل شعرا قط ، حتى إذا نادى

المنادى بالفجر ، رحلت ناقتي ، وأخذت بزمامها حتى أتت ذبابا - وهو جبل بالمدينة .

ثم ناديت بأعلى صوتي : أخاكم ! أخاكم ! يعني شيطانه . فجاش صدري كما يجيش

الرجل . فعمقت ناقتي وتوسدت ذراعها . فأقت حتى قلت مائة وثلاثة عشر بيتا^(٣) .

فبينما هو ينشدنا ، إذ طلع الأنصارى . فسلم علينا ثم قال : « أما إنني لم آتِك لأعجلك

عن الأجل الذي وقته لك ، ولكنني أحببت ألا أراك إلا أسألك : أي شيء صنعت ؟ »

(١) غ : فأكرم بنا خالا وأكرم بنا ابنا . الديوان : وأكرم بنا ابنا .

(٢) كذا في ي . وفي ص : لا يدري إليه طرفيه . ب ، س : لا يدري أنه طرفه .

(٣) تضم القصيدة في الديوان ٥٥١ والنقائض ٥٤٨ : ١٢١ بيتا .

فقال : « اجلس ا » ثم أنشده :

عزفتَ بأعشاشٍ وما كدتَ تعزِفُ وأنكرتَ من حدراءٍ ما كنتَ تعرفُ
ولجَّ بك الهجرانُ حتى كأنما ترى للوتِ في البيتِ الذي كنتَ تألفُ (١)

حتى بلغ قوله :

ترى الناسَ ما سرُّنا يسرونَ خلفنا وإن نحنُ أو مانأنا إلى الناسِ وقَّفوا (٢)

فلما فرغ الفرزدق من إنشاده ، قام الأنصاري كئيها . فلما توارى ، طلع أبوه أبو بكر بن محمد [بن عمرو] بن حزم في مشيخة من الأنصار . فسلموا علينا وقالوا : « يا أبا فراس ، قد علمت حاننا ومكاننا من رسول الله صلى الله عليه وسلم - ووصيته بنا . وقد بلغنا أن سفينا من سفينا تمرض لك . فأسألك بالله (٣) : كما حفظت فيما وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم - ووهبته لنا ، ولم تفضحنا ! » قال إبراهيم ابن محمد : وأقبلتُ أكلمه أنا وكثير ، فلما أكثرنا عليه قال : « اذهبوا ، فقد وهبتكم لهذا القرشي » .

قال سليمان بن عبد الملك للفرزدق : « أشدني أجود شعر عملته » . فأنشده :

* عزفتَ بأعشاشٍ وما كدتَ تعزِفُ *

فقال : « زدني » . فأنشده (٤) :

ثلاثٌ واثنتانِ فتلكَ خمسٌ وواحدةٌ تميلُ إلى الشَّامِ (٥)

فبينَ بجانيَّ مصرعاتٍ وبتُّ أفضُّ أَعلاقَ الخِتامِ (٦)

(١) الديوان والنقائض : تليف ، وهي لهجة تميمية في : تألف .

(٢) الديوان : إلى النار .

(٣) غ : فنسألك بالله ، وهي ألبق .

(٤) ديوانه ٨٣٥ . النقائض ١٠٠٥ طبقات فحول الشعراء ٣٨ .

(٥) الديوان والنقائض والطبقات : فبن خمس . . وسادسة . والشام : القبل والرشف .

(٦) النقائض : وبتن جنابتي .

فقال له سليمان : « ما أراك إلا قد أحللت نفسك للعقوبة ، أقررت بالزنا عندي وأنا إمام ولا تريد مني إقامة الحد عليك ! » فقال : « إن أخذت في بقول الله عز وجل لم تفعل » . قال : « وما قال ؟ » قال : « قال الله تبارك وتعالى ^(١) : « والشعراء يتبعهم الغاؤون . ألم تر أنهم في كل واد يهيمون . وأنهم يقولون ما لا يفعلون » . فضحك سليمان وقال : « تلافيتها ودرأت عنك الحد » . وخلق عليه وأجازه .

وقف الفرزدق على جميل وهو ينشد ^(٢) :

ترى الناس ما سرنا يسرون خلفنا وإن نحن أوامنا إلى الناس وقفوا
فأسرع الفرزدق له وقال : « أنا أحق بهذا البيت منك » . قال : « أنشدك الله ، يا أبا فراس ! » فضى الفرزدق وانتحله .

قال أبو عبيدة في كتاب النقائص ^(٣) : قال رؤبة بن العجاج : حجّ سليمان ابن عبد الملك وحجت معه الشعراء . فر بالمدينة منصرفا . فأتى بأسرى من الروم نحو أربعمائة . فعمد سليمان ، وعنده عبد الله بن حسن بن حسن عليهم السلام ، وعليه ثوبان ممصّران ^(٤) ، وهو أقرّبهم منه مجلسا . فأذّنوا إليه بطريقهم وهو في جامعة ^(٥) . فقال لمبد الله بن حسن « قم فأضرب عنقه » . فقام فما أعطاه أحد سيفا حتى دفع إليه حرسى سيفا كليلًا . فضربه فأبان عنقه وذراعه ، وأطن ^(٦) ساعده وبهض النمل . فقال له سليمان : « والله ما ضربته بسيفك ولكن بحسبك » . وجعل يدفع الأسرى إلى الوجوه فيقتلونهم ، حتى دفع إلى جرير رجلا منهم . فدمست إليه بنو عبس سيفا

(١) سورة الشعراء ، الآيات ٢٢٤ - ٢٢٦ .

(٢) ديوانه ١٣٨ .

(٣) ص ٣٨٣ .

(٤) مصبوغان بصفرة غير شديدة .

(٥) القيد يجمع بين اليدين والرجلين .

(٦) قطع .

قاطعا في قراب أبيض . فضر به فأبان رأسه . ودُفع إلى الفرزدق أسير ، فدست إليه القيسية سيفا كليلا . فضرب به الأسير ضربات فلم يصنع شيئا . فضحك سليمان وضحك الناس معه . وقيل : إن سليمان لما دفع إليه الأسير دفع إليه سيفا وقال : « اقتله به » . فقال : « لا ، بل اقتله بسيف مجاشع » . واحترب سيفه فضر به ، فلم يُغن شيئا . فقال له سليمان : « أما والله لقد بقي عليك عارها وشنارها » . فقال جرير قصيدته التي يهجو فيها وأولها (١) :

أَلَا حَيُّ رَبِّعِ النَّزْلِ الْمُتَقَادِمِ وَمَا حُلٌّ مُدُّ حَلَّتْ بِهِ أُمُّ سَالِمِ
منها :

الم تشهد الجونين والشعب ذا الغضى وكرات قيس يوم دير الجاجم (٢)
تحرض يا ابن القين قيسا ليجمعوا لقومك يوما مثل يوم الأراقم (٣)
بسيف أبي رغوان سيف مجاشع ضربت ولم تضرب بسيف ابن ظالم (٤)
ضربت به عند الإمام فأرعشت يدك ، وقالوا : مُحدث غير صارم
فقال الفرزدق يجيب جريرا عن قوله (٥) :

وهل ضربة الرومي جاعلة لكم أبا عن كليب أو أبا مثل دارم (٦)

(١) ديوانه ٥٥٩ . النقائض ٣٩٤ . طبقات فحول الشعراء ٣٤٢ .

(٢) الديوان والنقائض : ولم تشهد . ذا الصفا . . وشدا قيس ي ١٥ : ٢٧٣ : والشعب والصفا والجونان : عمرو ومعاوية ابنا الجون . والغضى : شجر . ويوم دير الجاجم : موقعة هائلة بين ابن الأشعث الثائر على الأمويين وجندهم .

(٣) الديوان والنقائض : تحرض . أي تحرض قيسا ليهزموا قومك مثل هزيمتهم الأراقم من

بن تغلب .

(٤) أبو رغوان : كنية مجاشع بن دارم جند الفرزدق . وابن ظالم : الحارث المري كان

من أبطال العرب وفتاكهم .

(٥) ديوانه ٨٥٨ النقائض ٣٨٣ . طبقات فحول الشعراء ٣٤٢ .

(٦) ي ١٥ : ٢٧٤ ، والديوان والنقائض والطبقات : فهل .

كذلك سيوفُ الهندِ تنبُو ظبَاتُهَا وتقطعُ أحيانا مَنَاطَ التَّمَائِمِ^(١)
ولا تقتلُ الأَسْرَى ولكنْ نَفُكْهُمْ إذا أَثْقَلَ الأَعْنَاقَ حَمْلُ المَغَارِمِ^(٢)

وقال يعرض بسليمان، ويعيره نبوَّ سيف ورفاء بن زهير العبسي عن خالد بن جعفر،
وبنو عبس هم أخوال سليمان^(٣) :

فإن يكُ سيفُ خانٍ أو قَدْرٌ أُنِي بتمجِيلِ نفسٍ حَتْفُهَا غيرُ شَاهِدِ^(٤)
فسيفُ بنِي عبسٍ وقد ضربوا به نبا بيدي ورفاء عن رأس خالد
كذلك سيوفُ الهندِ تنبُو ظبَاتُهَا وتقطعُ أحيانا مَنَاطَ القلائدِ^(٥)
وأولها :

تباشرُ يربوعٌ بنبوةٍ ضربةٍ ضربتُ بها بين الطلأ والمَحَارِدِ^(٦)
ولو شدتُ قَدَّ السيفِ ما بين عُنْقِهِ إلى علقَى بين الحِجَابَيْنِ جامِدِ^(٧)
وقيل : إن الفرزدق قال لسليمان : « يا أمير المؤمنين ، هب لي هذا الأسير » .

فوهبه له . فأعتقه وقال الأبيات التي منها :

ولا تقتلُ الأَسْرَى ولكنْ نَفُكْهُمْ إذا أَثْقَلَ الأَعْنَاقَ حَمْلُ المَغَارِمِ

(١) الديوان والنقائض : ويقطعن .

(٢) الديوان والنقائض : فلا .

(٣) ديوانه ١٨٦ ، ٢١٢ : النقائض ٣٨٤ . طبقات فحول الشعراء ٣٤١ .

(٤) الديوان والنقائض : إن يك . الطبقات : قدر أني لتأخير نفس . النقائض : لتأخير

نفس . الديوان : وتأخير نفس ي ١٥ : ٢٧٥ : أني بتأخير نفسي ، وشاهد : حاضر . وفي ،
والديوان أيضا :

فإن يذب سيف أو تراخت منية لميقات نفس حتفها غير شاهد

(٥) الديوان والنقائض والطبقات : ويقطعن . الديوان : نياط القلائد .

(٦) المحارِد : كذا في الديوان ، وفي ص : الحرائد . وفي ١٥ : ٢٧٥ : الحدائد . والطلا :

الأعناق أو أصولها . والمحارِد : جمع محرد وهو مفصل العنق .

(٧) العلق : الدم ، أو الجامد منه .

ثم أقبل على راويته فقال : « كَأَنِّي وَابْنُ الْمِرَاغَةِ وَقَدْ بَلَغَهُ خَبْرِي فَقَالَ :
 بِسَيْفِ أَبِي رَعْوَانَ سَيْفٍ مُجَاشِعٍ ضَرَبْتُ وَلَمْ تَضْرِبْ بِسَيْفِ ابْنِ ظَالِمٍ
 ضَرَبْتُ بِهِ عِنْدَ الْإِمَامِ فَأَرَعَشْتُ يَدَاكَ وَقَالُوا مُحَدَّثٌ غَيْرُ صَارِمٍ
 فَمَا لَبِئْنَا إِلَّا أَيَّامًا سِيرَةً حَتَّى جَاءَنَا الْقَصِيدَةُ فِيهَا الْبَيْتَانِ . فَمَجَّبْنَا مِنْ فِطْنَةِ
 الْفَرَزْدَقِ .

وقال أيضا في ذلك (١) :

أَيَعَجِبُ النَّاسُ أَنْ أَضْحَكَتْ خَيْرَهُمْ خَلِيفَةَ اللَّهِ يُسْتَسْقَى بِهِ الْمَطَرُ (٢)
 فَمَا نَبَأَ السَّيْفُ عَنْ جُبْنٍ وَعَنْ دَهْشٍ عِنْدَ الْإِمَامِ وَلَكِنْ أُخِرَ الْقَدَرُ (٣)
 وَلَوْ ضَرَبْتُ بِهِ عَمْدًا مُقْلَدُهُ نَحَرَ جِثْمَانِهِ مَا فَوْقَهُ شَعْرٌ (٤)
 وَمَا يُقَدِّمُ نَفْسًا قَبْلَ مِيتَتِهَا جَمْعُ الْيَدَيْنِ وَلَا الصَّمَامَةُ الذِّكْرُ (٥)
 وَكَانَ لِلْفَرَزْدَقِ أَخٌ لَيْسَتْ لَهُ نِبَاهَةٌ ، وَيَلْقَبُ بِالْأَخْطَلِ . فَأَعْقَبَ ابْنًا يُقَالُ لَهُ مُحَمَّدٌ .

فَاتِ وَالْفَرَزْدَقِ حَى فِرْثَاهُ .

ولما قدم خالد إلى العراق أميرا ، أمر على شَرَطِ البصرة مالك بن المنذر بن
 الجارود . وكان عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر (٦) يدعى على مالك قرية (٧) ، فأبطلها
 خالد . وحفر النهر الذي سماه نهر المبارك . فقال الفرزدق (٨) :

(١) ديوانه ٣٦١ . النقائض ٣٨٥ .

(٢) أضحك الناس . ي ١٥ : ٢٧٦ : أضحكت سيدهم .

(٣) النقائض والديوان : وما نبا سيف من جن ولا دهش . ي ١٥ : ٢٧٦ : ولاددهش

(٤) الديوان : ولو ضربت على عمد مقلده .

(٥) الديوان : ما يجعل السيف نفسا قبل ميتتها . والصمصامة : السيف الذي لا ينثني ، واسم

سيف عمرو بن معد يكرب البطل المعروف . والذكر : الحاد القاطع .

(٦) كذا في غ و الطبقات ٢٩٤ ، وهو الصواب . وفي : عبد الأعلى بن عبد الله بن مالك .

(٧) كذا في الطبقات . وفي ص ، غ : قرية .

(٨) ديوانه ٦٠٠ ، ٦٠١ . النقائض ٧٥١ . طبقات فحول الشعراء ٢٩٤ .

أَهْلَكَتَ مَالَ اللَّهِ فِي غَيْرِ حَقِّهِ عَلَى النَّهْرِ الْمَشْتُومِ غَيْرِ الْمُبَارَكِ (١)
 وَتَضْرِبُ أَقْوَامًا صِحَاحًا ظُهُورَهُمْ وَتَتْرِكُ حَقَّ اللَّهِ فِي ظَهْرِ مَالِكَ (٢)
 إِنْ تَفَاقَ مَالِ اللَّهِ فِي غَيْرِ كُنْهِهِ وَمَنْعًا لِحَقِّ الْمُرْمَلَاتِ الضَّرَائِكِ (٣)

فكتب خالد إلى مالك لما بلغته الأبيات : أن احبس الفرزدق ، فإنه هجانهر أمير المؤمنين . فأرسل مالك إلى أبي أيوب بن عيسى الضبي (٤) وقال : « اتنى بالفرزدق » . فلم يزل يعمل معه حتى أخذوه . فطلب أن يروا به على بنى حنيفة . فقال الفرزدق : « مازلت أرجو أن أنجو حتى جاوزت بنى حنيفة » . فلما قيل لمالك : « هذا الفرزدق » . انتفخ وريده غضبا . فلما دخل عليه قال (٥) :

أَقُولُ لِنَفْسِي حِينَ غَضَّتْ بَرِيْقَهَا أَلَا لَيْتَ شِعْرِي مَا لَهَا عِنْدَ مَالِكَ (٦)
 لَهَا عِنْدَهُ أَنْ يَرْجِعَ اللَّهُ رُوحَهَا إِلَيْهَا وَتَنْجُو مِنْ عَظِيمِ الْمَهَالِكِ (٧)
 وَأَنْتَ ابْنُ جَبَّارِي رَيْمَةَ أَدْرَكْتُ بِكَ الشَّمْسَ وَالْخَضِرَاءَ ذَاتَ الْجَبَائِكِ (٨)

فسكن مالك وأمر به إلى الحبس . فقال يهجو [أبا] أيوب بن عيسى الضبي (٩) :

فَلَوْ كُنْتُ ضَبِيًّا إِذْنُ مَا حَبَسْتَنِي وَلَكِنْ زَنْجِيًّا غِلَظًا مَسَافِرُهُ (١٠)

(١) غ ، والطبقات : على نهرك .

(٢) الطبقات : براء ظهورهم : والديوان : صحاحا ظهورها .

(٣) ب ، س ، والديوان : الضوانك . والمرملات : اللاتي فقد زادهن . والضرائك : جمع ضريكة ، وهي الفقيرة البائسة المهالكة من سوء الحال .

(٤) غ : أيوب بن عيسى الضبي .

(٥) ديوانه ٥٩٩

(٦) الديوان : أقول لنفس لايجاد بمثلها .

(٧) الديوان : يرجع اليوم . . حذار المهالك . وفي غ : جميع المهالك .

(٨) س : أدركا . الديوان : حقت بك الشمس في الخضراء ذات الجبائك . والخضراء :

يريد السماء . والجبائك : الطرق .

(٩) لم أجد لها في ديوانه .

(١٠) ب ، س : كنت قيسيا .

مَتَّتْ لَهُ بِالرَّحْمِ بَيْنِي وَبَيْنَهُ فَأَلْفَيْتُهُ مِنْهُ بَعِيداً أَوْاصِرُهُ (١)
 وَقَلْتُ: امْرُؤٌ مِنْ آلِ ضَبَّةَ، فَأَعْتَرَى لغيرهم لُونُ اسْتِهِ وَمَحَاجِرُهُ (٢)
 ثم مدح مالك بن المنذر - وهو محبوس - مديحاً كثيراً، منه قوله من أبيات (٣):
 يَامَالِ، هَلْ هُوَ مُهْلِكِي مَا لَمْ أَقُلْ! وَلَتَعْرِفَنَّ مِنَ الْقِصَائِدِ قِيْلِي (٤)
 يَامَالِ، هَلْ لَكَ فِي كَبِيرٍ قَدْ أَتَتْ تَسْمُونَ، فَوْقَ يَدَيْهِ غَيْرَ قَلِيلٍ؟ (٥)
 فَتَجَزُّ نَاصِيَتِي وَتَكْشِفُ كُرْبِي عَنِّي وَتُطْلِقُ لِي يَسْدَاكَ كُبُولِي (٦)
 وَلَقَدْ بَنَى بَنِي لَسْكَمِ الْمُعَلَّى ذِرْوَةَ رَفَعْتَ بِنَاءَكَ فِي أَشْمٍ طَوِيلِ (٧)
 وَالْحَيْلُ تَعْلَمُ فِي جَذِيمَةَ أَنهَا تَرْدِي بِكُلِّ سَمِيدِعٍ بُهْلُولِ (٨)
 فَاسْقُوا فَقَدْ مَلَأَ الْمُعَلَّى حَوْضَكُمْ بِذَنُوبٍ مُلْتَمِهِمُ الذَّنَابِ سَجِيلِ (٩)
 فلما لم ينفعه مدحُه مالكا قال لابنه كَبُطَّةَ وهو محبوس: « اشْخَصْ إِلَى هِشَامِ »

(١) غ: فألفيته مني .

(٢) اعتزى: انتسب .

(٣) ديوانه ٦٨٠ .

(٤) الديوان: هل أنا مهلكي . غ: وليعلمن . الديوان: وليعرفن . وقيل: قولي .

(٥) الديوان: هل لك في أسير .

(٦) غ والديوان: وتفرج كربتي . والكبول: القيود .

(٧) الديوان:

ولقد نمت بك للمعلى سورة رفعت بناءك في أشم طويل

(٨) الديوان:

والحيل تعرف من جذيمة أنها تعدو بكل سميدع بهلول

تردى: تمشى بين العدو والسير . والسميدع؛ السيد الكريم الشريف السخي الموطن الأكناف

والشجاع . والبهلول: السيد الجامع لكل خير .

(٩) الذناب: كذا في الديوان . وفي س، غ: الرباب . والذناب: جمع ذنوب، وهو الدلو

المملوءة . والسجيل: الضخم .

ومدحه بقصيدة . وقال له : « استمن بالقيسية ، ولا يمنعك قولى فيهم فإنهم سينغضون لك ^(١) » . وقال قصيدته التى أولها ^(٢) :

بكت عين محزونٍ وطال سجامها وطالت ليالى ساهيٍ لا ينأماها ^(٣)
 فإن تبكٍ لا تبك المصيبات إذ أنى بها الدهرُ والأيامُ جمَّ خصامها ^(٤)
 ولكننا تبكى تهتك خالدٍ محارمَ منا لا يجلُّ حرامها ^(٥)
 فقلُ لبني مروانَ : ما بال ذمةٍ وحرمةٍ حقٍ ليس يرعى ذمامها؟ ^(٦)
 أنقتل فيكم أن قتلنا عدوكم على دينكم والحربُ باقية قتامها ^(٧)
 أنار بقتل ابن الهلب خالدٍ وفيما بقيت الهدى وإمامها؟ ^(٨)
 فغيرٍ - أمير المؤمنين - فإنها يمانية حمقاء ، أنت هشامها
 أرى مضر المصيرين قد ذل نصرها ولكن عسى ألا يذل شامها ^(٩)
 فمن مبلغ بالشام فيسا وخندا أحاديث ما يشفى برء سقامها
 أحاديث منها نشتكها إليهم ومظلمة يغشى الوجوه ظلامها ^(١٠)

- (١) ينغضون : ينكرون ، لعله أراد إنكارهم لحبسه . وفى غ والطبقات : سيفغضون .
 (٢) ديوانه ٧٩٠ . طبقات فحول الشعراء ٢٩٥ . وفى الديوان أن الفرزدق قال القصيدة عندما قتل المنذر بن الجارود عمر بن يزيد الأسيدى بأمر من خالد بن عبد الله القسرى .
 (٣) غ والطبقات : ففاض سجامها . الديوان : فطال انسجامها . ب ، س ، والديوان ، والطبقات : ليالى حادث .
 (٤) الديوان والطبقات : فإن تبك لا تبك .
 (٥) الطبقات : ولكننا تبكى تهتك . الديوان : ولكننا تبكى تهتك .
 (٦) الديوان : وحرمة حل .
 (٧) الديوان : إذ قتلنا . والحرب باد . والدين : الطاعة . والقنام : الغبار .
 (٨) الديوان : ونار .
 (٩) الديوان : ولكن فيسا لا يذل شامها . والمصران : البصرة والكوفة .
 (١٠) ي : الوجوه قتامها .

فَإِنَّ مَنْ بِهَا لَمْ يُنْكِرِ الضَّيْمَ مِنْهُمْ
 كَبَتَتْ مِثْلَهَا مِنْ مِثْلِهِمْ وَتَسَكَّلُوا
 بِنَبَلَاءٍ مِنْ مُجْهَرِهَا مُضْرِبَةً
 وَبِيضٍ عَلَى هَامِ الرِّجَالِ كَأَنَّهَا
 غَضِبْنَا لَكُمْ يَا آلَ مَرْوَانَ فَغَضَبُوا
 وَلَا تَقْطَعُوا الْأَرْحَامَ مِنَّا فَإِنَّهَا
 أَلَمٌ نَكَ فِي الْأَرْحَامِ مِنَّا وَمِنْكُمْ
 فَرَعَى فَرِيشٌ مِنْ تَمِيمٍ قَرَابَةً
 وَقَدْ عَلِمْتَ أَفْنَاءَ خِنْدِفٍ أَنَّنَا
 وَقَدْ عَلِمَ الْأَحْيَاءُ مِنْ كُلِّ مَوْطِنٍ
 وَأَنَا إِذَا الْحَرْبُ الْعَوَانُ تَضَرَّمَتْ
 قَوَامِ قَوَى الْإِسْلَامِ وَالْأَمْرِ كُلِّهِ
 إِلَى اللَّهِ تَشْكُو عِزَّنَا الْأَرْضُ فَوْقَهَا
 شَكْتُنَا إِلَى اللَّهِ الْعَزِيزِ فَاسْمَعَتْ
 نَصُولُ بِحَوْلِ اللَّهِ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ
 فَأَعَانَتْهُ الْقَيْسِيَّةُ وَقَالُوا : « كَلَمَا كَانَ نَابٌ مِنْ مِضْرٍ أَوْ شَاعِرٍ أَوْ سَيِّدٍ وَثَبَ عَلَيْهِ

فَيَمْنُضَبَ مِنْهَا كَهَلْمِهَا وَغُلَامِهَا
 فَيَعْلَمُ أَهْلُ الْجَوْرِ كَيْفَ انْتِقَامِهَا
 تُزَابِلُ مِنْهَا أُذْرَعُ الْقَوْمِ هَامُهَا ^(١)
 كَوَاكِبُ يَجْلُوهَا لِسَارٍ ظَلَامِهَا
 عَسَى أَنْ أَرْوَاحًا يَسُوغُ طَعَامِهَا
 ذُنُوبٌ مِنَ الْأَعْمَالِ يُخَشَى أَنْمَامِهَا ^(٢)
 حَوَاجِزُ أَيَّامٍ عَزِيزِ مَرَامِهَا ^(٣)
 وَتَجْزِي بِأَيَّامٍ كَرِيمٍ مَقَامِهَا
 ذُرَاهَا وَأَنَا عِزُّهَا وَسَنَامِهَا ^(٤)
 إِذَا عَدَّتِ الْأَحْيَاءُ أَنَا كِرَامِهَا
 نَلَيْهَا إِذَا مَا الْحَرْبُ شُبَّ ضِرَامِهَا
 وَهَلْ طَاعَةٌ إِلَّا تَمِيمٍ قِوَامِهَا ^(٥)
 وَتَعْلَمُ أَنَا ثِقَلُهَا وَغَرَامِهَا
 قَرِيبًا ، وَأَعْيَا مِنْ سِوَاهُ كَلَامِهَا ^(٦)
 إِذَا خِيفَ مِنْ مَصْدُوعَةٍ مَا التَّغْنَامِهَا

خالد ! » .

(١) ي : جمهورنا مضربة يزابل : وفي والديوان : فيها أذرع .

(٢) الأنام : العقوبة .

(٣) الديوان : في الإسلام . . حواجز أركان .

(٤) الديوان : أبناء خندف ، ي : لقد علمت .

(٥) الديوان : عرا الإسلام .

(٦) كذا في ي والديوان . وفي ص : شكونا إلى الله ، خطأ .

وكتب الفرزدق إلى سعيد بن الوليد الأبرش بأبيات ، فكلّم له هشاما .
والأبيات (١) :

إلى الأبرش السكبي أسندت حاجةً توأكلها حيّا تميمٍ ووائلـ
على حين أن زلت بي النملُ زلّةً وأخلف ظني كلُّ حافٍ وناعل (٢)
فدونكها يا ابن الوليد فإنها مفضّلةٌ أصحابها في المحافل (٣)
ودونكها يا ابن الوليد فقم بها مقام امرئٍ في قومه غيرِ خامل (٤)
فكتب هشام بتخليته . فقال الفرزدق يمدح الأبرش :

لقد وثب السكبيُّ وثبةً حازمٍ إلى خيرِ خلقِ الله نفساً وعُنصراً
إلى خيرِ أبناءِ الخلائفِ لم يجد لحاجته من دونها متأخراً (٥)
أبي حلفُ كلبٍ في تميمٍ وعقدُها كما سنّت الآباءُ ، أن يتغيّرا
وكان هذا الحلف قديماً بين تميم وكتب في الجاهلية وذلك قول جرير في هذا الحلف
بعينه (٦) :

تميمٌ إلى كلبٍ ، وكتبٌ إليهمُ أحقُّ وأدنى من صداءٍ وحميرٍ (٧)
وقال الفرزدق (٨) :

ألم ترَ قيساً قيسَ عَمِلانَ شمّرت لنصرى وحاطتني هناك قُرومها (٩)

(١) طبقات فحول الشعراء ٢٩٦ . ولم أجدها في ديوانه .

(٢) ب ، س ، والطبقات : فأخلف .

(٣) الطبقات : فدونكهم ، ودونكها : خذها ، يصف قصيدته .

(٤) غ والطبقات : قيام امرئ .

(٥) غ والطبقات : أبناء الخليفة .

(٦) ديوانه ٢٤٢ ، والنقائض ٩٩٤ .

(٧) الديوان والنقائض : نزار إلى كلب . وصداء وحمير : قبيلتان يمنيتان .

(٨) ديوانه ٧٦١ . طبقات فحول الشعراء ٢٩٧ .

(٩) القروم : جمع قرم ، و٩٠ والسيد الشريف المعظم .

فقد حَالَفْتُ قَيْسَ عَلَى النَّاسِ كُلِّهِمْ تَمِيمًا ، فَهَمَّ مِنْهَا ، وَمِنْهَا تَمِيمِيهَا
وَعَادَتْ عَدُوِّي ، إِنْ قَيْسًا لِأَسْرَتِي وَقَوْمِي ، إِذَا مَا النَّاسُ عُدُّ صَمِيمِيهَا

قال الفرزدق : لما طردني زياد ، أتيت المدينة وعليها مروان بن الحكم^(١) .
فبلغه أني خرجت من دار ابن صياد ، وهو رجل يزعم أهل المدينة أنه الدجال ، فليس
أحد يكلمه ولا يجالسه . ولم أكن عرفتُ خبره . فأرسل إلى مروان فقال : « أتدرى
مأمثلُك ؟ حديثٌ تَحَدَّثُ بِهِ الْعَرَبُ : أَنَّ ضَبْعًا مَرَّتْ بِحَيِّ قَوْمٍ قَدِ رَحَلُوا . فَوَجَدَتْ
مَرَأَةً ، فَظَنَرَتْ وَجْهَهَا فِيهَا . فَلَمَّا رَأَتْ قَبِيحَ وَجْهَيْهَا أَلْقَتْهَا وَقَالَتْ : مَنْ شَرَّ مَا طَرَحَكَ
أَهْلُكَ . وَلَكِنْ مِنْ شَرِّ مَا طَرَحَكَ أَمِيرُكَ . فَلَا تَقِيمَنَّ بِالْمَدِينَةِ بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ » .
قال : فخرجت أريد اليمن ، حتى إذا صرت بأعلى ذى قسيّ - وهى طريق اليمن
من البصرة - إذا رجل مقبل . فقلت : « من أين أَوْضَعُ^(٢) الرَّابِ كَب ؟ » قال :
« من البصرة » . قلت : « فما الخبر وراءك ؟ » قال : « أتانا أن زيادا مات
بالكوفة » . قال : ففزت عن راحلتي فسجدت وقلت : « لو رجعت فشدحت عُبيدالله
ابن زياد وهجوت مروان » . فقلت^(٣) :

وَقَفْتُ بِأَعْلَى ذِي قَسِيٍّ مَطِيَّتِي أُمِثْلُ فِي مِرْوَانَ وَابْنَ زِيَادٍ^(٤)
فَقُلْتُ : عُبَيْدُ اللَّهِ خَيْرُهُمَا أَبَا وَأَدْنَاهُمَا مِنْ رَافِعَةٍ وَسَدَادٍ^(٥)

ومضيت لوجهي حتى أتيت بلاد بني عُقَيْل . فوردت ماء من مياهم ، فإذا بيت عظيم ،
وإذا امرأة سافرت لم أر كسنتها وهيئتها قط . فدنوت فقلت : « أتأذنين في الظل ؟ »
فقلت : « انزل فلك الظل والقري » . فأنخت وجلست إليها . فدعت جارية سوداء

(١) كان ذلك في ولايته الأولى عليها ، من ٤١ - ٤٩ هـ .

(٢) أوضع : أسرع في سيره .

(٣) ديوانه ١٨٦ .

(٤) الديوان : ذى قساء . . أمائل في مروان .

(٥) غ : خيرهما لنا . الديوان : وأدناها عرفنا لكل جواد .

كالراعية فقالت : « أَلطِيفِهِ شَيْئًا . واسمى إلى الراعى فَرُدِّي عَلَى شَاةٍ فَاذْبِحِيهَا لَهُ » .
وأخرجت إلى تمرًا وزُبدًا . وحادثتها فما رأيت مثلها قط : ما أنشدتها شعرا إلا أنشدتني
أحسن منه . فأعجبني المجلس والحديث ، إذ أقبل فتى بين بُرْدَيْنِ فلما رأته رمت بـيرقعها
على وجهها ، وأقبلت عليه بوجهها وحديثها . فدخلني من ذلك غيظ . فقلت للحين :
« يا فتى هل لك في الصِّراع ؟ » فقال : « سَوَاءٌ لَكَ ! إن الرجل لا يصارع ضيفه ! »
قال : فألححت عليه . فقالت له : « ما عليك لو لاعبت ابن عمك ؟ » فقمتمُ وقام فلما
رمى بـبرده إذا خَلَقَ عَجِيبٌ . فقلت : « هَلِكْتَ ، ورب الكعبة » . فقبض على يدي
ثم اخْتَلَجَنِي إِلَيْهِ وضرب في صدرى . ثم احتملني فوالله ما اتقيتُ الأرض إلا بظهر
كبدى ، وجلس على صدرى . قال : فما ملكت نفسي أن ضرطت ضَرْطَةً مَنكَرَةً .
وثرث إلى جملى . فقال : « أنشدك الله ! » وقالت : « عافاك الله ! إنه الظل والقرى » .
فقلت : « أخزى الله ظلمكم وقراكم ! » ومضيت . فبينما أنا أسير إذ لحقنى الفتى
على نَجِيبٍ يَجُوبُ ^(١) نجيبا برّحله وزمامه من أحسن الرِّحَالِ . فقال : « يا هذا ،
إنه ما سرّنى ما كان . وقد أراك أبدعت (أى كَلَّتْ رِكَابُكَ) فخذ هذا النجيب .
وإياك أن تُخَدَعَ عنه ، فقد أعطيت به مائتي دينار » . فقلت : « نعم ، آخذه .
ولكن أخبرنى : من أنت ؟ ومن المرأة ؟ » فقال : « أنا تَوْبَةُ بنِ الْحَمِيرِ ، وهى
ليلى الأَخِيلِيَّةُ » . وقيل : إنه لما صرعه وضرط قال : « يا أبا فِرَاس ، هذا مَقَامُ
العائذ بك . والله ، ما أردتُ ما جرى » . فقال : « ويحك ! ما بى أن صرعتنى ،
ولكن كَأَنّى بـابن الأَتَانِ (يعنى جريرا) وقد بلغه خبرى هذا ، فقال يهجونى ^(٢) :
جَلَسْتَ لَيْلَى لَيْلَى لَتَحْظَى بِقُرْبِهَا نَحْنَانَتُكَ دُبُرٌ لَا تَرَالِ تَخُونُ ^(٣)

(١) ينجب: يقود إلى جانبه .

(٢) لم أجده فى ديوانه .

(٣) يخون : كذا فى غ . وفى س : خثون . ولا يتفق مع كونه خبر لا يزال .

فلو كنت ذا حزمٍ شددت وكاءها كما شدَّ خرَّتا للدِّلاصِ قُيون^(١)
فما مضت إلا أيام حتى بلغ جريرا الخبر فقال فيه هذين البيتين .

قال الفرزدق : أصابنا بالبصرة مطر جود^(٢) ليلا . فإذا أنا بأثر دواب قد خرجت
من ناحية البرية فظننت أن قوماً خرجوا للزهة . فقلت : خائفاً أن يكون معهم
سفرة وشراب . فقصصت آثارهم حتى دفعت إلى بغال عليها رحائل موقوفة على غدير .
فأغذذت السير^(٣) نحو الغدير ، فإذا نسوة مُسنِّعات في الماء . فقلت : « لم أر كاليوم
قط ولا يوم دارة جُلجل » وانصرفت مُستحجياً منهن . فنادتني امرأة منهن :
« يا صاحب البغلة ، ارجع نسألك عن شيء » . فانصرفت إليهن وهن في الماء إلى
حلوَقهن . فقلن : « بالله لما حدثتنا بحديث دارة جلجل » . فقلت : « إن امرأ القيس
كان عاشقاً لابنة عم له يقال لها عُنيزة . فطلبها زماناً فلم يصل إليها . وكان في طاب
غرة من أهلها ليزورها ، فلم يُقَضَ له ذلك . فلما كان يوم الغدير ، وهو يوم دارة
جلجل ، احتمل الحى . فتقدم الرجال وتأخر النساء والخدم والثقل^(٤) . فلما رأى
امرؤ القيس ذلك ، تأخر بعدما سار مع قومه غلوة . فكمن في غيابة من الأرض حتى
مر به النساء وإذا فتيات وفيهن عنيزة . فلما وردن الغدير قلن : « لو نزلنا فذهب
عنا بعض الكلال » . فنزلن إليه ونحَّين العبيد عنهن ثم تجردن وانغمسن في الغدير
كهيئتكن الساعة . فأتاهن امرؤ القيس مُحْتاتلاً كما أتيتكن . وهن غوافل . فأخذ
ثيابهن فجمعها . ورمى الفرزدق بنفسه عن بغلته فأخذ أثوابهن ، فجمعها ووضعها في
صدره . وقال لهن كما أقول لكنن : « والله ، لا أعطى جارية منكن ثوبها ولو أقامت

(١) الوكاء: رباط القربة وغيرها . والحرت : الثقب . والدلاص : الدرع للمساء اللينة . والقبون :

جمع قبن ، وهو الحداد والعبد .

(٢) جود : غزير .

(٣) أغذذت السير : أسرعت .

(٤) الثقل : متاع المسافر .

في الغدير يومها حتى تخرج مجردة . قال الفرزدق : فقالت إحداهن ، وكانت أمّجَهَن : « إن امرأ القيس كان عاشقا لابنة عمه ، أفما شق أنت لبعضنا ؟ » فقال : « لا والله ، ما أعشق منكن واحدة ولكني أشتهيكن » . قال : ففَعَرَنُ (١) وصَفَّقَن بآيديهن وقلن : « خذ في حديثك فلست منصرفاً إلا بما تحب » . قال الفرزدق : « فَأَتَيْنَ تلك النسوة على امرئ القيس حتى تعالَى النهار ، وخشين أن يقصرن دون المنزل الذي أردنه . فخرجت إليه إحداهن فدفع إليها ثوبها ووضعها ناحية ، فأخذته ولبسته . وتتابعن على ذلك حتى بقيت عنيزة . فنادته الله أن يطرح إليها ثوبها . فقال : « دَعِينَا منك . فأنا حرام إن أخذتِ ثوبك إلا بيدك » . قال : فخرجت فظفر إليها مقبلة ومدبرة . فوضع لها ثوبها فأخذته . وأقبلن عليه يَمْدُلْنَهُ وَيَلْمُنُهُ ويقلن : عريتنا وحبستنا وجوعتنا . قال : فإن نجرتُ لكن راحلتى أتأكلن منها ؟ قلن : نعم . فأخترط سيفه فمقرها ونجرها وكشطها . وصاح بالخدم فجمعوا له حطباً . وأجج ناراً عظيمة . وجعل يقطع لهن من سنامها ، ومن أطايبها وكبدها ، فيلقيه على الحجر . فيأكل ويأكلن معه . ويشرب من زُكْرَةٍ (٢) كانت معه . ويفننهن . ويَبْنِدُ إليهن وإلى العبيد من الكباب حتى شبعن وطربن . فلما أرادوا الرحيل ، قالت إحداهن : « أنا أحمل طِنْفَسْتَهُ » . وقالت الأخرى : « أنا أحمل رَحْلَهُ » . وقالت الأخرى : « على حَسْبَيْتِهِ وَأَنْسَاعِهِ » . فقسمن متاع رحله بينهن . وبقيت عنيزة لم يحملها شيئاً . فقال لها امرؤ القيس : « يابنت الكرام ، لا بد أن تحمليني معك فإني لا أطيق المشى ، وليس هو من عادتي » . فحملته على غاربٍ بعيرها . فكان يُدْخِلُ رأسه في خِدْرُهَا فيقبلها . فإذا امتنعت مال حِدْجَهَا (٣) . فتقول : « يا امرأ القيس ، عقرت بعيري فانزل » .

(١) نعر : صاح بخيشومه .

(٢) الزكرة : زق الحجر .

(٣) الحدج : مركب النساء .

فذلك قوله :

تقول ، وقد مال الغبيط بنا معاً : عقرت بَميرى ، يا امرأ القيس ، فانزل^(١)
فلما فرغ الفرزدق من حديثه ، قالت له تلك الملاجنة : « قاتلك الله ! ما أحسن
حديثك ، يافتي ، وأظرفك ! فمن أنت ؟ » قلت : « من مضر » . قالت : « من أيها ؟ »
قلت : « من تميم » . قالت : « من أيها ؟ » قلت : « إلى هاهنا انتهى جوابي » . قالت :
« إخالك الفرزدق » . قلت : « الفرزدق شاعر وأنا راويته » . قالت : « دعنا من توريتك
عن تسبك . أسألك بالله : « أنت هو ؟ » قلت : « أنا هو » . قالت : « فإن كنت أنت
هو ، فلا أحسبك مُفارقاً ثيابنا إلا عن رضا » . قلت : « أجل » . قالت : « فاصرف
وجهك عنا ساعة » . وهمستُ إلى صواحبها بشيء لم أفهمه . فانفططن في الماء
فتوارين . وأبدن رءوسهن وخرجن ومع كل واحدة منهن ملء كفها طيناً وحمأة .
وجملن يتعادبن نحوى ويضربن بذلك الطين والحمأة وجهى . فلأن عيني وثيابى .
ووقعتُ على وجهى مشغولاً بعينى وما فيهما . وشددن على ثيابهن فأخذنها . وركبت
تلك الملاجنة بغلتى وتركتنى مُنبطحاً بأسوأ حال وأخزأها ، وتقول : « زعم الفتى أنه
لا بد من أن يذيكنا » . فما زُت من ذلك المكان حتى غسلت وجهى وثيابى وجففتها
وانصرفت عند مجيء الظلام إلى منزلى على قدمى . ووجهن بغلتى إلى منزلى مع رسول
لهن . وقلن : « قل له تقول لك أخواتك : طلبت منا ما لم يُمكننا ، وقد وجهنا إليك
بزوجتك فنيكها سائر ليلتك . وهذا كسر درهم يكون لحمك إذا أصبحت » .
فكان الفرزدق يقول إذا حدث بهذا الحديث : « ما مُنيت بمثلهن ! » .

لما قدم يزيد بن المهلب واسطاً^(٢) ، قال لأُمّية بن الجعد ، وكان صديق الفرزدق :
« إني لأحب أن تأتيني بالفرزدق » . فقال للفرزدق : « ماذا فاتك من يزيد ، أعظم

(١) ديوان امرئ القيس (دار المعارف بمصر) ص ١١ .

(٢) واسط : مدينة بناها الحجاج بن يوسف بين البصرة والكوفة .

الناس عفواً ، وأسخى الناس كفا ؟ » قال : « قد صدقت . ولكنى أخشى أن آتية فأجد العمانية ببابه . فيقوم رجل إلى فيقول : هذا الفرزدق هجاني ، فيضرب عنقي . فيبعت إليه يزيد فيضرب عنقه ، ويبعث إلى أهلي بديتي . فإذا يزيد قد صار أوفى العرب ، وإذا الفرزدق فيما بين ذلك قد ذهب » . ثم قال : « لا والله ، لا أفعل » . فأخبر يزيد بما قال . فقال : « أما إذ وقع هذا في نفسه فدعه لعنه الله ! » .

دخل الفرزدق مع فتيان من آل المهلب في بركة يتبرّدون فيها ، ومعهم ابن أبي علقمة الماجن . فجعل ينفلت إلى الفرزدق فيقول : « دعوني حتى أنكحه ، حتى لا يهجوننا أبداً » . وكان الفرزدق من أجبن الناس . فجعل يستغيث ويقول : « ويلكم ! لا يمسخ جلدي جلده فيبلغ ذلك جريرا ، فيوجب عليّ أنه قد كان منه الذي يقول » . فلم يزل يناشدهم حتى كفوا عنه .

وقيل : إن مشايخ الأزد وأولى النهى جاءوا . فصاحوا بابن أبي علقمة وبأولئك السفهاء . فقال لهم ابن علقمة : « ويلكم ! أطيعوني اليوم واعصوني الدهر . هذا شاعر مضر ولسانها ، وقد شتم أعراضكم وهجا ساداتكم . والله ، لا تناولون من مضر مثلها أبداً » . فخالوا بينه وبينه . فكان الفرزدق يقول بعد ذلك : « قاتله الله ! والله لقد كان أشار عليهم بالرأى ^(١) » .

خرج الفرزدق حاجاً . فلما قضى حجه عدل إلى المدينة . فدخل على سوكينة بنت الحسين عليهما السلام . فقالت : « يا فرزدق ، من أشمر الناس ؟ » قال : « أنا » . قالت : « كذبت أشمر منك جرير حيث يقول ^(٢) :

بنفسى من تجنّبهُ عزيرٌ عليّ ، ومن زيارته لمأم

(١) في حاشية على هامش ص : « سوءة لك يا فرزدق ، إن كان الرأى الذى استحسنته لهم أن يفعل بك » .

(٢) ديوانه ٥١٢ . طبقات فحول الشعراء ٣٥٣ .

ومن أمسي وأصبح لا أراه ويطرُقني إذا هَجَعَ النَّيَامُ
فقال : « والله لو أذنت لي لأسمعَنَّ أحسن منه » قالت : « أقيموه » . فأُخرج .
ثم عاد إليها من الغد فدخل عليها . فقالت : « يا فرزدق ، من أشعر الناس ؟ »
قال : « أنا » . قالت : « كذبت . صاحبك جرير أشعر منك حيث يقول ^(١) :
لولا الحياه لَعَادَنِي اسْتِعْبَارُ وَتُرُزْتُ قَبْرَكَ والحبيبُ بُرَارُ ^(٢)
كانت إذا هجر الضجيجُ فراشها كُتِمَ الحديثُ وَعَقَّتِ الأسرارُ ^(٣)
لا يُبْلِثُ القرناء أن يتفرقوا ليلٌ يكرُّ عليهمُ ونهارُ
فقال : « والله ، لو أذنت لي لأسمعَنَّ أحسن منه » . فأمرت به فأخرج .
ثم عاد إليها في اليوم الثالث ، وحوّلها مَوْلِدَاتٍ ^(٤) كأنهن التماثيل . فنظر
الفرزدق إلى واحدة منهن فأعجبته . وَبَهتَ ينظر إليها . فقالت له سكينه : « يا فرزدق ،
من أشعر الناس ؟ » قال : « أنا » . قالت : « كذبت صاحبك جرير أشعر منك
حيث يقول ^(٥) :

إِنَّ العيونَ التي في طرفِها حورٌ قَتَلْنَا ثم لم يُجِيبين قتيلانا ^(٦)
يَصْرَعَنَّ ذاللبِّ حتى لا حراكَ به وهنَّ أضعفُ خلقِ الله أركاناً ^(٧)
أَتَبِعْتُهُمْ مُقَلَّةً إنسانها غرقٌ هل ما ترى تاركٌ للمين إنساناً؟

(١) ديوانه ١٩٩ . النقائض ٨٤٧ .

(٢) قبرك : كذا في المصادر ، وهي الرواية المشهورة وكذا كان في ص ثم ضرب عليه وكتب

في الهامش : بيتك .

(٣) الديوان والنقائض : هجر الحليل خزن الحديث .

(٤) المولدات : الجوارى .

(٥) ديوانه ٥٩٥ . طبقات فحول الشعراء ٣٢٠ ، ٣٥٢ .

(٦) غ والديوان والطبقات مرة : في طرفها مرض .

(٧) الديوان : لا صراع به .

فقال : « والله ، لو تركتني لأسمعك أحسن منه » . فأمرت بإخراجه . فالتفت إليها وقال : « يا بنت رسول الله ، إن لي عليك حقا عظيما : ضربتُ إليك من مكة إرادة التسليم عليك . فكان جزائي من ذلك تكذبي ، وطردي ، وتفضيل جرير علي ، ومنعك إياي أن أنشدك شيئا من شعري . وبني ما قد عَمِلَ منه صبري . وهذه المنايا تغدو وتروح . ولعلي لا أفارق المدينة حتى أموت . فإذا أنا مت ، فمرى بي أن أُدرَج في كفني ، وأدفن في حِرِّ هذه الجارية » ، وأشار إلى التي أعجبته . فضحكت سكينية . وأمرت له بالجارية . ففرج بها آخذاً برِيطَتِها^(١) ، وأمرت الجوارى فدفعن في أفقيتهما . ونادته : « يا فرزدق ، احفظ بها وأجمل صحبتهما ، فإن قد آرتك بها على نفسي » . كان تميم بن زيد القُضاعي ثم أحد بني القَيْن^(٢) بن جَسْر غزا الهند في جيش ، وفيهم رجل يقال له خُنيس . فلما طالت غيبته على أمه اشتاقته . فسألت عن يكلم تميم ابن زيد أن يُقفل ابنها^(٣) . فقيل لها : « عليك بالفرزدق فاستحجيري بقبر أبيه » . فأتت قبر غالب بكاطمة . فأقامت حتى علم الفرزدق بمكانها . ثم أتته وطلبت حاجتها . فكتب إلى تميم بن زيد هذه الأبيات^(٤) :

هَبْ لِي خُنَيْسًا وَاتَّخِذْ فِيهِ مَنَةً لِفُصَّةِ أُمِّ مَاسِوُغٍ شَرَابُهَا^(٥)
أَتَدْنِي فَعَاذَتْ - يَا تَمِيمَ - بِغَالِبٍ وَبِالْحُفْرَةِ السَّافِي عَلَيْهَا تُرَابُهَا^(٦)

(١) الرِيطة : اللآة التي كلها نسج واحد .

(٢) كذا في غ وهو الصواب . وفي ص : عبد القين .

(٣) يقفله : يرجعه .

(٤) لم أجد هاهنا ديوانه . وهي في النقائض ٣٨١ ، كامل المبرد ٤٣٠ ، طبقات فحول الشعراء

٢٦٦ ، أمالي القالي ٣ : ٧٧ ، اللسان (حوب) .

(٥) النقائض : فهب لي خنيسا . الطبقات : فهب لي حبيشا . الأمالي : فخل خنيسا . الكامل

واللسان : واحتسب فيه منة . الكامل والنقائض والأمالي واللسان : لحوبة أم .

(٦) اللسان : أتني فعاذت ذات شكوى بغالب .

تميم بن زيد، لا تكونن حاجتي بظهر فلا يخفى على جوابها^(١)
فلما أتاه كتابه، لم يدبر ما سمعه : حبيش أو خنيس . فأخرج ديوانه وأقتل كل
حبيش وخنيس في جيشه ، وهم عدة ، وأنفذهم إلى الفرزدق .
ضرب مكاتب^(٢) لبني منقر بساطا على قبر غالب أبي الفرزدق . فقدم الناس
على الفرزدق فأخبروه بمكانه عند قبر أبيه . ثم قدم عليه فقال^(٣) :
بقبر ابن ليلى غالب عذت بعد ما خشيت الردى أو أن أردد على قسر^(٤)
فأخبرني قبر ابن ليلى فقال لي فكأكك أن تلقى الفرزدق بالمصر^(٥)
فقال الفرزدق : « صدق أبي، أنخ » . ثم طاف له في الناس حتى جمع له مكاتبته
وفضلا .

كان عبد الله^(٦) بن عطية راوية للفرزدق وجري . قال : دعاني يوما الفرزدق
فقال « إني قد قلت بيت شعر ، والنوار طالق إن نقضه ابن المراجعة » . قال : [قلت]
« وما هو ؟ » قال : « قد قلت^(٧) :

فإني أنا الموت الذي هو نازل
بنفسك فانظر كيف أنت محاوله^(٨)
ارحل إليه بالبيت » . قال : « فرحلت إلى اليمامة . فلقيت جريرا بفناء بيته يعبت

(١) الطبقات : يخفى عليك . الكامل والنقائض : يعيا على . الأماي ولا يعيا على . اللسان :
ولا يعيا عليك . وكانت حاجتي بظهر : طرحتها وأهملتها .
(٢) المكاتب : العبد الذي كاتب مولاه أن يؤدي ثمنه فيعتقه .
(٣) النقائض ٣٨١ . طبقات فحول الشعراء ٢٦٢ .
(٤) النقائض : إلى قسر .
(٥) غ : فخطبني قبر ابن ليلى وقال لي . النقائض : فقال لي القبر المبارك إنما . والمصر .
يريد البصرة .

(٦) ي : عبيد الله .

(٧) ديوانه ٧٣٨ . النقائض ٦٠٦ .

(٨) الديوان والنقائض : هو ذاهب . غ : تحاوله .

بالرمل . فقلت له : « إن الفرزدق قد قال بيتا ، وحلف بطلاق النوار أنك لا تنقضه » .
قال : « هيه ! أظنَّ - والله - ذلك . فما هو ، ويملك ؟ » فأنشدته إياه . فجعل يتمرغ
في التراب ويحشوه على رأسه وصدره حتى كادت الشمس تغرب . ثم قال : « أنا أبو
حزرة ، طلقت امرأة الفاسق الخبيث ! » ثم قال (١) :

أنا الدهرُ يُفنى الموتَ والدهرُ خالدٌ جِحْنِي بِمَثَلِ الدَّهْرِ شَيْئًا يُطَاوِلُهُ
ارحل إلى الفاسق الخبيث » . قال : فقدمت على الفرزدق فأنشدته إياه ، وأخبرته
بمقالة جرير . فقال : « أقسمت عليك كما سترت هذا الحديث » .

دخل الفرزدق على بلال بن أبي بردة ، وعنده ناس من اليمامة ، فضحكوا .
فقال : « يا أبا فراس ، أندري مم ضحكوا ؟ » قال : « لا » . قال : « من جفائك » .
قال : « أصلح الله الأمير ! حججت فإذا أنا برجل منهم على عاتقه الأيمن صبي ، وعلى
عاتقه الأيسر صبي آخر ، وإذا امرأة من قدامه آخذة بمئزره ، وهو يقول (٢) :

أنت وهبت زائدا ومزبدا وكهلة أوج فيها الأجردا
والمرأة تقول من خلفه : « إذا شئت . إذا شئت » . فسألت : « ممن الرجل ؟
ف قيل لي : « من الأشعرين ، فأنا أجفَى أم ذلك ؟ » فقال بلال : « لا حياءك الله !
قد علمت أنهم لم يفلتوا منك » .

ركب الفرزدق بغلته . فر بنسوة . فلما حاذهن لم تمالك بغلته ضرطا . فضحك
منه . فالتفت إليهن وقال : « لا تضحكن ، فما حملتني أني إلا ضرطت » . فقالت
له إحداهن : « ما حملك أكثر من أمك . فأراها قد قاست منك ضراطا كثيرا » .
فحرك بغلته وهرب منهن .

(١) ديوانه ٤٨٣ . النقائض ٦٥١ .

(٢) لم أجده في ديوانه .

قال الفرزدق : ما أعياني جوابُ أحدِ كما أعياني جوابِ دِهْقان^(١) مرة قال لي :
« أنت الفرزدق الشاعر ؟ » قلت : « نعم » . قال : « إن هجوتني تخربُ ضيعتي^(٢) ؟ »
قلت : « لا » . قال : « أفتموت عَيْشونة ابنتي ؟ » قلت : « لا » . قال : « فرجُلي
إلى حَلْقِي في حِرِّ أمك » . قال : قلت : « ويحك ! فلم تركت رأسك ؟ » قال :
« حتى أنظر أي شيء تعمل ؟ » .

مر الفرزدق بماء فأسرع فيه بغلته . فقال له مجنون بالبصرة يقال له حريش :
« نَحَّ بغلتك . جَدَّ الله رجلِك ! » قال : « ولم ، ويحك ؟ » قال : « لأنك كذوب
الحنجرة ، زاني الكمَّرة » . فقال الفرزدق لبغلته : « عدَس ! »^(٣) ومضى وكره
أن يسمع قوله الناس .

قيل للفرزدق : « ما اختيارك في شعرك القصار ؟ » قال : « لأني رأيتها
في الصدور أثبت ، وفي المحافل أجول » .

وقيل للحطيئة : « ما بال قصارك أكثر من طوالك ؟ » قال : « لأنها في الآذان
أولج ، وفي أفواه الرجال أعلق » .

قيل لعقيل بن عُلفَة : « مالك تُفَصِّر في هجائك ؟ » قال : « حَسْبُكَ من القلادة
ما أحاط بالرقبة » .

قال الجهم بن سُويد بن المنذر الحرامى للفرزدق : « أما وجدت أمك لك اسما
إلا الفرزدق الذي تكسره النساء في سويقها ! » قال : « والعرب تسمى خبز الفتوت
الفرزدق . فأقبل الفرزدق على قوم معه في المجلس فقال : « ما اسمه ؟ » فلم يجبروه باسمه .
قال : « والله ، لئن لم تخبروني لأهوننكم كلكم » . فقالوا له : « اسمه الجهم

(١) الدهقان : رئيس الإقليم عند الفرس .

(٢) غ : أفأموت إن هجوتني .

(٣) عدس : كلمة يزجر بها البغال .

ابن سويد بن المنذر . فقال الفرزدق : « أحق الناس ألا يتكلم في هذا أنت ، لأن اسمك اسم متاع المرأة ، واسم أبيك اسم الحمار ، واسم جدك اسم الكلب » .
لقى الفرزدق الحسين بن عليّ عليهما السلام ، متوجها إلى الكوفة خارجا من مكة ، في اليوم السادس من ذى الحجة^(١) . فقال له الحسين : « ما وراءك ؟ » قال : « يا ابن رسول الله ، أنفُسُ الناس معك وأيديهم عليك ، والدنيا مطبوبة وهي في أيدي بني أمية ، والأمر إلى الله عز وجل ، والقضاء ينزل بما شاء » . قال : « ويحك ! معي وقر بغير من كتبهم يدعونني ويناشدونني الله » . قال : فلما قتل الحسين ، قال الفرزدق : « انظروا ، فإن غضبت العرب لابن سيدها وخيرها ، فاعلموا أنه سيدوم عزاها وتبقى هيبتها . وإن صبرت عليه ولم تتغير ، لم يزدها الله إلا ذلا إلى آخر الأبد » . وأنشد^(٢) :

فإن أنتم لم تتأروا بابن خيركم فأنقوا السلاحَ وأغزلوا بالمغازلِ

كان الفرزدق أراد امرأة شريفة على نفسها فامتنعت عليه . فهددها بالهجاء والفضيحة . فاستجارت بالنوار امرأته وقصّت عليها القصة . فقالت لها : « عديبه ليلة ثم أعلميني » . ففعلت . وجاءت النوار فدخلت الحجلة^(٣) مع المرأة . فلما دخل الفرزدق البيت ، أمرت الجارية فأطفأت السراج . وبادرت المرأة الحجلة ، فاتبعها الفرزدق ، فخرجت من الجهة الأخرى . ووقع الفرزدق على النوار وهو لا يشك أنها صاحبه . فلما فرغ ، قالت له : « ياعدو الله ! يا فاسق ! » فعرف نعمتها وأنه خُدع ، فقال لها : « ياسُبْحان الله ! ما أطيبك حراما ، وأردأك حلالا ! » .

(١) في ذلك التاريخ خلافا نظر للخطيبين خروج مسلم بن عقيل والحسين . وانظر كامل ابن الأثير ٤ : ٣٠ ، ٣٣ ، ومروج الذهب للمسعودي ٥ : ١٤٢ .

(٢) لم أجدها في ديوانه .

(٣) الحجلة : موضع يزين بالثياب والستور للعروس .

قال الأصمعي : سمع الفرزدق رجلاً يقرأ « والسَّارِقُ والسَّارِقَةُ فاقطعوا أيديهما جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ ، والله غفور رحيم » . فقال الفرزدق : « اقطعوا أيديهما نكالا من الله ، والله غفور رحيم ! لا ينبغي أن يكون هذا هكذا ا فقيل له : إنه : « وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ »^(١) . فقال : « هكذا ينبغي أن يكون » .
مر أسماء بن خارجة الفزاري على الفرزدق ، وهو يهناً بميرا^(٢) له . فقال له : « يافرزدق ، كسد شعرك ، وأطرحتك الملوك ، فصرت إلى مهنة إبلك . وقد أمرت لك بمائة بمير فاقبضها » . فقال الفرزدق بمدحه^(٣) :

إِنَّ السَّمَّاحَ الَّذِي فِي النَّاسِ كُلِّهِمْ قَدْ حَازَهُ اللَّهُ لِلْفِضَالِ أَسْمَاءُ
يُعْطَى الْجَزِيلَ بِلَا مَنٍّ وَلَا كَدْرٍ عَفَّوْا وَيُتْبَعُ آلَاءُ بِنَعْمَاءِ^(٤)
مَا ضَرَّ قَوْمًا إِذَا أَمْسَى يُجَاوِرُهُمْ أَلَّا يَكُونُوا ذَوِي إِبِلٍ وَلَا شَاءُ
شرب الفرزدق نبيذاً بالليمامة وهو يريد العراق . فقال لصاحب له : « إن القلعة^(٥)
قد آذنتني فاكسبني بغيري » . قال : « من أين أصيب لك هاهنا بغيري ؟ » قال : « لا بد
أن تحتال لي » . قال : فضي الرجل إلى القرية ، والفرزدق ناحية . فقال : « هل من
امرأة تقبل^(٦) ؟ فإن معي امرأة ماخضا قد أخذها الطلق » . فبمشوا معه امرأة . فأدخلها
على الفرزدق وقد غطاه . فلما دنت منه ، وأثبها ، ثم ارتحل مبادراً وقال : « كأي
بابن الخبيث (يعني جريراً) لو قد بلغه هذا الخبر قد قال^(٧) :

(١) الآية ٣٨ من سورة المائدة .

(٢) يهناً البعير : يطليه بالقطران عند جربه .

(٣) لم أجدها في ديوانه .

(٤) غ : بلا من يكدره .

(٥) القلعة : الشهوة العظيمة .

(٦) تقبل : تعمل قابلة ، أي مولدة .

(٧) ديوانه ٢٨١ . النقائض ٢٥١ . طبقات فحول الشعراء ٣٥٣ .

وكنت إذا حللت بدار قومٍ رحلت بحزبية وتركت عارا
فبلغ جريرا الخبر، فهجاه بهذا الشعر.

قال الفرزدق : قد علم الناس أني فحل الشعراء ، وربما أتت على ساعة لقلع
ضرس من أضراسي أهون على من قول بيت شعر .

قال أبو عبيدة : انصرف الفرزدق من بعض الأمراء في غداة باردة ، وأمر
بجزور فنحرت ثم قسمها . وأغفل امرأة من بني فقيم . فرجرت فقالت :

فَيْشَلَّةٌ هَدَلَاءُ ذَاتِ شِقْشِقٍ مُشْرِفَةُ الْيَافُوخِ وَالْمُحَوِّقِ (١)
مُدْمَجَةٌ ذَاتِ حِصَافٍ أَحْلَقٍ نَيْطُتٌ بِحَقْوَى قَطِيمٍ عَشَنَّقِ (٢)
أولجتها في سببة الفرزدق (٣)

قال أبو عبيدة : فهرب منها ، فدخل بيت حماد بن الهيثم . ثم إن الفرزدق
قال فيها (٤) :

قَتَلْتُ قَتِيلًا لَمْ يَرِ النَّاسُ مِثْلَهُ أَقْلَبُهُ ذَا تُوْمَتَيْنِ مُسَوَّرًا (٥)
حَمَلْتُ إِلَيْهِ طَعْنَةً فَطَعْنَتْهُ فَنَادَرْتُهُ بَيْنَ الْحَشَايَا مُكَوَّرًا (٦)
تَرَى جُرْحَهُ مِنْ بَعْدِ مَا قَدْ طَعْنَتْهُ يَفُوحُ كَثَلِ الْمِسْكِ خَالِطًا عَنَبْرًا
وَمَا هُوَ بِيَوْمِ الزَّخْفِ بَارَزَ قِرْنَهُ وَلَا هُوَ وَوَلَّى يَوْمَ لَاقَى فَأَذْبَرًا

(١) هدلاء : مسترخية . والحقو : ما استدار بالكبرة من حروفها .

(٢) نيطت : علقت . الحقو : الحصر . القطم : العظيم الشهوة . العشنق : الطويل .

(٣) السبة : الاست .

(٤) ديوانه ٢٣٣ ، ٣٨٣ .

(٥) ذا تومتين : كذا في غ . وفي س : كالتومتين . والتومة : اللؤلؤة ، والقرط فيه حبة

كبيرة . والسور : ذو الأساور .

(٦) ب ، س : حملت عليه حملتين بطمنة . ي : حملت عليه حملة فطمنتها ، وهي أحسن الروايات .

غ : فوق الحشايا . ومكور : صريع .

بني دارم ، ما تأمرون بشاعري
 برود الثنايا ما يزال مُزَعْفَرًا^(١)
 إذا ما هُوَ اسْتَلْتَنِي رأيتَ جَهَازَه
 كَمَقْطَعِ عُنُقِ النَّابِ أَسْوَدَ أَحْمَرًا^(٢)
 وكيف أهاجى شاعرا ربحه استه
 أهد ليومِ الرَّوْعِ عِطْرًا وَمَجْمَرًا^(٣)
 فقالت المرأة : « لا أرى الرجال يذكرون مني هذا » ، فماهدت الله ألا تقول
 شعرا .

قدم الفرزدق الشام ، وبها جرير بن الخطمي . فقال جرير : « ما ظننت أنك
 تَقْدَمُ بلدا أنا فيه ! » فقال له الفرزدق : « إني طال ما أخلفتُ ظنَّ العاجز . »
 قال هشام بن القاسم العنزي : جمعني والفرزدق مجلس ، فتجاهلت عليه ، فقلت
 له : « من أنت ؟ » قال : « أما تعرفني ؟ » قلت : « لا » قال : « أنا أبو فراس »
 قلت : « من أبو فراس ؟ » قال : « أنا الفرزدق » . قلت : « من الفرزدق ؟ »
 قال : « أو ما تعرف الفرزدق ؟ » قلت : « أعرف الفرزدق شيئا تتخذه النساء
 عندنا بالديانة يتسمن به ، وهو الفَقُوت » . فضحك ثم قال : « الحمد لله الذي جعلني
 في بطون نساءكم » .

حج هشام بن عبد الملك في خلافة أخيه الوليد ، ومعه رؤساء أهل الشام . فجهد
 أن يستلم الحجر فلم يقدر من ازدحام الناس . فنُصِبَ له منبر فجلس عليه ينظر إلى
 الناس . فأقبل على بن الحسين عليهما السلام ، وهو أحسن الناس وجها ، وأنظفهم
 ثوبا ، وأطيبهم رائحة . فطاف بالبيت . فلما بلغ إلى الحجر ، تنحى الناس كلهم
 وخلوا الحجر ليستلمه ، تعظيما وهيبته وإجلالا له . ففاظ ذلك هشاما وبلغ منه .

(١) الديوان :

ألا يا عباد الله ما بال شاعر
 برود الثنايا لا يزال مزعفرا

(٢) الديوان مرة : رأيت سلاحه . ومقطع : موضع قطع . والتاب : الناقة المسنة .

(٣) الديوان مرة : فكيف ، وأخرى : فهل يغلبى شاعر . والديوان : درجا ومجمر .

غ : ردعا ومجمر .

فقال رجل لهشام: « من هذا ، أصلح الله الأمير ؟ » فقال : « لا أعرفه » . وكان به عارفا ولكنه خاف أن يرغب فيه أهل الشام قوله منه . فقال الفرزدق ، وكان حاضرا لذلك كله : « أنا أعرفه ، فسئلي يا شامي » . فقال : « من هو ؟ » فقال (١) :

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته والبيت يعرفه والحل والحرم
 هذا ابن خير عباد الله كلهم هذا التقى النقى الطاهر العلم (٢)
 هذا ابن فاطمة إن كنت جاهله بجده أنبياء الله قد ختموا
 وليس قولك : من هذا ، بضائرِه العرب تعرف من أنكرت والمعجم
 إذا رأته قريش قال قائلها : إلى مكارم هذا ينتهي الكرم
 يكاد يُمسكه عرفان راحته ركن الحطيم إذا ما جاء يستلم (٣)
 الله شرفه قدما وعظمه جرى بذلك له في لوجه القلم (٤)
 أي الخلائق ليست في رقابهم لأولية هذا أو له نعم ؟ (٥)
 من يعرف الله يعرف أولية ذا فالدين من بيت هذا ناله الأمم (٦)
 ينمي إلى ذروة الدين التي قصدت عنها الأكف وعن إدراكها القدم (٧)

(١) لم أجدها في ديوانه . وهي في أمالي المرتضى ١ : ٦٨ . وزهر الآداب للحصري ٦٥ ، وشرح الرزوق للحماسة ١٦٢١ ، والمؤتلف والمختلف للآمدى ١٦٩ ، والبيات والتبيين للجاحظ ١ : ٣٧ . واختلف في نسبة أبيات منها ، فقليل : لأنها للفرزدق وللحزير الكنانى في عبادة ابن عبد الملك ولداود بن سلم في قثم بن العباس .

(٢) ب ، س : الظاهر . الحصري : النقى التقى .

(٣) عرفان : أى من أجل معرفة . والحطيم : الجدار الذى عليه ميزاب الكعبة .

(٤) الحصري : الله فضله قدما وشرفه .

(٥) الأمالى : أى القبائل .

(٦) غ : من يشكر الله يشكر أولية ذا . وفى ص : الدين . والحصري : يعرف أوليته .

(٧) الحصري :

ينمي إلى ذروة العز التى قصرت عن نيلها عرب الإسلام والمعجم

مَنْ جَدَّهُ دَانَ فَضْلُ الْأَنْبِيَاءِ لَهُ وَفَضْلُ أُمَّتِهِ دَانَتْ لَهُ الْأُمَمُ (١)
 مُسْتَقَّةٌ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ نَبَعَتُهُ طَابَتْ مَقَارِسُهُ وَالْحَيْمُ وَالشِّمُّ (٢)
 يَنْشَقُّ ثُوبُ الدُّجَى عَنْ نَوْرِ غُرَّتِهِ كَالشَّمْسِ تَنْجَابُ عَنْ إِشْرَاقِهَا الظُّلَمَ
 مِنْ مَعَشْرِ حُبِّهِمْ دِينَ ، وَبُغْضِهِمْ كَفَرُوا ، وَقُرْبِهِمْ مَفْجَى وَمُتَمَعِّمِ
 مُقَدَّمٌ بَعْدَ ذِكْرِ اللَّهِ ذِكْرُهُمْ فِي كُلِّ بَرٍّ ، وَخَتْمٌ بِهِ السَّكِّيمِ (٣)
 إِنْ عُدَّ أَهْلُ التَّقَى كَانُوا أُمَّتَهُمْ

أو قيل : مَنْ خَيْرُ أَهْلِ الْأَرْضِ ؟ قِيلَ : هُمْ

لَا يَسْتَطِيعُ جَوَادٌ كُنْهَ جَوْدِهِمْ وَلَا يُدَانِيهِمْ قَوْمٌ وَإِنْ كَرُمُوا (٤)
 يُسْتَدْفَعُ الشَّرُّ وَالْبَلَاؤُ بِحُبِّهِمْ وَيُسْتَرَبُّ بِهِ الْإِحْسَانُ وَالنِّعَمُ (٥)
 فغضب هشام ، فحبسه بين مكة والمدينة . فقال الفرزدق (٦) :

أَتَحْبِسُنِي بَيْنَ الدِّينَةِ وَالْتِي إِلَيْهَا قُلُوبُ النَّاسِ يَهْوَى مُنْبِيهَا (٧)
 يُقَلِّبُ رَأْسًا لَمْ يَكُنْ رَأْسَ سَمِيدٍ وَعَيْنًا لَهُ حَوْلَاءُ بَادٍ عِيُوبَهَا (٨)

فبلغ شعره هشاما ، فوجه فأطلقه . فوجه إليه على بن الحسين عشرة آلاف درهم وقال : « اعذر ، يا أبا فراس . فلو كان عندنا في هذا الوقت أكثر من هذا

(١) دانت له : كذا في غ . وفي ص : دانت لها . وهي لا تتفق مع السياق .

(٢) الحيم : الطبع . الحصري : طابت عناصره .

(٣) الحصري : في كل بدء .

(٤) ب ، س : بعد جودهم . الحصري : بعد غايتهم .

(٥) يسترَبُّ : يستتراد ويستعظم . الحصري : يستدفع السوء والبلى .

(٦) ديوانه ٥١ . أمالي المرتضى ٦٩ .

(٧) الديوان : يرددني بين المدينة . الأمالي : تحبسنى بين المدينة . . . رقاب الناس .

(٨) الديوان :

يقلب عيننا لم تكن لخليفة مشوهة حولاء باد عيوبها

وصلناك به . « فردها وقال : « ما قلتُ ما قلتُ إلا لله تعالى . وما كنت لأرزا^(١) عليه شيئاً » . فقال علي : « قد رأى الله مكانك ، فشكرلك . ولكننا أهل بيت ، إذا أنفدنا شيئاً لم نرجع فيه » . فأقسم عليه فقبلها .

لما هجا الفرزدق نهر مالك بن المنذر وطلبه ، ظفر به في البراجم ، فأخذه وحبسه . فرؤا به علي بن أبي طالب . فقال : « يا قوم ، اشهدوا أنه لا خاتم في يدي » . وذلك أن عمر بن يزيد بن أسيد لما حبس ، أمر به فلويت عنقه . ثم أُخرج ليلاً إلى السجن ، فجعل رأسه يتقلب ، والأعوان يقولون له : « قوم رأسك » . فلما أتوا به السجن ، قال : « لا أتسلم منكم ميتاً » فأخذوا المفاتيح منه وأدخلوه الحبس . فأصبح ميتاً ، فشنعوا أنه مصّ خاتمه وكان فيه سم فمات . وتكلم الناس في أمره . فدخل لبطنة بن الفرزدق على أبيه فقال : « يا بني ، هل من خبر ؟ » قال : « نعم ، عمر بن يزيد بن أسيد مصّ خاتمه في الحبس وكان فيه سم فمات » . فقال الفرزدق : « وأبوك - والله ، يا بني - لأن لم تلحق واسط ليمصنّ خاتمه » . قال : وكان عمر قد عارض خالداً ، وهو يصف لهشام طاعة الين وحسن موالاتهم . فصقّ عمر إحدى يديه على الأخرى حتى سُمع لهما في الإيوان دوى ، وقال : « كذب ، والله يا أمير المؤمنين . ما أطاعت اليمانية ولا نصحت . أليس هم أعداءك ، وأصحاب يزيد بن المهلب وابن الأشعث ! والله ، ما ينعم ناعم إلا أسرعوا الوثبة إليه . فاحذرهم ، يا أمير المؤمنين » . قال : فتبين ذلك في وجه هشام . ووثب رجل من بني أمية فقال لعمر بن يزيد : « وصل الله رحمك ، وأحسن جزاءك ، فلقد شددت من أنفس قومك واتهمزت الفرصة في وقتها . ولكني أحسب هذا الرجل سبيل العراق ، وهو منكر حسود وليس يخار لك إن ولي » . فلم يرتدع عمر بقوله ، وظن أنه لا يُقدم عليه . فلما ولي لم تكن له همة فيره حتى قتله . ثم إن مالكا وجّه بالفرزدق إلى خالد . فلما قدم عليه ، وجده قد حجج واستخلف

(١) أرزا : أصيب .

أخاه أسد بن عبد الله على العراق . فخبسه أسد . ووافق عنده جريرا . فوثب ليشفع له فقال : « إن رأى الأمير أن يهبه لى ! » فقال أسد : « أنشفع له يا جرير ؟ » قال : « إن ذلك أذلُّ له ، أصلح الله الأميرا » وكلم أسد المنذر نخلي سبيله . فقال الفرزدق^(١) :

لا فضلَ إلا فضلُ أمِّ عليِّ ابنِها كفضلِ أبي الأشبالِ عند الفرزدقِ
تداركني من هُوءٍ دون قَمَرِها ثمانون باعا للطويل العَشَنَقِ^(٢)

حكى لبطة بن الفرزدق أن أباه أصابته ذات الجنب ، وكانت سبب وفاته . فوصف له أن يشرب النفط الأبيض . قال : فجعلناه له في قدح وسقيناه إياه . فقال : « أى بنى ، تجئت لأبيك شراب أهل النار ! » فقلت له : « قل : لا إله إلا الله » . وجعلت أكررها عليه . فنظر إلى ثم قال^(٣) :

وظَلَّتْ تَمَالَى بِالنَّهَارِ كَأَنَّهَا رَمَاحٌ نَحَاهَا وَجِهَةَ الرِّيحِ رَاكِزُ^(٤)

فكان ذلك هجيرا حتى مات .

كان الفرزدق قد دبر عبيدا له ، وأوصى بمتقهم بعد موته ودفع شيء من أمواله إليهم . فلما احتضر ، جمع سائر بنيه وأهل بيته ، وجعل يقول^(٥) :

أَرُونِي مَنْ يَقومُ لَكُمْ مَقَامِي إِذَا مَا الأَمْرُ جَلَّ عَنِ الخِطَابِ^(٦)

إِلَى مَنْ تَرَجِعُونَ إِذَا حَثَوْتُمْ بِأَيْدِيكُمْ عَلَيَّ مِنَ التَّرَابِ^(٧)

فقال بعض عبيده الذين أمر بمتقهم : « إلى الله عز وجل » . فأمر ببيعه قبل وفاته ،

وأبطل وصيته فيه .

(١) ديوانه ٥٩٢ .

(٢) الديوان : كان قمرها . غ : للطوال . والعشيق : المفرط الطول .

(٣) لم أجده في ديوانه .

(٤) ب ، س : فظلت . غ : تعالى باليفاع .

(٥) ديوانه ١١٤ .

(٦) الديوان : عن العتاب .

(٧) غ والديوان : إلى من تفرعون .

توفي للفرزدق ابن صغير قبل وفاته بأيام فصلى عليه . ثم التفت إلى الناس فقال (١) :

وما نحنُ إلا مثلهم غيرَ أننا أقمنا قليلا بمدهم وتقدّموا
فلم يلبث إلا أياما حتى مات .

ولما توفي الفرزدق ، وبلغت وفاته جريرا ، سكت ساعة . فظنّ أنه يقول شعرا .
ثم دمعت عيناه ، فقال له القوم : « سبحان الله ! أتبكي على الفرزدق ! » فقال :
« والله ، ما أبكي إلا على نفسي . أما والله إن بقائي خلافة لقليل . إنه قلّ ما كان
مثلنا رجلان مجتمعان على خير أو شر إلا كان أمد ما بينهما قريبا . » وقال (٢) :

فَجِئْنَا بِحَمَالِ الدِّيَاتِ ابْنِ غَالِبٍ وَحَامِي تَمِيمٍ كُلَّهَا وَالْبِرَاجِمِ (٣)
بِكَيْنَاكِ حَدِيثَانَ الْفِرَاقِ وَإِنَّمَا بِكَيْنَاكِ شَجَوْنَا لِلْأُمُورِ الْعَظَائِمِ (٤)
فَلَا حِلَّ بَعْدَ ابْنِ لَيْلَى مَهْيَرَةٌ وَلَا شُدَّ أَنْسَاعُ الْمَطِيِّ الرَّوَاسِمِ (٥)
وكان الفرزدق قد أسنّ حتى قارب المائة . فأصابته الدّيبيلة (٦) وهو بالبادية .
فقدم البصرة فاستطبّ بها .

ومات الفرزدق في سنة أربع عشرة ومائة . وقيل سنة عشر ومائة . ومات في
هذه السنة الحسن وابن سيرين والفرزدق وجرير . فقالت امرأة من أهل البصرة :
« كيف يفلح بلد مات فقيهاه وشاعراه في سنة ! » وقيل : مات جرير بمد الفرزدق

(١) ديوانه ٨١٨ .

(٢) ديوانه ٥٣٥ . النقائض ١٠٤٦ .

(٣) الديوان والنقائض : وحامي تميم عرضها والمراجع .

(٤) الديوان والنقائض : بكيناك إذ نابت أمور العظام . وحدنان الفراق : من أجل حدوته .

(٥) المهيرة : الحرة التي يدفع مهرها عند التزوج منها . والأنساع : جمع نسع ، وهو سير

يفسح عريضا على هيئة أعنة النعال تشد به الرجال . والرواسم : الإبل التي تؤثّر في الأرض .

(٦) الدبيلة : داء في الجوف .

بسته أشهر . وقال جرير لما بلغه موت الفرزدق : « قلما تصاول فجلان فئات أحدهما ، إلا أسرع لحاق الآخر به » .

رُئى جرير والفرزدق بعد موتيهما . فرئى الفرزدق بخير ، وذَكَر أنه غُفر له بتكبيره كبرها في المقبرة عند قبر أبيه غالب .

وقبر الفرزدق بالبصرة في مقابر بني تميم . وقبر جرير باليمامة ، ومات بها . وقبر الأعشى باليمامة ، أعشى بنى قيس بن ثعلبة .

وقال لبطة : رأيت أبي في النوم . فقلت : « ما فعل الله بك ؟ » فقال : « نعمتني الكلمة التي نازعنيها الحسن على القبر » .

والكلمة - والله أعلم - هي ما يحكى أن النوار لما ماتت أوصت الفرزدق - وهو ابن عمها - أن يصلى عليها الحسن . فقال له الحسن على قبرها : « ما أعددت لهذا المضجع ؟ » قال : « شهادة أن لا إله إلا الله ، منذ سبعمين ^(١) سنة » . فقال : « إذن تنجو إن صدقت » . وتشاغل الفرزدق بدفن النوار . وجلس الحسن يعظ الناس . فلما فرغ الفرزدق وقف على حلقة الحسن وقال ^(٢) :

لقد خاب من أولاد آدم من مشى إلى النار مغلول القلادة أزرقا ^(٣)
أخاف وراء القبر إن لم يعافني أشد من القبر التهاوبا وأضيقا
إذا جئني يوم القيامة قائداً عنيفاً وسواق يسوق الفرزدقا
وقال الفرزدق : « في هذه الجنازة خيرُ الناس وشرُ الناس ! » فقال الحسن :
« لستُ بخيرُ الناس ، ولستُ بشرهم » .

(١) كذا في ص ، غ مرة . وفي هامش ص ، غ مرة أخرى : بضعا وثمانين سنة .

(٢) ديوانه ٥٧٨ .

(٣) الديوان : أولاد دارم . . مشدود الخناقة أزرقا .

وقيل : إن الفرزدق رُئى في النوم ، فقيل له : « ما فعل الله بك ؟ » فقال :
غفر لي بإخلاصى يوم الحسن ، وقال : لولا شيبك لعذبُتُك بالنار» .

قال فضيل الرقاشى : خرجت في ليلة باردة . فدخلت المسجد ، فسمعت تسيحاً^(١)
وبكاء . فلم أعلم من صاحب ذلك حتى أسفر الصبح ، فإذا الفرزدق . فقلت :
« يا أبا فراس ، تركت النوار ، وهى لينة الدثار دفئة الشمار ؟ » قال : « إى والله ،
ذكرت ذنوبى فأقلقتنى ، ففزعت إلى الله عز وجل » .

قيل لأبى هريرة : « هذا الفرزدق » . فقال : « هذا الذى يقذف المحصنات ! »
ثم قال له أبو هريرة : « إنى أرى عظمك دقيقاً وجلدك رقيقاً ، ولا طاقة لك بالنار ،
فُتُب فإن التوبة مقبولة من ابن آدم حتى يطير غرابه » .

قال الفرزدق : قال لى أبو هريرة : « إنه سيأتيك قوم يؤثسونك من رحمة الله
فلا تياس » .

كان يقال لولا شعر الفرزدق لذهب ثلث لغة العرب .

قال الملاء بن الفضل : قال لى أبو البيداء : « يا أبا الهذيل ، أيهما أشعر :
جرير أم الفرزدق ؟ » قال : قلت : « ذلك إليك » . قال : « ألم تسمعه يقول^(٢) :
ما حَمَلت ناقةً من معشرِ رجلا مثلى إذا الريحُ لَفَّتْنى على الكُور^(٣)
إلا قريشا فإنَّ اللهَ فضَّلها مع النبوة بالإسلام والخيـر^(٤)

(١) غ : نشيجا .

(٢) ديوانه ٢٦٥ .

(٣) الديوان : من سوقة رجلا . ولفتنى : كذا فى غ والديوان . وفى ص : ألفتنى .

(٤) الخير : المشرف .

ويقول جرير^(١) :

لا تحسبن مِرَاسَ الحَرَبِ إِنْ لَقِحتَ شَرِبَ الكَسِيسِ وأَكَلَ الحَبْزِ وَالصَّيرِ^(٢)
سَلحَ وَاللهُ أَبُو حَزْرَةَ ! سَلحَ وَاللهُ أَبُو حَزْرَةَ ! .

وكان الفرزدق قد نَيَّفَ على التسمين ، كان منها خمسا وسبعين يبارى الشعراء
فَيَبِدُّهُمْ ، ويهجو الأشرافَ فَيُفْضِئُهُمْ ، ما ثبت له أحد منهم إلا جرير .

قيل للفرزدق : « مالك وللشعر ؟ فما كان أبوك غالب شاعرا ، وما كان صعصعة
شاعرا ، فمن أين لك هذا الشعر ؟ » ، قال : « من قَبَلِ خَالِي » . قالوا : « أي
أخوالك ؟ » قال : « الملاء بن قرظة الذي يقول :

إِذَا مَا الدَّهْرَ جَرَّ عَلَى أَنَسٍ كَلَاكِلَهُ أَنَاخَ بَأخْرِيْنَا^(٣)

فَقُلْ لِلشَّامَتَيْنِ بِنَا : أَفَيَقُوا سَيَلَمَى الشَّامَتُونَ كَمَا لَقِينَا

دخل قوم من بني ضبة على الفرزدق فقالوا : « قَبَحَكَ اللهُ من ابن أخت ،
عَرَضْتَنَا لِهَذَا الكَلْبِ السَّفِيهِ (يعنون جريرا) حتى شتم أعراسنا وذكر نساءنا !
ففضب الفرزدق وقال : « قَبَحَكَ اللهُ من أخوال ! فَلَمَّا شَرَفْتَكُمْ من غُخْرَى أَكْثَرَ
مِمَّا عَضَّكُمْ من هِجَاءِ جَرِيرٍ . فَأَنَا - وَبِلَكُمْ - عَرَضْتَكُمْ لِسُوَيْدِ بْنِ أَبِي كَاهِلٍ حَيْثُ يَقُولُ :

لَقَدْ زَرِقْتَ عَيْنَاكَ يَا بَنَ مَكْعَبِرٍ كَمَا كُلُّ ضَبِّيٍّ مِنَ اللُّؤْمِ أَرْزَقُ^(٤)

تَرَى اللُّؤْمَ مِنْهُمْ لِأَمْحَا فِي وُجُوهِهِمْ كَمَا لِاحِ فِي خَيْلِ الحَلَاثِبِ أَبْلَقُ^(٥)

(١) ديوانه ٢٥٦ .

(٢) غ : لإذ لقت . . الحبز بالصير . والديوان :

لا تحسبن مِرَاسِي الحَرَبِ إِذْ خَطَرْتُ أَكَلَ القَبَابِ وَأَدَمَ الرِّغْفَ بِالصَّيرِ
لَقِحتَ : هاجت بعد سكون . والكسيس : نبيذ التمر ، وفي ص : الكسيس ، تحريف . والصير :
السمك المملوح .

(٣) ب ، س : بكلكه .

(٤) ابن مكعبير : كذا في غ وهو الصواب . وفي ص : ابن مكعبير ، تصحيف .

(٥) غ : اللؤم فيهم . والحلاشب : جمع حلبة ، وهي الخيل تجتمع من كل أوب للسباق .

أو أنا عرضتكم للأبلى العجلى حيث يقول :

إذا رأيت رجلا من ضبّة ففكّه عَصْداً في سِوَاءِ السَّبَّةِ (١)

لِيَّ الْيَمَانِيَّ عِقَاصَ الزُّبَّةِ (٢)

وأنا عرضتكم للملك بن نُويرة حيث يقول :

ولو ذُبِحَ الضَّبِّيُّ بالسيفِ لم تَجِدْ من اللؤمِ للضبِّيِّ لِحماً ولا دماً (٣)

والله ، لما ذكرت من شرفكم ، وأظهرت من أيامكم ، أكثر . ألسنت الذي

أقول (٤) :

وأنا ابنُ حَنْظَلَةَ الْأَعْرُوبِيِّ وَإِنِّي فِي آلِ ضَبَّيَّةَ لِلْمَعْمُومِ الْخَوَلِ

فَرَعَانَ قَدْ بَلَغَ السَّمَاءَ ذُرَاهُمَا وَإِلَيْهِمَا مِنْ كُلِّ خَوْفٍ يُعْقَلُ (٥)

شهد الفرزدق عند إياس بن معاوية . فقال : « قد أجزنا شهادة أبي فراس ،

زيدونا شهوداً » . فقام الفرزدق فرحاً . فقيل له : « ما أجاز شهادتك » . فقال :

« بلى ، قد سمعته يقول : قد أجزنا شهادة أبي فراس » . فقالوا : « أفما سمعته يستزيد

شاهداً آخراً ؟ » قال : وما يمنعه ألا يقبل شهادتي وقد قذفت كل مُحَصَّنَةٍ ؟ (٦) .

كان عطية بن جمال الغداني صديقاً ونديباً للفرزدق . فبلغ الفرزدق أن رجلاً

من بني غدانة هجاه ، وأعان جريراً عليه ، فأراد أن يهجو بني غدانة . فأتاه عطية

ابن جمال يسأله أن يصفح له عن قومه ، ويهب له أعراضهم . ففعل ثم قال (٧) :

(١) غ : عمدا . وعصدا : أن تأخذ بعصده فتمتليه .

(٢) ب ، س : إن اليماني عفاص الدبه . ي : إن اليماني عفاص الذبه وأظنها محرفة .

والعفاص : جمع عقيصه ، وهي الضفيرة والزبة : كلمة عينية بمعنى اللحية أو مقدمها .

(٣) غ : يذبح .

(٤) ديوانه ٧١٧ . النقائض ١٨٨ .

(٥) يعقل : يلجأ .

(٦) غ : ألفت محصنة .

(٧) ديوانه ٧٢٦ . النقائض ٢٧٥ . طبقات فحول الشعراء ٤٢٤ .

أَبْنَى عُدَانَةَ إِنْسِي حَرَرْتُكُمْ فَوَهَبْتُكُمْ لِمِطِيَةَ بِنِ جَمَالٍ (١)
لَوْلَا عَطِيَّةٌ لَأَجْتَدَعْتُ أُنُوفَكُمْ مِنْ بَيْنِ الْأُمِّمِ أَعْيُنٍ وَسِبَالٍ (٢)

فبلغ ذلك عطية . فقال : « ما أسرع ما ارتجع أخى هبته ! قبجها الله من هبة ممنونة مرتجمة ا » .

قدم الفرزدق المدينة في سنة مجدبة ، فشى أهل المدينة إلى عمر بن عبد العزيز فقالوا له : « إن الفرزدق قدم مدينتنا في هذه السنة الجدبة التي قد أهلكت عامة الأموال . وليس عند أحد منهم ما يعطيه شاعرا . فلو بعث الأمير إليه فأرضاه ، وأمره ألا يعرض لأحد بمدح ولا بهجاء » . فبعث إليه عمر بن عبد العزيز فقال : « قد قدمت مدينتنا في هذه السنة الجدبة ، وليس عند أحد ما يعطيه شاعرا . وقد أمرت لك بأربعة آلاف درهم . نخذها ولا تعرض لأحد بمدح ولا بهجاء » . فأخذها : ومر بمبد الله ابن عمرو بن عثمان ، وهو جالس في سقيفة داره . وعليه مُطَرَفُ خَزَّ أَحْمَرٍ وَجِبَّةُ خَزَّ حَمْرَاءَ . فقال له (٣) :

أَعْبَدَ اللَّهُ . أَنْتَ أَحَقُّ مَا شِئْتُمْ بِالسَّاعِ بِالْجَاهِيرِ الْكَبِيرِ
نَمَى الْفَارُوقُ أُمَّكَ وَابْنُ أَرْوَى أَبُوكَ فَأَنْتَ مُنْصِدِعُ النَّهَارِ (٤)
هَا قَرَأَ السَّمَاءَ وَأَنْتَ نَجْمٌ بِهِ فِي اللَّيْلِ يُدَلِّجُ كُلُّ سَارِ

نخلع عليه الجبة والمطرف ، وأمر له بعشرة آلاف درهم . فخرج رجل رأى عبد الله بن عمرو والفرزدق وما أعطاه ، وقد كان رأى عمر بن عبد العزيز وما أعطاه ،

(١) الديوان والنقائض : ووهبتكم .

(٢) غ والديوان والنقائض والطبقات : الأم آف . والسبال : جمع سبلة ، وهى الشارب أو مجتمع الشاربين أو اللحية .

(٣) ديوانه ٣٦٠ .

(٤) ابن أروى : الخليفة عثمان بن عفان . ومنصدع النهار : ظاهر جلى . والفاروق : عمر ابن الخطاب . وكانت ليلي أم عمر بن عبد العزيز بنت عاصم بن عمر الفاروق .

وسمع ما أمره به من ألا يمرض لأحد بمدح ولا هجاء . فدخل على عمر بن عبد العزيز فأخبره . فبعث إليه عمر : « ألم أتقدم إليك يا فرزدق ألا تعرض لأحد بمدح ولا هجاء ! أخرج : فقد أجلتك ثلاثا ، فإن وجدتك بعد ثلاثة نكّلت بك » . فخرج الفرزدق وهو يقول :

وَأُوْعِدَنِي وَأَجَلَنِي ثَلَاثًا كَمَا وُوعِدْتُ لِمَهْلِكِهَا ثُمُودًا^(١)
فقال فيه جرير :

نَفَاكَ الْأَعْرُؤُ ابْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَمِثْلُكَ يُنْفَى عَنِ الْمَسْجِدِ^(٢)
وَشَبَّهْتَ نَفْسَكَ أَشَقَى ثُمُودًا فَقَالُوا : ضَلَلْتَ وَلَمْ تَهْتَدِ

(١) ب : أجلي وواعدني ثلاثا . س ، ي : فأجلي وواعدني ثلاثا . وانظر الشعر قبل .

(٢) غ : من المسجد . وانظر الشعر قبل .

الهَيْثَمُ أَبُو حَيَّةَ النَّمِيرِيُّ

هو الهَيْثَمُ بن الرَّبِيعِ بن زُرارة بن كَثِيرِ بن جَنَابٍ^(١) بن كعب بن مالك بن عامر ابن نُمَيْرِ بن عامر بن صَعْمَةَ بن معاوية بن بكر بن هَوازِنِ بن منصور بن عِكْرَمَةَ ابن حَصَفَةَ بن قيس بن عَيْلان بن مُضَرَ بن نِزار . ويقال للمالك: الأَصْقَعُ . وقال قوم : إن الأَصْقَعُ هو الأَصَمُّ بن مالك بن جَنَابِ بن كعب .

وأبو حية شاعر مُجِيد ، من مخضرمي الدولتين ، ومدح خلفاءها . وكان فصيحاً ، مُقَصِّداً ، راجزاً ، من ساكني البصرة .

وكان أهوج ، جباناً ، بخيلاً ، كذاباً ، معروفًا بذلك ، من أجبِنِ الناس .

وكان أبو عمرو بن الملاء يُقَدِّمُهُ .

وكان يُصْرَعُ .

وكان له سيف يسميه « لعاب المنيّة » ، ليس بينه وبين الخشبَة فرق .

دخل ليلة إلى بيته كلب . فظنه لصاً . فحدّث جاره قال : أشرفتُ عليه ،

وقد انتضى سيفه « لعاب المنيّة » وهو واقف في وسط الدار يقول : « أيها المغترّ بنا ،

المجتريّ علينا ، بئس والله ما اخترت لنفسك ! خيرٌ قليل ، وسيف صقيل ، لعاب

المنيّة ، الذي سمعت به ، مشهورةٌ ضربته ، لا تُخافُ نَبَوْتَهُ . أخرج بالفوعنك ، قبل

أن أدخل بالعقوبة عليك . إني والله إن أدعُ قيساً إليك لا تقمُ لها . وما قيس ؟ تملأُ والله

النضاء خَيْلاً ورَجَلاً ! سبحان الله ! ما أكثرها وأهيبها ! » فبينما هو كذلك ،

إذ أُخْرِجَ السَّكْبُ . فقال : « الحمد لله الذي مَسَّخَكَ كلباً ، وكفاني حرباً »

* أخباره في ب ١٥ : ٦٤ ، س ١٥ : ٦١ ، د ١٦ : ٣٠٧ ، ي ١٦ : ٢٣٦ ، والشعر

والشعراء لابن قتيبة ٤٨٦ ، وطبقات الشعراء لابن المعتز ١٤٣ ، وخزانة الأدب للبغدادي ٤ : ٢٨٢

(١) جناب : كذا في غ . وفي ص : حناق .

وكان من أكذب الناس . قال يوما : « رميت ظبية . فلما نفذ سهمي عن القوس ، ذكرت بها حبيبة لى . فعدّوت خلف السهم حتى قبضت عليه : فأمسكت فُدْذَه (١) قبل أن يدركها » .

قال سميد بن مسعدة الأَخْفَش : قال أبو حية النيرى : « أتدرى ما يقول القَدْرِيون ؟ » قلت : « لا » . قال : « يقولون : إن الله لا يكلف العباد ما لا يطيقون ، ولا يسألهم ما لا يجدون . وصدّق القَدْرِيون ! ولكنى لا أقول كما يقولون » .
قال سلمة بن عياش لأبي حية النيرى : « أتدرى ما يقول الناس ؟ » قال : « وما يقولون ؟ » قال : « يقولون : إني أشعر منك » . قال : « إنا لله ، هلك الناس ! » .

وكان يقال : إن أبا حية في الشعراء كالرجل الرّبعة : لا يمدّ طويلا ولا قصيرا (٢) .

قال الأصمى : وفد أبو حية النيرى على المنصور . فامتدحه وهجا بنى حسن في قصيدة أولها :

عُوجا نُحَى ديارَ الحىِّ بالسندِ وهل بتلك الديارِ اليومَ من أحدٍ
منها :

أحينَ شيمَ - فلم يترك لكم ذرّة - سيفٌ تقلّده الرّيبالُ ذو اللبدِ (٣)
سلّتموه عليكم ، يا بنى حسن ! ما إن لكم من فلاحٍ آخرَ الأبْدِ (٤)
قد أصبحت ابني العباسِ صافيةً بجُدعِ أنفِ أهلِ البنى والحسدِ (٥)

(١) الفدذ : جمع فذة ، وهى ريش السهم .

(٢) قائله الأصمى (غ) .

(٣) غ : يترك لهم . وشام السيف : استله . والذرة : الثأر . والرّيبال : الأسد .

(٤) فى الهامش حاشية تقول : « قابله الله تعالى على قوله » ، أى كافأه وجازاه .

(٥) ب ، س ، د : لجدع . غ : أناف .

وأصبحت أكلةً للبيث في فمه فمن يحاول شيئاً في فم الأسد^(١)
فوصله أبو جعفر بشيء دون ما كان يأمله . فاحتجج^(٢) لعياله أكثره . وصار
إلى الحيرة . فشرّب فيها عند حمارة . فأعجبه الشرّب ، وكره أن ينفد ما معه ، وأحب
أن يدوم له ما كان فيه ، فسأل الحمارة أن تبيعه بنسيئة ، وأعلمها أنه قد مدح الخليفة
وجاعة القواد ، ففعلت وشرهت إلى فضل النسيئة ، وكان لأبي حية أير كمنق الظليم .
فأبرزه فتدلّت . وكانت كلما سقته حطّت في الحائط خطأ . فأنشأ يقول :

إذا أسقيتني كوزاً بحطّ فخطى ما بدالك في الجدارِ
فإن أعطيتني عيناً بدين فهاتي المين وانتظري ضامري^(٣)
خرقتُ مقدماً من جنب ثوبي حيال مَكانِ ذلك من الإزارِ
فقلتُ ، وَيَلَهَا : رجلٌ ويمشى بما يمشى به عَجْرُ الحمارِ^(٤)
وقالت : ما تريد ؟ فقلت : خيراً نسيئةً ما على إلى يسارى^(٥)
فصدّت بعد ما نظرتُ إليه وقد ألمحتُها عنقَ الحوارِ^(٦)

(١) غ :

وأصبحت كلهاة البيث في فمه ومن يحاول شيئاً في فم الأسد

(٢) احتجج : احتجز .

(٣) الضمار : الوعد المسوف ، أو الدين لا يرجى حصوله .

(٤) العجر : جمع عجرة ، وهي المروق المتعقدة في الجسد ، يريد أير الحمار لما فيه من التعقيد .

(٥) النسيئة : الدين . واليسار : الغنى .

(٦) الحوار : ولد الناقة ، شبه ذكره بعنقه .

وقعة هرقلة*

كانت الروم قد ملكت امرأة^(١) عليهم، لأنه لم يكن في زمنها من هو من أهل المملكة غيرها . وكانت تكتب إلى المهديّ ، وإلى الهادي ، وإلى الرشيد ، في أول خلافته بالمعظيم والتبجيل ، وتُدِرّ عليه الهدايا ، حتى بلغ ابنها^(٢) . فغاز الملكَ دونها ، وعات وأفسد وفسد الرشيدَ ، نجّفت على مُلك الروم أن يذهب ، وعلى بلادهم أن تمطب، لملها بالرشيد، وخوفها من سطوته . فاحتالت على ابنها فسملت عينيه^(٣) . فبطل من الملك ، وعاد الملك إليها . فاستكبر ذلك أهل المملكة، وأبفضوها من أجله . فخرج عليها تقفور وكان كاتبها^(٤) ، فأعانوه وعَضدوه . وقام بأمر المملكة ، وضبط أمر الروم .

فلما قوى أمره وتمكّن ملكه ، كتب إلى الرشيد^(٥) :

«من تقفور ملك الروم، إلى الرشيد ملك العرب .

أما بعد .

فإن هذه المرأة كانت وضعتك وأباك وأخاك موضع الملوك، ووضعت نفسها موضع

* أخبارها في ب ١٧ : ٤٤ ، س ١٧ : ٤٤ ، ي ١٨ : ١٦٧ ، وتاريخ الطبري ٣ : ٦٩٥ .
وكامل ابن الأثير ٦ : ١٢٦ .

(١) هي الملكة ريني Irene زوجة ليو الرابع . (٥٧٢ - ٨٠٣ م) .

(٢) قسطنطين السادس Constantine VI

(٣) سمت عينيه : فقأتها بمجديدة شحاة وقلعتهما

(٤) Nicephorus ، الذي حكم من (٨٠٢ - ٨١١ م) . وذكر الطبري أنه كان يلي ديوان الحراج ، وذلك أصح .

(٥) تختلف رواية الطبري ٣ : ٦٩٥ وابن الأثير : الكامل ٦ : ١٢٦ للرسالتين تمام

الاختلاف . وذكر أن هذا التحدي وقع في سنة ١٨٧ هـ ، وأن الرشيد شفي غيظه ببعض القتوح أما فتوح هرقلة نفسها فكانت في سنة ١٩٠ هـ .

الشوق . فإني واضعك بغير ذلك الموضع ، وعاملٌ على تطرُّق بلادك ، والهجوم على أمصارك ، أو تؤدي إلى ما كانت المرأة تؤديه إليك . والسلام .»

فلما ورد الكتاب على الرشيد كتب إليه :

« بسم الله الرحمن الرحيم .

من عبد الله هارون أمير المؤمنين ، إلى تقفور كلب الروم .

أما بعد .

فقد فهمت كتابك . وجوابك عندي ما تراه عيانا لا ما تسمعه .»

ثم شخَّص من شهره ذلك يوم بلاد الروم في جمعٍ لم يُسمع بمثله ، وقواد لا يُجارون رأياً ونجدة . فلما بلغ تقفور ذلك ، ضاقت عليه الأرض بما رحبت ، وشاور في أمره . وجدَّ الرشيد فجعل يوغل في بلاد الروم ، فيقتل ويسبي ويغنم ، ويُمفئ الآثار ، ويخرب الحصون ، حتى صار إلى طرق متضايقة دون قسطنطينية . فلما بلغها وجدها وقد أمر تقفور بالشجر فُقطع ورُمى به في الطرق وأُشعلت فيه النيران . وكان محمد بن يزيد بن مزيدي أول من لبس ثياب النفاطين فخاضها ، ثم اتبعه الناس . فبعث إليه تقفور بالهدايا ، وخضع له أشد الخضوع ، وأدى إليه الجزية عن رأسه فضلا عن أصحابه . فرجع هارون لما أطاعه وأعطاه ما أعطاه إلى الرقة .

وقال في ذلك أبو العتاهية^(١) :

وَأَصْبَحْتَ تَسْقِي كُلَّ مُسْتَمِطِرٍ رِيًّا	وَأَصْبَحْتَ بِالدِّينِ مَمْنِيًّا
فَأَنْتَ الَّذِي تُدْعَى رَشِيدًا وَمَهْدِيًّا	لَكَ إِسْمَانِ شَقًّا مِنْ رِشَادٍ وَمِنْ هُدَى
وَإِنْ تَرْضَ شَيْئًا كَانَ فِي النَّاسِ مَرْضِيًّا	إِذَا مَا سَخِطْتَ الشَّيْءَ كَانَ مُسَخِّطًا
فَأَوْسَعْتَ شَرْقِيًّا وَأَوْسَعْتَ غَرْبِيًّا	بَسَطْتَ لَنَا شَرْقًا وَغَرْبًا يَدَ الْعَلَا

وَوَشَّيْتَ وَجْهَ الْأَرْضِ بِالْجُودِ وَالنَّدَى فَأَصْبَحَ وَجْهُ الْأَرْضِ بِالْجُودِ مَوْشِيًّا (١)
فَأَنْتَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَتَى التَّقَى نَشَرْتَ مِنَ الْإِحْسَانِ مَا كَانَ مَطْوِيًّا (٢)
قَضَى اللَّهُ أَنْ يَبْقَى لَهَارُونَ مَلِكُهُ وَكَانَ قِضَاءُ اللَّهِ فِي الْخَلْقِ مَقْضِيًّا (٣)
تَحَلَّيْتَ لِلدُّنْيَا وَلِلدِّينِ بِالرِّضَا وَأَصْبَحَ نَقْفُورٌ لَهَارُونَ ذِمِّيًّا (٤)

فلما بُمد الرشيد وسقط الثلج ، وأمين نقفور أن يُغزى ، اغترت بالملكة ، ونقض ما كان بينه وبين الرشيد ، ورجع إلى حالته الأولى . فلم يجترئ يحيى بن خالد (٥) - فضلا عن غيره - على إخبار الرشيد بغدر نقفور ، وبذل هو وبنوه أموالا للشعراء على أن يقولوا شعراً في إعلام الرشيد بذلك ، فكلهم كع (٦) وأشفق ، إلا شاعرا من أهل جده (٧) يكنى أبا محمد ، وكان مجيداً قوى الشعر . فأخذ من يحيى وبنيه مائة ألف درهم ، ودخل على الرشيد فأنشده :

نَقَضَ الَّذِي أُعْطِيَتْهُ نِقْفُورٌ فَعَلِيهِهِ دَائِرَةُ الْبَوَارِ تَدُورُ (٨)
أَبْشِرْ - أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ - فَإِنَّهُ فَتَحَ أَتَاكَ بِهِ الْإِلَهُ كَبِيرُ (٩)

(١) ديوانه : بالجود مغشياً .

(٢) ديوانه : وأنت .

(٣) الطبرى : أن صفا هارون .

(٤) غ والديوان : تجللت الدنيا لهارون ذى الرضا . الطبرى : تحليت الدنيا لهارون بالرضا ..

فأصبح .

(٥) أخطأ أبو الفرج في ذكر يحيى بن خالد البرمكى هنا ، لأن وقعة هرقله كانت بعد نكبة

البرامكة .

(٦) كع : جبن وتأخر .

(٧) فى الكامل : أهل جنده ، وفى الطبرى : أهل جنده . وذكر أن القائل هو أبو محمد

عبد الله بن يوسف ، أو المجاج بن يوسف التيمى .

(٨) غ : الذى أعطاه .

(٩) الطبرى : غم أذاك .

ولقد تَبَاشَرَتِ الرَّعِيَّةُ أَنْ أُنَى
 وَرَجَتْ بِيَمِينِكَ أَنْ تُمَجِّلَ غَزْوَةَ
 أَعْطَاكَ جِرْزِيَّتَهُ وَطَاطَأَ خَدَّهُ
 فَأَجْرَتَهُ مِنْ وَقْمِهَا وَكَأَنَّهَا
 وَصَرَفَتْ مِنْ طَوْلِ الْعَسَاكِرِ قَافِلًا
 نَقْفُورٌ ، إِنَّكَ حِينَ تَغْدُرُ أَنْ نَأَى
 أَلْفَاكَ حَيْنِكَ فِي زَوَاخِرِ بَحْرِهِ
 يَا مَنْ يُرِيدُ رِضَا الْإِلَهِ بِسَمِيهِ
 لَا نُصَحَّ يَنْفَعُ مَنْ يَغُشُّ إِمَامَهُ
 نُصَحُّ الْإِمَامَ عَلَى الْأَنَامِ فَرِيضَةٌ

فلما أنشده ، قال الرشيد : « أو قد فعل ؟ » وعلم أن وزراءه قد احتالوا في ذلك .

فسار الرشيد قاصدا إليه . فكان الفتح على يديه . فقال أبو العتاهية في فتحها (٥) :

أَلَا نَادَتْ هِرَقْلَةَ بِالْخِرَابِ مِنْ الْمَلِكِ الْمَوْفِقِ لِلصَّوَابِ (٦)
 غَدَا هَارُونَ يُرْعِدُ بِالْمَنَابِا وَيُبْرِقُ بِالْمَذَكَّرَةِ الْقِضَابِ (٧)
 وَرَايَاتِ يَحُولُ النَّصْرُ فِيهَا تَمَرُ كَأَنَّهَا قَطَعَ السَّحَابِ
 أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، ظَفَرَتْ فَاسْلَمَ وَأَبْشِرُ بِالْغَنِيمَةِ وَالْإِيَابِ

(١) غ والطبرى : فلقد . . . بالنقض عنه .

(٢) ب ، س ، والطبرى : ورجت يمينك . والطبرى : مكانها المذكور .

(٣) ب ، س : في طول . الطبرى : وصرفت بالطول العساكر .

(٤) الطبرى : ولأهلها .

(٥) ديوانه ٣١٩ . الطبرى ٣ : ٦٩٨ .

(٦) الطبرى : الموفق بالصواب .

(٧) المذكرة : السبوف القوية . والقضاب : القاطعة .

وجعل الرشيد يفتح الحصون في طريقه والمدن ويُحْرِقُهَا ، حتى أناخ على هرقلة ،
وهي أوثق حصن وأعزّه جانباً وأمنّهُه ركننا . فتحصن أهلها ، وكان بابها على واد ،
ولها خندق يُطيف بها . فلما ألح هارون عليهم بالمجانيق والعرّادات والسهام ، ودام
الحصار ، فُتِحَ الباب ذات يوم . فاستشرف المسلمون لذلك . فإذ رجل من أهلها
كأ كمل الرجال قد خرج في أكل السلاح . فنادى : « قد طالت مُوافقتكم إيانا .
فليبرز إلى منكم رجلاً » . ثم لم يزل يزيد حتى بلغ عشرين . فلم يُجِبه أحد . فدخل
وأغلق الباب ، وكان الرشيد نائماً فلم يعلم بخبره إلا بعد انصرافه ، فغضب ولام خدمه
وعلمانه على تركهم إيقاظه وتأسّف لفوته . فقيل له : « إن الامتناع منه سيُغريه ويُطمعه
ويطفيه . وأخْرِبه أن يخرج في غد ، فيطلب مثلما طلب » . فطالت على الرشيد ليلته ،
وأصبح كالمتتظر له . وإذا بالباب قد فتح ، وخرج الرجل طالبا للبراز ، وذلك
في يوم شديد الحر . فجعل يدعو ويدّعي بأنه يثبت لعشرين منهم . فقال الرشيد :
« مَنْ له ؟ » فابتدره جِلَّةُ القواد كهرْثمة ، ويزيد بن مزُيد ، وعبد الله بن مالك ،
وخزيمة بن خازم ، وأخيه ، وداود بن يزيد ، وأخيه . فعزم على إخراج بعضهم .
فضجّ المطوّعة حتى سمع ضجيجهم . فأذن لعشرين منهم ، فاستأذنوه في المشورة ،
فأذن لهم . فقال قائلهم : « يا أمير المؤمنين ، قوادك مشهورون بالنجدة والبأس وعلو
الصوت ومدارسة الحرب . ومتى خرج واحد منهم فقتل هذا المَلِج لم يكْبُر ذلك .
وإن قتله المَلِج كانت وصمة على المسكر قبيحة وتُلْمة لا تُسد . ونحن عامة لم يرتفع
لأحد منا صوت إلا كما يصلح للعامة ؛ فإن رأى أمير المؤمنين أن يخلينا نختار رجلاً
فنخرجه إليه ، فإن ظفر علم أهل الحصن أن أمير المؤمنين ظفر بأعزّهم على يد رجل
من العامة من أفناء الناس ، ليس ممن يُوهن قتله ولا يؤثّر . وإن قتل الرجل فإنما
استشهد ولم يؤثّر ذهابه في المسكر ولم يثله ، وخرج إليه بعده مثله ، حتى يقضى الله
ما يشاء » . « فقال الرشيد : « قد استصوبت رأيكم هذا » .

فاختاروا رجلا منهم يعرف بابن الجزري ، وكان معروفا في الثغر بالبأس والنجدة . فقال له الرشيد : « أخرج ؟ » قال : « نعم ، وأستمع بالله تعالى » . فقال : « أعطوه فرسا ورحما وسيفا وترسا » . فقال : « يا أمير المؤمنين ، أنا بفرسى أوثق ، ولكنني قد قبلت السيف والترس » . فلبس سلاحه . واستدناه الرشيد فودعه وأتبعه الدعاء . وخرج معه عشرون من المطوعة . فلما انقضى في الوادي ، قال لهم العليج - وهو يمدّم واحدا واحدا : « إنما كان الشرط عشرين ، وقد زدتم رجلا ، ولكن لا بأس » . فنادوه : « ليس يخرج إليك إلا رجل واحد » .

فلما فصل منهم ابن الجزري ، تأمله الرومي وقد أشرف الناس من الحصن يتأملون صاحبهم والقرون ، حتى ظنوا أنه لم يبق أحد في الحصن إلا أشرف . فقال له الرومي : « أتصدّقني عما أستخبرك » . قال : « نعم » . قال : « بالله ، أنت ابن الجزري ؟ » قال : « اللهم نعم » . فكفّر له ^(١) . ثم أخذوا في شأنهما . فاطمنا حتى طال الأمر بينهما . وكاد الفرسان يقومون ، وليس يحدش واحد منهما صاحبه . ثم تحاورا بشيء ، فرج كل واحد منهما رحمه ، وانتضى سيفه ، فتجالدا مليا ، واشتد عليهما الحر ، وتبلد الفرسان . وجعل ابن الجزري يضرب الضربة التي يرى أنه قد بلغ فيها ، فيتقيها الرومي ، وكان ترسه من حديد ، فيسمع لذلك صوت منكر . ويضربه الرومي ضرب ممدّر ^(٢) ، لأن ترس ابن الجزري كان درقة . فكان العليج يخاف أن يعض بالسيف ، ويمطب . فلما يئس كل واحد منهما من الوصول إلى صاحبه ، انهزم ابن الجزري . فدخلت المسلمون كآبة لم يكتببوا مثلها قط ، وعطط ^(٣) المشركون اختيالا وتظاولا . وإنما كانت هزيمته حيلة منه ، فاتبعه العليج . وتمكّن ابن الجزري

(١) كفر له : حياه بأن وضع يده على صدره وطأ رأسه .

(٢) المندر : المبالغ في العذر .

(٣) العططة : تتابع الأصوات واختلاطها .

منه . فرماه بوهق^(١) فوقع في عنقه فما أخطأه . وركض فاستلبه عن فرسه . ثم عطف عليه ، فما وصل إلى الأرض حتى فارقت رأسه .

فكبر المسلمون أعلى تكبير ، وانخزل المشركون ، وبادروا الباب يُغلقونه . واتصل الخبر بالرشيد ، فصاح بالقواد : « اجعلوا النار في المجانيق » . فعملوا ، وجعلوا الكتان والنفط على الحجارة ، وأضرموها نارا ، ورموا بها السور . فكانت النار تلتصق به وتأخذ الحجارة ، وقد تصدع فتهافت . فلما أحاطت بهم النيران ، فتحو الباب مستأمنين .

فقال الشاعر المكي الذي ينزل جُدة^(٢) :

هَوَتْ هِرْقَلَةُ لِمَا أَنْ رَأَتْ عَجَبًا جَوَانِمَا تَرْتَمِي بِالْغَنَظِ وَالنَّارِ^(٣)

كُنَّ نِيرَانًا فِي جَنْبِ قَلَمَتِهِمْ مُصِيبَاتٍ عَلَى أَرْسَانِ قَصَارِ

وهذا كلام ضعيف لكن قدره في وقته عظيم ، فأعظم الشيد الجائزة له .

وصُبت الأموال على ابن الجزري وقُود . فلم يقبل التقويد [إلا]^(٤) بغير رزق

ولا عوض ، وسأل أن يُعفى وينزل بمكانه من الثغر . فلم يزل به طول عمره .

ولما انصرف الرشيد عن هرقله ، قدم الرقة في آخر رمضان . فلما عميد جلس

للشعراء . فدخلوا وفيهم أشجع ، فأنشأ يقول :

لَا زَلَّتْ تَنْشُرَ أَعْيَادًا وَتَطْوِيهَا تَمْضِي بِهَا لِكَ أَيَّامٍ وَتُمْضِيهَا^(٥)

مُسْتَقْبِلًا زِينَةَ الدُّنْيَا وَبِهِجَّتِهَا أَيَّامُهَا لِكَ نَظْمٍ فِي لَيْالِيهَا

وَلَا تَقْضَتْ بِكَ الدُّنْيَا وَلَا بَرَحَتْ يَطْوِي لِكَ الدَّهْرَ أَيَّامًا وَتَطْوِيهَا

(١) الوهق : الحبل يرمى في أنشوطه فتؤخذ به الدابة والإنسان .

(٢) نسب الشعر في معجم الشعراء (طبع عيسى الحلبي) لعيسى بن جعفر ، ص ٩٩-١٠٠ .

(٣) غ : حوائما .

(٤) زيادة عن غ .

(٥) غ : أيام وتنديها .

والعيد والعيد والأيامُ بينهما
 لِيَهْنِكَ الفتحُ والأيامُ مقبلةٌ
 وأمسَتْ هرقلةٌ تهوى من جوانبها
 ملكتها وقتلت الناكثين بها
 ماروعى الدينُ والدينا على قدمٍ
 بمثل هارون راعيه وراعيا

فأمر له بألف دينار وقال : « لا ينشدني أحد بعده شيئا » . فقال أشجع :
 « لأمره ألا ينشده أحد بمدى شيئا أحب إلى من صلته » .

رأى الرشيد ليلة في منامه كأن امرأة وقفت عليه ، وأخذت كف تراب
 ثم قالت له : « هذه تربتك عن قليل » . فأصبح فرِعا . فقص رؤياه ، فقال له أصحابه :
 « وما في هذا ؟ قد يرى النائم أكثر من هذا وأغلظ ثم لا يضره » . فركب وقال :
 « إنى لأرى الأمر قريبا » . فبينما هو يسير إذ نظر إلى امرأة واقفة من وراء شبك
 حديد تنظر إليه . فقال : « هذه والله المرأة التي رأيتها . ولو رأيتها بين ألف امرأة
 ما خفيت عليّ » . ثم أمرها أن تأخذ كف تراب فتدفعه إليه . فضربت بيدها
 الأرض التي كانت عليها فأعطته منها كف تراب . فسكى وقال : « هذه والله التربة
 التي رأيتها ، وهذه المرأة بعينها » . ثم مات بعد مدة ، ودُفن في ذلك الموضع بعينه ،
 اشترى له ودُفن فيه . وأتى نعيه بغداد ، ورثاه أشجع فقال :

غَرُبْتُ بِالْمَشْرِقِ الشَّمْسُ سُ فُكُلُ لِّلْعَيْنِ تَدَمَعُ
 مَا رَأَيْتُنَا قَطُّ شَمْسًا غَرُبْتُ مِنْ حَيْثُ تَطْلُعُ

- (١) ي : العيد .
 (٢) غ : وليهتك . . معقودا .
 (٣) غ : وناصر الله .
 (٤) غ : وما فيها .

هِنْد بنت أسماء*

هي هند بنت أسماء بن خارجة الفزاري .

كان أسماء بن خارجة قد زوّج ابنته هنداً من الحجاج بن يوسف . فلما كان ليلة البناء بها ، قال لها أسماء : « يا بُنَيَّة ، إن الأمهات يؤدبن البنات ، وإن أمك هلكت وأنت صغيرة . فعليك بأطيب الطيب : الماء ، وأحسن الحسن : الكحل . وإياك وكثرة الماتبة ، فإنها مُقَطَّعة للود . وإياك والغيرة ، فإنها مفتاح للطلاق ، وكوني لزوجك أمة ، يكن لك ^(١) عبداً . واعلمي أنني القائل لأمك :

خذى العفو منى تستدعى مودتى ولا تنطق في سورتى حين أغضب
فإني رأيت الحب في الصدر، والأذى إذا اجتمعما لم يلبث الحب يذهب ^(٢)
وكانت هند امرأة مجربة تزوّجها جماعة من أمراء العراق ، فقبلت من أبيها وصيته .
وكان الحجاج يصفها في مجلسه بكل خير . وفيها يقول عُقَيْبَةُ ^(٣) الأَسَدِيُّ الشاعر
يخاطب أباه :

جزاك الله - يا أسماء - خيراً كما أرضيت فيشلة الأمير
بصدع قد يفوح المسك منه عليه مثل كركرة البعير
إذا أخذ الأمير بمشيئها سمعت لها أزيماً كالصير ^(٤)
إذا تقحت بأزواج تراها تجيد الرّهز من فوق السرير ^(٥)

* أخبارها في ب ١٨ : ١٢٨ ، س ١٨ : ١٢٨ ، ي ٢٠ : ٣٣٣ .

(١) كذا في غ . وفي ص : له ، خطأ .

(٢) غ : فإني وجدت .

(٣) كذا في غ وهامش ص . وفيها : عتية .

(٤) الأمير : كذا في غ وهامش ص . وفيها : البعير . وفي غ : بمشيئها . والنتع : المسيل .

(٥) ي : لقت .

لما قدم الحجاج الكوفة ، أشار عليه محمد بن عمير بن عطارذ أن يخطب إلى أسماء ابنته هندا . فخطبها ، فزوجه إياها ، فأقبل عليه محمد ميمثلا :

أَمِنْ حَدْرًا لَهْزَالٍ نَكَحْتَ عَبْدًا؟ فَصَهْرُ الْعَبْدِ أَذْنَى لِلْهَزَالِ

فاحتملها عليه أسماء ، وسكت عن جوابه . ثم أقبل على الحجاج يوما ، وهند جالسة ، فقال : « ما يمنعك من الخطبة إلى محمد بن عمير ابنته ، فإن من شأنها كيت وكيت » . قال : « أتقول هذا وهند تسمع ! » فقال : « موافقتك أحبُّ إلي من رضاها » . فخطبها إلى محمد بن عمير ، فزوجه . فقال أسماء لمحمد بن عمير - وضرب يديه على منكبيه :

دونك ما أسديتَه يا بنَ حاجِبٍ سواء كمرِفِ الدِّيكِ أو قُدَّةِ النَّسْرِ^(١)
 بقَوْلِكَ للحِجَّاجِ : إن كُنْتَ نَاكِحًا فلا تَعُدُّ هِنْدًا من نِساءِ بَنِي بَدْرِ
 فإن أباهَا لا يرى أنْ خَاطَبَهَا كِفَاءً لَهَا إلا التَّوَجُّجُ من فِهْرِ^(٢)
 فزَوَّجْتُمَا الحِجَّاجَ لأمْتِكَارِهَا ولا رَاغِبًا عَنْهُ ، وَنِعْمَ أَخُو الصَّهْرِ^(٣)
 أَرَدْتَ ضِرَارِي فَاعْتَمَدْتَ مَسْرَتِي وَقَدْ يُحْسِنُ الْإِنْسَانُ من حَيْثُ لا يَدْرِي
 فإن تَرَهُ عَارًا فَقَدْ جِئْتَ مِثْلَهُ وَإِنْ تَرَهُ نَخْرًا فَهَلْ لَكَ من شُكْرِ؟^(٤)

وكانت هند تحت عبيد الله بن زياد ، وكان أبا عذرها . فلما قُتِل ، كانت معه . فلبست قباء ، وتقلدت سيفًا وركبت فرسا لعبيد الله يقال له الكامل ، وخرجت حتى دخلت الكوفة ليس معها دليل . ثم كانت بعد ذلك أشد خلق الله جزعا عليه . ولقد قالت يوما : « إني لأشتاق إلى القيامة ، لأن أرى وجه عبيد الله بن زياد » .

(١) فهاמש ص : دونك ما أسلفته . وفي غ : كعين الديك . وأسدى : أعطى والقذة : الأذن .

(٢) ب ، س : كفاء له .

(٣) ب ، س : ولا باغيا عنه .

(٤) غ : فإن ترها عارا فقد جئت مثلها وإن ترها نخرا . . .

فلما قدم بشر بن مروان الكوفة ، دُلَّ عليها . فخطبها فتزوجها ، فولدت له عبد الملك بن بشر . وكان بشر يغال من الشراب ويكتم ذلك . وكان إذا صلى العصر ، خلا في ناحية من داره ، ليس معه إلا أعين مولاه ، صاحب حمام أعين بالكوفة ، وأخذ في شأنه . فلم تزل هند تتجسس خبره حتى عرفتته . فبعثت مولى لها ، فأحضرها أطيب الشراب ، وأحدته وأشدته ، وأرقه وأصفاه . وأصلحت له طعاما علمت أنه يشتهي . وأرسلت إلى أخويها مالك وعيينة فأتياها . وبعثت إلى بشر فاعتدت عليه بعملة فأتاها . فوضعت بين يديه ما أعدته له ، فأكل وشرب ، وجعل مالك يسقيه ، وعيينة يحذنه ، وهند تربيه وجهها ، فلم يزل كذلك حتى أمسى . فقال : « هل عندكم من هذا شيء نعود عليه غدا ؟ » فقالت : « هذا دائم لك ما أردته » . فلزمها . وبقى أعين يقع الذباب على وجهه ولا يرى بشرا ، إلى أن بحث عن أمره فعرفه . فعلم أنه ليس فيه حظ بمدها . ومات بشر عنها ، فلم يكثر جزعها عليه . فقال الفرزدق في ذلك ^(١) :

فإن لاتكنْ هندی بكتته فقد بكت عليه الثريا في كواكبها الزهر

ثم خالف عليها الحجاج ، وكان سبب ذلك أنه بعث أبا بردة بن أبي موسى الأشعري ، وهو قاضيه ، إلى أسماء [يقول له :] « أن قبيحا مع بلاء أمير المؤمنين عندي ، أن أقيم بموضع فيه ابنا أخيه بشر ، لا أضمهما إلي ، فأتولى منهما مثل ما أتولى من ولدي ، فاسأل هندا أن تطيب نفسها عنهما . وأعلمهما أنه لا بد من التفرقة بينهما وبينهما حتى أودبهما » . قال أبو بردة : فاستأذنت فأذن لي وهو يأكل وهند معه ، فما رأيت وجهها قط ولا كفا ولا ذراعا أحسن من كفها وذراعها ووجهها ، وجعلت تُحجفني وتضع بين يدي . فدعاني إلى الطعام ، فلم أفعل وجعلت تمبث بي وتضحك . فقلت : « أم والله ، لو علمت فيم جئت لبكيت » . فأمسكت يدها عن الطعام . فقال أسماء : « قد منعتها الأكل ، فقل ما جئت له » . فأبلغت أسماء ما أرسلت به .

فبكت هند ، فلم أر والله دموعا قط سائلة من سحاجر أحسن من دموعها في محاجرها .
ثم قالت : « نعم ، أرسلُ بهما إليهِ ، فما أحد أحق بتأديهما منه » . وقال أسماء :
« أما عبد الملك فتمرة قلوبنا (يعنى عبد الملك بن بشر) ، وقد أنسنا به ، ولكن أمر
الأمير طاعة » . فأتيت الحجاج فأعلمته برودها ، ومارأيته من جمالها وهيئتها . فقال :
« ارجع فاخطبها عليّ » . فرجعت وهما على حالهما . فلما دخلت قلت : « إني قد جئت
بغير الرسالة الأولى » . قال : « اذكر ما أحببت » . قلت : « جئت خاطبا » . قال :
« أعلى نفسك ، فما بها عنك رغبة ؟ » قلت : « لا ، بل على من هو خير مني » .
وأعلمته ما أمرني به الحجاج . فقال : « هاهي ذه تسمع ما أدبت » . فسكتت . فقال أسماء :
قد رضيت ، وقد زوجتها إياه » . فلما زوجها أبوها ، قامت مُبادرة عليها مُطرف خز
أسود ، فرأيته دخل بين ظهرها وعجزتها . ولم تسقط قائمة حتى انثنت ومالت لأحد
شقيها من شحمها . فانصرفت بذلك إلى الحجاج . فبعث إليها بمائة ألف درهم
وعشرين تحننا من ثياب . وقال : « يا أبا بردة ، أحب أن تسلمه إليها » . ففعلت
ذلك وأرسلت من سلمه إليها ، فأرسلت إلى : « جئتنا قاضيا ، ثم جئت دلالا » وأرسلت إلى
من المال بمشرين ألف درهم ، ومن الثياب تحننين : فقلت : « ما أقبل شيئا حتى أستطلع
رأى الأمير » . ثم انصرفت إليه فأعلمته . فأمرني بقبضه ، ووصلني بمثله .

وقيل : أرسل إليها بثلاثين غلاما مع كل غلام عشرة آلاف درهم ، وثلاثين جارية
مع كل جارية تحت ثياب . وأمر لي بثلاثين ألف درهم و ثياب . فلما وصلت إلى هند ،
أمرت لي بمثل ما أمر لي به الحجاج . فأبيت قبوله وقلت : « ليس الحجاج بمن
يُتمرّض له بمثل هذا » . فأتيت الحجاج فأخبرته . فقال : « قد أحسنت وقد أضعف
الله ذلك لك » . وأمر لي بستين ألفا وبضعف تلك الثياب . فكان ذلك أول ما أصبته
مع الحجاج .

وأرسل الحجاج إليها : « إني أكره أن أبيت خلواً ولى زوجة » . فقالت :

« وما احتباس امرأة عن زوجها وقدم ملكها، وأنتها كرامته وصداقها ». وأصلحت من شأنها . وأتته ليلاً ، فدخلت عليه ، وهو في بيت عظيم في أقصاه ستارة ، وهو على فراشه . فلما أن دخلت سلمت . فأوماً إليها بقضيب معه . فجلست عند رجله ساعة . ومكثت ساعة لا تتكلم ، ونحن وقوف . فضربت بيدها على فخذه ثم قالت : « ألم تبعد^(١) من سوء الخلق ». فتبسم وأقبل عليها واستوى جالساً . فدعونا له ، وخرجنا وأرخيت الستور .

ثم قدم الحجاج البصرة ، فحملها معه . فلما بنى قصره الذي دون المحدثه ، الذي يقال له « قصر الحجاج » . قال لها : « هل رأيت قط أحسن من هذا القصر ؟ » قالت : « ما أحسنه ! » قال : « لتصدُقني » . قالت : « أما إذا أبيت ، فوالله ما رأيت أحسن من القصر الأحمر وفيه عبيد الله بن زياد » . قال : « والقصر الأحمر كان دار الإمارة بالبصرة ، وكان عبيد الله بن زياد بناه بطين أحمر . فطلق هنداً غضباً مما قالته . وبث إلى البصرة فهدمه وبناه بلسين . ثم تعهد صالح بن عبد الرحمن^(٢) في خلافة سليمان بن عبد الملك ، فبناه بالآجر بحد ذلك . ثم هُدم بحد وأدخل في المسجد الجامع .

قال محمد بن عمرو بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام الخزومي : فخرجنا يوماً مع الحجاج نعود عبد الملك بن بشر ، فسلمنا عليه وعدناه معه . ثم خرجنا وتخلف الحجاج فوقفنا ننتظره . فلما خرج التفت فرآني . فقال : « يا محمد ، ويحك ! رأيت الساعة هنداً فمارأيت قط أجمل منها ، ولا أشب منها حين رأيتها ، وما أنا بممسٍ حتى

(١) كذا في غ . وفي ص : تعهد .

(٢) كذا في غ ، وهو الصحيح . وفي ص : ثم بعث بصالح . . . وذلك خطأ لأن الحجاج

لم يدرك خلافة سليمان .

أراجعها» : فقلت : أصلح الله الأمير، امرأة طلقها على عتَب^(١) تُرى الناس أن تنسك
تتبعها ويكون لها الحجّة عليك . قال : « صدقت . لَلصَّبْرُ أَحَجَى » . قال محمد :
« والله ما كان منى ما كان نظرا لها ولا نصيحة له ، ولكنى أتفت لرجل من قريش
أن تُداس أمّه في كل وقت .»

(١) كذا في ي . وفي ب ، س : عنت . وتقطت ص الباء وحدها .

هُدْبَةَ بْنِ خَشْرَمٍ*

هو هُدْبَةُ بْنُ خَشْرَمِ بْنِ كُرْزِ بْنِ أَبِي حِيَةَ بْنِ الْكَاهِنِ - وهو سَلَمَةُ - بْنِ أَسْحَمِ
ابن عامر بن ثعلبة بن عبد الله بن ذُبْيَانِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ سَعْدِ بْنِ هُدَيْمِ بْنِ أَسْلَمَ . وسعد
ابن هُدَيْمِ شاعر . وهُدَيْمِ عبد لأبيه رباه فقيل : سعد بن هُدَيْمِ .
هُدْبَةُ شاعر فصيح متقدّم من بادية الحجاز .

وكان شاعراً راوية ، يروي للحطيئة ، والحطيئة يروي لكعب بن زهير ،
وكعب بن زهير يروي لأبيه زهير . وكان جميل راوية هُدْبَةَ ، وكثير راوية جميل .
فلذلك قيل : إن آخر فخل اجتمعت له الرواية إلى الشعر كثير .

وكان له دبة ثلاثة إخوة كلهم شاعر : حَوَظُ ، وَسَيْحَانُ ، وَالوَاسِعُ ، أمهم
حياة بنت أبي حُرٍّ^(١) بن أبي حية ، من رهطهم الأذنين . وكانت شاعرة أيضا .
كان هُدْبَةُ بْنُ خَشْرَمِ وَأَبُو الْمِسْوَرِ زِيَادَةُ بْنُ زَيْدِ بْنِ مَالِكِ بْنِ عَامِرِ بْنِ قُرَّةِ
ابن خَنْبِسِ^(٢) بن عمرو بن عبد الله بن ثعلبة بن ذبيان بن الحارث بن سعد بن هُدَيْمِ
قد اصطحبا ، وهما مقبلان من الشام في ركب من قومهما . فكانا يتعاقبان السوق
بالإبل . ومع هُدْبَةَ أُخْتَهُ فَاطِمَةُ ، فنزل زيادة فارتجز وقال^(٣) :

عُوجِي عَلَيْنَا وَإِرْبِي يَا فَاطِمَا مَا دُونَ مَا يُرَى الْبَعِيرُ قَامًا^(٤)

* أخباره في بر ٢١ : ٢٦٤ ، س ٢١ : ١٦٩ ، ي ٢١ : ٢٧٧ ، الشعر والشعراء
لابن قتيبة ٤٣٤ .

(١) كذا في ص . وفي س ، ي ، بر : أبي بكر . وفي نسخة مما اعتمدت عليه بر :
أبي جبر ، وفي أخرى : أبي حريث .

(٢) ي : حنّس .
(٣) ابن قتيبة ٤٣٤ . العيني : المقاصد النحوية ٢ : ٢٧٠ . اللسان (نعم) .

(٤) غ وابن قتيبة : أن يرى . وعوجى : عرجى ومبلى . واربعى : فقى . وفي هامش حاشية
تشرح الشطر الثاني ، تقول : « أى ما بين مناخ البعير إلى قيامه » .

أَلَا تَرَيْنَ الدَّمْعَ مِنِّي سَاجِمًا حِذَارَ دَارٍ مِنْكَ أَنْ تُلَآئِمَا^(١)
فَأَطْرَدْتُ مُطْرِدًا عُرَاهِمَا فَعَمَّا يَبْدُ الْقُطْفِ الرَّوَاسِمَا^(٢)
فغضب هدية حين سمع زيادة يرتجز بأخيه . فنزل فرجز بأخت زيادة وكانت تدعى
أم حازم^(٣) :

لقد أراني والنلامَ الحازما نَزَجِي الْمَطِيَّ ضُمَّرَا سَوَاهِمَا^(٤)
متى تظنُّ القُلُصَ الرَّوَاسِمَا وَالْجِلَّةَ النَّاجِيَةَ الْعِمَاهِمَا^(٥)
يَبْلُغَنَّ أُمَّ حَازِمٍ وَحَازِمَا إِذَا هَبَّطْنَ مُسْتَحِيرَا قَاتِمَا^(٦)
ورَفَعَ الحَادِي لَهَا الْهَمَاهِمَا أَلَا تَرَيْنَ الحِزْنَ مِنِّي دَائِمَا^(٧)
حِذَارَ دَارٍ مِنْكَ أَنْ تُلَآئِمَا وَاللَّهِ لَا يَشْفِي الْفُؤَادَ الْهَامِمَا

- (١) كذا في ص ، وابن قتيبة ، واللسان (فغم) . وفي غ : لن تلتأما .
(٢) غ : فخرجت مطردا . والمطرد : متتابع السير . والعرايم : الشديد . والفعم : الضخم .
والقطف : جمع قطوف ، وهي الضيقة المشى . والرواسم : التي تسير الرسيم ، وهو سير سريع .
(٣) أو أم قاسم .
(٤) نزجي : نسوق . المطي : الإبل . الضمر : جمع ضامر ، وهو المهزول من كثرة الأسفار
والسواهم : المتغيرة من السفر .
(٥) اللسان والعيني : متى تقول . والقنص : جمع قنوص ، وهي الشابة من الإبل . والجللة :
جمع جليل ، وهي الكبار من الإبل . والناجية : السريعة تنجو بمن يركبها . والعيام : جمع عيهم
وهو الشديد أو السريع أو الحسن الخلق .
(٦) اللسان : يدين أم قاسم وقاسما . ابن قتيبة : يبلغن أم قاسم وقاسما . غ : يبلغن أم حازم
وحازما . والمستحير : الطريق الذي يأخذ في عرض مفازة ولا يدرى أين منفذه أو القفر الذي يحار
فيه القوم . والقاتم : الكثير القتام ، أي القبار .
(٧) غ والعين : ورجع الحادي . ورفع : أعلى . والهامم : جمع هممة ، وهي الصوت .

تَمْسُحُكَ اللَّبَاتِ وَالْمَاكِ وَاللَّمَامُ دُونَ أَنْ تُتْلَازِمَا (١)
 وَلَا اللَّثَامُ دُونَ أَنْ تُفَاقِمَا وَتَمَلُّوا الْقَوَائِمُ الْقَوَائِمَا (٢)

قال : فشمته زيادة وشمته هدبة ، وتسابا طويلا . فصاح بهما القوم : « اركبا ، لا تملكما الله ! فإننا قوم حجاج » . وخشوا أن يقع بينهما شر فوعظوهما حتى أمسك كل واحد منهما على ماني نفسه ، وهدبة أشدها حنقا ، لأنه يرى أن زيادة رجز بأخته وهي تسمع قوله ، ورجز هو بأخت زيادة وهي غائبة لا تسمع قوله . ومضيا فلم يتحاورا بكلمة حتى قضيا حججهما ورجعا إلى عشيرتهما .

ثم جملا يهاديان الأشعار ويتفاخران ، ويطلب كل واحد منهما العلو على صاحبه في شعره . فن مختار ما قال زيادة :

أراك خليلا قد عزمتَ التَّجَنُّبَا وَقَطَمْتَ حَاجَتِ الْفَوَادِ فَأَصْحَبَا (٣)
 وإنك للنَّاسِيِ الْخَلِيلِ إِذَا دَنَتْ بِهِ الدَّارُ ، وَالْبَاكِي إِذَا مَا تَغَيَّبَا (٤)
 إِذَا خَفَتْ شَكَّ الْأَمْرِ فَارْمِ بِعِزْمَةٍ غَيَابَتَهُ يَرْكَبِ الدَّهْرُ مَرَّ كَبَا (٥)
 وَإِنْ وَجْهَةٌ سُدَّتْ عَلَيْكَ فُرُوجُهَا فَإِنَّكَ لَاقٍ لَا مَحَالَةَ مَدَّهَا
 يُبْلَامُ رِجَالٌ قَبْلَ تَجْرِيْبِ غَيْبِهِمْ وَكَيْفَ يُبْلَامُ الْمَرْءَ حَتَّى يُجْرَبَا

(١) ابن قتيبة : اللبات والمعاصم . التمساح : المسح . واللبات : جمع لبة ، وهي موضع الفلادة من الصدر . والمآم : جمع مأم ومأمة ، وهي اللحمة التي على رأس الورك أو اللحمتان اللتان تصلان بين العجز والنتين . واللمام : الزيارة .

(٢) جمع الشطر الأول بين شطرين رواهما ابن قتيبة والعبى وابن منظور وأبو الفرج ، وهما : ولا اللزام دون أن تفاقما ولا الفقام دون أن تنافمما

والفقام : النكاح . والفقام : التقبيل والشم . بر ، س ، واللسان ، والعبى : وتركب القوائم . وابن قتيبة : وتعلق القوائم .

(٣) أصحب : ذل وانقاد بعد صعوبة .

(٤) بر ، س : وإنك كالناس .

(٥) بر ، س : يركب بك الحزم ، وهي أحسن .

وإني لَمَرَّاضٌ قَلِيلٌ تَعَرَّضِي
 قَلِيلٌ عِثَارِي حِينَ أُذْعَرُ ، سَا كُنُّ
 أَنَا ابْنُ رَقَاشِ ابْنِ ثَمَلِبَةَ الَّذِي
 بَنَى الْعِزُّ بَنِيَانًا لِقَوْمِي فَأَصْعَبُوا
 فَمَا إِنْ تَرَى فِي النَّاسِ أُمَّامًا كَأَمَّنَا
 أَنْتُمْ . وَأَنْمَى بِالْيَمِينِ إِلَى الْعَلَا
 مَلَكْنَا وَلَمْ نُمَلِّكْ ، وَقُدْنَا وَلَمْ نُقَدِّ
 بَابِي أَنَا لَا نَرَى مُتَّوَجًّا
 وَلَا مَلِكًا إِلَّا اتَّقَانَا بِمُلْكِهِ
 مَلَكْنَا الْمُلُوكَ وَاسْتَبْجَحْنَا حَاهِمُ
 نَدَايَ وَأَرْدَانَا وَلَمْ تَكُ سُوقَةٌ
 لَوَجْهِ امْرِئٍ يَوْمًا إِذَا مَا تَجَنَّبَا
 جَنَانِي إِذَا مَا الْحَرْبُ هَتَّتْ لَتَكَلْبَا (١)
 بَنِي هَادِيَا يَعْلُو الْهُوَادِيَّ أَغْلَبَا
 بِأَسْيَافِهِمْ عَنْهُ فَأَصْبَحَ مُصْعَبَا (٢)
 وَلَا كَأَبِينَا حِينَ نَنْسُبُهُ أَبَا
 وَأَكْرَمَ مِنَّا فِي الْمَنَاسِبِ مَنَسَبَا (٣)
 كَأَنَّ لَنَا حَقًّا عَلَى النَّاسِ تَرْتَبَا (٤)
 مِنَ النَّاسِ يَعْمَلُونَا إِذَا مَا تَعَصَّبَا (٥)
 وَلَا سُوقَةً إِلَّا عَلَى الْخَرْجِ أَتْعَبَا (٦)
 وَكُنَّا لَهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ مَوْكِبَا (٧)
 تَوَازَنُنَا فَسَأَلْ إِيَادًا وَتَقَلَّبَا (٨)
 فَأَجَابَهُ هَدْبَةُ بِأَبْيَاتٍ لَمْ أَقْفَ مِنْهَا إِلَّا عَلَى غَزْلِهَا .

ولم يزل هدبة يطلب غرة زيادة حتى أصابها فقتله ، وتنحى مخافة السلطان .

(١) هر السكلب : أخرج صوتا دون النباح من البرد أو سوء الخلق ، كنى بذلك للحرب .
 وتكلب : تصاب بالجنون .

(٢) غ : لقومى فاصعوا . وأصعبوا : جعلوه صعبا .

(٣) باليمين : كذا فى ص وإن كانت غير واضحة . وفى غ : بالبين ، وفيه أيضا : فى المناصب

منصبا .

(٤) ترتب : لازم ثابت .

(٥) بر ، س : متوجها . وتعصب : تتوج .

(٦) الحرج : الإتاوة والضريبة والحراج .

(٧) سى : ملكنا ملوكا .

(٨) غ : فلم ترسوقة والأرداف : جمع ردف ، وهو نائب الملك .

وعلى المدينة يومئذ سعيد بن العاص^(١) ، فأرسل إلى عم هذبة وأهله فبسطهم بالمدينة . فلما سمع هذبة ذلك ، أقبل حتى أمكن من نفسه ، وتخلص عمه وأهله فلم يزل محبوساً حتى شخّص عبد الرحمن بن زيد ، أخو زيادة ، إلى معاوية بن أبي سفيان . فأورد كتابا إلى سعيد بن العاص بأن يُقيد منه ، إذا قامت البيعة . فأقامها . فشت عُذرة إلى عبد الرحمن فسألوه قبول الدية . فامتنع من ذلك وقال^(٢) :

أَنْتُمْ عَلَيْنَا كَلَّكَ الْحَرْبِ مَرَّةً فَنَحْنُ مُنِيخُوهَا عَلَيْكُمْ بِكُلِّ
فَلَا يَدْعُنِي قَوْمِي لِزَيْدِ بْنِ مَالِكٍ لَنْ لَمْ أُعْجَلْ ضَرْبَةً أَوْ أُعْجَلْ
أَبْمَدَ الَّذِي بِالنَّمْفِ نَعْفِ كُوَيْكِبِ رَهِينَةَ رَمِيْسِ ذِي تَرَابٍ وَجَنْدَلِ^(٣)
أَذْكَرَ بِالْبُقَيْيَا عَلَى مَنْ أَصَابَنِي وَبُقَيْيَا أُنِّي جَاهِدُ غَيْرُ مُؤَنَّلِ

فكره سعيد بن العاص الحكم بينهما فحملهما إلى معاوية . فلما صاروا بين يدي معاوية ، قال عبد الرحمن أخو زيادة : « يا أمير المؤمنين ، أشكو إليك مظلمتي ، وقتل أخي ، وترويع نسوتي » . فقال معاوية : « يا هذبة ، قل » . فقال : « إن هذا رجل سَجَاعَةٌ ، فَإِنْ شِئْتَ أَنْ أَقْصَ عَلَيْكَ قِصَّتَنَا كَلَامًا أَوْ شِعْرًا فَعَلْتَ » . قال : « بل شعرا » . فقال عند ذلك ارتجالا :

أَلَا يَا لِقَوْمِي لِلنَّوَابِ وَالدهِرِ وَللهِ يُرْدِي نَفْسَهُ وَهَوَ لَا يَدْرِي
وَلِلْأَرْضِ كَمْ مِنْ صَالِحٍ قَد تَأَكَّمَتْ عَلَيْهِ فَوَارَتْهُ بِلَمَاعَةٍ قَفَرٌ^(٤)
فَلَا تَتَّقِي ذَا هَيْبَةٍ لَجَلَالِهِ وَلَا ذَا ضِيَاعٍ هُنَّ يَتَرَكْنَ لِلْفَقْرِ

(١) ولها من ٤٩ - ٥٦ هـ .

(٢) نسبها المرزوقي في شرح الحماسة ٢٤٥ إلى السور بن زيادة .

(٣) النعم : ما انحدر من حزونة الجبل وارتفع عن منحدر الجبل . وكويكب : موضع

في ديار سعد بن هذيم .

(٤) تأكمت : صارت أكمة ، أي تلا من الحجارة . واللماعة : الفلاة يلمع فيها السراب .

إلى أن قال :

رُمِينَا فَرَامِينَا فَصَادَفَ رَمِينَا مَنَابَا رَجَالِي فِي كِتَابِي وَفِي قَدَرِي^(١)
وَأَنْتَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فَمَا لَنَا وَرَاءَكَ مِنْ مَعْدَى وَلَا عَنَّا مِنْ قَصْرِ
فَإِنَّ تَكُ فِي أَمْوَالِنَا لَمْ نَضِقْ بِهَا ذِرَاعًا ، وَإِنْ صَبْرًا فَنَصِيرٌ لِلصَّبْرِ^(٢)

فقال معاوية : « أراك قد أقررت بقتل صاحبهم » . ثم قال لعبد الرحمن :
« هل لزيادة من ولد ؟ » فقال : « نعم ، المسور وهو غلام جعفر^(٣) لم يبلغ ، وأنا عمه
ولئى دم أبيه » . فقال : « إنك لا تؤمن على أخذ الدية أو قتل الرجل بغير حق ،
والمسور أحق بدم أبيه » . فردهم إلى المدينة . فحبس ثلاث سنين حتى بلغ المسور .
دخل جميل بن مَعَمَر المَذْرَى على هدية السجن ، وهو محبوس بدم زيادة بن زيد .
وأهدى له بُرْدَيْنِ من ثياب كساء إياها سعيد بن العاص ، وجاءه بنفقة . فلما دخل إليه ،
عرض ذلك عليه وسأله أن يقبله منه . فقال : « أنت الذى يقول^(٤) :

بني عامرٍ ، أَنَّى اتَّجَمْتُمْ وَكُنْتُمْ إِذَا عُدَّدَ الْأَقْوَامُ كَالْخِصْمَةِ الْفَرْدِ^(٥)
أَمَا وَاللَّهِ لَئِنْ خَلَصَ لِي سَاقِي لِأَمْدَانٍ لَكَ مِضْمَارِكِ . نَحْذِرُ بِرَدِّكَ وَنَفَقَتِكَ » .
وخرج جميل . فلما بلغ باب السجن خرجا قال : « اللهم ، اغْنِ عَنِّي أَجْدَعَ بَنِي عَامِرِ ! »

ولما حبس هدية بالمدينة ، قالت أم هدية فيه :

أَيَا إِخْوَتِي أَهْلَ الْمَدِينَةِ أَكْرِمُوا أَسِيرَكُمْ إِنَّ الْأَسِيرَ كَرِيمٌ

(١) الكامل ١٢٤٦ : فصادف سهمنا منية نفس .

(٢) الكامل : لا نضق . وغ والكامل : وإن صبر .

(٣) جعفر : عظيم البطن . وفي غ : صغير .

(٤) ديوانه ٧٣ .

(٥) الديوان : حصل الأقوام .

وأرسل هدية العشييرة إلى عبد الرحمن في أول سنة فكلموه . فامتنع منهم وقال
تلك الأبيات التي أولها :

* أبعد الذي بالنعف نعف كويكب *

فلما سمع هدية الأبيات قال : « لم يُؤسنى بعد » .

فلما كانت السنة الثالثة ، بلغ المسور . فأرسل هدية إلى عبد الرحمن من كلمه .
فأنصت حتى فرغوا ثم قام مغضباً وأنشأ يقول :

سأ كذبُ أقواما يقولون : إننى سأخذُ مالا من دمِ أنا نائرُهُ^(١)

فباستِ امرئٍ واستِ التي زحرتُ به يسوم سُواما من أخٍ هو واثره^(٢)

فأخبر هدية الخبر ، فقال : « الآن يُست منه » . وذهب عبد الرحمن بالمسور
إلى سعيد بن العاص - وقيل : مروان بن الحكم^(٣) - وإلى المدينة ، فأخرج هدية .

ولما كان في الليلة التي قُتل في صبيحتها ، أرسل إلى امرأته - وكان يحبها - :
« إيتيني الليلة أستمتع بك وأودعك » . فأتته في اللباس والطيب . فصارت إلى

رجل قد طال حبسه ، وأنتنت من الحديد رأحتته . فحادثها وبكى وبكت . ثم راودها
عن نفسها فطاوعته . فلما علاها ، سمعت قعقة الحديد فاضطربت تحتته . فتنحى عنها
وأنشأ يقول :

أدنيتني حتى إذا ما جملتني لدى الخصرِ أو أدتني ، استقلكِ راجفُ^(٤)

فإن شئتُ واللهِ انتهيتُ وإننى لأن لا تزيئني آخرَ الدهرِ خائف

(١) بر ، س : أنا واثره .

(٢) زحرت به : كذا في بر ، س ، أى ولدته . وفي ص : زحرت به ، وفي ي : زجرت
به ، تحريف . ويسوم سواما : كذا في بر ، س ، أى يكلفه عذابا وشرًا . وفي ص ، ي : يسوق سواما .
وفي بر ، س : هو نائرهُ .

(٣) ولى بعد سعيد من ٥٦ - ٥٧ هـ .

(٤) غ : وأدنيتني .

ولما خرج من السجن للقتل اتفت فرأى امرأته - وكانت من أجل النساء -

فقال (١) :

أَفَلِيَّ عَلَى اللّوْمِ يَا أُمَّ بَوَزَعَا ولا تجزعي مما أصابَ وأَوْجَعَا (٢)
 ولا تَنكِحِي إِذْ فَرَّقَ الدَّهْرُ بَيْنَنَا أَعْمَ القَفَا والوَجْهِ لَيْسَ بَأَنْزَعَا (٣)
 كَلَيْلَا سَوَى مَا كَانَ مِنْ حَدِّ ضِرْسِهِ أَكْيِيدِ مِبْطَانَ العَشِيَّاتِ أَرْوَعَا (٤)
 ضَرُوبًا بِأَحْيِيهِ عَلَى عَظْمِ زَوْرِهِ إِذَا النَّاسُ هَشُّوا لِلْفِعَالِ تَقَنَعَا
 وَحُلَى بِنْدَى أَكْرُومَةٍ وَحَمِيَّةٍ وَصَبِرِ إِذَا مَا الدَّهْرُ عَضَّ وَأَسْرَعَا (٥)
 وَكُونِي حَبِيسًا أَوْ لَأَرْوَعَ مَا جِدِ إِذَا ضَنَّ أَعْشَاشُ الرِّجَالِ تَبَرَّعَا (٦)

وجعل الناس يتعرضون له ويخبرونه في صبره وجلده ، ويستندشونه الأشعار .

فأدركه عبد الرحمن بن حسان فقال : « ياهدبة ، أتأمرني أن أتزوج هذه بمدك ؟ »

يعني زوجته وهي تمشي خلفه . فقال : « نعم ، إن كنت من شرطها » . قال :

« وما شرطها ؟ » قال : « قد قلت في الأبيات :

ولا تنكحى إذ فرق الدهر بيننا أغم القفا والوجه ليس بأنزعا

ثم إن زوجته قالت لروان : « إن لهدبة عندي وديعة ، فأمهله حتى آتية بها » .

(١) اللبرد : الكامل ٢٧٠ . ابن قتيبة : الشعر والشعراء ٤٣٧ .

(٢) بر : ولا تعجبي . غ : فأوجعا .

(٣) غ مرة وللبرد وابن قتيبة : فلا تنكحى إن فرق . والأغم : كثير شعر الوجه والقفا ، وذلك مكروه عند العرب . والأنزع : ما انحسر شعره عن جانبي جبهته ، وذلك محبوب عندهم .

(٤) أ كويد : كذا في غ ، أي يشكو كبده من كثرة الأكل . وفي ص : أعييد . وميطان العشيات : عظيم البطن من كثرة الأكل في العشيات . وأروع : جبان كثير الارتياح .

(٥) غ : فأسرعا .

(٦) الأروع : من يروعك بشجاعته . والأعشاش : جمع عش ، وهو الطويل القليل اللحم

أو دقيق عظام اليد والرجل .

فقال : « أسرعي فإن الناس قد كثروا » . وكان جلس لهم بارزا عن داره . ثمضت إلى السوق إلى قصاب فقالت : « أعطني شفرتك » وخذ هذين الدرهمين ، وأنا أردتها عليك » . فقال : « أسرعي » . فأخذتها وقربت من حائط ، فأرسلت ملحفتها على وجهها ثم جدعت أنفها من أصله وقطعت شفتيها ، وردت الشفرة . ثم أقبلت حتى دخلت بين الناس فقالت : « يا هدية » أتراني متزوجة بعد ما ترى ؟ » فقال : « الآن طابت نفسي بالموت » .

وخرج يرسُف في قيوده ، فإذا هو بأبويه يتوقعان التُّكُّلَ وهما بسوء حال . فأقبل عليهما وقال :

أَبْلِيَانِ الْيَوْمَ صَبْرًا مِنْكُمْ إِنَّ حُزْنَا إِنْ بَدَا بَادٍ بِشْرٌ^(١)
لَا أَرَى ذَا الْيَوْمِ إِلَّا هَيْئَنَا إِنْ بَدَا الْمَوْتُ دَارَ الْمُسْتَقَرِّ^(٢)
أَصْبِرَا الْيَوْمَ فَإِنِّي صَابِرٌ كُلُّ حَيٍّ لَقَضَاءٌ وَقَدَرٌ

ثم سأل سميد بن العاص أخا زيادة أن يقبل الدية منه فقال : « أعطيك ما لم يعطه أحد من العرب : أعطيك مائة ناقة حمراء ليس فيها جداء^(٣) ولا ذات داء » . قال : « والله ، لو نقت لي قبتك هذه ثم ملأتها ذهباً مارضيت بها من دم هذا الأجدع » . فلم يزل سميد يسأله ويعرض عليه وهو يأبى . ثم قال : « والله لو أردتُ قبول الدية منه لنعني من ذلك قوله :

لَنَجِدَ عَنْ بَأْيِدِنَا أَنْوَفَكُمْ وَيَذْهَبُ الْقَتْلُ فِيمَا بَيْنَنَا هَدْرًا

فدفعه إليه حينئذ ليقته . فاستأذن هدية في أن يصلى ركعتين . فأذن له . فصلاهما وخفف . ثم التفت فقال : « لولا أن يُظنَّ بي الجزع لأطلتمها ، فقد كنت محتاجا إلى

(١) غ : بدا بادي شر .

(٢) غ : لا أتراني اليوم إلا ميتا .

(٣) الجداء : الضامرة الثدي .

إطائهما» . ثم قال : بلغني أن التميل يَمِيلُ ساعة بمد سقوط رأسه ، فإن عقلت
فإني قابض على رجلي ثلاثا وباسطها ثلاثا » . ففعل ذلك حين قتل .

وقال قبل أن يقتل :

إِنْ تَقْتَلُونِي فِي الْحَدِيدِ فَإِنِّي قَتَلْتُ أَخَاكُمْ مُطْلَقًا لَمْ يُقَيَّدِ

فقال عبد الرحمن أخو زيادة : « والله لا أقتله إلا مطلقا من وثاقه » . فقام إليه

وقد أطلق ، فهز السيف وقال :

قَدْ عَلِمْتُ نَفْسِي وَأَنْتَ تَعْلَمُهُ لِأَقْتُلَنَّ الْيَوْمَ مَنْ لَا أَرْحَمُهُ

ثم قتله .

ويقال : إن الذي قتله المسور ابنه ؛ دفع إليه عمه السيف وقال له : « قم فاقتل
قاتل أبيك » . فقام فضربه ضربتين قتله فيهما .

وقيل : إن هذبة أول من أُفيد منه في الإسلام .

مرت كاهنة بأُم هذبة ، وهو وإخوته قيام^(١) بين يديها ، فقالت : « يا هذبة ،

إن الذي معي يخبرني عن بنيك هؤلاء بأمر » . فقالت : « وما هو ؟ » قالت :

« أما هذبة وحوط فَيُقْتَلانِ صبِرا ، وأما الواسع وسيحان فيموتان كَمَا » .

فكذلك كان .

وقال واسع يرثي أخاه هذبه :

يَا هُدْبَ يَا خَيْرَ فِتْيَانِ الْعَشِيرَةِ مِنْ

اللَّهُ يَمْلِكُ أَنِّي لَوْ خَشَيْتُهُمْ

حَتَّى نَعِيشَ جَمِيعًا أَوْ نَمُوتَ مَعًا^(٢)

(١) غ : نيام .

(٢) غ : فزعا .

(٣) غ : أسلم أخى .

قال رجل من عُذرة : « إني لبيلا دينا يوما في بعض المياه ، إذا أنا بامرأة تمشى
أماى وهى مُدبرة ، ولها خَلق عظيم من عَجْز وهَيْئَة وتَمَام وجسم وكال وقامة (١) ،
وإذا صَبِيَّان قد اكَتَنَفَاها يَمشيان قد ترعرا فتقدمتُها والتفتَّ إليها ، فإذا هى أقبِح
منظر ، وإذا هى مقطوعة الأنف ، مقطوعة الشفتين . فسألت عنها فقيل لى : « هذه
امرأة هدبة ، تزوجت بعده (٢) رجلا أولدها هذين الصبيين » .
بعث هدبة إلى عائشة رضى الله عنها : « استغفرى لى » . فقالت : « إن قُتلتَ
استغفرتُ لك » .

(١) غ : وتَمَام جسم وكال قامة .

(٢) بعده : كذا فى غ ، وفى ص : بعدها ، تحريف .

حرف الواو

وَرَقَةَ بْنِ نَوْفَلٍ*

هو ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العُزَيِّ بن قُصَي . وأمه هند بنت أبي كثير ابن عبد بن قصي .

هو أحد من اعتزل عبادة الأوثان في الجاهلية ، وطلب الدين ، وقرأ الكتب ، وامتنع من أكل ذبائح الأوثان .

قال عروة بن الزبير^(١) : سئل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن ورقة بن نوفل ، كما بلغنا . فقال : « لقد رأيته في المنام كأن عليه ثيابا بيضا ، فقد أظن أن لو كان من أهل النار لم أر عليه البياض » .

روت عائشة أن خديجة انطلقت بالنبي - صلى الله عليه وسلم - حتى أنت ورقة ابن نوفل ، وهو ابن عم خديجة أختي أبيها - وكان امرأً تنصراً في الجاهلية ، وكان يكتب الكتاب العربي ، فيكتب بالعربية^(٢) من الإنجيل ما شاء أن يكتب ، وكان شيخاً كبيراً قد عمر^(٣) . فقالت له خديجة : يا ابن عم ، اسمع من ابن أخيك « قال ورقة : « يا ابن أختي ، ماذا ترى ؟ » فأخبره رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بما رأى .

* أخباره في ٣: ١٣ ، س ٣: ١٤ ، ٣ د : ١١٩ ، ي ٣ : ١١٣ ، ت ١ : ٦٣٧
وخزانة الأدب للخطيب ٣ : ٣٧ ، ٣ : ٢٤٧ .

(١) ورد الحديث في أسد الغابة ٥ : ٨٨ ، والأغانى (د) ٦ : ٣١٩ .

(٢) كذا في ص . وفي غ : العبراني ... بالعبرانية .

(٣) غ : قد عمي .

فقال ورقة بن نوفل : « هذا الناموس ^(١) الذى أترله الله - تعالى - على موسى ابن عمران ، ياليتنى فيها جَدَع ^(٢) ، أكون معك حيث يُخرجك قومك » . فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « أَوْ مُخْرَجِيَّ هَمْ ؟ » قال ورقة : « نعم ، لم يأت رجل قط بما جئت به إلا عُودِيَّ ، وإن يدركنى يومك أنصرك نصراً مؤزراً » . ثم لم يَنْشَبْ ورقة أن مات .

قال عروة : كان بلال لجارمة من بنى مُجَجَّ بن عمرو ، وكانوا يعذبونه برَمْضاء ^(٣) مكة : يُلصقون ظهره بالرمضاء ليُشرك بالله ، فيقول : « أَحَد ! أَحَد ! » فيقول ورقة : « أَحَد ! أَحَد ! والله ، يا بلال . لئن قتلتموه لَأَتَّخِذَنَّهُ حَنَانًا » ^(٤) . يقول : لَأَتَمَسَّحَنَ بِهِ . وقال ورقة بن نوفل فى ذلك :

لقد نصحتُ لأفوامٍ وقلتُ لهم : أنا النَّذِيرُ فلا يَغْرُرْكُمْ أَحَدُ
لا تَعْبُدُنَّ إِلَّا غيرَ خَلْقِكُمْ فَإِنَّ دَعْوَكُمْ فقولوا بيننا حَدَد ^(٥)
سُبْحَانَ ذى العرشِ سُبْحَانَا نعوذُ بِهِ وَقَبْلُ قد سَبَّحَ الجودىُّ والحمد ^(٦)

(١) الناموس : صاحب السر ، والمراد به جبريل .

(٢) الجذع : الشاب الحدث .

(٣) الرمْضاء : الأرض الحامية من شدة الشمس .

(٤) الحنان : الرحمة والعطف . والحنان : الرزق والبركة . أراد لأجعلن قبره موضع حنان

أبى مظنة من رحمة الله تعالى فأتمسح به متبركاً كما يتمسح بقبور الصالحين الذين قتلوا فى سبيل الله من الأمم الماضية (اللسان) .

(٥) الحزاة : فإن دعيتم فقولوا دونه حد . والحد : المنع .

(٦) يبدو أن هذا البيت ملقى من اثنين ، لأن رواية الحزاة كما يلى :

سُبْحَانَ ذى العرشِ لاشئِ يعادله رب البرية فرد واحد صمد

سُبْحَانَهُ ثم سُبْحَانَا نعوذُ بِهِ وَقَبْلَنَا سَبَّحَ الجودى والحمد

وفى اللسان (جود وجد) : سُبْحَانَا يعوده . وفى معجم البلدان : سُبْحَانَا يدوم له . والجودى :

جبل بالجزيرة بشمال العراق استوت عليه سفينة نوح عليه السلام . والحمد . جبل بنجد . واختلف الرواة فى نسبة هذا البيت فأكثر شراح شواهد سيوبه قال إنه لأمية بن أبى الصلت ، وقال بعضهم إنه لزيد بن عمرو بن قنيل ، وصبوب الخطيب نسبته إلى ورقة .

مُسَخَّرٌ كُلُّ مَا تَحْتَ السَّمَاءِ لَهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يُفَاوِي مُلْكَهُ أَحَدٌ^(١)
لَا شَيْءٌ مِمَّا تَرَى تَبْقَى بِشَاشَتِهِ يَبْقَى الْإِلَهُ وَبُودَى الْمَالِ وَالْوَلَدِ^(٢)
لَمْ تُغْنِ عَنْ هَرْمُزٍ يَوْمَا خَزَائِنُهُ وَالْخُلْدُ قَدْ حَاوَلَتْ عَادُ فَمَا خَلَدُوا
وَلَا سَلِيمَانَ إِذْ دَانَ الشُّعُوبُ لَهُ الْجِنُّ وَالْإِنْسُ تَجْرِي بَيْنَهَا الْبُرْدُ^(٣)

روى هشام بن عروة أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم قال لأخى ورقة بن نوفل
أو لابن أخيه : « شعرت أنى قد رأيت لورقة جنة أو جنتين » . شك هشام .

قال عروة : ونهى رسول الله - صلى الله عليه وسلم عن سب ورقة .

كانت خديجة - رضى الله عنها - تاتى ورقة بما يُخبرها به النبي - صلى الله عليه
وسلم - أنه ياتيه . فيقول ورقة : « لئن كان مايقول حقاً إنه لياتيه الناموس الأكبر :
ناموس عيسى بن مريم الذى لا يُجيزه أهل الكتاب إلا بثمن . واثن نطق وأنا حى
لأبلىن الله فيه بلاء حسناً » .

(١) الخزانة . كل من .

(٢) س : نرى .

(٣) غ : والجن . س : يجرى . والبرد : جمع برید ، وهو الرسول .

الوليد بن عقبة

هو الوليد بن عقبة بن أبي مُعَيْط . كنيته أبو وهب . وهو أخو عثمان بن عفان لأمه . أمهما أروى بنت كُرَيْز . وأمها البيضاء أم حكيم بنت عبد المطلب . وكان من فتيان قريش وشجعانهم وشعراهم وجوداتهم . وكان فاسقاً .

وولي لعثمان الكوفة بعد سعد بن أبي وقاص^(١) . وشرب الخمر . وشهد عليه بذلك . فحُذِّه وعزله :

ومن شعره يرثي أخاه عثمان^(٢) :

إِذَا لَاحَ نَجْمٌ غَابَ نَجْمٌ يُرَاقِبُهُ ^(٣)	أَلَا مَنْ لِّلَّيْلِ لَا تَغُورُ كَوَاكِبُهُ
وَلَا تَنْهَبُوهُ ، لَا تَحِلُّ مَنَابِهِ	بَنِي هَاشِمٍ ، رُدُّوْا سِلَاحَ ابْنِ أُخْتِكُمْ
سِوَا عَلَيْنَا قَاتِلُوهُ وَسَالِبِهِ ^(٤)	بَنِي هَاشِمٍ ، لَا تُمَجِّلُونَا فَإِنَّا
لِذِي الْحَقِّ يَوْمَا حَقَّهُ فَيُطَالِبِهِ	فَقَدْ يُجْبِرُ الْعَظْمُ الْكَسِيرَ وَيَنْتَبِرِي
وَعِنْدَ عَلِيٍّ سَيْفُهُ وَنَجَائِبُهُ ^(٥)	بَنِي هَاشِمٍ ، كَيْفَ التَّمَاذُرُ بَيْنِنَا

* أخباره في ب ٤ : ١٧٧ . س ٤ : ١٧٥ ، ٥ د : ١٢٢ ، ي ٥ : ١١٢ .

(١) يقصد ولاية سعد الثانية ، التي كانت من ٢٤-٢٥ هـ ، وكانت ولاية الوليد من

٢٥-٣٠ هـ .

(٢) كامل المبرد ٧٣٥ . الاستيعاب لابن عبد البر ٦٢٢ .

(٣) غ : لاج نجم يراقبه . الاستيعاب :

ألا يا ليل لا تغور نجومه إلا لاج نجم غار نجم يراقبه

(٤) غ : لا تمجلونا بإفادة . الاستيعاب : فإنه .

(٥) غ والاستيعاب :

وبني هاشم كيف التعاقد بيننا وعند علي سيفه وحرائبه

والكامل :

وبني هاشم كيف الهوادة بيننا وعند علي درعه ونجائبه

لَعْمَرُكَ لَا أُنْسَى ابْنَ أَرْوَى وَقَتْلَهُ وَهَلْ يَنْسِينَ الْمَاءَ مَا عَاشَ شَارِبَهُ
 هُمُ قَتَلُوهُ كَيْ يَكُونُوا مَكَانَهُ كَمَا فَعَلْتُ يَوْمًا بِكَيْسَرَى مَرَازِبِهِ (١)
 وَإِنِّي لُمُجْتَابٌ إِلَيْكُمْ بِجَحْفَلٍ يُصِغُّ السَّمِيعَ جَرَسُهُ وَحَلَاثِبُهُ (٢)
 فِي آيَاتٍ وَجَوَابٍ لِلْفَضْلِ بْنِ عَبَّاسٍ لَمْ أَكْتُبِهِ . مِنْهَا :

فَإِلَّا تَجَلَّلَهَا يُعَالُوكَ فَوْقَهَا وَكَيْفَ تَوْقَى ظَهْرَ مَا أَنْتَ رَاكِبُهُ (٣)
 وَالْوَلِيدُ بْنُ عَقْبَةَ هَذَا هُوَ الْقَائِلُ لِمَا وَبِهِ يَحْرُضُهُ :

وَاللَّهِ مَا هَنْدُ بِأَمِّكَ إِنْ مَضَى النَّهَارُ وَلَمْ يَثَارْ بَعْمَانُ نَارُ
 أَيْقَتَلُ عَبْدُ الْقَوْمِ سَيِّدَ أَهْلِهِ وَلَمْ تَقْتُلُوهُ ، لَيْتَ أُمَّكَ عَاقِرُ
 وَإِنَّا مَتَى نَقْتُلُهُمْ لَا يُقِدُّ بِهِمْ مُقِيدٌ وَقَدْ دَارَتْ عَلَيْكَ الدَّوَابُّ (٤)

قيل : لم يكن يجلس مع عثمان على سريره إلا العباس بن عبد المطلب ، وأبو سفيان
 ابن حرب ، والحكم بن أبي العاصي ، والوليد بن عقبة . فأقبل الوليد يوماً فجلس
 ثم جاء الحكم . فلما رآه عثمان زحل له عن مجلسه (٥) . فلما قام الحكم ، قال الوليد :
 « والله - يا أمير المؤمنين - لقد تلجلج في صدري بيتان فأتتهما حين رأيتك آثرت
 عمك على ابن أمك » . فقال عثمان : « إنه شيخ قريش . فما البيتان اللذان قلت ؟ »
 قال : « هما :

رَأَيْتَ لَعْمَ الْمَرْءِ زُلْفَى قَرَابَةٍ دُوْبِنَ أَخِيهِ حَدِيثًا لَمْ يَكُنْ قَدِمًا
 فَأَمَلْتُ عَمَّراً أَنْ يَسْبُ وَخَالِداً لِكَيْ يَدْعُوَانِي يَوْمَ مَرْزَحَةَ كَمَا (٦)

(١) غ والسكامل : كما غدرت . والمرازب : جمع مرزبان ، وهم أشرف الفرس ورؤساؤهم

(٢) غ : وجلاثبه . والحلاثب : جمع حلبة ، وهي الخيل في الرهان أو السباق .

(٣) تجلجها : مخفة من تتجلجها ، أى تملوها . ويعالوك : يرفعوك .

(٤) د : فقد .

(٥) كذا في غ . وفي ص : فلما رآه الوليد زحل الحكم عن مجلسه . ويأباه السياق .

وزحل : تنحى .

(٦) فأملت : كذا في غ . وفي ص : وأملت .

يعنى عمراً وخالداً ، ابني عثمان قال : فرق عثمان وقال له : « قد وليتكَ المراق » . يعنى الكوفة .

ولما ولي المدينة^(١) قَدِمَهَا ، وعليها سعد بن أبي وقاص . فأخبر بقدمه . فقال : « وما صنع ؟ » قيل : « وقف في السوق يحدث الناس هناك . ولسنا نُنكر من شأنه شيئاً . فلم يلبث أن جاءه نصفَ النهار . فاستأذن على سعد ، فأذن له . فسلم عليه بالإمرة وجلس معه . فقال له سعد : « ما أقدَمَكَ ، أبا وهب ؟ » قال : « أحيت زيارتك » . قال : « وعلى ذلك أجئتَ بريداً ؟ » قال : « أنا أرزَنُ من ذلك . ولكن القوم احتاجوا إلى عملهم فسرحوني إليه . وقد استعملني أمير المؤمنين على الكوفة » . فكث طويلاً ثم قال له « ما أدري : أكَسْت بعدنا أم حَمَقْنَا بعدك ؟ » فقال : « لا تجزعن - أبا إسحاق - فإنما هو الملك يتغدها قوم ويتمشاه آخرون » . فقال سعد : « أراكم - والله - ستجعلونه ملكاً :

خُذْنِي فَجُرِّبْنِي ضِبَاعُ وَأُبْشِرِي بلحمة امرئٍ لم يشهد اليومَ ناصرُهُ
فقال : « أما - والله - لَأَنَا أَقُولُ للشعر منك ، وأرَوَى له منك . ولو شئت لأجبتُكَ ، ولكني أدع ذلك لما لا تعلم^(٢) . لَمَمَرُ الله ، وقد أمرت بحاسبتك والنظر في أمر عمالك » ، ثم حبس عماله وضيق عليهم . فكتبوا إلى سعد يستغيثون فكلمه فيهم . فقال له : « وللمعروف عندك موضع ؟ » قال : « نعم ، والله » . فضلِّي سبيلهم .

وكان الوليد بن عقبة زانياً شريئ خمر . فشرب الخمر بالكوفة ، وقام يصلي بهم الصبح في المسجد الجامع . فصلى بهم أربع ركعات ثم التفت إليهم فقال : « أزيدكم ؟ » وقاء في المحراب . وقرأ بهم في المحراب رافعاً صوته :

عَلِقَ القَلْبُ الرَّبَابَا بَعْدَ مَا شَابَتْ وَشَابَا

(١) يريد مدينة الكوفة .

(٢) س ، د : لما تعلم .

فشَخَّصَ أهل الكوفة إلى عثمان - رضى الله عنه - فأخبروه بخبره ، وشهدوا عليه بشره الطمر . فأتى به . وأمر رجلا فضربه الحد . فلما دنا منه ، قال له : « نَشَدْتُكَ الله وقرابتي ، يا أمير المؤمنين ! » فتركه . وخاف على بن أبي طالب - رضى الله عنه - أن يُعْطَلَ الحد فقام إليه فحدّه . فقال له الوليد : « نَشَدْتُكَ بالله وبالقرابة ! » فقال له على : « اسكت - أبا وهب ! فإنما هلكتُ بنو إسرائيل بتعطيتهم الحدود » . فضربه أربعين سوطاً وقال : « لَتَدْعُوَنِي قريش بحد هذا جلادها » .
وقيل : إن الوليد قال بعد جلده : « اللهم ، إنهم قد شهدوا على بزور ، فلا تُرْضِهِم عن أمير ، ولا تُرْضِ عَنْهُمْ أميراً ! » .
وقال الحطيئة يكذبُ عنه ^(١) :

شَهِدَ الحَطيئةُ يَومَ يَلْتَقَى رَبَّهُ	أَنَّ الوَليدَ أَحقُّ بِالْعَذْرِ
حَلَمُوا عِنَانِكَ إِذْ جَرَيْتَ وَلَوْ	حَلَوُا عِنَانِكَ لَمْ تَزَلْ تَجْرِي ^(٢)
وَرَأَوْا شَمَائِلَ مَا جَدِ أَنْفِ	يُعْطَى عَلَى الْمَيْسُورِ وَالْعُسْرِ
فَنَزَعَتْ مَكْذُوبًا عَلَيْكَ وَلَمْ	تَنْزِعْ إِلَى طَمَعٍ وَلَا فَقْرٍ
فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي عَجَلٍ يَرُدُّ عَلَيْهِ :	
نَادَى وَقَدْ تَمَّتْ صَلَاتُهُمْ	أَزِيدُكُمْ سُكْرًا وَلَمْ يَدْرِ ^(٣)
لِيَزِيدَهُمْ خَيْرًا ، وَلَوْ قَبِلُوا	لَقَرَنْتَ بَيْنَ الشَّقَعِ وَالْوَتْرِ
فَأَبَوْا - أَبَا وَهَبٍ - وَلَوْ فَعَلُوا	وَصَلَّتْ صَلَاتُهُمْ إِلَى الْعَشْرِ

(١) الاستيعاب لابن عبد البر ٦٢١ . ديوان الحطيئة (طبع الحلبي ١٩٥٨م) ٢٢٣-٢٣٧ .

(٢) غ مرة والاستيعاب : كففوا عنانك . وغ والديوان مرة والاستيعاب : ولو تركوا عنانك .

(٣) غ وديوان الحطيئة : ثملا وما يدري . الاستيعاب : سكرًا وما يدري . وخلط هذا الشعر بشعر الحطيئة .

وقال الحطيئة^(١) :

تكلّم في الصلاة وزاد فيها علانيةً وظاهرًا بالنفاق^(٢)
ومجّ الخمر في سنن المصلّي ونادى والجميعُ إلى افتراق^(٣) :
أزيدكم على أن تحمدوني وما لكم وما لي من خلاق^(٤)

شهد رجل عند أبي العجاج ، وهو على البصرة ، على رجل من المعيطيين بشهادة ، وكان الشاهد سكران . فقال المعيطي المشهود عليه : « أعزك الله ! إنه لا يُحسن أن يقرأ من السكر » . فقال الشاهد : « إني لأحسن » . فقال : « اقرأ » . فقال :

علق القلب الربابا بعد ما شابت وشابا

وإنما تماجن بذلك على المعيطي ، يمرض بما صنع الوليد بن عقبة في محراب الكوفة لما أنشد هذا الشعر . وكان أبو العجاج محمّقا ، فظن أن هذا قرآن . فقال : « صدق الله ورسوله . وبلّكم ! فلم تعلمون ولا تعملون ! » .

والشهود الذين شهدوا على الوليد بشرب الخمر أبو زينب ، وأبو مورّع ، وجندب الأزدى ، وسعيد بن مالك الأشعري .

وكان أبو زينب وأبو مورّع يطلبان عثرة الوليد . فجاءا يوما ولم يحضرا للصلاة . فسألا عنه وتلطفا حتى علما أنه يشرب فاقتحما الدار فوجداه يقىء . فاحتملاه - وهو سكران - فوضعا على سريره ، وأخذا خاتمه من يده . فأفاق فاقتقد خاتمه فسأل عنه . فقالوا : « لا ندري . وقد رأينا رجلين دخلا الدار فاقتملا فوضعاك على سريرك » . فقال : « صفيهما » . فقيل : « أحدهما آدم^(٥) طوال حسن الوجه ، والآخر عريض

(١) الاستيعاب ٦٢١ . ديوان الحطيئة ٢٣٦ .

(٢) غ والديوان والاستيعاب : وجاهر بالنفاق .

(٣) السنن : الطريق .

(٤) الاستيعاب : فما لكم .

(٥) آدم : أسمر .

مَرْبُوعٍ عَلَيْهِ حَمِيصَةٌ^(١) . فقال : « هما أبو زينب وأبو مورع » . ثم إن أبا زينب وأبا مورع لقيا عبد الله بن حُبَيْشِ الأَسَدِيَّ وَعَلَقَمَةَ بنَ زَيْدِ البَكْرِيَّ وغيرهما فأخبروهم . فقالوا : « اشْخَصُوا إلى أمير المؤمنين فَأَعْلِمُوهُ » . وقال بعضهم : إنه لا يقبل قولكم في أخيه » . فشخصوا إليه وقالوا : « إنا جئناك في أمر ، ونحن مُخْرَجُوهُ إليك من أعناقنا وقتلنا إنك لا تقبله » . قال : « وما هو ؟ » قالوا : « رأينا الوليد وهو سكران من نخر ، وهذا خاتمه أخذناه وهو لا يَعْقِلُ » . فأرسل إلى علي - عليه السلام - فشاوره . فقال : « أرى أن تُشَخِّصَهُ ، فإن شهدوا عليه بِمَحْضِرٍ منه حَدَّثْتَهُ » . فكتب إليه فقدم . فشهد عليه أبو زينب وأبو مورع وجندب الأزدى وسعد بن مالك الأشعري . فقال عثمان لعلی : « قم فاضربه » . فقال علي للحسن : « قم فاضربه » . فقال الحسن لعلی : « مالك ولهذا ؟ يكفيناك غيرك » . فقال علي لعبد الله بن جعفر : « قم فاضربه » . فاضربه بِمَخْصَرَةٍ^(٢) فيها سَيْرٌ له رأسان . فلما بلغ أربعين قال له علي : « حَسْبُكَ ، أَمْسِكْ ، جلد رسول الله - صلى الله عليه وسلم أربعين ، وجلد أبو بكر - رضی الله عنه - أربعين ، وكلها عمر ثمانين ، وكلُّ سُنَّةٍ » . قال الزُّهْرِيُّ : خرج رهطٌ من الكوفة إلى عثمان في أمر الوليد . فقال : « أكلما غضب رجل على أميره رماه بالباطل ! لئن أصبحتُ لكم لأنكُلن بكم » فاستجاروا بعائشة ، رضی الله عنها ، وأصبح عثمان فسمع في حجرتها صوتا وكلاما فيه بعض الغلظة فقال : « أما يجد مُرَّاقَ العراقِ وفَسَّافَهُمَ ملجأً إلا بيت عائشة ! » فسمعت فرفعت نعل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقالت : « تركتُ سُنَّةَ صاحبِ هذه النعل »^(٣) . فتسامع الناس فأتوا حتى ملئوا المسجد . فن قائل : « أَحْسَنْتُ » . ومن قائل :

(١) الحميصه : كساء أسود مربع له علمان .

(٢) المخصرة : ما اختصره الإنسان بيده فأمسكه من عصا أو مقرعة وما أشبههما .

(٣) في ص ، ب ، س : هذا النعل . وغيرها د إلى : هذه النعل ، لأنها مؤنثة .

« ما للنساء ولهذا ! » حتى تحاصبوا^(١) وتضاربوا بالنعال . ودخل رهط من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على عثمان فقالوا له : « اتق الله ، ولا تعطل الحدود ، واعزل أخاك عنهم » . ففعل .

ولما ضرب عثمان أخاه الوليد الحد ، قال له : « إنك لتضربني اليوم بشهادة قوم ليقتلنك^ل عاما قابلا » .

ومما احتج به أهل الكوفة على الوليد بن عقبة أنه أنزل أبا زُبَيْد الطائي دار عقيل بن أبي طالب ، على باب المسجد . وكان يخرج إليه من داره ، يخترق المسجد - وهو نصراني - فيجعله طريقا .

وكان أبو زُبَيْد ينادم الوليد ويخرج من عنده وهو سكران نصراني فيشق المسجد . وكان الوليد قد أباح أبا زُبَيْد الطائي ما بين القصور الحجر من الشام إلى القصور الحجر من الجزيرة ، وجعله له حمى - فلما عزل الوليد عن الكوفة ، وولى سميد ، انتزعها من يده ، وقال في ذلك أشعارا .

قال الوليد بن عقبة لعلي بن أبي طالب ، عليه السلام : « أنا أحد منك سنانا ، وأبسط منك لسانا ، وأملا للكتيبة » . فقال له علي ، عليه السلام : « اسكت ، فإنما أنت فاسق » . فنزل القرآن : « أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ »^(٢) .

وقال قتادة في قوله - عز وجل - : « إِنَّ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ »^(٣) ، قال : « هو الوليد بن عقبة بن أبي معيط . بعثه النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى بني المصطلق مصدقا^(٤) فلما رأوه أقبأوا نحوه . فمأبهم فرجع إلى النبي ، صلى الله عليه وسلم . فأخبره

(١) تحاصبوا : رمى بعضهم بعضا بالحصاء .

(٢) الآية ١٨ من سورة السجدة . وانظر تفسير الطبري ٢١ : ٦٨ (طبع بولاق ١٣٢٨ هـ) .

(٣) الآية ٦٤ من سورة الحجرات . وانظر تفسير الطبري ٢٦ : ٧٨ .

(٤) المصدق : جامع الصدقات .

أنهم قد ارتدوا عن الإسلام . فبعث النبي - صلى الله عليه وسلم - خالد بن الوليد ، وأمره أن يتثبت . فاتاهم ليلاً فأنفذ عيونهم . فلما جاءوه أخبروه أنهم متمسكون بالإسلام وسموا أذانهم وصلاتهم . فلما أصبحوا أتاهم خالد فرأى ما يعجبه . فرجع إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فأخبره .

جاءت امرأة الوليد إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - تشتكي الوليد ، وقالت : إنه يضربها . فقال لها : « ارجعي وقولي : إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قد أجازني » . فانطلقت . فمكثت ساعة ثم قالت : « ما أقلّع عني » . فقطع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - هُدُبة من ثوبه ، وقال : « اذهبي وقولي : إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قد أجازني » . فانطلقت - فمكثت ساعة ثم رجعت فقالت : يا رسول الله ، ما زادني إلا ضرباً » . فرفع يده ثم قال : « اللهم عليك الوليد ! » مرتين أو ثلاثاً .

روى الزُّهْرِيُّ وغيره قالوا : لما انصرف رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من غزوة بني المصطلق ، نزل رجل فساق بالقوم ورجز . ثم آخر فساق ورجز . ثم بدا لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن يواسي أصحابه . فنزل وساق القوم ورجز . وجعل يقول :
جُنْدَبٌ وما جندبُ والأفطعُ الخيرَ زيدُ

فدنا منه أصحابه وقالوا : « يا رسول الله ، ما ينفعنا مسيرنا مخافة أن تسمعك ذبابة »^(١) . فركب . ودنوا منه وقالوا : « قلتَ قولاً ما ندري ما هو ؟ »^(٢) قال : « وما ذاك ؟ » قالوا : « قولك :

جندب وما جندب والأفطع الخير زيد

(١) كذا في ص . وفي غ : ما ينفعنا مشيك مخافة أن تسمعك دابة الأرض . وهى أوضح .

(٢) كذا في غ . وفي ص : أتدري ما هو ؟

قال : « رجلان يكونان في هذه الأمة : يضرب أحدهما ضربة يفرق بين الحق والباطل ، وتقطع يد الآخر في سبيل الله ، فيتبع آخر جسده أوله » . فكان زيد ابن صوحان : قطعت يده في سبيل الله يوم جلولاء^(١) ، وقتل يوم الجمل مع علي ، عليه السلام . وأما جندب فدخل على الواليد بن عقبة ، وعنده ساحر يقال له أبو شيبان يأخذ أعين الناس فيخرج مصارين بطنه ثم يردها فيه . فجاء من خلفه وقتله وقال :
إِغْمَزَ وَوَلِيدًا وَأَبَا شَيْبَانَ
وَابْنَ حُبَيْشٍ رَاكِبَ الشَّيْطَانَ
رسول فرعون إلى هامان

ولما قدم سعيد بن العاص الكوفة قال : « اغسلوا هذا المنبر ، فإن الوليد كان رجسا نجسا » . فلم يصعده حتى غسل . وكان الوليد أسن منه ، وأسحى نفسا ، وألين جانبا ، وأرضى عندهم .
وقال بعض شعرائهم :

يَا وَيْلَنَا ، قَدْ ذَهَبَ الْوَلِيدُ وَجَاءَنَا مِنْ بَعْدِهِ سَعِيدُ^(٢)
يَنْقُصُ فِي الصَّاعِ وَلَا يَزِيدُ

ولما قتل عثمان ، أرسل علي - عليه السلام - فأخذ ما كان في داره من سلاح ومن إبل الصدقة . فلذلك قال الوليد بن عقبة :
بني هاشم ، رُدُّوا سلاحَ ابنِ أختكم وَلَا تَنْهَبُوهُ لَا تَحِلُّ مَنَاهِبُهُ^(٣)
بني هاشم ، كيف الهوادة بيننا وَعِنْدَ عَلِيٍّ سَيْفُهُ وَنَجَائِبُهُ
قتلتم أخي كيما تكونوا مكانه كما فعلت يوما بكسرى مرازبه
ومات الوليد بن عقبة فوَيْقِ الرَّقَّةَ .

(١) لأحدى المواقع المشهورة بين المسلمين والفرس .

(٢) الطبرى ١ : ٢٨٥٠ .

يا ويلنا قد عزل الوليد وجاءنا بمجموعا سعيد

(٣) غ : ويروى : ولا تهبوه لا تحل مواهبه .

قال إبراهيم بن المهدي : أرسل إلى محمد بن زبيدة في ليلة من ليالي الصيف ،
مُقمرة : يا عم ، إن الحرب بيني وبين طاهر قد سكنت ، نصرتُ إلى فإنني لك مشتاق .
فجئته وقد بسط له على سطح ، وعنده سليمان بن جعفر عليه كساء رُوذَبَارِي
وقلنسية طويلة ، وجواربه بين يديه ، وضَعَفُ جاريته عنده . فقال لها : « غَنِّي
فإنني قد سُرت بعمومتي » . فاندفعت فغنته :

هُم قتلوه كي يكونوا مكانه كما فعلت يوماً بكسرى مرآزه
بني هاشم ، كيف التواصل بيننا وعند علي سيفه ونجائبه

وغنته : * وعند أخيه سيفه ونجائبه * . فغضب وتطير وقال لها : « ما قصتك؟

ويحك ، اتبهي ، وغنني ما يسرنى » . فاندفعت فغنت :

هذا مقام مُطرِدٍ هُدمتُ منازلُه ودوره

فازداد تطيراً وقال : « ويحك ! اتبهي وغني غير هذا الصوت » . فغنت :

كليب - لعمري - كان أكثرناصراً وأيسر جُرمًا منك ضُرج بالدم

فقال لها : « قومي إلى لعنة الله » . فوثبت - وكان بين يديه قرح بلور ،

وكان لحبه إياه يسميه محمداً باسمه - فأصابه طرف ذيلها . فسقط على بعض الصواني

فانكسر وتفتت . فأقبل على وقال : « أرى - والله ، يا عم - أن هذا آخر أمرنا » .

فقلت : « كلا ، بل يُبقيك الله - يا أمير المؤمنين - ويسرك » . قال : ودجلة هادئة

ما فيها صوت مجذاف ولا أحد يتحرك . فسمعت هاتفاً هتف : « قضي الأمر

الذي فيه تستفتيان » ^(١) فقال لي : « سمعت - يا عم ما سمعت؟ » فقلت : « وما هو؟ »

قال : « والله ، قد سمعته » . فإذا الصوت قد عاد . قال : « انصرف - يا عم -

إباتك الله بخير ، فحال إلا تكون سمعت ما سمعت » . فانصرفت . وكان آخر

عهدي به .

(١) الآية ٤١ من سورة يوسف .

ولما وفد الوليد بن عقبة إلى معاوية - وكان الوليد جوادا - قيل له : « هذا الوليد
 بالبواب » . فقال : « لَيْرِ جَعْنٌ مَغِيظًا ^(١) غير مُعْطَى ، فإنه قد آتانا يقول : على دين ،
 وعلى مئونة . يا غلام ، إيذن له » . فسأله وتحدث معه . ثم قال : « أما - والله -
 إنا كنا لنحب إتيان مالك بالوادي . وقد أعجب أمير المؤمنين ، فإن رأيت أن تهبه
 ليزيد فافعل » . قال : « هو ليزيد » . ثم خرج . وجعل يختلف إلى معاوية .
 فقال له يوما : « انظر - يا أمير المؤمنين - في شأنى ، فإنى على مؤونة ، وقد أرهقتنى
 دين » . فقال له معاوية : « ألا تستحى لنسبك وحسبك ، تأخذ ما تأخذ فتبذره
 ثم لا تنفك تشكو ديننا ؟ » فقال له الوليد : « أفعل » . ثم قام لساعته وانطلق
 إلى الجزيرة وقال :

فإذا سئلتَ تقول : لا وإذا سألتَ تقول : هاتِ
 تأبى فإمالَ الخيرِ لا تُروى وأنتَ على الفُراتِ
 أفلا تَميلُ إلى نَمَمِ أو تَرَكِ لا حتى المَماتِ

وبلغ معاوية مقدّمه الجزيرة ، فخافه ، فكتب إليه : أن أقبل . فكتب إليه :
 أعفُ وأستغنى كما قد أمرتني فأعطِ سِوَاى ما بدا لك وانحل ^(٢)
 سأخذو ركابى عنك إن عزيمتى - إذا نابنى أمرٌ - كسلةٌ مُنْصَلِ ^(٣)
 وإنى امرؤٌ للرأى منى تطرُبُ وليس شبا فقلِ على بمُقْفَلِ ^(٤)
 ورحل إلى الحجاز . فبعث إليه معاوية بجائزته .

(١) غ : معطيا .

(٢) د ، ي : أعف وأستحى ، وهى أوضح . وانحل : أعط .

(٣) للنصل : السيف .

(٤) غ : منى تطرف .

الوليد بن يزيد*

هو الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية ابن عبد شمس بن عبد مناف . كنيته أبو العباس . وأمه أم الحجاج بنت محمد بن يوسف بن الحكم بن أبي عقيل الثقفي ، وهي بنت أخي الحجاج . وفيه يقول أبو نخيلة :

بين أبي العاصي وبين الحجاج يالكمأ نورا سراج وهاج

* عليه بعد عمه عقد التاج *

وأم أبيه يزيد بن عبد الملك : عائكة بنت يزيد بن معاوية بن أبي سفيان . وأمها أم كلثوم بنت عبد الله بن عامر بن كرز . وأم [عبد الله بن]^(١) عامر بن كرز أم حكيم البيضاء بنت عبد المطلب بن هاشم . فلذلك قال الوليد^(٢) :
نبي الهدى خالي : ومن يك خاله نبي الهدى يقهر به من يفاخر
وكان الوليد من فتيان بني أمية وظرفائهم وشمرائهم وأجوادهم وأشدائهم . وكان خليما منهم كما في الشرب والهجو وسماع الغناء . وشاع ذلك وظهر حتى أنكروه الناس وقتل .

كان يزيد بن عبد الملك لما وجه الجيوش إلى يزيد بن المهلب ، وعقد لسلامة بن عبد الملك على الجيش ، وبعث العباس بن الوليد بن عبد الملك وعقد له على أهل دمشق ، قال له العباس : « يا أمير المؤمنين ، إن أهل العراق أهل غدر وإرجاف . وقد وجهتنا محاربين . والأحداث تحدث . ولا آمن أن يرُجف أهل العراق

* أخباره في ب ٦ : ١٠١ ، س ٦ : ٩٨ ، د ٧ : ١ ، ي ٧ : ٣ .

(١) زيادة عن غ .

(٢) ديوانه (طبعه المجمع العلمي العربي بدمشق ١٩٣٧) ٤٣ . كامل ابن الأثير ٥ : ٢١٨

ويقولون : مات أمير المؤمنين ولم يَعْمَدَ ، فَيَفَتَّ ذلك في أَعْضاد أهل الشام . فلو عَهَدت عهدا لعبد العزيز بن الوليد » . قال : « غدا » . وبلغ ذلك مسleme بن عبد الملك ، فأتى يزيد فقال له : « أَيُّمَا أَحَبُّ إِلَيْكَ وَأَقْرَبُ : ولد عبد الملك أو ولد الوليد ؟ » فقال : « بل ولد عبد الملك » . قال : « فَأَخْوَكَ أَحَقُّ بِالْخِلافةِ أم ابن أخيك ؟ » قال : « إذا لم تكن في ولدي فأخى أحق بها من ابن أخى » . قال : « فأبنتك لم يبلغ ، فبايع لهشام ثم لابنك بعد هشام » . قال : والوليد يومئذ ابن إحدى عشرة سنة . قال : « غدا أبايع [له] » . فلما أصبح فعل ذلك . وبايع لهشام ، وأخذ العهد عليه ألا يخلع الوليد بعده ولا يغير عهده ولا يحتمل عليه . فلما أدرك الوليد ، ندم أبوه ، وكان يقول : « اللَّهُ بِنِي وَبَيْنَ مِنْ جَعَلَ هَشَامًا بِنِي وَبَيْنَكَ » .

وتوفى يزيد سنة خمس ومائة ، وابنه الوليد ابن خمس عشرة سنة . فلم يزل الوليد مكرماً عند هشام رفيع المنزلة . ثم طمع في خلمه وعقد العهد بعده لابنه مسleme بن هشام . فجعل يذكر الوليد بن يزيد وتهتكه وإدمانه على الشراب ، ويُظهر ذلك في مجلسه ، ويقوم به ويقعد . وولاه الحج ليظهر ذلك منه في الحرمين ، فيسقط^(١) . فحج وظهر منه فعل كثير مدموم ، وتشاغل بالمغنين والشراب . وأمر مولى له فحج بالناس . فلما رجع ، طالبه هشام بأن يخلع نفسه . فأبى ذلك . فخرمه العطاء ، وحرّم سائر موابيه وأسبابه . وجفاه جفاء شديدا . فخرج مُتَبَدِّئاً^(٢) ، وخرج معه عبد الصمد بن عبد الأعلى مؤدِّبه ، وكان يُرعى بالزندقة . ودعا هشام الناس إلى خلمه والبيعة لسلمة بن هشام ، وأمه أم حكيم بنت يحيى بن الحكم بن أبي العاص ، وكنيته أبو شاكر ، وكان ذا رأى وفضل . فأجابه إلى ذلك محمد وإبراهيم ابنا هشام بن

(١) كان ذلك سنة ١١٦ هـ (كامل ابن الأثير ٥ : ١٣٧ ، ١٩٨) والطبرى ٢ : ١٥٧٢ ،

١٧٤١ .

(٢) متبديا : مقيا في البادية .

إسماعيل المحزومي ، والوليد وعبد العزيز وخالد بنو القعقاع بن حُلَيْد (١) العَبْسِي ، وغيرهم من خاصة هشام . فكتب إلى الوليد : « ما تدع شيئاً من المنكر إلا أتيتَه وارتكبته غير مُحَاشٍ ولا مُتَسَرِّ . فليت شعري ، مادِينُكَ ؟ فما أدري على الإسلام أنت أم لا » . فكتب إليه الوليد بن يزيد - ويقال : بل قال ذلك عبد الصمد بن عبد الأعلى ونَحَلَه إياه (٢) :

يا أيُّها السائلُ عن ديننا نحنُ على دينِ أبي شاكرٍ
نشرُّها صِرْفًا وممزوجةً بالسُّخْنِ أحيانًا وبالفاقر

فغضب هشام على ابنه مسلمة وقال : « يُمَيِّرُنِي بك الوليد ، وأنا أُرشِّحُكَ للخِلافةِ ! فإلزم الأدب ، واحضُر الصلوات » . وولاه الموسم سنة تسع عشرة (٣) ومائة . فأظهر النَّسِك ، وقسم بمكة والمدينة أموالا . فقال رجل من موالى أهل المدينة :

يا أيُّها السائلُ عن ديننا نحنُ على دينِ أبي شاكرٍ
الواهبِ البُزْلِ بأرْسَانِهَا ليس بزنديقٍ ولا كافرٍ (٤)

وبلغ خالد القسري ما عزم عليه هشام ، فأباه وقال : « أنا بريء من خليفة يكتني أبا شاكر » . فبلغ ذلك هشاماً فكان سبب إيقاعه به .

ولما قوى عزمُ هشام على خلع الوليد ، قال الوليد (٥) :

كفرتَ يدًا من مُنعمٍ ، لو شكرتَها جزاك بها الرحمنُ ذو الفضلِ والنِّ

(١) وكذا في الطبري ٢ : ١٧٤٢ ، وكامل ابن الأثير ٥ : ١٩٨ . وفي غ : خويلد .

(٢) ديوانه ٤٣ . الطبري ٢ : ١٧٤٢ . كامل ابن الأثير ٥ : ١٩٨ .

(٣) كذا في الطبري ٢ : ١٦٣٥ ، ١٧٤٢ ، وكامل ابن الأثير ٥ : ١٦٠ ، ١٩٨ . وفي

س ، غ : سبع عشرة ، تحريف .

(٤) البزل : جمع بازل ، وهو الذي استكمل السنة الثامنة ودخل في التاسعة من الإبل . وفي

الطبري : الواهب الجرد .

(٥) ديوانه ٥٦ . الطبري ٢ : ١٧٤٩ . كامل ابن الأثير ٥ : ١٩٩ .

رَأَيْتَكَ تَبْنِي دَائِمًا فِي قَطِيمَتِي فلو كنتَ ذا حِزْمٍ لَهَدَمْتُ مَا تَبْنِي (١)
أراك على الباقيين تَجْنِي ضَغِينَةَ فيأوِيحهم إنَّ مَتًّا من شرِّ ما تَجْنِي (٢)
كأني بهم يوماً وأكثُرُ قِيْلِهِمْ أيَا لَيْتَ أَنَا، حينَ «يا لَيْتَ» لا تُعْنِي (٣)

ولما توفي مسلمة بن عبد الملك ، طلع الوليد بن يزيد على الناس وهو نشوان يجر مطرف خزر عليه . فوقف على هشام وقال : « يا أمير المؤمنين ، إن عُقبِي من بقى لحوق من مضى . وقد أقفر بعد مسلمة الصيد لمن رمى ، واختل الثغر فرأهَى . وعلى أثر من سلف يمضى من خلف . فتزوّدوا فإن خير الزاد التقوى » . فأعرض عنه هشام ، فلم يجر جوابا . ووجم الناس فاهمس أحد بشيء .

وكان هشام كلما تنقّص الوليد ، يعاتبه مسلمة ويكفّه . فلما مات مسلمة ، غمّ الوليد ووجد عليه ، وراثه (٤) :

أَنَا بَرِيدَانٍ مِنْ وَاسِطٍ يَخْبَانِ بِالْكُتُبِ الْمُجْمَعَةِ
أَقُولُ وَمَا الْبُعْدُ إِلَّا الرَّدَى أَمْسَلُ لَا تَبْمَدَنُ مَسْلَمَهُ
وَقَدْ كُنْتُ نُورًا لِأَهْلِ الْبِلَادِ تَضَىءُ ، فَقَدْ أَصْبَحَتْ مُظْلَمَهُ (٥)
كَتَمْنَا نَعِيمَكَ نَبِيغِي الْيَقِينِ جَلَّى الْيَقِينُ عَنِ الْجَمِّجَمَةِ (٦)
فَكَمْ مِنْ يَتِيمٍ تَلَا فَيْتَهُ بَارِضِ الْعَدُوِّ وَكَمْ أَيْمَهُ (٧)

(١) غ والديوان والطبرى : تبني جاهدا . غ والكامل : ولو . الديوان : كنت ذا لارب
(٢) الديوان والطبرى والكامل :

تشير على الباقيين مجي ضغينة فويل لهم إن مت من شر ما تجني
(٣) غ : وأكثُر قولهم . الديوان والطبرى والكامل :

كأني بهم والليت أفضل قولهم ألا ليتنا والليت إذ ذاك لا يعني
(٤) ديوانه ٤٤ .

(٥) غ والديوان : فقد كنت نورا لنا في البلاد .

(٦) د ، ي : نخشى اليقين . ب ، س ، والديوان : لنعيم نخشى اليقين . والجمجمة : إخفاء السلام .

(٧) غ والديوان : وكَمْ .

وكنفت إذا الحرب دَرَّت دما نصبت لها رايةً مُعلّمة .
 وكان الوليد لما عنت هشام به وبخاصته - فخرج ومعه قوم من خاصته ومواليه .
 فنزل بالأزرق^(١) على ماء يقال له الأَعْدَف . وخلف بالرّصافة كاتبه عِياض بن مُسلم
 مولى عبد الملك ، ليكاتبه بما يحدث . وأخرج معه عبد الصمد بن عبد الأعلى . فشرّبوا
 يوما فقال له الوليد : « يا أبا وهب ، قلّ أبياتا يغني فيها عُمر الوادي » . فقال :
 أَلَمْ تَرَ لِلنَّجْمِ إِذ سَبَّأ يُبَادِرُ فِي بُرْجِهِ الرَّجْعَا^(٢)
 تَحْيِيرٌ فِي قَصْدِ بَجْرَاتِهِ أَتَى النُّورَ وَالنَّسَّاطِلَمَا^(٣)
 فَقُلْتُ ، وَأَعْجِبْنِي شَأْنَهُ وَقَد لَاحَ - إِذ لَاحَ لِي مُطَمِعَا :
 لَعَلَّ الْوَلِيدَ دَنَا مَلِكُهُ فَأَمْسَى إِلَيْهِ قَد اسْتَجَمَمَا^(٤)
 وَكُنَّا نُؤَمِّلُ فِي مَلِكِهِ كَتَأْمِيلِ ذِي الْجُدْبِ أَنْ يُمْرَعَا^(٥)
 عَقَدْنَا لَهُ مُحْكَمَاتِ الْأُمُورِ طَوْعًا ، وَكَانَ لَهَا مَوْضِعًا^(٦)

فبلغ هذا الشعر هشاما . فقطع عن الوليد ما كان يُجرى عليه ، ومحا أصحابه
 وحرّمهم . وكتب إليه : « بلغني أنك قد اتخذت عبد الصمد خِدْنَا ومحدّثا ونديما .
 وقد حقق ذلك ما بلغني عنك . وإن أبرئك من سوء . فأخرج عبد الصمد مذموما
 مدحورا » . فأخرجه الوليد . وكتب إليه أنه أخرجه ، واعتذر إليه من مفادته ،
 وسأله أن يأذن لابن سهيل في الخروج إليه ، وكان من خاصة الوليد . فضربه هشام
 ونفاه ، وكان ابن سهيل من أهل الشرف والنبل ، وقد ولي الولايات ، وولى دمشق

(١) غ : الأبرق . والأزرق : ماء في طريق حاج الشام دون تيماء .

(٢) سبع : أقام سبعة أيام . وفي الطبري ٢ : ١٧٤٤ : إذ شيعا .

(٣) غ : والطبري : عن قصد . د ، ي : إلى النور .

(٤) س : فأمسى عليه .

(٥) يمرع : يأتي الحصب .

(٦) الطبري : فكان لها .

مرارا وغيرها . وأخذ هشام عياضا كاتب الوليد ، فضربه ضربا مبرحا ، وألبسه
 السُّوح ، وقَيَّده وحبسه . فغمَّ ذلك الوليد وقال : « من يثق بالناس ، ويصطنع
 المعروف . وهذا الأحوال المشثوم قدَّمه أبي علي ولده وأهل بيته ، وولاه ، وهو يصنع
 ما ترون ، ولا يعلم أن لي في أحد هوى إلا ضربه وأضرَّ به ؟ كتب إلي أن أخرج
 عبد الصمد فأخرجته . وكتبت إليه أن يأذن لابن سهيل في الخروج إلي ، فضربه
 وطرده وقد علم رأي فيه ، وعرف مكان عياض منى وانقطاعه إلي ، فضربه وحبسه ؛
 يُضادني بذلك . اللهم أجزني منه » .

ثم قال الوليد (١) :

أنا النذيرُ لُسدي نعمة أبدا إلى المقاريفِ ما لم يخبرِ الدخلا (٢)
 إن أنت أكرمتهم ألفيتهم بطرا وإن أهنتمهم ألفيتهم ذُللا (٣)
 أنشمخون ومنا رأسُ نعمتكم ! ستملمون إذا أبصرتُمُ الدُّولا (٤)
 انظر فإن أنت لم تقدرِ على مثلِ لهم سوى الكلبِ فاضربْ به لهم مثلا (٥)
 بينا يُسمِّنه للصيِّدِ صاحبه حتى إذا ما استوى من بعد ما هزلا (٦)
 عدا عليه ، فلم تضرُّه عدوته ولو أطاق له أكْلا لقد أكلا
 وقال الوليد أيضا يفتخر على هشام (٧) :

أنا الوليدُ أبو العباسِ قد علمتْ عُليا معدَّة مدي كَرِّي وإقداي

(١) ديوانه ٥٠ . الطبري ٢ : ١٧٤٥ .

(٢) غ : لا يخبر . والمقاريف : الأندال .

(٣) غ : بطروا .

(٤) الديوان والطبري : إذا كانت لنا دولا .

(٥) الديوان والطبري :

له سوى الكلب فاضرب به له مثلا

انظر فإن كنت لم تقدر على مثل

(٦) الديوان والطبري : إذا ما نوى .

(٧) ديوانه ٥٣ .

إني لفي الذروة العليا إذا اتسبوا مقابل بين أخوال وأعمام^(١)
فلما بلغ ذلك هشاماً قال : « ما أعلمت له معد كراً ولا إقداماً ، إلا أنه شرب
مرة مع عمه بكار بن عبد الملك فمرّبّد عليه وعلى جواريه ، فإن كان يعني ذلك كرهه
وإقدامه فعسى » .

قال أبو الزُّبَيْرِ المُنْدِرِ بن عمرو - وكان كاتباً للوليد بن يزيد - قال : أرسل إلى
الوليد بكرة اليوم الذي أتمته فيه الخلافة ، فأنبئته . فقال : « يا أبا الزبير ، ما أتت
على ليلة أطول من هذه الليلة : عرضت لى أمور وحدثتني نفسى فيها بأمر ، وهذا
الرجل قد أولع بى . فاركب بنا تنفس » . فركب وسرنا قدر ميلين . ووقف على تل
فجمل يشكو هشاماً ، إذ نظر إلى رهج^(٢) قد أقبل وسمع قعقة البريد . فتموّد بالله من
شر هشام وقال : « إن هذا البريد قد أقبل بموت وحي^(٣) أو ملك عاجل » . فقلت :
« لا يسوءك الله - أيها الأمير - بل يسرك ويُبقيك » إذ بدا رجلان على البريد
مُقبِلان ، أحدهما مولى لأبى محمد السفينانى والآخر جردبة^(٤) . فلما قرّبا أتيا الوليد
ونزلا يعدّوان حتى دنوا منه فسلما عليه بالخلافة . فوجم . وجملاً يكرران عليه
السلام بالخلافة . فقال : « ويحكما ! ما الخبر ؟ أمات هشام ؟ » قالوا : « نعم » .
فقال : « مرحباً بكما . ما معكما ؟ » قالوا : « كتاب مولاك سالم بن عبد الرحمن » .
فقرأ الكتاب وانصرفنا . وسأل عن عياض بن مسلم كاتبه الذى كان هشام ضربه
وحبسه . فقالوا : « يا أمير المؤمنين ، لم يزل محبوباً حتى نزل بهشام أمر الله . فلما صار
إلى حال لا تُرجى له الحياة معها ، أرسل عياض الخزان : احتفظوا بما فى أيديكم

(١) الديوان : ذروة العليا . غ والديوان : أخوال وأعمامى . ومقابل : كريم النسب من
جهة أبويه .

(٢) رهج : القبار .

(٣) الوحى : السريخ .

(٤) كذا فى الطبرى ٢ : ١٧٥٠ والكامل ٥ : ١٩٩ . وفى ص : لأبى سفينان بن حرب .

وفى غ : لآل أبى سفينان بن حرب .

ولا يصل أحد إلى شيء وأفاق هشام إفاقةً فطلب شيئاً ، فَمُنِعَهُ . فقال : « أَرَأَا كُنَّا حُرَّانَا لِلوَلِيدِ » . وقضى من ساعته . نَجْرَجُ عِيَاضَ مِنَ السَّجْنِ سَاعَةً قَضَى هِشَامُ . نَحْمُ الأَبْوَابَ وَالخَزَائِنَ . وَأَمْرُ بِهِشَامٍ فَأَنْزَلَ عَنْ فِرَاشِهِ . وَمَنْعَهُمْ أَنْ يَكْفَنُوهُ مِنَ الخَزَائِنِ ، فَكَفَّنَهُ غَالِبُ مَوْلَاهُ . وَلَمْ يَجِدُوا قُمْمًا حَتَّى اسْتَمَارَوْهُ . وَأَمْرُ الوَلِيدِ بِأَخْذِ ابْنِي هِشَامِ بْنِ إِسْمَاعِيلِ الخَزَوِيِّ . فَأَخَذَا بَعْدَ أَنْ عَاذَ إِبرَاهِيمُ بْنُ هِشَامٍ بِقَبْرِ يَزِيدِ بْنِ عَبْدِ المَلِكِ . فَقَالَ الوَلِيدُ : « مَا أَرَاهُ إِلَّا قَدْ نَجَا » . فَقَالَ لَهُ يَحْيَى بْنُ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ وَأَخُوهُ عَبْدِ اللَّهِ : « إِنْ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - لَمْ يَجْعَلْ قَبْرَ أَبِيكَ مَعَاذًا لِلظَّالِمِينَ . فَخُذْهُ بَرْدٌ مَا فِي يَدِهِ مِنْ مَالِ اللَّهِ ، عَزَّ وَجَلَّ » . قَالَ : « صَدَقْتَ » . وَأَخَذَهُمَا فَبَعَثَ بِهِمَا إِلَى يَوْسُفَ بْنِ عَمْرٍو ، وَكَتَبَ إِلَيْهِ أَنْ يَسْطُرَ العَذَابَ عَلَيْهِمَا حَتَّى يَتَلَقَا ، ففعل ذلك ، وماتا فِي العَذَابِ بَعْدَ أَنْ أُفِيمَ إِبرَاهِيمُ بْنُ هِشَامٍ لِلنَّاسِ حَتَّى افْتَضَوْا مِنْهُ المَظَالِمَ .

ولما أتى الوليدَ نَمِيُّ هِشَامٍ قَالَ : « وَاللَّهِ ، لَأَتَلَقَيْنَّ هَذِهِ النَّمِمَةَ بِسَكْرَةٍ قَبْلَ الظَّهْرِ » . ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ (١) :

طاب يوى وُلِدَتْ شُرْبُ السُّلَافَةِ إِذْ أَنَا نَعِيٌّ مِنْ الرُّصَافَةِ (٢)
وَأَنَا البَرِيدُ يَنْعَى هِشَامًا وَأَنَا بِحَاثِمٍ لِلخِلافَةِ
فَاصْطَبَحْنَا مِنْ خَمْرِ عَانَةَ صِرْفًا وَلَهُونَا بِهَيْئَةِ عَرَافَةِ (٣)

ثُمَّ حَلَفَ أَلَّا يَبْرَحَ مِنْ مَوْضِعِهِ حَتَّى يُبْعَثَنِي . فُغْنِي فِيهِ . وَشَرِبَ حَتَّى سَكِرَ . ثُمَّ دَخَلَ فُبُوعَ لَهُ .

وَسَمِعَ صَرَخًا ، فَسَأَلَ عَنْهُ فَقِيلَ : « هَذَا مِنْ دَارِ هِشَامٍ ، وَبَنَاتُهُ تَبْكِيْنَهُ » .
فَقَالَ (٤) :

(١) ديوانه ٤٨ . كامل ابن الأثيره : ٢٠١ .
(٢) غ : أناني . الكامل : وأنا .
(٣) عانة : بلدة على الفرات اشتهرت بالخمر الجيدة .
(٤) ديوانه ٥٧ .

إِنِّي سَمِعْتُ بَلِيلَ
وَإِذَا بَنَاتُ هِشَامٍ
يَنْدُبْنَ قَرْمًا جَلِيلًا
أَنَا الْمُخَنَّثُ حَقًّا
وَرَأَى الْمَصَلَى بَرْنَهُ (١)
يَنْدُبْنَ قَدَّ كَانَ يَمْعُدُهُنَّه (٢)
إِنْ لَمْ أَنْيْكُهُنَّه

ولما شرب الوليد يوماً وطابت نفسه ، أمر عمر الوادى فغنى في هذا الشعر ،
وشرب عليه . ثم قال له : « إن سمعه منك أحد أبداً لأقتلنك » . فأسمع منه
بمدها ولا عرف .

ولما ولى الوليد صعده المنبر وقال في أثناء قوله (٣) :

ضَمِنْتُ لَكُمْ إِنْ لَمْ تَمُقْنِي مَنِيَّتِي
بِأَنَّ سَمَاءَ الضَّرِّ عَفَّكُمْ سَتَقْلِعُكُمْ (٤)

ولما ولى الوليد الخلافة ، بحث إلى جماعة من أهله فقال : « أتدرون لم دعوتكم ؟ »
قالوا : « لا » . قال : « لِيَقْلُ قَائِلِكُمْ » . فقال رجل منهم : « أردت أن تُرينا
ما جدد الله لك من نعمه وإحسانه » . قال (٥) : « نعم ، ولكني :

أَشْهَدُ اللَّهَ وَالْمَلَائِكَةَ الْأَبْدَرَارَ وَالْعَابِدِينَ أَهْلَ الصَّلَاحِ

(١) الديوان :

إِنِّي سَمِعْتُ خَلِيلِي
نَحْوَ الرِّصَافَةِ رَنَهُ

(٢) الديوان :

يَنْدُبْنَ شَيْخًا كَرِيمًا
وَكَانَ يَكْرَمُهُنَّه

القرم : السيد الفحل .

(٣) ديوانه ٤٦ . الطبرى ٢ : ١٧٥٤ . كامل ابن الأثير ٥ : ٢٠١ .

(٤) الديوان والطبرى : تعقنى عوائق . غ مرة : تصابوا بمهجتي ، وأخرى : ترعنى منيتي ،

والكامل : يعقنى عائق .

(٥) ديوانه ٣٨ .

أننى أشتهى السَّماعَ وشرب الـ كَأْسِ والعَضَّ في الخُدودِ المِلاحِ (١)
والنَدِيمَ الكَرِيمَ والخادِمَ الفا ره يسمى إلى بالأقْداحِ (٢)
قوموا إذا شئتم .

خرج عبد الوهاب بن إبراهيم الإمام إلى بعض الدِّيَّارات . فنزل فيه هو ومن معه ، وهو والى الرَّمْلة . فسأل صاحب الدير : « هل نزل بك أحد من بنى أمية ؟ » قال : « نعم . نزل بي الوليد بن يزيد ومحمد بن سليمان بن عبد الملك » . قال : « فما صنما ؟ » قال : « شرابا » . قال : « أين شرابا ؟ » قال : « في ذلك المكان . ولقد رأيتهما شرابا في آنيتهما . ثم قال أحدهما لصاحبه : هلم نشرب بهذا الجُرْنِ (٣) . وأوماً إلى جرنٍ عظيمٍ من رخام . فقال : « افعل » . فلم يزالا يتعاطيانه بينهما ويشربان به حتى نَمِلا » . فقال عبد الوهاب لمولى له أسود يوصف بالشدَّة : « هاتِه » . فذهب يحركه فلم يقدر . فقال له الراهب : « لقد رأيتهما يتعاطيانه ، وكل واحد يملؤه لصاحبه ، فيرفعه ويشربه غير مكثرث » .

وكانت سَعْدَةُ بنت سميد بن خالد بن عمرو بن عثمان تحت الوليد . فرض سميد ، فجاءه الوليد عائدا . فلما دخل لمح سلمى بنت سميد ، أخت زوجته فسترها حواضِنُها وأختها . وقامت ففرَعَتَهن (٤) طولاً . ووقعت بقلب الوليد . فلما مات أبوه ، طَلَّقَ زوجته سعدة . وخطب أختها سلمى ، وكانت أختها أم عثمان تحت هشام بن عبد الملك . فبعث إلى أبيها : « أريد أن تستفحل الوليد لبنتائك : يطلق هذه ، وينكح هذه ! » فلم يزوجه سميد وردّه أقبح رد . وهَيَّيْها الوليد ، ورام السلوا فلم يَسَلُ . وكان يقول :

(١) غ والديوات : والعَضُّ للخدود .

(٢) غ والديوان : يسمى على .

(٣) الجرن : حجر منقور بصب فيه الماء .

(٤) فرَعَتَهن : عاتهن .

« العجب لسعيد : خطبت إليه فردني ، ولئن مات هشام ووليت لزواجني اوهى طالق
ثلاثا إن تزوجتها حينئذ ، وإن كنت أهواها . »

وقيل : إنه راسل سمدة فوجدها قد تزوجت .

وبعث الوليد إلى أشعب بعد أن طلق سمدة ، فقال : « يا أشعب ، لك عندي
عشرة آلاف درهم ، على أن تبليغ رسالتي سمدة » . فقال : « أحضر العشرة الآلاف
الدرهم حتى أنظر إليها » . فأحضرها . فوضعها أشعب على عنقه وقال : « هات
رسالتك » . فقال له ما أراد . فتوجه أشعب إلى بابها . فأخبرت بمكانه . فأمرت
بفرش ففرشت وجلست وأذنت له . فلما دخل قال لها : « يقول لك أمير
المؤمنين »^(١) :

أَسْمَدَةُ هَلْ إِلَيْكَ لَنَا سَبِيلٌ وَهَلْ حَتَى الْقِيَامَةِ مِنْ تَلَاقِ

فَقَالَتْ : « لَا وَاللَّهِ ، لَا يَكُونُ ذَلِكَ أَبَدًا » . فَقَالَ :

بَلَى ، وَلَعَلَّ دَهْرًا أَنْ يُؤَاتَى بِمَوْتٍ مِنْ حَايِكَ أَوْ طَلَاقِ

فَقَالَتْ : « كَلَّا ، كَلَّا ، بَلْ يَفْعَلُ اللَّهُ ذَلِكَ بِهِ » . فَقَالَ :

فَأَصْبِحْ شَامِتًا وَتَقَرَّرْ عَيْنِي وَيُجْمَعُ شَمَلُنَا بَعْدَ افْتِرَاقِ

فَقَالَتْ : « بَلْ تَكُونُ الشَّامِتَةَ بِهِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ » . ثُمَّ قَالَتْ لَخْدَمِهَا :

« خذوا الفاسق » . فقال : « ياسيدي ، إنها بعشرة آلاف درهم » . فقالت :

والله لا أفلتك أو تبلغه كما بلغتني » . قال : « وما تهيبيني ؟ » قالت : « بساطي الذي

تحتي » . قال : « قومي عنه » . فقامت . فطواه ثم قال : « هاتي رسالتك » . قالت

« قل له : تقول لك :

أتبكي على ليلي وأنت تركتها فقد ذهب ليلي ، فما أنت صانع؟! (١)
فأقبل أشمب فدخل على الوليد . فقال : « إيه ! » فأنشده البيت . فقال : « أوآه ،
قتلتني يا ابن الزانية ! ما أنا صانع ! اختر : إما أن أدليك على رأسك منكسا في بئر ،
أو أرى بك منكسا من فوق القصر ، أو أضربك على رأسك بهذا العمود ضربة هذا
الذي أنا صانع . فاختر أنت ما أنت صانع » . قال : « ما كنت لتفعل شيئا من ذلك » .
قال : « ولم ، يا ابن الزانية ؟ » قال : « لم تكن لتعذب عينين نظرتا إلى سُمدة » .
قال : « صدقت . والله ، أراه أفلت مني بهذا . اخرج عني » .

خرج الوليد بن سعيد ليرى سلمى . فلقية زيات معه حمار عليه زيت . فقال :
« هل لك أن تأخذ فرسي هذا وتمطيني حمارك وما عليه ، وتأخذ ثيابي وتمطيني ثيابك ؟ »
فعمل الزيات ذلك . وجاء الوليد حتى دخل القصر . وعليه الثياب ، وبين يديه الحمار
يسوقه متنكرا ، وهو ينادى : « من يشتري الزيت ؟ » فاطلع بمض الجوارى
فرايته . فدخلن إلى سلمى فقلن لها : « بالباب زيات أشبه الناس بالوليد . فاخرجي
فانظري إليه » . فخرجت فرأته ورآها . فرجعت القهقري وقالت : « هو - والله -
الفاسق . وقد رأني » . فقلن له : « لا حاجة بنا إلى الزيت » . فانصرف .

ولما زاد بالوليد الأمر ، كتب إلى أبيها سعيد (٢) :

أبا عثمان ، هل لك في صنيع
تصيب الرشد في صلتي ، هديتا !
فأشكر منك ما تسدي وتحي
أبا عثمان ، ميمّة وميمتا (٣)

(١) غ : لبي . وكذا روى الشطر الثاني في هامش ص مبينا أنه عدل به عن الرواية المثبتة
في المتن ، وهي : وأنت عليها بالمرأ كنت أقدر وكلام الوليد الآتي يؤكد ذلك في العدول . والبيت
بروايته ينسب إلى قيس بن ذريح . انظر ديوانه ٨٦ ، ١٠٣ .

(٢) ديوانه ٣٧ .

(٣) فأشكر منك ما تسدي : كذا في غ والديوان ، أي تعطي . وفي ص : فأشكر منك

فلم يُجِبه إلى ذلك . فلما ولى الخلافة ، زَوَّجه إياها ، فيقال : إنها أقامت عنده
أربعين يوماً وماتت .

وقيل : إن الوليد لقي سميد بن خالد والوليد ثمل ، فقال له : « يا أبا عثمان ،
تردني عن سلمى ! وكأني بك وقد وليتُ الخلافة قد خطبتني فلم أجبك . وإن تزوجتها
حينئذ فهي طالق ثلاثاً » . فقال سميد : « إن المرء يجعل كريمته عند مثلك لحقيق
بأكثر مما قلت » . فأَمْضَى الوليد وشتمه . وتسامما وانصرفا . فبلغ ذلك سلمى ،
فجزعت وبكت ، وسبَّت الوليد ونالت منه . فقال الوليد^(١) :

عَبَّتْ سلمى علينا سَفَاهَا أَنْ سَبَّتُ اليَوْمَ فيها أبَاهَا^(٢)
كَانَ حَقُّ العَتْبِ - ياقوم - مِنِّي لَيْسَ مِنهَا ، كَانَ قَلْبِي فِدَاهَا
فَلذُنْ كَمَتِ أَرَدْتُ بِقَوْلِي لِأَبِي سلمى خِلافَ هِوَاهَا^(٣)
فَشَكِلْتُ اليَوْمَ سلمى ، فسلمى مَلَأْتُ أَرْضِي مَعَا وَسَمَاهَا

قال المأمون يوماً لجلسائه : « أنشدوني بيتاً لملك ، يدل البيت أنه لملك وإن
لم يُعرَف قائله أنه ملك . » فأَنشده بعضهم لا مَرىء القيس^(٤) :

أَمِنْ أَجْلِ أَعْرَابِيَةٍ حَلَّ أَهْلُهَا جَنُوبَ العِضَا عَيْنَاكَ تَبْتَدِرَانِ^(٥)

فقال : « وما في هذا مما يدل على ملكه . قد يجوز أن يقول هذا سوقة من أهل
الحَضَر يُمَاتِب نفسه على التعلُّق بأعرابية » . ثم قال : « إن الشعر الذي يدل على أن
قائله ملك قول الوليد^(٦) :

(١) ديوانه ٣٣ .

(٢) الديوان : غضبت سلمى . غ مرة : أن هجوت .

(٣) غ والديوان : أردت بقلي .

(٤) ديوانه ٨٨ .

(٥) غ : جنوب الملا . الديوان :

أمن ذكر نهائية حل أهلها مجزع الملا عينك تبتدران

(٦) ديوانه ٤٤ .

اسْتَقْنِي مِنْ سُلَافِ رَيْقِ سَلِيمِي وَاسْتَقِ هَذَا النَّدِيمَ كَأَسَا عُقَارَا
وَقَبْلَ هَذَا الْبَيْتِ :

اسْتَقْنِي يَا ابْنَ سَالِمٍ قَدْ أَنَا نَا كَوَكْبُ الصَّبْحِ وَأَنْجَلِي وَاسْتَفَارَا^(١)
ثم قال المأمون : « أما ترى إلى إشارته في قوله : هذا النديم ، وإنما هي إشارة
مَلِك . ومثل قوله^(٢) :

سَقَيْتُ أَبَا كَامِلٍ مِنْ الْأَصْفَرِ الْبَابِلِي
وَسَقَيْتَهَا مَعْبِدَا وَكَلَّ فَنِّي فَاضِلٍ^(٣)
لِي الْمَحْضُ مِنْ وُدِّهِمْ وَيَغْمُرُهُمْ نَائِلِي
فَمَا لَأَمْنِي مِنْهُمْ سَوَى حَاسِدٍ جَاهِلٍ^(٤)

وهذا قول من يقدر بالملك على طَوِيَّاتِ الرِّجَالِ يَبْذُلُ الْمَعْرُوفَ لَهُمْ وَبِاسْتِخْلَاصِهِمْ
لِنَفْسِهِ .

ومما قال في سلمى^(٥) :

أَرَانِي اللَّهَ - يَا سَلْمَى - حَيَاتِي وَفِي يَوْمِ الْحِسَابِ كَمَا أَرَاكَ
أَثْيَبِي عَاشِقًا كَلِيفًا مُعْنَى إِذَا خَدَرْتَ لَهُ رِجْلٌ دَعَاكَ

كانت العرب تقول : إن الإنسان إذا خدرت رجله فدعا باسم أحب الناس إليه
سكنت :

وفي الخبر أن رجل عبد الله بن عمر خدرت ، فقيل له : « ادعُ باسم أحب
الناس إليك » . فقال : « يا رسول الله ! » .

(١) غ والديوان : قد أنارا .

(٢) ديوانه ٥٢ .

(٣) غ : فتى بازل .

(٤) غ والديوان : لا منى فيهم .

(٥) ديوانه ٤٨ .

وكان الوليد مدمنا للشرب والغناء ، فأمر بإحضار أشعب من الحجاز . فحُمِلَ إليه على البريد . فلما وصل ، أمر بأن يلبس سراويل من جلد قردٍ له ذَنَبٌ . ورقصه . وألبسه أجراسا في رجليه وفي عنقه . ففعل ذلك . فدخل عليه وهو عَجَبٌ من العجائب . فلما رآه ضحك منه . وكشف له عن أيره وهو مُنَمِطٌ . قال أشعب : فرأيتُه كأنه ناي مدهون . فقال : « رأيتَ مثله قط؟ » . قلت : « لا » . فقال : « اسجد للأصمِّ ، وبلك ! » يعني أيره . فسجدت ثم رفعت رأسي وسجدت سجدة أخرى . فقال لي : « ما هذا ، ويحك؟ » قلت : « الأولى للأصمِّ والثانية لخصيتك » . فضحك . وأمر بنزع ما كان ألبسني ووصلني . ولم يزل أشعب من ندمائِه حتى قُتل .

وتكلم بمض جلسائه ، والمغنية تغني . ففكره ذلك وأضجره . فقال لبعض من حضر : « قم فيكِّه » . فقام فناكه ، والناس حضور ، وهو يضحك .

وذكرت جارية أنه واقمها يوما وهو وهى سكرانان . فلما تنحى ، أذن المؤذن بالصلاة . فحلف ألا يصلي بالناس غيرها . فخرجت - وهى متلثمة - فصلت بالناس . ونزل على غدير ماء فاستحسنته . فلما سكر حلف ألا يبرح أو يشرب ماء ذلك الغدير كله . ونام . فأمر العلاء بن البُنْدَار بالقرب والروايا ، فأحضرت . وجعل ينزحه ويصب على الكئيب التي حولهم حتى لم يبق فيه شيء . فلما أصبح رآه وقد نضب ، فظرب وقال : « أنا أبو العباس ! ارتحلوا » . فرحلوا .

بعث الوليد إلى سُراة بن الزنْدَ بوز ، فلما قدم عليه ، قال : « يا سُراة ، إني لم أستحضرِكَ لأسألك عن العلم ولا لأستفتيك في الفقه ولا لتقرئني القرآن ولا لتحدثني » . قال : « لو سألتني عن هذا لوجدتني فيه حمارا » . قال : « فكيف علمك بالفتوة؟ » قال : « أنا ابنُ بجدتها ، وعلى الخبير سقطت ،

فَسَلُّ عَمَّا شِئْتُ . قال : « كيف علمك بالأثرية ؟ » قال : « يسألني أمير المؤمنين عما أحبَّ » . قال : « كيف علمك بالماء ؟ » قال : « هو الحياة ، ويشرّ كُنِّي فيه الحمار » . قال : « فاللبن ! » قال : « ما رأيت قط إلا ذكرت أمي واستحييت » . قال : « فالنجر ؟ » قال : « تلك السارة البارة ، وشراب أهل الجنة » . قال : « لله درُّك ! » قال : « فأى شيء أحسن ما يُشرب عليه ؟ » قال : « عجبت لمن قدّر أن يشرب على وجه السماء في كِنِّ من القرّ والحِر ، كيف يختار عليها شيئاً ! »

دعا الوليد ذات يوم بمصحف . فلما فتحه وافق ورقة فيها : « وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ »^(١) . فقال : « سحقاً ! سحقاً ! علقوه »^(٢) . ثم أخذ القوس والنبل فرماه حتى مزقه . وقال^(٣) :

تَهْدِدُنِي بِجِبَارٍ عَنِيدٍ فَمَا أَنَا ذَاكَ جِبَارٌ عَنِيدٌ^(٤)
إِذَا مَا جِئْتُ رَبِّكَ يَوْمَ حَشْرِ فَقُلْ : يَا رَبِّ ، مَزَقْنِي الْوَلِيدُ^(٥)
فما لبث بعد ذلك إلا قليلاً حتى قُتِل .

كان الوليد قد أُسْمِل إليه عدة جوار ، وعنده أخوه عبد الجبار وكان حسن الوجه والشعر وفيه . فأمر الوليد جارية منهن أن تغني :

لو كنت من هاشمٍ أو من بني أسدٍ أو عبد شمسٍ أو أصحاب اللوا الصيِّدِ^(٦)

(١) الآيتان ١٥ ، ١٦ من سورة إبراهيم .

(٢) غ : أسجما ، سجما .

(٣) ديوانه ٣٩ ، أمالي المرتضى ١ : ١٣٠ ، خزائن الأدب ١ : ٣٢٨ .

(٤) غ والديوان والأمالى : أتوعد كل جبار عنيد .

(٥) غ والديوان :

إذا لاقيت ربك يوم حشر فقل لله مزقني الوليد

الأمالى :

فإن لاقيت ربك يوم حشر فقل يا رب خرقني الوليد

(٦) غ : أو أصحاب . والصيد : جمع أصيد وهو المتكبر . والشعر لحسان بن ثابت ، انظر

ديوانه ١٦٢ ، وكامل البرد ٢١٣ .

وأمرها أخوه أن تغنى في شعر جميل^(١) :

أَتَعْجَبُ أَنْ طَرِبْتُ لَصَوْتِ حَادٍ حَادًا بُرْزَلًا يَسِرُّنَ بِكَلِّ وَاِدٍ
فَلَا تَعْجَبُ فَإِنَّ الْحَبَّ أَمْسَى لَبِئْسَةَ فِي السَّوَادِ مِنَ الْفَوَادِ

فغنت ما أمرها به أخوه . فغضب الوليد واحمر وجهه ، وظن أنها فعلت ذلك

ميلا إلى أخيه . وعرفت الشر في وجهه فغنت في شعر عمر^(٢) :

إِيهَا الْعَاتِبُ الَّذِي خَافَ هَجْرِي وَبِعَادِي ، وَمَا عَمَدْتُ لَذَاكَ^(٣)

أَتَرَى أَنَّنِي بِفَيْرِكَ صَبٌّ جَمَلُ اللَّهِ مِنْ تَظَنُّ فِدَاكَ^(٤)

فَارْضَ عَنِّي جُمَلْتُ نَعْمَلِيكَ إِنِّي وَالْمَعْظِيمِ الْجَلِيلِ أَهْوَى رِضَاكَ^(٥)

قال : فسُرِّي عن الوليد وقال لها : « ما منمك أن تغنى ما أمرتك به ؟ »

قالت : « لم أكن أحسنه ، وكنت أحسن الصوت الذي سألتنيه . فلما تبينت غضبك

غنيت هذا الصوت » .

كان عبيد الله بن مَعْمَرٍ وعبد الله بن عامر بن كَرِيْزٍ اشتريا من عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - رقيقا مما سُبِي . ففضل عليهما ثمانون ألف درهم . فأمر بهما عمر

أن يُلْزَمَا . فر بهما طلحة بن عبيد الله وهو يريد الصلاة في مسجد رسول الله ،

صلى الله عليه وسلم . فقال : « ما لابن معمَر يُبْلِزَمُ ؟ » فأخبر خبره فأمر له بإطلاق

الأربعين ألف درهم التي عليه ليَقْضِيهَا عنه . فقال ابن معمَر لابن عامر : « إنها

إِنْ قُضِيَتْ عَنِّي بَقِيَتْ مَلَازِمًا ، وَإِنْ قُضِيَتْ عَنْكَ لَمْ يَتْرَكْنِي طَلْحَةُ حَتَّى يَقْضِيَ عَنِّي » .

(١) ديوانه ٧١ .

(٢) ديوانه (طبع لبيزج ١٩٠١ م) ١٦٢ .

(٣) الديوان : رام هجري . . وما علمت بذاك .

(٤) الديوان : زعموا أنني . . من أحب فداك .

(٥) الديوان :

وارض عنى جعلت أفديك إني والعزير الجليل أهوى رضاك

فدفع إليه الأربعمائة ألف درهم . فقضاها عن نفسه . وُخِّلَتْ سبيل ابن عامر . فرطلحة
منصرٍ فامن الصلاة فوجد ابن معمر ملازماً . فقال : « ما لابن معمر ؟ ألم أمر بالقضاء
عنه ؟ » فأخبر بما صنع . فقال : « أما ابن معمر فقد علم أن له ابن عم لا يُسَلِّمه .
احملوا إليه أربعمائة ألف درهم ، فاقضوها عنه » . ففعل ، وُخِّلَتْ سبيله .

فقال حسان بن ثابت لمُصَافِعِ بْنِ عِيَاضِ بْنِ صَخْرِ بْنِ عَامِرِ بْنِ كَعْبِ بْنِ سَعْدِ
ابن تَيْمِ بْنِ مِرَّةٍ (١) :

يا آلَ تَيْمٍ أَلَا تَنْهَوْنَ جَاهِلِكُمْ	قَبْلَ الْقِذَافِ بِصُمِّ كَالْجَلَامِيدِ (٢)
لو كنتَ من هاشمٍ أو من بني أسدٍ	أو عبد شمسٍ وأصحابِ اللِّوَا الصَّيْدِ (٣)
أو من بني نوفلٍ أو وُلْدِ مُطَلِّبٍ	أو من بني جُمَحِ الخَضِرِ الجَلَاعِيدِ (٤)
أو من بني زُهْرَةَ الأبطالِ قد علموا	للهِ دَرَكٌ لم تَهْمُمُ بِتَهْدِيدِي (٥)
أو في الذُّؤَابَةِ من تَيْمٍ إذا انتسبوا	أو من بني الحارثِ البِيضِ الأماجِيدِ (٦)
لكن سَأَصْرَفُهَا عنكم وأعد لها	بطلحةَ بن عبيدِ الله ذِي الجودِ (٧)

(١) ديوانه ٧٩ .

(٢) الديوان : ألا ينهي سفيهمكم . . بأمثال الجلاميد .

(٣) غ : أو اصحاب . الصيد : المتكبرون .

(٤) ع : آل مطلب . والجلاعيد : الغلاظ الأشداد . والشطر الثاني في الديوان : لله درك

لم تههم بتهديدي .

(٥) غ : قد عرفوا . وفي الديوان :

أو من بني خلف الزهر الأماجيد

أو كنت من زهرة الأبطال قد علموا

(٦) الديوان :

أو من بني جمح الخضر الجلاعيد

أو في الذؤابة من تيم رضيت بهم

(٧) غ : لطلحة . والديوان :

عنكم بقول رصين غير تهديد

لكن سأصرفها جهدي وأعد لها

دخل أبو الأقرع^(١) على الوليد . فقال له : « أنشدني قولك في الخمرة » .

فأنشده :

كُمَيْتٌ إِذَا سُجِّتْ ، وَفِي السَّكَّاسِ وَرَدَةٌ . لَهَا فِي عِظَامِ الشَّارِبِينَ دَيْبٌ^(٢)
تُرِيكَ الْقَدَى مِنْ دُونِهَا وَهِيَ دُونَهُ . لَوْجِهِ أَخِيهَا فِي الْإِنَاءِ قُطُوبٌ^(٣)

فقال له الوليد : « شربتها يا أبا الأقرع ، ورب الكعبة » . فقال : « يا أمير

المؤمنين ، لئن كان نعمتي لها أرابك لقد رابني معرفتك بها » .

لما ظهرت المسوذة^(٤) بخراسان ، كتب نصر بن سيار إلى الوليد يستمده .

فتشاغل عنه . فكتب إليه كتابا آخر في آخره :

أَرَى خَلَلَ الرَّمَادِ وَمِيضَ جَهَنَّمَ . وَيُوشِكُ أَنْ يَكُونَ لَهُ ضِرَامٌ^(٥)

فَإِنَّ النَّارَ بِالْمُؤَدِّينَ تَذَكَّى . وَإِنَّ الْحَرْبَ مَبْدُؤُهَا السَّكَّامُ

فَقَلْتُ مِنَ التَّمَعُّبِ لَيْتَ : شِعْرِي . أَلْيَقَاطُ أُمِّيَّةٌ أَمْ نِيَامُ !

فكتب إليه الوليد : « قد أقطعتمك خراسان . فاعمل لنفسك أودع ، فإني

مشغول عنك بآبن سريج ومعبد والغريص » .

خرج الوليد يوما ، وكان مع أصحابه على شراب . فقيل له : « إن اليوم

يوم الجمعة » . فقال : « والله لأخطبهم اليوم بشعر » . فصعد المنبر ليخطب وقال^(٦) :

(١) كذا في د ، ي عن الأغاني (ب ١٢ : ٢٥) حيث ترجم له ، فهو عبد الله بن الحجاج

الثعلبي . وفي ص ، ب ، س : ابن الأقرع ، تحريف . ونسب المرتضى : الأمازي : ١ : ٣٧٧ الشعر
لعدي بن الرقاع العاملي .

(٢) ب ١٢ : ٣٢ : إذا صبت . ب ١٢ : ٢٥ : فبت أسقاها سلافا مدامة . . لها . .

(٣) الشطر الأول في ب ١٢ : ٣٢ : تمر وتستحلي على ذاك شربها .

(٤) المسوذة : دعاء العباسيين الذين اتخذوا السواد شعارا لهم .

(٥) غ : وأحر بأن يكون له ضرام .

(٦) ديوانه ٤١ .

الحمد لله وليُّ الحمد
 وهو الذي في الكُرب أستمينُ
 أشهد في الدنيا وفي سواها
 ما إن له في خلقه شريك
 أشهد أن الدينَ دينَ أحمدِ
 وأنه رسولُ ربِّ العرشِ
 أرسله في خلقه نذيراً
 ليُظهرَ اللهُ بذلكَ الدينَ
 من يُطع الله فقد أصابا
 ثم القرآنُ والهدى السبيلُ
 كأنه لما بقى لديكم
 إنكم من بعدُ إن تزَلُّوا
 لا تتركوا نُصحى فإني ناصح
 من يتق الله يجد غيبَ التقى
 إن التق أفضلُ شئ في العملِ
 خافوا الجحيمَ - إخوتى - لملككم
 أحمدُه في يُسرنا وأُجهدِ
 وهو الذي ليس قرين
 أن لا إلهَ غيره إلهاً^(١)
 قد خضعت لملكه الملوك
 وليس من خالفه بمهتدى^(٢)
 القاهرِ الفردِ الشديدِ البَطشِ^(٣)
 وبالكتابِ واعظاً بشيراً^(٤)
 وقد جُعِلنا قبلُ مشركينَا
 أو يمصه أو الرسولَ خابا
 قد بقيا لما مضى الرسول
 حتى صحیحٌ لا يزال فيكم^(٥)
 عن نهجه وقصده تَضَلُّوا^(٦)
 إن الطريقَ فاعلمنَّ واضح^(٧)
 يومَ الحسابِ صائراً إلى الهدى
 أرى جماع البرِّ فيه قد دخلُ
 يومَ اللقاء تعرفوا ما سرَّكم

-
- (١) غ والديوان : وما سواها .
 (٢) غ والديوان : فليس .
 (٣) غ والديوان : القادر .
 (٤) الديوان : وفي الكتاب .
 (٥) الديوان : لما مضى .
 (٦) غ والديوان : عن قصده أو نهجه .
 (٧) غ والديوان : لا تتركن .

قد قيل في الأمثال ، لو علمتمُ فانتفموا بذلك إن عقلتُم
ما يزرع الزارعُ يوماً يحصده وما يقدم من صلاحٍ يحمده
فاستغفروا ربكم وتوبوا فالموتُ منكم فاعلموا قريبُ

قال البندار : حججتُ مع الوليد . فقلت له ، لما أراد أن يخطب الناس :
« أيها الأمير ، إن اليوم يومٌ يشهدهُ الناسُ من سائر الآفاق ، وأريد أن تشرّفني
بشيء » . قال : « ما هو ؟ » فقلت : « إذا علوت المنبر دعوت بي ، فيتحدث بالناس
بذلك وبأنك أسررتُ إلى بشيء » . فقال : « أفعل » . فلما جلس على المنبر قال :
« أيها البندار ؟ » فقلتُ . فقال : « اذنُ مني » . فدنوت . فأخذ بأذني وقال :
البندار ولدُ زنا ، والوليد بن يزيد ولد زنا ، وكل من ترى حولنا من الناس أولاد زنا .
أفهمت ؟ » قلت : « نعم » . قال : « انزل الآن » . فنزلت .

قال أشعب : دخلت على الوليد ، وقد نال نبيذا . فقال لي : « تمنّ » . فقلت :
« يتمنى أمير المؤمنين وأتمنى » . فقال : « أردت أن تغلبنى . فإني أتمنى ضعفي ماتمنى
كأنا ما كان » . فقلت : « إنما أتمنى كفلين^(١) من العذاب » . فضحك وقال :
« إذنُ نوفرّها عليك » .

قال عبد الصمد الهاشمي : إنما أغلَى الجوهرَ بنو أمية . ولقد كان الوليد بن يزيد
يلبس منه العقود ، ويُغالي في ثمنها ويغيرّها في اليوم مرارا كثيرة كما تُغَيَّر الثياب
شغفا به . وكان يجمعه من كل وجه .

وكان يوما بين دوره على فرس له ، وجاريةٌ تضرب بطبلٍ قدامه . فأخذ الطبل
فوضعه في رقبتَه وضرب به . فنفرَ الفرس من صوت الطبل . وخرج به على أصحابه
في هذه الهيئة . وكان خليما .

(١) الكفل : الصيب .

كان الوليد - إذا أصبح يوم الاثنين - تغدى وشرب رطلين ثم جلس للناس .
فحدث عمر الوادى قال: دخلت عليه ، وقد تغدى وهو يشرب . فقال لى: « اشرب » .
فشرب وطرب ، وغنى صوتا واحدا . وأخذ دَفَّافَةً فدَفَّفَ بها . وأخذ كل واحد منا
دَفَّافَةً دَفَّافَةً فدَفَّفَ بها . وقام وقتنا حتى بلغنا إلى الحاجب . فلما رأنا صاح بالناس :
« الْحَرَمَ ! الْحَرَمَ ! اخرجوا » . ودخل الحاجب فقال : « جعلنى الله فداءك !
اليوم يحضرُ الناس فيه » . فقال : « اجلس فاشرب » . فقال : « إنما أنا حاجب
فلا تحمئنى على الشراب ، فما شربته قط » . قال : « اجلس فاشرب » . فامتنع
فما فارقناه حتى صبينا فى حلقه بالقمع وهو سكران .

خرج الوليد بن يزيد من مقصورة إلى مقصورة ، فإذا هو بابتة له معها حاضنتها .
فوثب عليها فافترعها . فقالت له الحاضنة : « إنها الجوسية » . فقال : « اسكتى :
من راقب الناس مات غمًا وفاز باللذة الجسورُ
وقيل : إن هذا الخبر باطل لأن الشعر لسلم^(١) ولم يدرك زمن الوليد .
وكان الوليد بن يزيد يقول : « ودِدْتُ أن كل كأس من خمر تُشرب بدينار ،
وأن كل حِرِّ فى جبهة أسد ، حتى لا يشرب إلا سخى ، ولا ينكح إلا شجاع » .
أهديت إلى الوليد جَفْنَةَ قوارير فرعونية لم يرَ مثلها قط . فلما أمسى هُمِيَّ فيها
الشراب . وكانت ليلة أربع عشرة . وشرب هو وندماؤه حتى استوى القمر
على رءوسهم وصار القمر فى الجفنة . فقال الوليد : « فى أى بُرْج القمر الليلة ؟ »
فقال بعض ندماؤه : « فى الحَمَل » . وقال بعضهم : « فى البُطِين » . وقال آخر :
« القمر فى الجفنة » فقال : « قاتلك الله ! أصبت ما فى نفسى . لتشربن الهَفْتَجَنَةَ »
فسئل بمض الفضلاء عن الهفتجنة فقال : « شىء كانت الفرس تشربه سبعة أسابيع
فشرب تسعة وأربعين يوما .

(١) أى سلم الحاسر . وانظر غرباوم : شعراء عباسيون ١٠٤ .

ولما زاد الوليد في أنهما كه في الشرب ولذاته ورفض الآخرة وراء ظهره وأقبل على القصف والعزف والمغنين ، كان نديعه القاسم بن الطويل العبادي ، وكان أديبا ظريفا شاعرا . وكان لا يصبر عنه . فغناه معبد ذات يوم بشعر عدى بن زيد العبادي :

بَكَرَ الْعَاذِلُونَ فِي وَضَحِ الصَّبْرِ حِجَّ يَقُولُونَ لِي : أَلَا تَسْتَفِيقُ

لست أدرى ، وقد جفاني حبيبي أَعْدُوٌّ يَلُمُّنِي أَمْ صَدِيقٌ ^(١)

ثم قالوا : أَلَا أَصْبِحُونَ ، فقامت قَيْنَةٌ فِي يَمِينِهَا إِبْرِيْقُ

فاستحسنه الوليد وأعجب به وطرب عليه . وجعل يشرب إلى أن غلب عليه السكر . فنام في موضعه . وانصرف ابن الطويل . فلما أفاق الوليد سأل عنه . فأخبره بانصرافه . فغضب وقال لغلام كان على رأسه يقال له سَبْرَةٌ : « ائْتِنِي بِرَأْسِهِ » . فمضى الغلام فضرب رقبتَه وأتاه برأسه ، فجعله في طَسْتٍ بين يديه . فلما رآه أنكره ، وسأله عن الخبر فمَرَّفه . فاسترجع وندم على ما فرط منه . وجعل يقلب الرأس ويكي . ثم قال يرثيه ^(٢) :

عَيْنِي لِاحْدَثِ الْجَلِيلِ جُودًا بِأَرْبَعَةِ هُمُولِ

جُودًا بَدَمِعٍ إِنَّهُ يَشْفِي الْفَوَادَ مِنَ النَّعِيلِ ^(٣)

لِللَّهِ قَبْرٌ ضُمَّتْ فِيهِ عِظَامُ ابْنِ الطَّوِيلِ

مَاذَا تَصَمَّنَ إِذْ نَوَى فِيهِ مِنَ اللَّبِّ الْأَصِيلِ

قد كنتُ آوِي من هوا . إِلَى ذَرَى كَهْفٍ ظَلِيلِ ^(٤)

ثم دخل على جواريه وقال : « ما أبالي : متى جاءني الموت بعد الخليل بن الطويل » فلم يعيش بعده إلا قليلا حتى قُتِلَ .

(١) غ : جفاني خليلي .

(٢) ديوانه ٥٦ .

(٣) ب ، س ، والديوان : بدمعي .

(٤) غ والديوان : هواك . والقرى : الجانب .

كان الوليد يقول : « يا بني أمية ، إياكم والغناء ، فإنه يَنْقُصُ الحياءَ وَيَزِيدُ في الشهوة ، ويهدم المروءة ، وينوب عن الخمر ، ويفعل ما يفعله السكر . فإن كنتم لا بُدَّ فاعلين ، فَجَنَّبُوهُ النساء ، فإن الغناء رُقِيَّةُ الزنا . وإني لأقول ذلك فيه ، على أنه أحبُّ إليَّ من كل لذة ، وأشهى إلى نفسى من الماء الزُّلال إلى ذى الغلَّة . ولكن الحق أحق أن يقال .

لما عقد الوليد لابنه عثمان ، دخل إليه بمض مواليه فقال : « يا أمير المؤمنين ، أقول قول الموثوق بصحبته ونصيحته أم يسمنى السكوت ؟ » قال : « بل قلُّ قول الموثوق بصحبته ونصيحته » . فقلت : « إن الناس قد أنكروا ما فعلت وقالوا : نبايع من لم يَحْتَمِلْ ، وقد سمعتُ ما أكره » . قال : « يعضون ببطور أمهاتهم ، أفأدخل بينى وبين ابنى غيرى ، فيلْقَى كما لقيت من هشام الأحول ! » ثم أنشد من أبيات^(١) :

تؤمّل عثمانَ بمد الوليدِ يدِ للمهدِّ فينا ونرجو سميذا^(٢)

كما كان إذ كان في دهره يزيدُ يُرجى لذلك الوليدا^(٣)

وقيل : كان الوليد قد بايع لابنيه الحكم وعثمان . وهو أول من بايع لابن سُريّة^(٤) من الخلفاء ، ولم يكونوا يفعلون ذلك . فأخذها يزيد الناقص فحبسهما ثم قتلها . ففيهما يقول ابن أبي عَقب :

إذا قُتل الجلفُ المدِيمُ لسُكرِهِ بقفْرِ من البخراءِ أُسسَ في الرَّمَلِ^(٥)

(١) ديوانه ٤١ . تاريخ الطبرى ٢ : ١٧٥٦

(٢) الطبرى : ونرجو يزيدا .

(٣) غ والديوان : يرجى لتلك . والطبرى : كما كان إذ ذاك فى ملكه .

(٤) السرية : الجارية .

(٥) غ : قتل الخلف . والبخراء : أرض بالشام سميت بذلك لعفونة تربتها .

وَسِيْقَ بِلَا جُرْمٍ إِلَى الْحَتْفِ وَالرَدَى بُنْيَاءَ حَتَّى يُدْبِحَا مَذْبَحَ السَّخْلِ (١)
فَوَيْحَ بَنِي مَرَوَانَ، مَاذَا أَصَابَهُمْ بِأَيْدِي نَبِيِّ الْعَبَّاسِ مِنَ الْأَسْرِ وَالْقَتْلِ (٢)

حكى العلاء البندار قال : كان الوليد زنديقا ، وكل رجل من كلب من أهل الشام يقول مقالة الثنوية (٣) . فدخلت على الوليد يوما ، وذلك السكبي عنده ، وإذا بينهما سَقَطٌ قد رُفِعَ رأسه عنه ، وإذا ما بيدولي منه حرير أخضر . فقال : « ادنُ يا علاء » . فدنوت . فرفع الحريرة فإذا في السفط صورة إنسان ، وإذا الزئبق والنوشادر قد جُملا في جفنه ، فجفنه يَطْرِفُ كأنه يتحرك . فقال : « يا علاء ، هذا مَانِي (٤) . لم يبعث الله نبيا قبله ولا يبعث نبيا بعده » . فقلت : « يا أمير المؤمنين ، اتق الله ، ولا يفرِّئك هذا الذي ترى عن دينك » . فقال السكبي : « قد قلت لك - يا أمير المؤمنين - إن العلاء لا يحتمل هذا الحديث » .

قال العلاء : ومكثت أياما ثم جلست مع الوليد على بناء كان بناه في عسكره يُشرف منه ، والسكبي عنده . إذ نزل من عنده ، وقد كان الوليد حملَه على بردون هِمْلَاج (٥) أشقر من أفخر ما سُخِّرَ فخرج على بردونه ففضى في الصحراء حتى غاب عن العسكر . فما شعر إلا والأعراب قد جاءوا به يحملونه مُنْفَسِخَةً عنقه ميتا ، وبرذونه يُقاد ، حتى أسلموه فبلغني ذلك فخرجت متعمدا حتى أتيت أولئك الأعراب ، وكانت لهم أبيات بالقرب من أرض البخراء لا حجر فيها ولا مدر . فقلت لهم : « كيف كانت قصة هذا الرجل ؟ » فقالوا : « أقبل على بردون كأنه

(١) السخل : ولد الشاة .

(٢) غ : فويل بني مروان . . . بالأسر والقتل .

(٣) الثنوية : الذين يزعمون بوجود قوتين أزليتين في العالم ، هما النور والظلمة .

(٤) ماني : أحد أنبياء الفرس .

(٥) هملاج : الحصن السير في سرعة وتبخر .

دُهْن يسيل على صَفَاة من قَرَاهتِه . فمَجِبْنَا لذلك . إذ انقَضَ رجل من السماء عليه ثياب بيض . فأخَذَ بَصْبُعِه فاحتَمَلَه ثم نكسَه وضرب برأسه الأرض فمدق عنقه . ثم غاب عن عيوننا . فاحتَمَلنَاهُ فحُثْنَا به .

ولما أَكثَرَ الوليد التَهْتِكَ بالشرب والانهماك بالذات ، وبسَطَ المكروه على ولد هشام ، وأفرط في أمره وغَيَّه ؛ مَلَّ الناس أيامه وكرهوه . وكان قد عقد لابنيه بعده ، ولم يكونا بلغًا . فشى الناس بمضهم إلى بعض في خلعه . وكان أقواهم في ذلك يزيد الناقص بن الوليد بن عبد الملك بن مروان . فشى إلى أخيه العباس . وكان امرأ صدقٍ ، لم يكن في بني أمية مثله ، وكان أشبه بعمر بن عبد العزيز . فشكا إليه ما يجري على الناس من الوليد . فقال له : « يا أخى ، إن الناس قد ملوا بني مروان . فإن مشى بمضكم إلى بعض أكلتم . وللرجل أجل لا بد أن يبلغه ، فانتظره . » فخرج من عنده . ومشى إلى غيره . فبايعه جماعة من اليمانية الوجوه . فعاد إلى أخيه وأعاد عليه القول ، وعرض له بأنه قد دُعي إلى الخلافة . فقال : « والله ، لولا أنى لا آمنه عليك — لما أعلم من تخليطه — لوجهت بك إليه الساعة مشدودا . فنشدتك الله أن تسمى في شيء من هذا ! » فانصرف من عنده . وجعل يدعو الناس إلى نفسه . وبلغ ذلك الوليد ، فلم يقصر وزاد انهماكه . فدخل بشر بن الوليد على أخيه العباس فكلمه في خلع الوليد بن يزيد ، وكان يزيد بن الوليد حاضرا . فكان العباس ينهأه ، وبشر بن الوليد يرد عليه . فقال العباس : « يا بني مروان ، أظن الله — عز وجل — قد أذن في هلاككم . » ثم قال :

إني أعيذكم بالله من فتنٍ مثل الجبال تسامى ثم تندفعُ
 إن البرية قد ملت سياستكم فاستمسكوا بعمود الدين وارتدعوا
 لا تلجمن ذئاب الناس لحممكم إن الذئاب إذا ما ألحمت رتموا (١)

(١) غ : الناس أنفسكم . ورتموا : كذا في غ والطبرى ٢ : ١٧٨٨ وفي ص : وقع .

لا تَبْقُرَنَّ بِأَيْدِيكُمْ بطونكم فتمَّ لا فدية تُغْنِي ولا جَزَعٌ (١)
ولما استجمع يزيد أمره - وهو متبدياً - أقبل إلى دمشق ، وكان بينه وبين مكانه
الذي هو متبدي فيه أربع ليال . فأقبل متنكراً في سبعة أنفاس على حُمُر ، وقد بايع له
أكثر أهل دمشق ، وبايع له أهل المِزَّة . فاجتاز على جَرود [على] مرحلة
من دمشق ، وبها مولى لعَبَاد بن زياد ، فنزل عليه . فحكى ذلك المولى قال : نزل على
سبعة نفر مُعْتَمِنين على حُمُر ، وفيهم رجل طويل جسيم . فرى بنفسه فنام . وألقوا عليه
ثوباً وقالوا لي : « هل عندك شيء نشتره من الطعام ؟ » فقلت : « أما بيِّمًا فلا ،
ولكن عندى من قرأكم ما يُشبعكم » . فقالوا : « عَجِّلْهُ » . فذبحت لهم دجاجاً
وفراخاً ، وأتيهم بما حضر من عسل ولبن . وقلت : « أيقظوا صاحبكم للغداء » .
فقالوا : « هو محموم لا يأكل » . فسَقَرُوا للغداء فعرفت بعضهم . وسَقَرُ الفائم
فإذا هو يزيد بن الوليد ، فعرفته فلم يكلمنى .

ومضوا ليدخلوا دمشق ليلاً في نفر من أصحابهم مُشاةٍ إلى معاوية بن مَصَاد ،
وهو بالمِزَّة - وبينها وبين دمشق ميل . فأصابهم مطر شديد . فأتوا منزل معاوية
فصربوا بابه ، وقالوا : « يزيد بن الوليد » . فدخلوا . فقال معاوية : « الفراش ،
أصلحك الله ! » قال : « في رجلى طين وأكره أن أفسد عليك بساطك » . فقال :
« ما تريدنى عليه أفسد » . فشى على البساط وجلس على الفراش . ثم كلم معاوية
فبايمه . فخرج إلى دمشق فنزل دار ثابت بن سليمان الحَسَنِي (٢) مستخفياً ،
وعلى دمشق عبد الملك بن محمد بن الحجاج بن يوسف . وكان قد خاف الوباء فخرج
فنزل قَطْنَا ، واستخلف ابنه على دمشق ، وعلى شرطته أبو العاج كثير بن عبد الله
السَّلْمَى .

(١) الطبرى ٢ : ١٧٨٨ وكامل ابن الأثير ٥ : ٢١٤ : لا حسرة تغنى .

(٢) الطبرى ٢ : ٧٨٩ : الحشنى . ولعل الصواب : الحشى ، لاشتراك الحشبية في الأمر .

وتم ليزيد أمره فأجمع على الظهور . وقيل لعامل دمشق : « إن يزيد خارج » . فلم يصدق . فأرسل يزيد إلى أصحابه بين العشاءين في ليلة الجمعة من جمادى الآخرة سنة سبع وعشرين ومائة^(١) . فمكثوا^(٢) في مِيصَاة عند باب الفَرَادِيس حتى إذا أذنوا العتمة دخلوا المسجد مع الناس فصلوا . وللمسجد حرس قد وُكِّلوا بإخراج الناس من المسجد بالليل . فإذا خرج الناس خرج الحرسُ وأغلقت الأبواب ، ودخل [صاحب المسجد] الدار من باب المقصورة . فدفع المفاتيح إلى من يحفظها ويخرج . فلما صلى الناس العتمة ، صاح الحرس بالناس فخرجوا . وتباطأ أصحاب يزيد الناقص ، فجعلوا يُخرجونهم من باب ويدخلون من باب ، حتى لم يبق في المسجد إلا الحرس وأصحاب يزيد . فأخذوا الحرس . ومضى [يزيد بن] ^(٣)عَنْبَسَةَ إلى يزيد فأخبره وأخذه بيده وقال : « قم - يا أمير المؤمنين - وأبشِرْ بعون الله تعالى ونصره » .

قال : « فأقبل وأقبلنا ونحن اثنا عشر رجلا . فلما كنا عند سوق القمح ، لحقهم فيه مائتا رجل من أصحابهم . فمَضَوْا حتى دخلوا المسجد وأتوا باب المقصورة . فقالوا : « نحن رسل الوليد » . ففتح لهم الخادم . فدخلوا وأخذوا الخادم ، فإذا أبو العاج سكران فأخذوه ، وأخذوا خُرَّان بيت المال وصاحب البريد . وأرسل إلى كل من كان يحذَرُه فأخذه . وأرسل من ليلته إلى محمد بن عبيدة مولى سميد بن العاص ، وهو على بَمَلْبَك ، وإلى محمد بن عبد الملك بن محمد بن الحجاج^(٤) ، فأخذها . وبعث إلى أصحابه إلى الخَشَبِيَّة^(٥) فأتوه ، وقالوا ، للبوابين : « لاتفتحوا الأبواب غدوة إلا لمن أخبركم

(١) صوابه سنة ١٢٦ كما تذكر كتب التاريخ .

(٢) غ والطبرى ٢ : ٧٨٩ : فمكثوا

(٣) زيادة أضافتها د عن الطبرى وعن الأصول فيما سيأتى .

(٤) وكذا في كامل ابن الأثير ٢ : ٢١٥ ، وهو يتفق مع قوله سابقا إن عبد الملك ترك ابنه

على دمشق . وفي غ والطبرى : عبد الملك بن محمد بن الحجاج ، خطأ .

(٥) الحشبية : أنصار المختار بن أبي عبيد الثقفي وأتباعه .

بشعار كذا وكذا . فتركوا الأبواب في السلاسل ، وكان في المسجد سلاح كثير قدّم به سليمان بن هشام من الجزيرة ولم يكن الخزان قبضوه ، فأخذوه . وأصبحوا ، فجاء أهل المزة مع حُرَيْث بن أبي الجهم . فما انتصف النهار حتى بايع الناس يزيد ، وهو يتمثل قول النابغة^(١) :

إذا استتزلوا عنهنّ للطنن أرقّلوا إلى الموت إرقال الجبالِ المصاعبِ^(٢)

فجعل أصحابه يتمجبون ويقولون : « انظروا إلى هذا ! هو وقبيل [الصبح]^(٣)

يسبّح ، وهو الآن ينشد الشعر . »

ثم أمر يزيد عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك بن مروان . فوقف بباب الجابية فنادى : « ألا من كان له عطاء فليأت إلى عطائه ومعمونة ألف درهم . ومن لم يكن له عطاء فله أربعون ألف دينار في العطاء ومعمونة ألف درهم^(٤) . » فبايعه الناس وأمر بالعطاء . وندب يزيد الناس إلى قتال الوليد بن يزيد مع عبد العزيز بن الحجاج ابن عبد الملك . ونادى مناديه : « من سارع مع عبد العزيز فله ألفان . » فانتدب ألفا رجل فأعطاهم وقال : « موعدكم ذنبة . » فوافى ذنبة ألف رجل ومائتا رجل . فقال : « ميمادكم ضيعة^(٥) بالبرية » . وهي لبني عبد العزيز بن الوليد . فوافاها ثمانمائة رجل . فسار فتلقاهم ثقل^(٦) الوليد فأخذوه . ونزلوا قريبا من الوليد . فقال الوليد : « أخرجوا إلى سريرا . فأخرجوه فصعد عليه . وأناه رسول العباس بن الوليد : « إني أجيئك » . وأتى الوليد بفرسين : الزائد والسندى . وقال : « أعلى تقوئب

(١) مختار الشعر الجاهلي (١٩٤٨ م) ١٦١ . والطبرى ٢ : ١٧٩١ .

(٢) أرقّلوا : أسرعوا . والمصاعب : جمع مصعب ، وهو الفحل لم يربط بحبل قط .

(٣) زيادة أضافها د عن الطبرى ٢ : ١٧٩١ .

(٤) الطبرى : ومن لم يكن له عطاء فله ألف درهم معمونة .

(٥) غ والطبرى : مصنعة .

(٦) الثقل : المتاع .

الرجال، وأنا أئب على الأسد وأعض الأفاعى! (١) . وكان العباس أرسل إلى الوليد: «إني أجيتك» فهو ينتظر العباس . ولم يكن بينهم كبير قتال حتى قتل عثمان الخشبي (٢) ، وكان من أولاد الخشبية الذين كانوا مع المختار .

وبلغ عبد العزيز بن الحجاج أن العباس بن الوليد، ومعه بنوه في الشعب، يأتي الوليد . فأرسل منصور بن جُمهور بن خيل جريدة (٣) . فأتوه فقالوا له: «أعدل إلى عبد العزيز» . فشتمهم . فقال له منصور: «والله، لئن تقدمت لأنفذن حصنك بالرمح» . فقال: «إنا لله!» فأقبلوا يسوقونه إلى عبد العزيز . فبايع إيزيد ووقف ونصب راية . ونادى منادى عبد العزيز: «من لحق بالعباس بن الوليد فهو آمن» . فقال العباس «خُدعة من خدع الشيطان: إنا لله! هلك - والله - بنو مروان» . ففترق الناس عن الوليد .

وظاهر الوليد بين درعين وقتلهم . ونادى الوليد: «من جاء برأسٍ فله خمس مائه درهم» . فجاء جماعة بمدة رؤوس . فقال: «اكتبوا أسماءهم» . فقال له رجل من مواليه: «ليس هذا - يا أمير المؤمنين - يوما يُعمل فيه بنسيئة» . وناداهم رجال: «اقتلوا اللوطى قِتلة قوم لوط» . فرموه بالحجارة . فلما سمع ذلك دخل القصر وأغلق بابه، وقال (٤):

دَعُوالى سَلِمى وَالطَّلَاءَ وَقَيِّنَةَ وَكأسَا ، أَلَا حَسَبى بِذَلِكَ مَالَا (٥)
إِذَا مَا صَفَا عَيْشٌ بِرَمَلَةٍ عَارِجٍ وَعَانَقْتُ سَلْمى لَا أُرِيدُ بَدَالَا (٦)

(١) غ والطبرى: وأتخضر الأفاعى

(٢) كذا فى د، عى عن الطبرى: ٢: ١٧٩٨ . وفى ص . ب ، س : يزيد بن عثمان الخشبي

سبق قلم .

(٣) جريدة الخيل : الجماعة منها .

(٤) ديوانه ٤٩ . كامل ابن الأثير ٥ : ٢١٦ .

(٥) س : سلمى ، تحريف . ب ، س : والطلاء وقينة . والطلاء : الحجر .

(٦) السكامل : صفا عيشى . . ما أريد بدالا .

خذوا أئلكم، لا تثبت الله ملككم! ثباتا يساوي ما حيت عقالا
 واخلوا عناني قبل غير وما جرى ولا تحسدوني أن أموت هزالا^(١)
 ثم قال لعمر الوادي: «يا جامع لذتي، غنني بهذا الشعر» ففناه به.

فأحاط الجند بالقصر. فقال لهم الوليد من وراء الباب: «أما فيكم رجل شريف
 له حسب وحياء أكله». فقال له يزيد بن عنبسة السكاسكي: «كلني». فقال له
 الوليد: «يا أخا السكاسك، ما تنقمون علي؟ ألم أزد في أعطياتكم وأعطية
 فقرائكم، وأخدمت زمتناكم، ورفعت عنكم المؤن!» قال: «ما ننقم عليك
 في أنفسنا شيئا، ولكن ننقم عليك انتهاك حرم الله تعالى، وشرب الخمر، ونكاح
 أمهات أولاد أبيك، واستخفافك بأمر الله عز وجل». فقال: «حسبك،
 يا أخا السكاسك، فلممري، لقد أكرث. وإن فيما أحل الله لسمه عما ذكرت». .
 ورجع إلى الدار. وأخذ مصحفا وقال: «يوم كيوم عمان». ونشر المصحف يقرأ.
 فعملوا الحائط. وكان أول من علاه يزيد بن عنبسة. فنزل وسيف الوليد إلى جانبه.
 فقال له: «نح سيفك». فقال له الوليد: «لو أردت السيف لكانت لي وللرجال
 حال غير هذه». فأخذ بيده وهو يريد أن يدخله بيتا ويؤامر فيه. فنزل من الحائط
 عشرة، منهم عبد الرحمن بن وجه القيسي^(٢) ومنصور بن مجهور وغيرها. فضربه
 عبد الرحمن على رأسه^(٣). وضر به السري بن زياد بن أبي كبشة على وجهه.

(١) قبل غير وما جرى: قال أبو عبيد: إذا أخبر الرجل بالخبر من غير استحقاق ولا ذكر
 كان لذلك، قيل: فعل كذا وكذا قبل غير وما جرى. قالوا: خص العير لأنه أحذر ما يقنص،
 وإذا كان كذلك كان أسرع جريا من غيره، فضر به المثل في السرعة. وقيل: العير إنسان
 العين، فعناه قبل لحظة العين (مجمع الأمثال الميداني ٢: ٣٦. واللسان: عير).

(٢) كذا في ص. وفي غ: عبد الرحمن وقيس مولى يزيد. وفي الطبري: عبد الرحمن بن

عجلان مولى يزيد.

(٣) الطبري والكامل: فضر به عبد السلام [الخمى] على رأسه.

وجروه بين خمسة ليُخرجوه . فصاحت امرأة في الدار . فكفوا عنه ولم يخرجوه . واحترأسه أبو عِلَافة القضاعي ، وَحَيَّط الضربة التي في وجهه بِالْعَقَب (١) . وَقُدِمَ بالرأس على يزيد ، قدم به رَوْح بن مُقْبِل وقال : « أبشر - يا أمير المؤمنين - بقتل الفاسق وأسر من كان معه (٢) » . فاستقَبَ الأمر له .

ولما قُتِل الوليد ، جعل أبو مُحَجَّجَن مولى خالد القسري يُدخِل سيفه في است الوليد وهو مقتول . وجاء يزيد بن خالد القسري فضربه سبع ضربات وهو مقتول . فقال الأصبغ بن ذُوَالَة الكَلْبِي في قتل الوليد وأخذ ابنيه :

مَنْ مُبْلِغٌ قَيْسًا وَخِنْدِفَ كُلِّهَا وساداتهم من عبد شمس وهاشم
قَتَلْنَا أميرَ الْمُؤْمِنِينَ بِخَالِدٍ وَبِمَنَا وَلِيِّ عَهْدِهِ بِالْدِرَاهِمِ (٣)
وقال أبو مُحَجَّجَن مولى خالد :

لَوْ شَهِدُوا حَدَّ سَيْفِي يَوْمَ أُذْخِلُهُ فِي اسْتِ الْوَالِيدِ لَمَاتُوا عِنْدَهُ كَمَدَا (٤)
قال عمر الوادي : كنت أغنى الوليد :

كَذَبْتُكَ أُمَ عَيْنِكَ أُمَ رَأَيْتَ بِوَأَسْطِ غَلَسَ الظَّلَامِ مِنَ الْوَالِيدِ حَيَالًا (٥)
فما أتمت الصوت حتى رأيت رأسه فارَقَ جسده وهو يتشخَّط في دمه .

ولما قُتِل الوليد ، تغيَّب ولداه عثمان والحكم وليا عهده . فأخذها يزيد فحبسهما في الخُضراء . ودخل عليهما يزيد الأَقَمَم بن هشام . فجعل يشتم أباهما الوليد ، وكان قد ضربه وحلَّقه (٦) . فبكى الحكم . فقال أخوه عثمان : « اسكت ، يا أخي » .

(١) العقب : العصب الذي تعمل منه الأوتار .

(٢) كذا في الطبري . وفي ص : وأسر الفاسق . وايست العبارة في غ .

(٣) يريد خالد بن عبد الله القسري ، وكان الوليد سلمه ليوسف بن عمر فعذبه حتى مات .

(٤) ب ، س : شهدوا . د : شاهدوا .

(٥) غ : كذبتك نفسك . . من الريباب .

(٦) كذا في د ، وهو الصحيح . وفي الأصول : وخله ، تحريف .

وأقبل على يزيد فقال : « أنشتم أبي ؟ » قال : « نعم » . قال : « لكنى أنا لا أشتم عمي هشاما . ولو كنت من بنى مروان ما شتمت أحدا منهم . فانظر إلى وجهك : فإن كنت رأيت حَكَمِيَا^(١) يُشبهك أو له مثل وجهك فأنت منهم . لا والله ، ما في الأرض حَكَمِيٌّ يُشبهك » .

كان الوليد يوما جالسا ، وعنده عمر الوادى وأبورُقَيْيَّة ، وكان أبورقية ضعيف العقل ، وكان يُمسك المصحف على أم الوليد . فقال الوليد لعمر الوادى وقد غناه صوتا : « أحسنت ، والله . أنت جامع لذتى » . وأبورقية مضطجع ، وهم يحسبونه ناعما . فرفع رأسه إلى الوليد وقال له : « وأنا جامع لذات أمك » . فغضب الوليد وهمّ به . فقال له عمر : « والله ، إن أبورقية ما يَعْقِل وهو صالح ، فكيف وهو سكران ! » فأمسك عنه .

قال شبيب بن شَيْبَةَ : كنا جلوسا عند المهدي . فذكروا الوليد ، فقال : « إني لأحسبه زنديقا » . فقال ابن عُلائَةَ الفقيه : « يا أمير المؤمنين ، الله أعظم وأجلّ من أن يولى خلافة النبوة وأمر الأمة من لا يُؤْمِنُ به . ولقد أخبرني من كان يشهده في ملاعبه وشُرْبِه عنه بمرودة في طهارته وصلاته ، وأنه كان إذا حضرت الصلاة يطرح ثيابا كانت عليه من مُطَيَّبِه ومُصَبَّغِه ثم يتوضأ فيُحَسِّن الوضوء ، ويؤتئى بثياب بيض نظاف من ثياب الخلافة فيصلى فيها أحسن صلاة بأحسن قراءة وأحسن سكون وركوع وسجود ، فإذا فرغ عاد إلى تلك الثياب التي كانت عليه قبل ذلك ، ثم يعود إلى شربه ولهوه . أفهذه أفعال من لا يؤمن بالله ؟ » فقال المهدي : « صدقت . بارك الله عليك ، يا أبا علائَةَ » .

وللوليد أغانٍ وألحان . وكان يضرب بالدف والطبل والعود .

(١) حكيمى : أى من ينسب إلى الحكم بن أبى العاص والد مروان جد المروانين .

وَهَبُ أَبُو دَهْبِلِ الْجَمْعِيَّ*

هو وهب بن زَمْعَةَ بن أُسَيْدِ بن أَحِيحَةَ بن خَلْفِ بن وَهَبِ بن حُدَافَةَ بن جُمَحِ ابن عمرو بن هُصَيْصِ بن كَعْبِ بن لُؤْيِ بن غالب .

ولخلف بن وهب يقول ابن الزُّبَيْرِ أو غيره :

خَلْفُ بن وهب كلَّ آخِرِ لَيْلَةٍ أبدا يكثرُ أهله بِمِيسَالِ
سَقِيًّا لوَهْبٍ كَهَلِهَا وَوَلِيدَهَا ما دام في آيَاتِهَا الذِّبَالِ^(١)
نِعْمَ الشَّبَابُ شَبَابُهُمْ وَكُوهُلُهُمْ صِيَابَةٌ لَيْسُوا مِنَ الْجُهَالِ^(٢)

وأم أبي دهبل امرأة من هذيل . وإياها يَمْنَى بقوله :

أنا ابن الفروعِ الكِرَامِ التي هُذَيْلٌ لِأَيِّاتِهَا سَائِلَةٌ^(٣)
هُمُ وَلَدُونِي وَأَشْبَهُتُهُمْ كما تُشْبِهُ اللَّيْلَةَ القَابِلَةَ
واسمها هَزِيلَةٌ^(٤) بنت سلمة .

كان أبو دهبل جميلا شاعرا . وكانت له جُمَةٌ^(٥) تضرب منكبيه . وكان عفيفا .

وقال الشعر في آخر خلافة علي بن أبي طالب ، عليه السلام . ومدح معاوية

وعبد الله بن الزبير ، وكان ابن الزبير ولّاه بمض أعمال اليمن .

* أخباره في ب ٦ : ١٥٤ ، س ٦ : ١٤٩ ، د ٧ : ١١٤ ، ي ٧ : ١١٢ ، الشعر والشعراء لابن قتيبة ٣٨٩ .

(١) ب : الذبالي . والكلمة غير منقوطة في ص . والشعر في ديوان أبي دهبل ٢ .

(٢) الصيابة : الخيار من كل شيء .

(٣) ب ، س : سابلة . والشعر ليس في ديوانه ، وألحقه به محققه ٣٣ .

(٤) غ : هذيلة . ديوان أبي دهبل (مجلة الجمعية الآسيوية الملكية بلندن ، سنة ١٩١٠)

ص ٢ : هزيل .

(٥) الجمّة : مجتمه شعر الرأس .

وكان أبو دهبيل يهوى امرأة من قومه يقال لها « عمرة » ، وكانت امرأة
جَزَلَةٌ^(١) يجتمع الرجال إليها والنساء للمحادثة وإنشاد الشعر والأخبار . وكان
أبو دهبيل لا يفارق مجلسها مع كل من يجتمع إليها . وكانت هي أيضا تحبه . وكان
أبو دهبيل سيدا من سادات بني جمح وأشرافهم ، يحمل الحملات^(٢) ، ويمطى
الفقراء ، ويقرى الضيف . فزعم بنو جمح أنه تزوج عمرة هذه . وزعم غيرهم أنه لم
يصل إليها . وكانت عمرة توصيه بحفظ ما بينهما وكتابه فضمن لها ذلك . واتصل
ما بينهما فوقفت عليه زوجته . فدمت إليها امرأة داهية من مجاز أهلها . فجاءتها
مخادمتها طويلا . ثم قالت لها في عرض حديثها : « إني لأعجب لك كيف
لا تتزوجين أبا دهبيل مع ما بينكما ؟ » فقالت : « وأى شيء يكون بين مثلي ومثل
أبي دهبيل ؟ » فتضاحكت وقالت : « أتسرِّين^(٣) عنى شيئا تحدثت به أشراف
قريش في مجالسها ، وسؤفة أهل الحجاز في أسواقها ، والسقاة في مواردها ؟ فإيتدافع
اثنان في أنه يهواك وتهوينه » . فوثبت عن مجلسها واحتجبت ومنعت كل من كان
يصير إليها من الوصول إليها . وجاء أبو دهبيل على عادته . فحجبتته وأرسلت إليه
بما يكره . ففي ذلك يقول^(٤) :

تَطَاوَلَ هَذَا اللَّيْلُ مَا يَتَبَلَّجُ وَأَعْيَتْ غَوَاشِي عَبْرَتِي مَا تَفَرَّجُ^(٥)
وَبِتُّ كَثِيْبًا مَا أَنَامُ كَأَنَّمَا خِلَالَ ضُلُوعِي جِمْرَةٌ تَتَوَهَّجُ^(٦)

(١) جزلة : أصيلة الرأي .

(٢) الحملات : الدية والغرامة يحملها قوم عن قوم .

(٣) أسر : أخفى .

(٤) ابن قتيبة : ٢٩٠ . المرتضى : الأمل ١ : ١١٩ . الخطيب : الخزانة ٤ : ٧٩ . ديوان

أبي دهبيل ٢٣ .

(٥) ابن قتيبة : غواشى الهم . وتبلج الصبح : أضاء وأشرق .

(٦) ابن قتيبة : وبت مبيتاً . الديوان : أبيت كثيباً للهموم كأنما .

فطَوَّرَا أُمْنَى النَّفْسِ مِنْ عَمْرَةَ الْمُنَى
لَقَدْ قَطَعَ الْوَاشُونَ مَا كَانَ بَيْنَنَا
رَأَوْا غَيْرَةً فَاسْتَقْبَلُوهَا بِالْبِيهِمِ
وَكَانُوا أَنَا سَا كُنْتُ آمَنُ غَيْبَهُمْ
هُمْ مَنَعُونَا مَا نَحَبَ وَأَوْقَدُوا
وَلَوْ تَرَكُونَا - لَاهَدَى اللَّهُ أَمْرَهُمْ -
لَأَوْشَكَ صَرْفُ الدَّهْرِ يَفْرُقُ بَيْنَنَا
منها :

عسى كربة أمست فيها مقيمة
فِي كَيْبَتِ أَعْدَاءٍ وَيَجْدَلُ آفِ
وَإِنِّي لَمُحْزُونٌ عَشِيَّةَ زُرْتُهَا
يكون لنا منها نجاة ومخرج
له كيد من لوعة الحب تنضح
وكنتم إذا ما جئتموها لا أعرج

- (١) غ والديوان وابن قتيبة : ليج بي الحزن وأنشج : أبكى بصوت مسموع فيه توجع .
والديوان : من تكلم المني .
(٢) ابن قتيبة : وقد قطع . الديوان : يوصل الوصل .
(٣) ابن قتيبة والديوان : رأوا عورة . ب ، س : لا يجب . والألب : الجمع ، والألب : القوم
يجمعون على عداوة لإنسان . وأدلجوا : ساروا من أول الليل .
(٤) غ : حلمي . الديوان : آمن عبيهم .
(٥) ابن قتيبة : فهم ممنوعونا . والصرم : الهجر . الديوان : ما نلذ ونشتهي . . وأذكوا
علينا نار صرم تؤجج .
(٦) غ : لاهدى الله سمعهم . المرتضى : فلم يلجموا . وألحم : أحكم . الديوان :
ولم يرموا قولاً من النقر ينسج .
(٧) الديوان وابن قتيبة والمرتضى والخزانه : تفريق بيننا . غ ، والديوان وابن قتيبة والخزانه
ولا يستقيم .
(٨) الديوان وابن قتيبة : عست كربة . غ : نجاة ومخرج . الديوان وابن قتيبة : رخاء ومخرج .
(٩) غ وابن قتيبة : لوعة الحب تلجع . الديوان : لوعة الحزن تلجع .
(١٠) ابن قتيبة : عشية جئتها . . مازرتها . غ مرة : ولأني لمحجوب . الديوان : إذا مازرتها .

وأعيا على القول والقول واسع
منها : (١)

وأشفق قلبي من فراق خريدة
وكف كهداب الدمقس لطيفة
يجول وشاحها ويغتص حجاجها
فما التقينا لجلجت في حديثها
ومما قال فيها (٢) :

يلومونني في غير ذنب جنيته
أمنأ أناسا كنت تأتمنينهم
وقالوا لنا ما لم يُقل ثم كثروا
وقد منحت عمي القدي لفرافكم
وأنكرت طيب النفس مني ، وكدرت

على حياتي ، والهوى متقسم

(١) المسنن : الطريق السلوك . الديوان : وأعيا .

(٢) غ : فراق خيلة .

(٣) دوس : كذا في غ . وفي ص والديوان : درس ، تحريف . والدوس : المراد به التزيين

ومضرج : مصبوغ .

(٤) يغتص : كذا في د ، ي ، أي يمتلي . وفي ص : يفرث ، ومعناها يجوع ، ولا يصف

العرب الساق بالتحافة بل بالامتلاء . وفي الديوان : ويعرب . والوقف : السوار . والدملج : حلي
تلبس في المعصم .

(٥) الديوان : ولا التقينا لجلجت في كلامها .

(٦) لبست في ديوانه وألحقها به محققه ٣٤ .

(٧) ب ، س : لم نقل .

(٨) غ : لفرافكم . وتهانتها : كذا في غ ، وفي ص : تهيامها ، تحريف . والتهتان : تنابه

السقوط . وتسجم : تسبل وأصب .

وصافيتُ نسوانا فلم أرَ فيهمُ هَوَايَ ولا الوُدَّ الذي كنتُ أعلمُ
 أليس عظيماً أنْ نَكُونَ ببلدِةٍ كلانا بها نأوٍ ولا تتكلم (١)
 فلا تَصْرِمِينِي أنْ تَرَيَنِي أَحْبَبِكُمْ أبوءُ بذنبي ، إنني أنا أظلمُ
 قال أحمد بن عبيدالله بن عمار: كنا ونحن أخذنا مختلف إلى مجالس العلم فمكثت
 ما يرويه لنا الرواة من الفكك والأخبار. وكان يصحبنا فتى من أحسن الناس وجهاً،
 وأجلهم زياً، وأنظفهم ثوباً، ولا نعرف باطن أمره. فانصر فنا يوماً من مجلس أبي العباس
 المبرد وجلسنا في مسجد نتقابل على ما كتبناه. وإذا بجارية قد طلعت فطرحت في حجر
 الفتى رقعة ما رأيت أحسن من شكلها، مختمة بمنبر. فقرأها منفرداً ثم أجاب عنها
 ورمى بها إلى الجارية. ثم لم يلبث أن خرج خادم من الدار وفي يده كَرش (٢). فصفع
 به الفتى حتى رحمناه وخلصناه من يده. ولما تباعدنا سألتناه عن الرقعة. فإذا فيها
 مكتوب:

كفَى حَزَنًا أَنَا جَمِيعًا ببلدِةٍ كلانا بها نأوٍ ولا تتكلم
 فقلنا له: « هذا ابتداء ظريف فبماذا أجبت؟ » قال: « هذا صوت سمعته يُفَنِّي
 به. فلما قرأت الرقعة أجبت عنه بصوت آخر مثله سمعته ». فسألتناه: « ما هو؟ »
 فقال:

* أراءك بالخابورِ نُوقُ وَأَجْمالُ؟ * (٣)

فقلنا له: « ما وافاك القوم حقاك. وكان ينبغي لهم أن يدخلونا معك لدخولك
 في جملتنا. ولكننا نحن نوفيك حقاك ». ثم تناولناه فصفعناه صفعاً جيداً حتى لم ندر
 أي طريق أخذ. وكان آخر عهده بالاجتماع معنا.

(١) ناو: مقيم.

(٢) الكرش: لعله يريد وعاء الطيب.

(٣) الخابور: نهر كبير بين رأس العين والفرات من أرض الجزيرة. ونسب ياقوت الشطر

للأخطل، وعجزه عنده: « ورسم عفته الريح بعدى بأذيال ». ولم أجده في ديوانه.

حجّت عاتكة بنت معاوية بن أبي سفيان فنزلت من مكة بذي طوى . فبينما هي ذات يوم جالسة في مجلسها عليها شُفوفٌ ^(١) لها تنظر إلى الطريق ، وقد اشتد الحر وانقطع الطريق في وقت الهاجرة ، وقد أمرت جواريتها فرمن ستورها وهي جالسة في مجلسها ، إذ مرّ بها أبو دهبيل الجحى ، وكان من أجل الناس وأحسنهم منظرا . فوقف طويلا ينظر إليها وإلى حسنها وجمالها وهي غافلة عنه ، فلما فطنت له ، سترت وجهها وأمرت بطرح الستر وشتمته . فقال أبو دهبيل ^(٢) :

إني دعاني الحينُ فافتادني	حتى إذا رأيتُ الظبيَ بالبابِ
يا حسنه أن أنسبني مُدبرا	مستترا عني بجلباب
سبحان من وقفها حسرةً	صبت على القلب بأوصاب
يدود عنها إن تطليمتها	أب لها ليس بوهاب
أحلها قصرا منيع الدرى	يحمي ببواب وحجاب ^(٣)

فشاعت هذه الأبيات بمكة وشهرت ، وغنى فيها المغنون ، حتى سمعتها عاتكة إنشادا وغناء . فضحكت وأعجبها وبعثت إليه بكتبى وجرت الرسل بينهما . فلما صدرت عن مكة ، خرج معها إلى الشام . فنزل قريبا منها . فكانت تتعمده بالبر واللطف ^(٤) . حتى وردت دمشق وورد معها . فانقطعت عن لقائه . وعجز عن أن يراها فرض بدمشق مرضا طويلا . فقال في ذلك ^(٥) :

(١) الشفوف : جم شف ، وهو الثوب الرقيق .

(٢) ليست في ديوانه ، وألحقها به محققة ٣٤ .

(٣) غ : بأبواب .

(٤) اللطف : الهدايا .

(٥) اختلف الرواة في قائل هذا الشعر بين أبي دهبيل وعبد الرحمن بن حسان . وانظر ديوان

أبي دهبيل ١٠ والمبرد : الكامل ٢٥٤ ، ٢٥٥ والبكري : النوادر ١٨٨ ، والعيني : اللقاصد النحوية ١ : ١٤١ ، والخطيب : خزنة الأدب ٣ : ٢٨٠ . ابن قتيبة : الشعر والشعراء ٣٠٣ .

طال لَيْلِي وَبِتُّ كَالْحَزُونِ وَمَلَّتُ النَّوَاءَ فِي جَيْرُونِ^(١)
 وَأَطَلْتُ الْقَامَ بِالشَّامِ حَتَّى ظَنَّ أَهْلِي مُرْجَمَاتِ الظَّنُونِ^(٢)
 فَبَكَتْ خَشِيَةً التَّفَرُّقِ جُمْلُ كِبْكَاءِ الْقَرِينِ إِثْرَ الْقَرِينِ^(٣)
 وَهِيَ زَهْرَاءُ مِثْلُ لَوْلُؤَةِ الْغَوْ وَأَصِ مِيزَتٍ مِنْ جَوْهَرٍ مَكُونِ
 وَإِذَا مَا نَسَبْتَهَا لَمْ تَجِدْهَا فِي سَنَاءٍ مِنَ الْمَكَارِمِ دُونِ
 تَجْعَلُ الْمِسْكَ وَالْيَلْنَجُوجَ وَالنَّدَّ دَ صِلَاءٍ لَهَا عَلَى الْكَانُونِ^(٤)
 ثُمَّ خَاصَرْتُهَا إِلَى الْقَبَةِ الْخَضِ مِرَاءِ تَمَشِي فِي مَرْمَرٍ مَسْنُونِ^(٥)
 قَبَّةً مِنْ مَرَاجِلَ ضَرَبُوهَا عِنْدَ بَرْدِ الشِّتَاءِ فِي قَيْطُونِ^(٦)
 عَنِ يَسَارِي إِذَا دَخَلْتُ مِنَ الْبَا بَ وَإِنْ كُنْتُ خَارِجًا عَنِ يَمِينِي^(٧)

- (١) الديوان كالحزون العيني : بالحنون . والشطر الثاني عند الديوان والعيني والخطيب :
 واعتزني الهوم بالمطرون . وجيرون : حصن بدمشق أو دمشق نفسها . والنواء : الإقامة .
 (٢) الشطر الأول عند المبرد : فبتلك ارتهنت بالشام حتى . وعند البكري والديوان : فبتلك
 اغتربت بالشام حتى ، وعند العيني والخطيب : فبتلك اغتربت بالشام حتى .
 (٣) يبدو أن أبا الفرج لفق هذا البيت من اثنين ، فالرواية في الديوان :
 ثم فارقتها على خير ما كان فبتلك خشيته التفرق للبي
 ومثلها عند العيني والخطيب والبكري ، غير أن الأول قال : خير من كان ، والثاني قال : قرين مقارنا
 لقرين ، والثالث قال : فبتكت . . إثر الحزين .
 (٤) الينجوج : العود القى يتبخر به . والديوان :
 تجعل الند والألوة والند ك صلاء لها
 (٥) البكري : ثم ماشيتها . الديوان : ثم دافعتها . . تمشي . وفي مرمر : أى على مرمر .
 ومسنون : مصبوب على استواء .
 (٦) الديوان والمبرد والبكري والعيني والخطيب : ضربتها . البكري : قبل حد الشتاء . الديوان
 والعيني والخطيب : عند حد الشتاء . الديوان : في القيطون والمرجل : ثياب يمنية . والقيطون :
 البيت في جوف البيت .
 (٧) الديوان : عن يسار . المبرد : فيميني البكري والعيني والخطيب : دخلت إلى الدار . فيميني

ولقد قلتُ إذ تطاول سُقْمِي وتقلّبتُ ليلى في فنون
ليت شعري أمِنَ هوى طار نومي أم برانى ربّي قصيرَ الجفون^(١)
فشاع هذا الشعر حتى بلغ معاوية . فأمسك عنه حتى إذا كان في يوم الجمعة دخل
عليه الناس فيهم أبو دهب . فقال معاوية لحاجبه : « إذا انصرف الناس فامنع
أبا دهبل وارددّه » . فجمع الناس يسلمون وينصرفون . فقام أبو دهبل لينصرف .
فناداه معاوية : « أبا دهبل ، هلمّ إلى ! » فلما دنا إليه ، أجلسه حتى خلا . ثم قال له :
« ما ظننتُ أن في قريش أشمر منك حيث تقول :

ولقد قلتُ إذ تطاول سُقْمِي وتقلّبتُ ليلى في فنون
ليت شعري ، أمِنَ هوى طار نومي أم برانى ربّي قصيرَ الجفون
[غير أنك قلتُ] ^(٢) .

وهي زهراء مثل لؤلؤة الغـ واصل ميزت من جوهر مكنون
وإذا ما نسبتها لم تجدها في سناء من الكارم دون
والله ، إن فتاة أبوها معاوية ، وجدها أبو سفيان . وجدتها هند بنت عتبة ،
لكما ذكرت . فأى شيء زدت في قدرها . ولقد أسأت في قولك :

ثم خاصرتها إلى القبة الخضر راء تمشي في مرمر مكنون
فقال : « والله ، يا أمير المؤمنين ، ما قلت هذا وإنما قيل على لساني » . فقال له :
« أما من جهتي فلا خوف عليك ، لأنني أعلم صيانة ابنتي ، وأعرف أن فتيان الشعر
لم يتركوا أن يقولوا في النسب في كل من جاز أن يقولوا فيه وكل من لم يجز . وإنما
أكره لك جوار يزيد ، وأخاف عليك وثباته ؛ فإن له سورة الشبان وأنفة الملوك » .

(١) غ : والديوان : برانى البارى ، أى خلقنى الخالق .

(٢) زيادة عن غ .

وإنما أراد معاوية أن يهرب أبو دهب ، فتنقضى المقالة عن ابنته . فحذر أبو دهب وخرج إلى مكة هارباً على وجهه .

وكان يكتب عاتكة . فبينما معاوية يوماً في مجلسه ، إذ جاءه خصي له فقال : « يا أمير المؤمنين ، قد سقط اليوم إلى عاتكة كتاب . فلما قرأته بكت ثم أخذته فوضعت تحت مُصلاها . وما زالت خائرة النفس منذ اليوم » . فقال له : « اذهب فالطف لهذا الكتاب حتى تأتيني به . فانطلق الخصى . فلم يزل حتى أصاب منها غرة . فأتى بالكتاب إلى معاوية . فإذا فيه :

أعانتك ، هلاً إذ بخلت فلم تری
رددت فؤادا قد تولّى به الهوى
ولكن خلعت القلب بالوعد والمنى
أتسنين أيامي برّبمك مدنفاً
وليس صديقٌ يُرتضى لوصيةٍ
وأكبرُ همى أن أرى لك مرّسلاً
فوا كبدي إذ ليس لي منك مجلسٌ
رأيتك تزدادين للصبِّ غلظةً
لدى صبوةٍ زلفى لديك ولا حقاً^(١)
وسكنت عينا لا تمعل ولا ترّفاً؟^(٢)
ولم أر يوماً منك جوداً ولا صدقا
صريما بأرض الشام ذا سقمٍ ملقى ؟
وأدعو لأوتى بالشراب فلا أسقى^(٣)
وطول نهاري جالسا أرقب الطرّفاً^(٤)
فأشكو الذي بي من هواك وما ألقى
فيزداد قلبي كل يوم لك عشقا^(٥)

فلما قرأ معاوية ذلك بعث إلى يزيد بن معاوية . فأتاه فوجده مغتما مطرِفاً ، فقال :
« يا أمير المؤمنين ، ما هذا الأمر الذي شجاك ؟ » قال : « أمر أرمضني وأقلقني منذ
اليوم ، وما أدري ما آتمر في شأنه » . فقال : « ما هو ؟ » قال : « هذا الفاسق

(١) الشعر ليس في الديوان ، وألحقه به محققه ٣٥ . غ والديوان : فلا ترى الديوان : ولا رقى .

(٢) ترّفاً : يحف دمعها .

(٣) غ : وأدعو لدائى بالشراب فلا أسقى . الديوان : وأدعو لدائى بالشراب فا أسقى .

(٤) غ : فطول . الديوان : فطول نهاري جالس .

(٥) غ والديوان : ويزداد قلبي كل يوم لكم عشقا .

أبو دهب كتب بهذه الأبيات إلى أختك عائكة ، فلم تزل باكية منذ اليوم ، وقد
أفسدها ، فما ترى فيه ؟ » فقال : « يا أمير المؤمنين ، إن الشأن في أمره لهين . »
قال : « وما هو ؟ » قال : « عبد من عبيدك يكمن له في أزقة مكة فيرجمنا منه . »
فقال معاوية : « أف لك ! والله ، إن امرأاً يريد بك ما يريد ويسمو بك إلى مايسمو
لغير ذى رأى ، وأنت قد ضاق ذرعك بكلمة وقصّر فيها باعك حتى أردت أن
تقتل فيها رجلاً مسلماً من قريش . أو ما تعلم أنك إذا فعلت ذلك صدقت قوله فينا
وجعلتنا أهدوناً أبداً ؟ » قال « يا أمير المؤمنين إنه قال قصيدة أخرى تناشدها أهل مكة
حتى بلنتنى فأوجمتنى وحملتنى على ما أشرت به فيه » . قال : « وما هي ؟ » قال :
ألا لا تقل : مهلاً . فقد ذهب المهلُ وما كلُّ من يلحى مُجَبِّباً له عَقْلُ^(١)
لقد كان في حَوْلَيْنِ حالاً ولم أزر هواى وإنْ خُوِّفْتُ عن حِبا شُغْلُ
حى الملك الجبار عنى لقاءها فن دونها تُخشى المتألفُ والقتلُ
فلا خير في حُبِّ يُخافُ وباله ولا فى حبيبٍ لا يسكون له وصلُ
فوا كبدا إني شهرتُ بمجها ولم يك فيهما بيننا ساعةً بَدَلُ^(٢)
ويا عجباً إني أكتم حُبها وقد شاع حتى قُطعتْ دونها السُّبُلُ^(٣)
فقال معاوية : « والله . لقد رفَّهت عنى . فما كنتُ آمن أن يكون قد وصل
إليها . أما الآن وهو يشكو أنه لم يكن بينهما وصل ولا بَدَلُ^(٤) ، فألخطب يسير .
قم عنى » . فقام يزيد وانصرف .

وحج معاوية في تلك السنة . فلما انقضت أيام الحج ، كتب أسماء وجوه قريش

(١) الشعر ليس في الديوان ، وألحقه به محققه ٣٥ . يلحى : يلوم .

(٢) غ : فوا كبدى .

(٣) الديوان : لئى لكاتم .

(٤) كذا على من أن القصيدة القافية السابقة تذكر أنه لم ير منها يوماً جوداً ولا صدقاً .

وأشرفهم وشعراهم ، وكتب فيهم اسم أبي دهب . ثم دعا بهم ففرّق في جميعهم
صِلات سنّية وأجازهم جوائز كثيرة . فلما قبض أبو دهب جائزته وقام لينصرف ،
دعا به معاوية وقال له : « يا أبا دهب ، ما بالي رأيت أبا خالد يزيد ابن أمير المؤمنين
عليك ساخطاً في قوارص^(١) تأتيه عنك وشعرٍ قد نطقت به وأنفذته إلى حصاننا^(٢) »
وموالينا . فلا تمرض لأبي خالد . فجعل يعتذر ويحلف أنه مكذوب عليه . فقال له
معاوية : « لا بأس عليك ، وما يضرّ هذا عندنا : هل تأهلت ؟ » قال : لا . قال : « فأى بنات
عمك أحب إليك ؟ » قال : « فلانة » . قال : « قد زوّجكها أمير المؤمنين ، وأصدّقها
عنك ألني دينار ، وأمرت لك بألف دينار » . فلما قبضها قال : « إن رأى أمير المؤمنين
أن يعفو لي عما مضى . فإن نطقتُ بيتٍ في معنى ما بلغه عنى فقد أبحّتُ دمي ، وفلانة
التي زوّجتها طالقٌ ألبتة^(٣) » . فسُرّ معاوية بذلك ، وضمن له رضا يزيد عنه ، ووعده
بإدرا ما وصله به في كل سنة . وانصرف إلى دمشق . ولم يحج معاوية في تلك السنة
إلا من أجل أبي دهب .

خرج أبو دهب غازياً ، وكان جميلاً . فلما كان بجيرون ، جاءت امرأة فأعطته
كتاباً وقالت : « اقرأ هذا الكتاب » . فقرأه . ثم دخلت قصر أمّ ثم خرجت إليه
فقال له : « لو بلغت القصر فقرأت الكتاب على امرأة كان لك فيه أجر ، فإنه من
غائب لها يعنىها أمره » . فبلغ معها القصر . فلما دخل ، إذا فيه جوارٍ كثيرة .
فأغلقن القصر عليه . وإذا امرأة وضيئة فدعته إلى نفسها ، فأبى . فأمرت به فخبس
في بيت في القصر . وأطعم وسقى قليلاً قليلاً حتى ضعف وكاد يموت . ثم دعتة فقال :
« أما حراماً فلا يكون ذلك أبداً ، ولكن أتزوجك » . قالت : « نعم » . فتزوجها .
فأمرت به فأحسن إليه حتى رجعت نفسه إليه . فأقام معها زماناً طويلاً لا تدعه يخرج

(١) القوارص : الكلمات المؤلّة .

(٢) الحصان : العقيقة . وفي غ : خصائنا .

حتى أيس أهله منه وولده . وتزوج بنوه واقتسموا ماله ، وأقامت زوجته تبسكى عليه حتى تمسحت ، ولم تقاسمهم في ماله . ثم قال لامراته هذه الجيرونية يوماً : « قد أتممت في أهلى وولدى ، فأذنى لى أطالمهم وأعود إليك » . فأخذت عليه إيماناً الا يقيم إلا سنة حتى يعود إليها . فخرج من عندها يقطع البلاد حتى قدم على أهله . فرأى حال زوجته وما صار إليه ولده . وجاء ولده فقال : « لا والله ، ما بينى وبينكم عمل ، أنتم قد ورثتمونى وأنا حى ، والله ، لا يشرك زوجتى فيما قدمت به أحد » . وقال لها : « شأنك به ، فهو كله لك » وقال فيها^(١) :

صاح حياءَ الإلهُ أهلاً ودوراً عند أصلِ القناتِ من جيرون^(٢)
وهى قصيدة أكثرها هى الأبيات النونية المقدم ذكرها :
* وإذا ما نسبتها لم تجدها *
فلما حل الأجل ، أراد الخروج إليها ، فجاءه موتها ، فأقام .

ولأبى دهبيل فى عبد الله بن عبد الرحمن بن الوليد ، وقد عزله ابن الزبير عن بعض أعمال اليمن^(٣) :

فن يك شان العزلُ أو هدَّ رُكنه لأعدائه يوماً ، فاشانك العزل^(٤)
وما أصبحت من نعمةٍ مُستفادَةٍ ولا رَحِمٍ إلا عليك الفضل
قدم سليمان بن عبد الملك مكة فى حر شديد ، فكان يُنقل سريره بفناء الكعبة .
وأعطى الناس المطايا . فلما بلغ بنى جُمح نودى بأبى دهبيل . فقال سليمان : « من ؟
أبو دهبيل الشاعر ؟ على به » . فأتى به ، فقال له سليمان : « أنت أبو دهبيل الشاعر ؟ »

(١) يريد فى الشامية لا الحجازية .

(٢) البرذ : أهلاً ودوراً . والبكرى والعينى والخطيب : حيا ودورا .

(٣) ديوانه ١٦ .

(٤) الديوان : فن كان شان .

قال: « نعم ». قال: « فأنت القائل ^(١) » :

فتنةٌ يُشعلُها وُرَادُها حطبَ النارِ فدَعَمَها تشتعلُ
فإذا ما كانَ أَمْنٌ فَأَتَهم وإذا ما كانَ خوفٌ فاهتزلُ

قال: « نعم ». قال: « وأنت القائل ^(٢) » :

يدعون مروانَ كَيْما يَسْتَجِيبَ لهم وعند مروانِ خَارَ القومُ أَوْ رَقَدُوا
قد كانَ في قومِ موسى قَبْلَهُم جسدٌ عَجَلٌ إذا خارَ فيهم خَوْرَةٌ سجدُوا

قال: « نعم ». قال: « فأنت القائل هذا ثم تطلب ما عندنا؟ لا والله ولا كرامة »

فقال: « يا أمير المؤمنين ، إن قوما فُتِنُوا فكأفوكم بأسيا فهم وأجلبوا عليكم بحيلهم
ورجلهم ، ثم أداكم الله عز وجل منهم فمفوتهم عنهم . وإنما فُتِنْتَ فقلت بلساني ،
فلم لا يُعَنِّي عني؟ » فقال سليمان: « قد عفونا عنك » . وأقطعه قَطيعَةً بجازان ^(٣) .
ف قيل لسليمان: « كيف أقطعه هذه القَطيعَةَ؟ » قال: « أردت أن أُمِيتَهُ وأُمِيتَ
ذَكَرَهُ بِهَا »

وقال أبو دهب في قتل الحسين بن عليّ عليهما السلام ^(٤) :

تَبِيتُ سُكَّارِي مِنْ أُمِيَّةَ نَوْمًا وبالطَفِّ قَتَلِي مَا يَنَامُ حَمِيمُهَا ^(٥)
وما أفسد الإسلامَ إلا عَصَابَةٌ تَأْمُرُ نَوَكَاها وِدَامُ نَعِيمِهَا ^(٦)
فصارت قناةُ الدِّينِ في كَفِّ ظالمٍ إذا اعْوَجَّ مِنْهَا جَانِبٌ لَا يُقِيمِهَا ^(٧)

(١) ليست في الديوان وألحقها به محققه ٣٦ .

(٢) .

(٣) جازان: موضع في طريق حجاج صنعاء .

(٤) المرتضى: الأمالي ١ : ١١٨ . ياقوت: معجم البلدان ٣ : ٥٤٠ . وليست في ديوانه

وألحقها به محققه ٣٧ .

(٥) المرتضى: تبيت النشأوى . والطف: من ضواحي الكوفة في طريق البرية .

(٦) المرتضى: وما ضيع الإسلام . والنواكي: الحقي . ياقوت: تؤمر نوكاها فدام .

(٧) المرتضى: وصارت . . إذا مال منها .

ولأبي دهبيل^(١) :

عفا الله عن ليل الغداة فإنها إذا ولّيت حُكماً على تجور^(٢)
 أتركُ سلمى ليس بيني وبينها سوى ليملةٍ ، إني إذن لصبور^(٣)
 هَبُونِي امراً منكم أضلَّ بعيره له ذمّةٌ إنَّ الذّمّامَ كثير^(٤)
 وللصاحب المتروك أفضلُ ذمّةً على صاحبٍ من أن يضلَّ بعير^(٥)

لما مات ابن الأزرق^(٦) ، رثاه أبو دهبيل . فدُفن بعليّيب . ولما احتضر أبو دهبيل
 أوصى أن يدفن عنده بعليّيب^(٧) . وفي ابن الأزرق يقول أبو دهبيل^(٨) :

لقد غال هذا اللحدُ من بطن عليّيبِ فتى كان من أهلِ الندى والتكرّمِ
 فتى كان فيما ناب يوما هو الفتى ونعمَ الفتى للطارقِ المتيّمِ^(٩)
 ألحقني أنى لا أراك على منى إذا صدرَ الحجاجُ عن كل موسم^(١٠)
 سقى الله أرضاً أنت ساكنٌ قبرها سجّالِ الغواذى من أجشٍ مزّم^(١١)

(١) ديوانه ٢٩ . المرتضى : الأملّى ١ : ١١٨ وديوان مجنون ليلي ١٣٩ ، إذ تنسب الأبيات له .

(٢) الديوان : إذا حكمت حكماً .

(٣) في سائر المصادر : أترك ليلي .

(٤) في سائر المصادر : إن الذمام كبير .

(٥) ديوان أبي دهبيل والمرتضى وديوان مجنون ليلي : أعظم حرمة .

(٦) هو عبد الله بن عبد الرحمن المذكور قبلاً .

(٧) عليّيب : قرية بين مكة وتبالة .

(٨) ديوانه ١٩ .

(٩) الديوان : ونعم حل الطارق المتيّم .

(١٠) الديوان : إذا نزل الحجاج في كل موسم .

(١١) الغواذى : جمع غادية ، وهى السحابة تنشأ أو تمطر في البكرة . والأجش : السحاب

ذو الرعد الداوى . والمزّم ذو الرعد اللعوى المتتابع . وفي فخ : من سجّيل ومبرم . الديوان :

أنت ساكن بطنها .. من سجّيل مزّم .

ومن شعر أبي دهب في عبد الله بن عبد الرحمن بن الوليد (١) :

عَقِمَ النِّسَاءَ فَلَمْ يَلِدْنَ شَبِيهَهُ إِنَّ النِّسَاءَ بِمِثْلِهِ عُقْمٌ (٢)
مَتَهَلَّلَ بِنَعْمٍ بِلَا مُتَبَاعِدٍ سَيِّانٌ مِنْهُ الْوَفْرُ وَالْعُدْمُ (٣)
نَزَرُ الْكَلَامِ مِنَ الْحَيَاءِ تَخَالُهُ ضَمِنَا وَليْسَ بِجِسْمِهِ سَقْمٌ (٤)
وَقَعَ لِأَبِي دَهْبِلٍ مِيرَاثٌ بِعَصْرِ . نَخْرَجُ يَرِيدُهُ ثُمَّ رَجَعَ مِنَ الطَّرِيقِ ، فَقَالَ (٥) :
إِسْلَمِي أُمَّ دَهْبِلٍ بَعْدَ هَجْرِي وَتَقَضَّ مِنَ الزَّمَانِ وَعُمْرِي (٦)
وَإِذْ كَرِي كَرِي الْمَطَى إِلَيْكُمْ بَعْدَ مَا قَدْ تَوَجَّهْتُ نَحْوَ مِصْرٍ
لَا تَخَالِي أَنِي نَسَيْتُكَ لِمَا حَالَ بَيْشٌ وَمِنْ بَعْدِ خَلْفِ ظَهْرِي (٧)
إِنْ تَكُونِي أَنْتِ الْمُقَدَّمُ قَبْلِي وَأَطْعَ يَثْوِ عِنْدَ قَبْرِكَ قَبْرِي
قَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَبِي عُبَيْدٍ (٨) : فَوَقَفْتُ عَلَى قَبْرِهِ إِلَى جَانِبِ قَبْرِهَا بِعُلَيْبٍ .

(١) الحصرى : زهر الآداب ١٨٠ . ديوانه ١٨

(٢) الحصرى والديوان : فنا يلدن .

(٣) ص : متهلل بنعم وغير متباعدا ، تحريف . الديوان : متعود بنعم .

(٤) الضمن : المريض . الديوان : غض الكلام .

(٥) ديوانه ١٣ .

(٦) الديوان : قبل هجر . . . الزمان وعصر .

(٧) بيش : من بلاد اليمن قرب دمالك . وقال ياقوت بعد هذا البيت : « وهذا الشعر يدل

على أن بيشا موضع بين مكة ومصر أو تكون صاحبه المذكورة كانت باليمن . . . »

(٨) غ والديوان : إبراهيم بن أبي عبد الله .

وَرَقَاءُ بْنُ زَهَيْرٍ*

هو ورقاء بن زهير بن جذيمة بن رواحة بن ربيعة بن مازن بن الحارث بن قطيمة ابن عبس ابن بغيض بن ريث بن غطفان .

كان رياح بن الأشل^(١) أحد بني رباع قد قتل شأس بن زهير بن جذيمة ، وذلك أن شأسا أقبل من عند النعمان بن المنذر^(٢) ، وقد أعطاه وحباه قطيفة حمراء ذات هُدُبٍ وطيبا . فورد ماء^(٣) وعليه خبء في الظهيرة لرياح . ففعد يُهْرِيقُ الماء ، وامرأة رياح قريبة منه ، فإذا مثل الثور الأبيض . فناده رياح : « استقر » . فلم يحفل به . فقال رياح لامراته : « أَنْطِينِي^(٤) قوسى » . فمدت إليه قوسه وسهما ، ونزعت المرأة نصله لثلاث يقتله . فأهوى عجلان إليه فوضع السهم في مُسْتَدَقِّ الصُّلْبِ بين فِقَارَتَيْنِ ففصلهما . وخر ساقطا : فخر له حفرا وهدمه عليه . ونحر جملة فأكله . وَأَوْلَجَ متاعه بيته .

ولما قُتِدَ شأس ، قُصَّ أثره ونُسِدَ ، وركبوا إلى الملك فسألوه عن حاله . فقال : « سَرَّحْتَهُ بَعْدَ أَنْ حَبَّوْتَهُ » . فقالوا : « وما حبوته ؟ » قال : « مِسْكٌ وَكُسَى وَقُطْفٌ » . فقصوا أثره فلم يتضح لهم سبيله . فكثروا كذلك ماشاء الله لا أدرى كم . حتى رأوا امرأة رياح باعت بمكاظ قطيفة حمراء . وتيقنوا أن رياحا ثارهم . وأتى

* أخباره في ب ١٠ : ٨ ، س ١٠ : ٨ ، د ١١ : ٧٥ ، ي ١١ : ٧٠ ، ت ١ : ١٢٥٥

(١) وكذا في كامل ابن الأثير ١ : ٤١١ ، ومعجم ما استعجم ١٢٧١ ، وفي غ : رياح بن الأسك . وفي العقد الفريد ٥ : ١٣٣ : رياح بن الأسل .

(٢) كامل ابن الأثير ١ : ٤١١ : النعمان بن امرئ القيس جد النعمان بن المنذر .

(٣) غ وبقية المصادر : منعجا .

(٤) أنطيني : أعطيني .

زهير غَنِيًّا ، فقالوا : « نعم ، قتله رياح بن الأشل ، ونحن بُرَاء ، وقد لحق بحاله من بني الطَّمَاح من بني أسد بن خُزَيْمة » . فكان يكون الليل عنده ، ويظهر إلى أبان^(١) إذا أحسَّ الصبح يرمى الأروى^(٢) ، إلى أن أصبح ذات يوم وهو عنده ، وعَبَسَ تَرْبِغَه^(٣) . فركب خاله جملا وجعله على كِفَل^(٤) وراه . فبينما هو كذلك ، إذ دَنَتْ خيل عيس . وكان بنو عيس غَزَوْا غَنِيًّا قبل أن يطلبوا قَوْدًا أو دية ، مع أخى شَأْس الحَصِين بن زهير بن جذيمة . فقالوا : « هذه خيل عيس تطلبك » . قال : فطَمَرَ^(٥) في قاع شجر فحفر في أصل سُوْقِه . ولقيت الخيل خاله فقالوا : « هل كان معك أحد ؟ » قال : « لا » . فقالوا : « ما هذا المركب وراءك ؟ لتُخْبِرَنَّا أو لَنَقْتَلَنَّكَ » . قال : « لا كَذِب . هو رياح في ذلك القاع » . فلما دَنَوْا ، قال الحَصِينان : « يا بني عيس ، دَعُونَا وَتَأَرَّنَا » . تَخَسَّسُوا عَنْهُمَا^(٦) . وأخذ رياح نَمَلِينَ من سِبْت^(٧) فصيرَهما على صدره حِيَالَ كبدِه . ونادى : « هذا غزالكُمَا الذي تبغيان » . فحمل عليه أحدهما وطعنه . فأزالت النملُ الرمحَ حيث شاكَتَه^(٨) فشكَّه . ورماه رياح مُولِيًّا فَجَذَمَ^(٩) صُلْبِه . ثم جاء الآخر فطعنه فلم يُغْنِ شَيْئًا . ورماه [رياح] موليا فصرعه . فقالت عيس : « أين تذهبون إلى هذا ؟ ليقتلنَّ منكم

(١) أبان : جبل .

(٢) الأروى : جم الأروية ، وهى أثى الوعل .

(٣) تربغه : تطلبه .

(٤) الكفل : شئ مستدير يتخذ من الخزق ونحوها ويوضع على سنام البعير .

(٥) طمر : وثب إلى أسفل واخفى .

(٦) خنس : تأخر وتنجى .

(٧) السبت : الجلد المدبوغ .

(٨) الشاكلة : الحاصرة .

(٩) جذم : قطع .

عدد قوائمه^(١) ، وقد جرحاه وسيموت . قال : وأخذ رياح رحبهما وسلبهما .
 وخرج حتى سَنَدَ^(٢) في أبان . فأنته عجوز ، وهو يَسْتَدْرِي على الحوض . فقالت :
 استأسِرْ بخير^(٣) . فقال : « حتى أشرب » . فأبت . فلما غلبته ، أخذ مَشَقَصًا^(٤)
 فجدم به كُرْسُوعِي^(٥) يديها فماتت . وَعَبَّ في الماء فشرب ثم توجه إلى قومه .

وقال زهير يرثي شأسا :

بكيتُ لشأسٍ حين خُزِرْتُ أنه بماء غَينِيٍّ آخرَ الليلِ يُسَلِّبُ
 لقد كان مأتاه الرِّدَاهَ حَتْفِهِ وما كان لولا غِرَّةُ الليلِ يُغَلِّبُ
 قتيلُ غَينِيٍّ ليس شكلُ كَشِكاهُ كذاك لعمري الحين للمرءِ يُجَلِّبُ
 سَأبِكِي عليه ما بقيتُ بِمَبْرَةٍ وحُقَّ لشأسٍ عبرةٌ حين تُسَكَّبُ^(٦)
 وحزنٌ عليه ما حيتُ وعوَلَةٌ على مثل ضوء البدرِ أو هو أَعْجَبُ
 إذا سيمٍ ضيما كان للضميمِ مُنْكَرًا وكان لدى الهيمِ جاء يُخْشَى ويُرْهَبُ^(٧)
 وكان زهير يقول حين قتل شأس : « شأس ، ما شأس ؟ والبأس ، ما البأس ؟
 لولا مقتل شأس ، لم يكن بيننا بأس »^(٨) .

وقال رياح فيها وفي الحَصِينين :

قالت لي : استأسِرْ ، لتَكْتَفِي حينا ويعلو قولها قولي

(١) وكذا في ت . وفي غ : مراميه .

(٢) سند : سعد .

(٣) غ : استأسِرْ تحي .

(٤) المشقص : نصل عريض .

(٥) الكرسوع : طرف الزند الذي يلي الخنصر الثاني عند الرسغ .

(٦) غ : سأبكي عليه إن بكيت بعبرة .

(٧) سيم الضميم : كلفه .

(٨) س : الناس ، في كل مكات هنا وردت في كلمة البأس ، والتصحيح عن غ .

ولأنت أجزاً من أسامة أو منى غداة وقت للخيل^(١)
إذ الحصين لدى الحصين كما عدل الرّجزة جانب الميل
الرجازة : شيء يكون مع المرأة في هودجها ، فإذا مال أحد الجانبين وضعته
في الجانب الآخر ليعتدل .

وانصرف زهير ، وكان لا يظفر بغيرهوى إلا قتله . والحصينان : حصين بن زهير ،
خو شأس ؛ والحصين بن أسيد بن جذيمة ، ابن أخي زهير .

وضرب الدهر ضربه . فالتقى خالد بن جعفر بن كلاب وزهير بن جذيمة العبسي
بمكاذ ، فقال خالد لزهير : « أما آن لك أن تشفى وتكفّ » . يعني بمن قتله بشأس .
فاغْلَطَ له زهير وحقره وسبّه ، فقال له خالد : « عسى » كأنه يتهدهده . ثم قال :
« اللهم ، مكن يدي هذه الشعراء^(٢) القصيرة من عنق زهير بن جذيمة ثم أعني
عليه » . فقال زهير . « اللهم . مكن يدي هذه البيضاء الطويلة من عنق خالد ثم
خلّ بيننا » . فقالت قريش : « هلكت - والله - يا زهير » . فقال : « إنكم - والله -
الذين لا علم لهم » .

وكان زهير إذا كان أيام عكاظ ، يأتيها ، ويأتي الناس من كل جانب . فتأتيه
هوازن بالإناوة التي كانت له في أعناقهم ، فيأتونه بالسمن والأفط والغنم ، فأتته
عجوز رهيش^(٣) من بني نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن بسمن في نحى .
واعترضت إليه وشكت السنين اللواتي تتابمن على الناس . فذاقه فلم يرض طعمه ،
فدفنها بقوس في يده عطل^(٤) في صدرها . فاستلقت حلاوة القفا^(٥) ، فبدت عورتها

(١) غ مرة : ولأنت أشجع . وأسامة : اسم علم للأسد .

(٢) غ : الشعراء . والشعراء : كثيرة الشعر .

(٣) رهيش : ضعيفة أو مهزولة . وفي ص : من رهيش ، تحريف .

(٤) عطل : لا وتر عليها .

(٥) حلاوة القفا : وسطه .

فغضبت من ذلك هوازن ، وحدثت عليه إلى ما كان في صدرها من الفيظ والد من (١) ،
وأوحرها (٢) من الحسد . وقد آمرت (٣) عامر بن صعصعة يومئذ فألى (٤) خالد
ابن جعفر ، فقال : « والله لأجملن ذراعى وراء عنقه حتى أقتل أو يقتل » . وفي ذلك
يقول خالد بن جعفر (٥) :

أديروني إدارتكم فإني وحذفة كالشجاء تحت الوريد (٦)
مُقرَّبَةٌ أسويها بجزء وألحفها ردائي في الجليد (٧)
وأوصي الراعيين ليؤثراها لها ابن الخلية والصعود (٨)
تراها في الغزاة وهن شمت كقلب العاج في الرشح الجديد (٩)
يميت رباطها بالليل كفى على عود الحشيش وغير عود
لعل الله يُمكنني عليها جهارا من زهير أو أسيد (١٠)
فإما تثقنوني فاقتلوني فمن أثقف فليس إلى خلود (١١)

(١) الدمن : الأحقاد .

(٢) أوحرها : من الوحر ، وهو الحقد .

(٣) آمرت : تشاورت .

(٤) آلى : أقسم .

(٥) المرتضى : الأمالي ١: ٢١٢ . الخطيب : خزائن الأدب ٤: ٣٧٧ . وسقط الشعر من س .

(٦) المرتضى والخطيب : أريغوني لإراعتكم فإني . وحذفة : فرسه .

(٧) ب ، س : أسويها بجزء . المرتضى والخطيب : أواسيها بنفسى . وجزء : ابنة . وألحفها

ردائي : أجمعه ملحفة لها .

(٨) الخلية : الناقة تنتج وهي غزيرة ، فيجر ولدها من تحتها فيجعل تحت أخرى وتخلى هي

للحلب والصعود : الناقة التي تسقط ولدها لغير تمام فتعطف على ولد عام أول أو ولد غيرها فتدر عليه .

(٩) القلب : السوار .

(١٠) الخطيب : لعل الله يقدرني .

(١١) تثقنوني : تصادفوني .

وقيسٌ في الماركِ غادرته
 ويربوع بن غيظٍ يومَ ساقٍ
 تركتُ بها نساءَ بني عُصيم
 يلدنَ بحارثٍ جزعاً عليه
 ومنى بالظَّويلِ قارعاتُ
 وحكَّتْ برَّكها ببني ججاشِ
 تركتُ ابني جذيمةَ في مكرِّ
 قناتي في فوارس كالأسود^(١)
 تركناهم كجاريةٍ وئيد^(٢)
 أراملَ ما نحنُ إلى وليد^(٣)
 يقننَ لحارثٍ لولا تسود^(٤)
 تبئد الخزياتِ ولا تبئد^(٥)
 وقد أجروا إليها من بئد^(٦)
 ونصراً قد تركت لها شهودي^(٧)

ثم إن إخوة فاطمة بنت الشريد السُّلمية - امرأة زهير ، وهي أم قيس بن زهير -
 جاءوا إلى بني عامر ، فقالوا : « هل لكم في زهير بن جذيمة يَنْتِج إبله ليس معه غير
 أخيه أسيد بن جذيمة وعبيدٍ راعٍ لإبله ؟ وجئتكم من عنده . وهذا لبن حلبوه لي »
 فذاقوه فإذا هو ليس بمجازر^(٨) ، فعملوا أنه قريب . وكان زهير قد أساء إلى إخوة

(١) غ مرة : وقيس ابن المارك غادرته .

(٢) غ : وبئد . غ مرة : وحى بنى سبع يوم ساق . وئيد : مدفونة حية .

(٣) غ مرة :

تركت نساء يربوع بن غيظ رامل يشتكين لي وليد

(٤) غ مرة :

يقنن لحارث جزعا عليه لك الخيرات مالك لاتسود

وفيه والذي بعده إقواء .

(٥) غ مرة : ومنى سوف تأتي قارعات .

(٦) غ مرة :

وحلت بركها ببني ججاش وقد مدوا إليها من بئد

والبرك : جماعة الإبل الباركة ، والصدر .

(٧) غ مرة : تركت بنى جذيمة . . . لدى المشهود .

(٨) حاذر : حامض .

زوجته في شيء فخرج خالد بن جعفر وحندج بن البكاء^(١) ومعاوية بن عبادة بن عقييل^(٢) فارس المَرَار ، وهو الأَخِيل جد ليلي الأَخيلية ، وهو يومئذ غلام له ذؤابتان ، وثلاثة فوارس من بني عامر ليس على أحد منهم درع غير خالد كانت عليه درع أعارها له عمرو بن يربوع الغنوي . وكانت درع ابن الأَجَلح المرادي ، قتله وأخذها ، وكان يقال لها ذات الأزمة ، سُمِّيت بذلك لأنها كانت لها عُراً تُمَلَّقُ فُضُولها بها إذا أراد أن يُشمرَّها .

فطلعوا على زهير . فقال أسيد بن جذية ، وكان شيخاً كبيراً كثير الشعر في الوجه والجسد : « أتيت ، ورب السكبة » . فقال زهير « كَلُّ أَرْبٍ نَفُورٌ^(٣) » فذهبت مثلاً . فلم يشعر بهم زهير إلا في سواد الليل . فركب فرسه القَعَساء ثم وجهها . فلحقه أحدهم - إما حندج أو العقييل - فطمن فخذ الفرس طعنة خفيفة في نساها^(٤) . ثم أراد أن يطمن الرِّجل الأخرى الصحيحة . فناداه خالد : « لا تفعل فيستويا . أَقْبِلْ على السقيمة » . قال : فطمنها وانخذلت الفرس . فأدركوه فرمى بنفسه . وعانقه خالد فقال : « اقتلونني ومجدِّعاً » . فجاء حندج - وكان أعجم اللسان - فقال لخالد وهو فوق زهير : « نَحِّ رأسك ، يا أبا جزء » . فنحى رأسه . وضرب حندج زهيراً ضربة على دَهَش . ثم ركبوا وتركوه . فقال خالد : « ويحك ، يا حندج ! ما صنعت ؟ » فقال : « ساعدى شديد ، والسيف حديد ، وضربته ضربة فقال السيْف : قَبْ ،

(١) ابن الأثير ١ : ٤١٤ : حندج .

(٢) كذا في د ، ي ، وخزانة الأدب ، والعقد ٥ : ١٣٦ ، وتاج العروس (هر) . وفي

س ، ب ، س : عمرو بن عبادة بن عقييل .

(٣) الأرب : البعير الذي يكثر شعر حاجبيه ، ويكون نفورا لأن الريح تضربه فينفر . وهذا

مثل يضرب في عيب الجبان .

(٤) النسا : عرق من الورك إلى السكبة .

وخرجت عليه مثل ثمرة المرار ، فَلَطَعْتُهُ (١) فوجدته حلوا « يعنى دماغه . قال : « إن كنت صادقا فقد قتلتني » . قال : ثم جاء قوم زهير فاحتملوه . ومنموه الماء كراهة أن يتل دماغه فيموت . فقال : « يا آل عطفان ، أموت عطشاً ! » . فسُقِي فمات بعد أيام .

ففي ذلك يقول ورفاء بن زهير ، وكان قد ضرب خالداً ضربة فلم يصنع شيئاً (٢) :
 رأيتُ زهيراً تحت كلِّ كلِّ خالدٍ فأقبلتُ أسْمَى كالعجول أبادر (٣)
 فشلتُ يميني يومَ أضربُ خالداً ويمنمُ مني الحديدُ المظاهر (٤)
 إلى بطلين ينهضان كلاهما يُريغان نصلَ السيفِ ، والسيفُ نادر (٥)
 وشلت يميني يومَ أضربُ خالداً وشلتُ بناناها وشلتُ الخناصر
 فيا ليتني من قبلِ أيامِ خالدٍ ويومَ زهيرٍ لم تلسدني تماضر (٦)
 هي تماضر بنت عمرو بن الشريد بن رياح بن بَقَظَة بن عَصِيَّة بن خُفاف السُّلَمي .
 وهي زوجة زهير بن جذيمة وأم ولده .

(١) غ : فطعته . ولطعته : لحسته .

(٢) المرتضى : الأمالي ١ : ٢١٣ . الحصرى : زهر الآداب ٦٠٩ . الخطيب : خزائن الأدب ٤ : ٣٧٨ . شرح النقائض ٣٨٤ . الطبرى ٢ : ١٣٣٩ ، كامل ابن الأثير ١ : ٢١٤ . العقد الفريد ٥ : ١٣٦ .

(٣) الحصرى : أبادره . والعجول : الواله التي فقدت ولدها .

(٤) المرتضى والخطيب : ويستره مني الطبرى : ويمحصنه مني . غ ، ت :

فشلت يميني إذا ضربت ابن جعفر وأحرزه مني الحديد المظاهر
 والمظاهر : الملائم بعضه فوق بعض .

(٥) غ امرأة والعقد الفريد : يريدان نصل السيف . المرتضى والخطيب : والسيف دأثر .
 ويريفان : يريدان . ونادر : ساقط . والكامل : يعتركان ، كلاهما . يريد رياش السيف .

(٦) المرتضى والخطيب : فياليت أنى قبل ضربة خالد . العقد والكامل : فياليت أنى قبل أيام خالد . الكامل : وقبل زهير .

ويقال: إن أخاها الحارث بن عمرو مر بها . فقال زهير لبيته : « إن هذا الحارث لطبيعةٌ عليكم ، فأوتقوه » . فقالت أخته تماضر لبيتها : « أيزوركم خالكم فتوثقوه وتمرموه ! » فخلّوه . وقالت تماضر لأخيها الحارث : « إنه ليربيني أمرك » . ثم حلبوا له وطبا وأخذوا منه يمينا لا يُنذر بهم ولا يخبر عليهم أحداً . فخرج يطير حتى أتى بني عامر . فأتى شجرة فأتى الوطب تحتها ، والقوم ينظرون . وقال : « أيتها الشجرة الذابلة^(١) ، اشربي من هذا اللبن وانظري ما طعمه » . فقال أهل المجلس : « هذا رجلٌ مأخوذ عليه عهد ، وهو يُخبركم خيرا » . فأتوه فإذا هو الحارث بن عمرو . فذاقوا اللبن فإذا هو حلو لم يقرص . فقالوا : « إنه ليخبرنا أن مطلبنا قريب » . وخرج معه الفوارس : خالد ورفقته . وجرى ما جرى .

وقيل : إنه كان زهير ربيثة^(٢) من الجن فحدثه ببعض أمرهم حتى أصبح . وكانت له مظلةٌ دوحةٌ يربط فيها أفراسه ولا تريه^(٣) حذراً من الحوادث فلما أصبحوا وإذا بالخيل . وكانت الوقعة .

وإلى هذا أشار الفرزدق لما نبا السيف من يده بين يدي سليمان بن عبد الملك ، فقال^(٤) :

لَتَأخِرَ نَفْسٍ حَتْفَهَا غَيْرُ شَاهِدٍ ^(٥)	لَئِنْ يَكُ سَيْفٌ خَانَ أَوْ قَدَّرَ أَبِي
نَبَأَ بِيَدَيْهِ وَرِقَاءَ عَنِ رَأْسِ خَالِدٍ	فَسَيْفٌ بَنِي عَبَسٍ وَقَدْ ضَرَبُوا بِهِ
وَتَقَطَعَ أَحْيَانًا مَنَاطَ الْقَلَائِدِ	كَذَلِكَ سَيْوْفُ الْهَنْدِ تَنْبُو ظُبَاتُهَا
إِلَى عَلْقٍ تَحْتَ الشَّرَاسِيفِ جَامِدٍ	وَلَوْ شِئْتُ قَدَّ السَّيْفِ مَا بَيْنَ عُنُقِهِ

(١) غ : الذابلية .

(٢) الربيثة : الطليعة يستطلع له الأشياء ويخبره بها .

(٣) تريه : تبرحه .

(٤) انظر ترجمة الفرزدق في هذا الجزء .

(٥) د ، ي ، ت : إن يك . ب ، س : فإن يك . ب ، س ، ت : قدر أني .

(٨/١٨ مختار الأغاني)

وضرب الدهر ضربه إلى أن التقى خالد بن جعفر بن كلاب والحارث بن ظالم ، فقتله الحارث . وذلك أن خالدا كان أغار على رهط الحارث بن ظالم من بني يربوع ابن غَيْظ بن مُرَّة وهم في واد يقال له حُرَّاض . فقتل الرجال ، والحارث يومئذ غلام . وقيل : إن ظالما جرح في تلك الموقعة ومات . وكانت نساء بني ذبيان لا يحلبن النعم . فلما بقين بغير رجال ، طفقن يدعون الحارث ، فبشَّدت عِصاب الناقة ويحلبها ، ويبكين رجالهن ، ويبكي الحارث معهن . فنشأ على بغض خالد . وأردف ذلك قتل خالد زهيراً ، فاستحق العداوة في غَطَّافان . فقال خالد بن جعفر من أبيات :

تركت نساء يربوع بن غيظ أرامل يشتكين إلى وليد

وصار خالد رأس هوازن . فلما استحق عداوة عبس وذبيان أتى النعمان ابن المنذر^(١) صاحب الحيرة لينظر ما قدره عنده ، وأناه بفرس . فألقى عنده الحارث ابن ظالم قد أهدى له فرسا . فجاء الحارث بن ظالم بفرسه فقال : « أبيت اللعن ! نَمِّمَ صباحك ، وأهلي فداؤك . هذا فرس من خيل بني مُرَّة لم تؤت بفرس يشقُّ غباره ، إن لم تنسبه انتسب . كنت ارتبطته لغزو بني عامر بن صعصعة . فلما أكرمت خالدا ، أهديته إليك » . وقام الربيع بن زياد العبسي فقال : « أبيت اللعن ! نعم صباحك ، وأهلي فداؤك . هذا فرس من خيل بني عامر ارتبطتُ أباه عشرين سنة . لم يُخفِّق في غزاة . وفضله على هذين الفرسين كفضل بني عبس^(٢) على غيرهم » . قال : فغضب النعمان عند ذلك وقال : « يا معشر قيس ، أرى خيلكم أشباها . أين اللواتي كأن آذانها شقاق^(٣) أعلام ، وكأن مناخرها وِجار^(٤) الضباع ،

(١) المقد الفريد ٥ : ١٣٧ : الأسود بن المنذر .

(٢) غ : بني عامر .

(٣) الشقاق : جمع شقة ، وهي السببية المستطيلة من الثياب .

(٤) الوجار . جحر الضبع

وكان عيونها عيون بعايا النساء ، رفاق المُسْتَطَعَم ، تُمَالِك اللُّجْم في أشدائها ،
تدور على مَدَاوِدِهَا كأنها تَقْضِم حَصَى ؟ » فقال خالد : « يزعم الحارث بن ظالم
أن تلك الخليل خيله وخيل آبائه » . فغضب النعمان على الحارث .
فلما أمسوا اجتمعوا عند قينة من أهل الحيرة يقال لها [بنت] عَفْزَر يشربون .
فقال لها خالد : « تَغْنَى :

دارُ لَهْنِدِ والرَّبَابِ وَفَرَّتَنِي وَلَمَيْسَ قَبْلِ حَوَادِثِ الأَيَامِ

وهن خالات الحارث بن ظالم . فغضب الحارث حتى امتلأ غضبا وقال : « ما زال
تتبع أولى بأخرى » .

ثم دعاهم النعمان بن المنذر^(١) وقدم لهم تمرا . فطفق خالد بن جعفر يأكل ويلقى
نوى ما يأكل بين يدي الحارث ابن ظالم . فلما فرغوا من الأكل . قال خالد بن جعفر :
« أبيت اللعن ! انظر إلى ما بين يدي الحارث من النوى الذى أكله . ما ترك لنا تمرا
إلا أكله » . فقال الحارث : « أما أنا فأكلت التمر وألقيت النوى ، وأما أنت - يا خالد -
فأكلته بنواه » . فغضب خالد وكان لا يُنَازِع . فقال : « أتنازعى - يا حارث -
وقد قتلت حاضرتك ، وتركتك يتيمًا فى حجور النساء ! » فقال الحارث : « ذلك
يوم لم أشهده وأنا مُعْنِ اليوم بمكاني » . قال خالد ، « هلا تشكر لى وقد قتلت زهير
ابن جذيمة وجملتك سيد غطفان » . فقال الحارث : « بلى ، سأشكرك على ذلك » .
فخرج الحارث بن ظالم إلى بنت عفزر يشرب عندها . ثم تغنى فقال :

تَعَلَّمُ آيَةَ اللَعْنِ أُنَى قَاتِلُ مِنْ الأَيَوْمِ أَوْ مِنْ بَمْدِهِ لابن جعفر^(٢)
أخالد ، قد نَبَّهْتَنِي غيرَ نائمٍ فلا تَأْمَنَنَّ فَتَكْبِي يدَ الدهرِ وأحذر

(١) ذكر ابن الأثير أن الأحداث كانت فى عهد النعمان بن امرئ القيس ومعه ، وذكر
أيضا أن الملك الذى قتل الحارث ابنه هو الأسود بن المنذر .
(٢) غ : أنى فانك بابن جعفر .

أَعْيَرَتْنِي أَنْ نَلْتَمَنِ فَوَارِسَا غَدَاةَ حُرَاضٍ مِثْلَ جِنَانِ عَبْقَرٍ (١)
 أَصَابَهُمُ الدَّهْرُ الخَثُونُ بَعَثَرَةٌ وَمَنْ لَا يَبْقَى اللهُ الحَوَادِثَ يَمُتُّ (٢)
 فَمَلَّكَ يَوْمَا أَنْ تَبَوَّءَ بِضَرْبَةٍ بِكَفِّ فَتَى مِنْ قَوْمِهِ غَيْرِ جَيِّدَرٍ (٣)
 يُعْصُ بِهَا عَلْمِيَا هَوَازِنَ ، وَالْمُنَى لِقَاءِ أَبِي جَزَّءٍ بِأَبْيَضَ مِمْبَرٍ (٤)

فبلغ خالدا قوله فلم يحفل به . فقال عبد الله بن جمدة . وكان رجل قيس رابيا . وهو ابن أخت خالد لابنه : « يا بني ، ائت أبا جزء فأخبره أن الحارث بن ظالم سفيه موتور فأخف مبيتك الليلة فإنه غلبه الشراب . وإن أبيت فاجعل بينك وبينه رجلا يحرسك » . فوضعوا رجلا بإزائه . ونام ابن جمدة دون الرجل ، وخالد من خلف الرجل ، وعرف أن ابن عتبة وابن جعفر يحرسان خالدا (٥) . فأقبل الحارث فاتتهى إلى ابن جمدة فتمداه . ومضى إلى الرجل - وهو يحسبه خالدا - فمجنه بكل كلة حتى قتله وكسره ، وطفق يكدمه (٦) لا يعقل ، والرجل تحته . ومضى إلى خالد وهو قائم ، فضربه بالسيف حتى قتله . وقال لعروة : « أخير الناس أنى قتلت خالدا » . وقال فى ذلك :

أَلَا سَائِلُ النِّعْمَانِ إِنْ كُنْتَ سَائِلَا وَحَيَّ كَلَابٍ : هَلْ فَتَكْتُ بِخَالِدٍ ؟
 عَشَوْتُ إِلَيْهِ وَابْنُ جَعْدَةَ دُونَهُ وَعُرْوَةُ يَكْلَأُ عَمَّهُ غَيْرَ رَاقِدٍ (٧)
 وَقَدْ نَصَبَا رَجُلَا فَبَاثَرْتُ جَوْزَهُ بِكُلِّ مَخْشِيٍّ العِدَاوَةِ حَارِدٍ (٨)

(١) غ : ت : نلت منا . والجنان : الجن .

(٢) ت : الدهر الخثور . غ : الدهر الخثور بخثره .

(٣) غ : أن تنوء . وجيدر : قصر .

(٤) ب ، س : يعص بها .

(٥) كذا فى غ . وفى ص : وعوف بن عتبة بن جعفر يحرس خالدا ، تحريف .

(٦) الكدم : العض بمجدبة ونحوها .

(٧) غ : عشوت عليه . ومعناها قصدته عشاء . وبكلا : يحرس ، وخفف همزته .

(٨) كذا فى غ . وفى س : رجلا ما بين ابن جمدة ، تحريف . والجوز : الوسط . والمارد :

فأضربه بالسيف في أم رأسه فصمم حتى نال نُوطَ القلائد^(١)
وأقلت عبدُ الله مني بذُعره وعروة من بعد ابنِ جمدةَ شَاهِدِي
فلما أبت غطفان أن تُجيره ، غضبتُ لذلك بنو عبس . وبعث إليه قيس بن زهير
ابن جذيمة العنسي بهذه الأبيات :

جزاك اللهُ خيراً من خليلٍ شفى من ذى عداوته الخليلاً^(٢)
أزحت بها جوى ودخيل حزنٍ تمخخ أعظمي زمناً طويلاً^(٣)
كسوت الجُمُرى أبا جُزىء ولم تحفل به سيفاً صقيلاً
أبأت به زهير بنى بغيضٍ وكنت لثلمها ولها سمولاً^(٤)
كشفت بها القناع وكنت ممن يُجلى العار والأمر الخليلاً^(٥)
فأجابه الحارث بن ظالم :

أتانى عن قُميس بنى زهير
فلو كنتم كما قلم لكنتم
ولكن قلم : جاور سوانا
ولو كانوا هم قتلوا أخاكم
مقالة كاذبٍ ذكر التبولاً^(٦)
لقاتل ثأركم حرزاً أصيلاً
فقد جَلَلْتَنَا حَدَثاً جليلاً
أما طردوا الذى قتل القتيلاً

فلما نفته^(٧) غطفان لحق بجاحب بن زرارة . فأجاره ووعدته أن يمنعه من بنى عامر .

(١) غ ، ت : فأضرب بالسيف يافوخ رأسه . وفى ص : نيط القلائد . والنوط : المعلق .

وصمم : مضى .

(٢) غ : ذى تبواته .

(٣) تمخخ أعظمي : بلغ منح عظامي .

(٤) أبأت القاتل بالقتيل : قتلته به .

(٥) غ : كشفت له .

(٦) التبول : جمع تبل ، وهو الثأر .

(٧) غ : منفته .

وبلغ بنى عامر مكانه في بنى تميم ، فساروا في عُلْيَا هوازِن . فلما كانوا قريبا من القوم في أول وادٍ من أوديتهم ، خرج رجل من غَنِيٍّ فإذا هو بامرأة من بنى تميم من بنى حَنْظَلَةَ تَجْنِي الكَمَاءَ . فسألها عن الخبر . فأخبرته بمكان الحارث بن ظالم عند حاجب بن زرارة وما وعده من نُصْرته ومَنَعه . فانطلق بها الغنوي إلى رَحْله . فانسَلَّتْ في وسط الليل . فأتى الغنوي الأحوص بن جعفر ، فأخبره أن المرأة قد ذهبت وقال : « هي مُنْذِرَةٌ عليك » . فقال له الأحوص : « ومتى عهدك بها ؟ » قال : « عهدى والمَسِينِيُّ يَقْطُرُ من فرجها » . قال : « وأبيك ، إن عهدك بها لقريب » . واتبع المرأة عامر بن مالك يَقْفُو أثرها حتى انتهى إلى بنى زُرارة ، والمرأة عند حاجب وهو يستخبرها ، وهي لا تستطيع أن تنطق . فقال بعضهم : « اسقوها ماء حارا فإن قلبها قد برد من الفَرْقِ ^(١) » . ففعلوا . وتركوها حتى اطمأنت ، وهو يقول : « أخبريني من أخذك ؟ » فقالت : « أخذني قوم يُقبِلون بوجوه الطِّبَاءِ وَيُدْبِرُونَ بأعجاز النساء » . قال : « أولئك بنو عامر . فخذيني ما سِيا القوم ^(٢) ؟ » قالت : « رأيتهم يَمْدُون على شيخ كبير لا ينظر بِمَأْقِيهِ ^(٣) حتى يرفعوا من حاجبيه ، عن أمره يَصْدُرُونَ » . قال : « ذلك الأَحْوَصُ بن جعفر » . قالت : « ورأيت شابا شديدا لَخْلَقَ كأن شمر ساعده حَلَقَ الدرع ، يَمْدِمُ ^(٤) القوم بلسانه عَدَمَ الفرس المَعْضُوزِ » . قال : « ذاك عُتْبَةُ بن بَشِيرِ بن خالد » . قالت : « ورأيت رجلا قَلِيلَ المَنْطِقِ ، إذا تكلم اجتمع القوم لمنطقه كما تجتمع الإبل لِفَحْلِهَا ، وهو من أحسن الناس وجها . ومعه ابنان له لا يُدْبِرُ أبدا ^(٥) إلا كانا معه يَتَّبِعَانِهِ ولا يُقبَلُ إلا كانا بين يديه » .

(١) الفرق : الخوف .

(٢) غ ، ت : فخذيني من في القوم .

(٣) مأق العين : طرفها ، مؤخرها أو مقدمها .

(٤) العدم : العض ، ويريد اللوم والتنظيف .

(٥) كذا في غ . وفي ص : لا يدبر أمرا ، والسياق بأباه .

قال: « ذلك مالك بن جعفر وابناه عامر وطُفَيْل ». قالت: « ورأيت رجلا أبيض
هَلْقَامَةً جَسِيمًا ». والهلْقَامَةُ: الأَفْوَهُ^(١). قال: « ذلك ربيعة بن عبد الله بن عبد
ابن كلاب^(٢). قالت: « ورأيت رجلا أَخْنَسَ^(٣) أسود قصيرا ، إذا تكلم عَدَمَ القوم
عَدَمَ الشَّمُوسِ^(٤) ». والمَعْدَمُ: العَضُّ على اللسان . قال: « ذلك ربيعة بن قُرْطُ
ابن عبد الله^(٥) بن أبي بكر بن كلاب ». قالت: « ورأيت رجلا صغير العينين ،
أَقْرَنَ الحَاجِبِينَ ، أَشْعَرَ السَّبَلَةِ^(٦) ، يَسِيلُ لَمَابَهُ على لَحْيَتِهِ إذا تكلم ». قال: « ذلك
حُنْدَجُ بن البَكَّارِ ». قالت: « ورأيت رجلا صغير العينين ، ضَيْقُ الجَبْهَةِ ، طَوِيلًا ،
يَقُودُ فَرَسًا لَهُ ، مَعَهُ جَفْرٌ^(٧) لا يَجَاوِزُ يَدَهُ ». قال: « ذلك ربيعة بن عَقَيْلِ ». .
قالت: « ورأيت رجلا آدَمَ^(٨) يَشْرَبُ القومِ إِلَيْهِ ، مَعَهُ ابْنَانُ لَهُ حَسَنًا الوَجْهَ
أَصْهَبَانِ^(٩) ، إِذَا أَقْبَلَا نَظَرَ القومِ إِلَيْهِمَا حَتَّى يَنْتَهِيَا ، وَإِذَا أَدْبَرَا نَظَرَ القومِ لَهَا ». .
قال: « ذلك عمرو بن خُوَيْلِدِ بن نُفَيْلِ بن عمرو بن كلاب^(١٠) ، وابناه يزيد وزُرْعَةُ ». .
قالت: « ورأيت فيهم رجلين أحمرين جسيمين ذوى غداثٍ لا يفترقان في ممشى
ولا مجلس ». قال: « هما خالد وخويلد ابنا نُفَيْلِ ». قالت: « ورأيت رجلا كَأَنَّ

(١) الأفوه: العظيم الفم .

(٢) غ وكامل ابن الأثير ١ : ٤١٦ . ربيعة بن عبد الله بن أبي بكر بن كلاب .

(٣) الأخنس: المتأخر الأنف عن الوجه مع ارتفاع قليل في الأرنبة .

(٤) غ: للنخوس .

(٥) غ: عبد .

(٦) السبلة: ما على الشارب من الشعر، أو طرفه ، أو مجتمع الشاربين ، أو ما على الذقن إلى

طرف اللحية كلها أو مقدمها خاصة .

(٧) غ والكامل: جعفر .

(٨) آدم: أسمر .

(٩) الصهبة: حمرة أو شقرة في الشعر .

(١٠) الكامل ١ : ٤١٧ : ذلك الصعق بن عمرو بن خويلد . .

شعر فخذيه حلق الدرع . قال : « ذلك شريح بن الأحوص » . قالت : « ورأيت رجلا أسمر طويلا يجول في القوم كأنه غريب » . قال : « ذلك عبد الله بن جمدة ابن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة » .

فدعا حاجب الحارث بن ظالم . فأخبره بخبر القوم وقال : « يا ابن ظالم ، هؤلاء بنو عامر قد أتوك ، فما أنت صانع ؟ » قال الحارث : « ذلك إليك : إن شئت أقت فقاتلت ، وإن شئت تَنَحَّيتُ » . قال حاجب : « تَنَحَّ غيرَ ملوم » . فغضب الحارث من ذلك وقال :

لعمري ، لقد جاورتُ في حَيِّ وائلٍ	ومن وائلٍ جاورتُ في حَيِّ تَغَلِبِ
فأصبحتُ في حَيِّ الأراقمِ لم يُقَلْ	لِي القومُ : يا حارِ بن ظالم ، اذهب
وقد كان ظنِّي إذ عدلتُ إليكم	بني عُدسٍ ظنِّي بأصحابِ يَثْرِبِ (١)
غداةَ أتاهمُ تبَعُ في جنوده	فلم يُسلِّموا المرثى من حَيِّ يَحْضَبِ (٢)
فإن تكُ في عليا هوازنَ شوكةُ	تُخافُ ففيمكم حَدُّ نابٍ ومُخَلَبِ
فإن يَمْنَعِ المرءُ الزُّراريُّ جارهُ	فما حاجبٌ من خِنْدِفٍ بِمُسَيْبِ (٣)
وإن يُسَلِّمِ المرءُ الزُّراريُّ جارهُ	فأعجِبْ بها من حاجبٍ ثم أعجِبْ
فغضب حاجب وقال :	

لعمري أبيتُ الخَيْرِ ، يا حارِ ، إنني	لَأَمْنَعُ جاراً من كُليبِ بن وائلِ
وقد علم الحَيُّ المَعْدِيُّ أننا	على ذلك كُنا في الخطوبِ الأوائلِ (٤)
وأنا إذا ما خاف جارٌ ظلامَةً	لِلسنا هـ ثوبنٍ وفاءً ونائلِ
وأن تَميماً لم تُحاربِ قبيلةً	من الناسِ إلا أولتُ بالكواهلِ

(١) غ : إذ عقلت إليكم . ت : إذ عقلت إليكم .

(٢) غ : يسلموا المرين . ت : يسلموا المرار .

(٣) كذا في ت . ووس : فلم يمنع ، تحريف

(٤) ت : المرء المعدي .

ولو حاربنا عامرُ يا ابنَ ظالمٍ لَمَضَتْ علينا عامرُ بالأناملِ
ولا ستيقنتُ عُياها هوازنَ أننا سنُوْطِئُها في دارها بالقتابلِ (١)
ولكنني لا أبعثُ الحربَ ظالما ولو هجَّتهمْ لم أئفَ طُعمَةَ آكلِ (٢)

فتنحى الحارث بن ظالم عن زرارة ولحق بعروض اليمامة . ودعا حاجب معبدا ولقيط ابن زرارة فقال : « سيرا في الظُّمن ، فوعدكمَا رَحْرَحان ، فإننا مُقيمون في حامية الخيل حتى يأتينا بنو عامر » . وخرج عامر بن مالك إلى قومه بالخبر . فقالوا : « ماترى ؟ » قال : « أرى أن ندعهم بمكانهم ونسبهم إلى الظمن » . قال : فلقوها برحرحان ، فاقتتلوا قتالا شديدا ، فأصابوها . وأسر معبد . وجرح لقيط . فبمشوا بمعبد إلى رجل بالطائف من أهلها ، وكان يُعذب الأسارى ، فقطعه إربا إربا حتى قتله . وخرج الحارث بن ظالم من فوره حتى أتى سلمى بنت ظالم ، وفي حجرها ابن النعمان . فقال لها : « لن يُبجبرني من النعمان إلا تحرُّمي بابنه ، فادفعيه إلي » .

وقد كان النعمان يمت إلى جاراتٍ للحارث بن ظالم فسباهن . فدعاه ذلك إلى قتل الغلام فقتله . فوثب النعمان على عم الحارث بن ظالم ، فقال له : « لأقتلنك أو لتأتيني بابن أخيك » . فاعتذر إليه نخلى عنه . فقال عم الحارث من أبيات :

يا حارٍ ، إنك أحيما من مُحَبَّاتٍ وأنت أجراً من ذى لِبْدَةٍ ضارى (٣)
وقد عدوت على النعمانِ ظالمه في قتلِ طفلٍ كمثلِ البدرِ معطارِ (٤)
فاعلم بأنك منه غيرُ مُنْهَلِ وقد عدوت على ضِرْغامَةِ ضارى (٥)

(١) بالقتابل : كذا في د ، ي ، ت ، أى الجماعات من الخيل والناس . وفي ص ، ب ، س :

القبائل .

(٢) غ ، ت : شعمة آكل .

(٣) د ، ي : إنك أحياء .

(٤) غ : فقد عدوت .

(٥) غ : ضرغامه شارى . والضرغامه : الأسد ، والرجل الشجاع .

فقال الحارث بن ظالم في ذلك^(١) :

قِفَا فَا سَمَّا أُخْبِرُ كَمَا إِذ سَأَلْتُمَا
مِحَارِبُ مَوْلَاهُ وَتَكْلَانُ نَادِمُ^(٢)
حَسِبْتَ أَبَا قَابُوسَ أَنْكَ ظَالِمِي
وَلَمَّا تَذُقْ فَتَكِي وَأَنْفُكَ رَاغِمُ^(٣)
أَخْصِي مِحَارِبَ بَاتِ يَكْدُمُ نَجْمَةٌ
أَتُوَكَّلُ جَارَاتِي وَجَارِكَ سَالِمُ^(٤)
تَمْنَيْتَ جَهْلًا عَلَى غَيْرِ رِيبةٍ
أَحَادِيثُ طَسْمٍ إِنَّمَا أَنْتَ حَالِمُ^(٥)
فَإِنَّ تَكَّ أَذْوَادًا أُصِبتَ وَنِسْوَةٌ
فَهَذَا ابْنُ سَلْمَى رَأْسُهُ مُتَفَاقِمُ^(٦)
عَلَوْتُ بِنْدَى الْحَيَاتِ مَفْرَقَ رَأْسِهِ
وَكَانَ سِلَاحِي تَجْتَوِيهِ الْجَلْجَامُ^(٧)

(١) اللبرد : الكامل ٦١٣ . شرح ابن الأنباري للمفضليات ٦١٥ . ابن الأثير : الكامل ٤١٨ : ١ . العقد الفريد ٥ : ١٤٨ .

(٢) تكلان نادم : يعني الأسود لأن ابنه شرحبيل قد قتل . محارب موله : الحارث نفسه . موله : سنات (الأغاني) .

(٣) غ مرة : أنك سابقى ، وأخرى أنك فائت . المفضليات : أنك سالم . ابن الأثير : أنك مخفري غ مرة وابن الأثير : ولما تذوق تكلان . المفضليات : ولما نصب ذلا . وشك الأصمعي في هذا البيت لأنه ذهب إلى أن المقتول ابن عمرو بن الحارث ، جد النعمان الذي كان يكنى أبا قابوس .

(٤) المفضليات : أتأكل . يكدم : يعض بأذن الفم . والنجم من النبات : مالا ساق له ، ومن الشجر : ماله ساق طال أو قصر .

(٥) د ، ي : تمنيت جهورا . وطسم : لإحدى قبائل العرب البائدة ، وأحاديث طسم : مثل يقال لئلا أصل له .

(٦) ب ، س : فإن تك أذواد أصبن ونسوة . شرح المفضليات : فإن تك أذواد أصبن وصيبة ت : ذودا قد أصبت . غ مرة ، ت : أمره متفاقم . والدود : القطيع من الإبل اختلف في عدده ، ولا يكون إلا من الإناث .

(٧) شرح المفضليات والعقد :

علوت بندى الحيات مفرق رأسه وهل يركب المسكروه إلا الأكارم

ذو الحيات : اسم سيفه ، إذ كان محلى بصور حيات . وتجتويه : لا يوافقها .

فتكتُ به فتكا كفتكى بخالدٍ وهل يركب المكروه إلا الأكارم (١)
 بدأتُ بهندي ثم أنسني بمثلها وثالثة تبيضُ منها القادم (٢)
 شفيتُ غليلَ الصدرِ منه بضربةٍ كذلك يَأبَى الغُضْبونَ القمام (٣)

فلما سمع النعمان بهذه الأبيات قال : « ما يعنى بثالثة غيرى » . وقال سنان بن أبي حارثة المري ، وهو يومئذ رأس غطفان : « أبيت اللعن ، والله ما ذمة الحارث لنا بذمة ، وما جاره لنا بجار . ولو أمنته ما أمناه » . فبلغ الحارث بن ظالم قول سنان . فقال في ذلك من أبيات :

ألا أبلغِ النعمانَ عنى رسالةً فكيف تخطأ في الأمور الأعظام (٤)
 وأنت طويلُ البنى أبلغُ معورٍ فزوعٌ إذا ما خيفَ إحدى العظام (٥)
 فاغره - والمرء يدرك وتره - بأروع ماضى لهم من آل ظالم
 منها :

تمنى سنانُ ضلّةً أن يُخيفنى ويأمنَ ، ما هذا بفعل المسالم
 تمنيت جهلا أن تضيع ظلامتى كذبت ورب الرافصات الرّواسم (٦)

(١) غ مرة وابن الأثير :

ولا يركب المكروه إلا الأكارم

فتكت به كما فتكت بخالد

وشرح الفضليات والعقد :

وكان سلاحى تجتوبه الجاحم

فتكت به كما فتكت بخالد

(٢) غ مرة : بدأت بتلك وانثيت بهذه شرح الفضليات : ثم أنى بمثلها . العقد : بدأت

بتلك وانثيت بهذه

بتلك وانثيت بهذه .

(٣) ب ، س : شفيت عليك . والقمام : جمع قمام ، وهو السيد الكثير الخير .

(٤) غ : فكيف بخطاب الخطوب . وتخطأ : مخففة من تخطأ ، أى أخطأ .

(٥) أبلغ : كذا فى د ، ي ، أى متكبر جرىء . وف ب ، س : أبلغ ، وهو مدح لا ذم

وفى ص بدون نقط . والمعور . قبيح السريرة أو المرئى .

(٦) غ : تمنيت جهدا . ورقص الإبل : ضرب من سيرها السريع ، وكذلك الرسم .

يَمِينُ امْرِئٍ لَمْ يَرْضَعْ اللُّؤْمُ نَدِيَهُ وَلَمْ تَتَكَنَّفْهُ عَرُوقُ الْأَلَامِ
فَأَمَنَهُ النَّمْعَانُ وَأَقَامَ حِينَا .

ثم إن مصدقاً^(١) للنعمان أخذ إبلا لامرأة من بني مرة يقال لها دَهَبٌ^(٢) . فأتت الحارث
فعلقت دلوها بدلوه ، ومعها بُنْيَ لها . فقالت : « أبا ليلي ، إني أتيتك مُضَامَةً »^(٣) .
فقال الحارث : « إذا أورد القوم النَّعْمَ فننادي بأعلى صوتك :

دَعَوْتُ بِاللَّهِ وَلَمْ تُرَاعِي ذَلِكَ دَاعِيكَ فَنِعْمَ الدَّاعِي^(٤)

وتلك ذؤودُ الحارث الكساعي يمشي لها بصارمٍ قَطَّاعٍ^(٥)

* يَشْفُقُ بِهِ بِجَمَاعِ الصَّدَاعِ^(٦) *

وخرج الحارث في أثرها وهو يقول :

أنا أبو ليلي وسيف المَلُوبِ كَمِ قَدَأْ جَرْنَا مِنْ حَرِيبٍ مَحْرُوبٍ^(٧)

وكم رددنا من سَلِيبٍ مَسْلُوبٍ وَطَعْنَةٍ طَمِئْتَهَا بِالْمَصْبُوبِ^(٨)

* ذَاكَ جَهِيْزُ الْمَوْتِ عِنْدَ الْمَكْرُوبِ *

ثم قال لها : « لَا تَرِدَنَّ عَلَيْكَ نَاقَةٌ وَلَا بِعِيرَ تَعْرِفِينَهُ إِلَّا أَخَذْتَهُ » . ففعلت .

(١) المصدق : جامع الصدقات والزكاة .

(٢) غ وشرح الفضليات ٦١٥ ، وخزانة الأدب ٣ : ١٨٥ : ديهت ت : ذاهب .

(٣) غ ، ت : مضافة .

(٤) د ، ي ، ت ، غ مرة : ذلك راعيك فنعم الراعي . وكامل ابن الأثير ١ : ١٩ : فادعي

أبا ليلي فنعم الداعي .

(٥) غ ، ت : الكساع . والكسع : الضرب على الدبر . غ مرة : منطلقا بصارم قطع .

والسكامل : يمشي بعضب صارم قطع .

(٦) الكامل : يفرى به بجامع الصداع .

(٧) الملوب : كذا في غ ، ت ، والخزانة ، وهو اسم سيفه . وفي ص : الملوب ، سبق قلم

من الشطر الآتي . والحريب : السلوب .

(٨) غ ، ت : بالمنسوب . ت : بالمنسوب .

فَأَتَتْ عَلَى لَقُوحٍ لَهَا يَحِبُّهَا حَبَشَى فَقَالَتْ : « يَا أَبَا لَيْلَى ، هَذِهِ لِي » . فَقَالَ الْحَبَشِيُّ :
« كَذَبْتَ » . فَقَالَ الْحَارِثُ : « أَرْسَلَهَا ، لَا أُمَّ لَكَ ! » فَضَرَطَ الْحَبَشِيُّ فَقَالَ الْحَارِثُ
« اسْتِ الْحَالِبِ أَعْلَمُ » . فَصَارَتْ مِثْلًا (١) .

ثم إن الحارث لحق ببلاد قومه مختمياً . وكانت أخته سلمى بنت ظالم عند سنان
ابن أبي حارثة المرسي . فدفع الأسود إليها ابنه شريحيل بن الأسود تكفله . وكانت
سلمى بنت كثير بن ربيعة من بني غنم بن دودان امرأة سنان ترضعه ، وهي أم هريم ،
ممن كان غنيا يقدر على ما يعطى سائليه . فجاء الحارث - وقد كان اندس في بلاد غطفان -
فاستعمار سرج سنان ، ولا يعلم سنان ، وهم نزول بالشرابة . فأتى به سلمى فقال :
« يقول لك بعلك : ابعتي وابن الملك مع الحارث حتى أستأمن له منه ويتخفف به . وهذا
سرجه آية لك » . فزيتته ثم دفعته إلى الحارث بن ظالم . فأتى بالغلام ناحية من الشرابة
فقتله . ثم أنشأ يقول :

قفا فاسمما أخبر كما إن سألتما محارب مولاه وشكلان نادم (١)

شكلان : يعني الأسود لأنه قتل ابنه شريحيل . محارب يعني الحارث نفسه .
مولاه : يعني سنانا . وبقية الأبيات قد ذكرت متقدما . ثم هرب الحارث . ففزا
الأسود بنى ذبيان ؛ إذ تقصوا المهدي بنى أسد بشط أريك . وها أريكان : الأسود
والأبيض ، لم يعرف بأيهما كانت الوقعة . ويقال : إن سلمى امرأة سنان التي أخذ
الحارث شريحيل من عندها من بنى أسد ففزا الأسود بنى أسد لدفع سلمى الأسدية
ابنه إلى الحارث . فقتل فيهم قتلا ذريعا ، وسبي ، واستحف أموالهم (٢) .

(١) غ : فسارت مثلا ، وهو التعبير المشهور .

(٢) غ : إذ سألتما .

(٣) استحف أموالهم : أخذها بأسرها . وق غ : استاق .

وفي ذلك يقول أعشى بن قيس بن ثعلبة يمدح الأسود^(١) :

وشيوخٍ صرعى بشطِّ أريك ونساء كأنهنَّ السَّعالى^(٢)
من نواصي دودان إذ تقضوا العم مدَّ وذُبيانَ والهجانِ الغوالى^(٣)
رب رَفَدٍ هَرَفْتَهُ ذلِكَ اليو مَ وأسرى من معشرِ أقبال^(٤)
هؤلاء ثم هؤلاء كُلاًَّ أعطيه تَ نعالا مَخْدُوءَةً بِمثال^(٥)
فأرى مَنْ عَصَاكَ أصبح مخدو لا وَكَمَبُ الذى يُعطيكِ عالى^(٦)

ووجدت نعالا شرحبيل عند أضاخ وهى من الشرَّبة ، فى بنى مُحارب بن خَصَفَة ابن قيس عَمِلان فأحمى لهم الأسود الصفا بصحراء أضاخ وقال لهم « إني أخذيتكم نعالا » . فأمشاهم على ذلك الصفا المحمى . فتساقط لحم أقدامهم .

فلما كان الإسلام ، قتل جَوْشَن الكِنْدى رجلا من بنى محارب . فأقيد به جوشن بالمدينة^(٧) . وكان الكندى من رهط عباس بن زيد^(٨) الكندى . فهجا بنى محارب فمَيَّرَهم بتحريق الأسود أقدامهم فقال :

على عهدِ كِسرى نَعَلتكم ملوكنا صفاً من أضاخِ حاميا يقَلِّبُ
وصار ذلك مثلاً يتوعد به الشعراء من هَجَّوا ، ويحدِّثونهم مثل ذلك .

(١) ديوان الأعشى الكبير (المطبعة النموذجية) ١٣ . خزانة الأدب ٤ : ١٨٣ .

(٢) الديوان : وشيوخ حربى بشطى . والسعالى : جمع سعالاة ، وهى الغول أو ساحرة الجن .

(٣) الديوان : لإذ كرهوا البأس .

(٤) غ والخزانة والديوان : أقتال . والرَفَد : القدرح الكبير . والعرب تقول : هريق رَفَد فلان ، أى قتل ، فالعنى رب قتلى قتلتهم ، وقيل : المعنى : رب رجل له لابل يجلبها فغنمتهما فذهب ما

كان يجلبه فى الرَفَد . وأقوال : جمع قيل ، وهو الملك ، أو الملك من حبر خاصة .

(٥) غ والخزانة : كلا أخذيت .

(٦) غ والخزانة : وأرى .

(٧) كذا فى غ . وفى ص : فأقبل به جوشن لى المدينة ، تحريف .

(٨) غ : يزيد .

ومن ذلك أن ابن عباد السكلابي^(١) ورد على بني النوس^(٢) من جديلة طييء .
فسرقوا سهامها له . فقال يحذرهم :

بني النوس ، رُدُّوا أسهُمِي ، إن أسهُمِي كنعلٍ شُرْحَبِيلَ التي في محاربٍ
وقال في الجاهلية ابن أم كهف الطائي في مدحه للمالك بن حمار الشمخي ، فذكر
نعل الحارث فقال :

ومولاك الذي قتل ابن سلمي عَلايَةَ شُرْحَبِيلَ بنِ نَعْلٍ

لأنه لولا النعل لم يُعرف ، وإنما عرف بما^(٣) صنع أبوه ببني محارب .

قال أبو عبيدة : أخذ الأسود سنان بن أبي حارثة . فأتاه الحارث بن سفيان ،
أخو سيار بن عمرو بن جابر الفزاري لأمه . فاعتذر إلى الأسود أن يكون سنان بن
أبي حارثة عَلم ذلك أو اطلع عليه . ولقد كان أطرد الحارث من بلاد غطفان وقال :
« إن دية ابنك ألفُ بعيرٍ دية الملوك » . فحملها إياه وحلّى عن سنان ، فأدى إلى
الأسود منها ثمان مائة بعير ثم مات . فقام سيار بن عمرو أخوه لأمه فيما بقي مقام الحارث
ابن سفيان . فلم يرض به الأسود . فرهنه سيار قوسه . فأدى البقية . فلما مدح قراد
ابن حنّس الصارديّ بني فزارة ، جعل الجمالة كلها ليسار بن عمرو فقال^(٤) :

ونحن رهنا القوس ثمت فوديتُ بألفٍ على ظهر الفزاريّ أقرعاً^(٥)

بمشرٍ دياتٍ للملوكِ سعى بها ليوفي سيارُ بن عمرو فأسرعاً^(٦)

(١) وكذا في الخزانة ٤ : ١٨٣ . وفي غ : ابن عتاب السكلابي .

(٢) الخزانة : البوس ، ولم يعثر الباحثون على الاسمين بين القبائل العربية ، وفي جديلة بنو

الأوس ، فلعلهم المرادون .

(٣) كذا في غ . وفي ص : ما .

(٤) الخطيب : خزانة الأدب ٣ : ٣٠٤ . العقد الفريد ٥ : ١٤٩ .

(٥) ألف أقرع : تام العدد .

(٦) د ، ي ، والخزانة : بعشر مئين . العقد : بعشر مئين للملوك وفي بها . . . ليحمد . . .

رَمَيْنا صَغاهُ بِالْمِثِينِ فَأَصْبَحَتْ ثَنائاهُ لِلساعينِ فِي المجدِ مَهيمًا (١)
ويقال : قالها ربيع بن قعنّب ، فرد عليه قراد قوله فقال :

ما كان ثعلبُ ذى عاجٍ لِيَجْمِلَها ولا الفزاريُّ جوفانُ بنِ جوفانا (٢)

لكن تَضَمَّنْها أَلْفا فأخرجها على تكاليفها حارُّ بنِ سُفْيانا (٣)

وقال عوف القوافي بن عُقبة بن عُيَينة بن حِصْن بن حُدَيفة بن بدر في الإسلام ،

يفخر على [أبي] منظور الوبري (٤) حين هاجاه أحد بني وبر بن كلاب :

فهل وجدتم حاملا كحاملِي إِذ رَهَنَ القوسَ بِألفِ كاملِ (٥)

بذية ابن الملك الحلالِ فافتكها من فتكِ عامِ قابلِ (٦)

سَيَّارُ الموفِي بها ذو النائلِ

ولما قتل الحارث شريحيل بن الأسود لحق ببني دارم . فليجأ إلى بني ضمرة بن ضمرة

وبنو عبد الله بن دارم يقولون : بل جاور مَعْبَد بن زُرارة . فأجاره . فَجَرَّ جوارُه

يومَ رَحْرَحان ويومِ جَبَلَة . وطلبه الأسود بن المنذر بِحُفْرَتِه . فلما بلغه نزوله ببني دارم

أرسل فيه أن يُسلموه . فأبوا . فقال الأسود يَمَنُّ على بني قَطَن بن نَهْشَل بن دارم

بما كان من النعمان بن المنذر في أمرِ بني رَشِيمة - وهي رُمَيْلة - حين طلبهم من

بني لَقِيْط (٧) بن زُرارة حتى استنقذهم . قال : ورشية أمة كانت لزُرارة بن عدُس

(١) الثنايا : جمع ثنية ، وهى طريق العقبة . والمهيم : الطريق الواسع الواضح . يريد أننا

حملناه من التكاليف ما حملناه فاحتملها ، حتى أصبحت سبيله سبيلا لمبتغى المجد .

(٢) غ : بن جوفان ، والروى في البيتين مكسور . والجوفان : أير الحمار .

(٣) يريد حارث بن سفیان ، فرجه ، وذلك في غير النداء قليل .

(٤) كذا في غ . وفي س : منظور الوزيري ، وفوقها : الوترى .

(٥) العقد الفريد ٥ ١٤٩ : وهل وجدتم .

(٦) غ والمقد : من قبل عام . والحلال : السيد الشجاع أو المضمخ الكثير الروة .

(٧) غ : طلبهم من لقيط .

ابن يزيد الجاشمي^(١) ، فوطئها رجل من بني نهشل فأولدها . وكان زرارة يأتي بني نهشل يطلب الغلظة التي ولدت . وولدت الأشهب بن زميلة وغيره . وكانوا يُسمعونه ما يكره فيرجع إلى ولده فيقول . « أسمى بنو عمي خيراً^(٢) » ، وقالوا : سنبعث بهم إليك عاجلاً . حتى مات زرارة وقام ابنه لقيط بأمرهم . فلما أتاهم ، أسمعوه ما كره . ووقع بينهم شر . فذهب النهشلي إلى الملك فقال : « آيبت اللعن ! لا تصلني وتصل قومي بأفضل من طلبتكَ إلى لقيط الغلظة ليكف عني » . فدعاه فشرب معه . ثم استوهمهم منه فوهبهم له . فقال الأسود بن النذر في ذلك :

كأَيُّنَ لَنَا مِنْ نِعْمَةٍ فِي رِقَابِكُمْ بِنِي قَطَنٍ فَضْلاً عَلَيْكُمْ وَأَنْعُمَا
وَكَمْ مِنَّةً كَانَتْ لَنَا فِي بِيوتِكُمْ وَقَتْلَ كَرِيمٍ لَمْ تَعُدُّوه مَغْرَمَا
فَأَنْكُمْ لَا تَمْنَعُونَ ابْنَ ظَالِمٍ وَلَمْ يُمَسَّ بِالْأَيْدِي الْوَشِيحِ الْمُقَوَّمَا^(٣)
فَأَجَابَهُ ضَمْرَةَ بِنِ ضَمْرَةَ :

سَنَمْنَعُ جَاراً عَائِداً فِي بِيوتِكُمْ بِأَسِيافِنَا حَتَّى يَأْوُوبَ مُسَلِّمًا^(٤)
إِذَا مَا دَعَوْنَا دَارِمًا حَالَ دُونَهُ عَوَاسٍ يُعْلِكُنَ الشَّكِيمَ الْمُعْجَمًا^(٥)
وَلَوْ كُنْتَ حَرَبًا مَا وُرِدَتْ طُوَيْلِمَا وَلَا حَوْفُهُ إِلَّا خَمِيسًا عَرَمَرَمًا^(٦)

(١) ذكر أبو الفرج في ترجمة الأشهب بن زميلة (٩: ٢٦٩) أنها كانت لخالد بن مالك بن زريق .

(٢) كذا في غ . وفي ص : أسمى بنو عمي خيراً .

(٣) الوشيح : شجر الرماح . والمقوم : الذي أزيل عوجه .

(٤) بأسيافنا : كذا في غ . وفي ص : بأسيافكم . ورجح محققو «د» أن تكون : بيوتكم ،

محرقة عن : بيوتنا . ويؤوب : يعود .

(٥) علك : لأك وحرك في فه . الشكيم : الحديدية المعترضة في القم من اللجام . والمعجم :

المعوض .

(٦) كذا في د ، ي عن معجم البلدان لياقوت (طويلع) واللسان (حوف) . وفي ص :

ولو كنت حزا .. ولا حومه ، تحريف . وفي معجم البلدان : ما بلغت طويلمَا . وفي اللسان : ماطلعت

طويلمَا . وحوف الوادي : حرفه وناحيته ، وفي اللسان أن البيت يروى : جوفه ، وجوه أيضا .

والخميس : الجيش . والعرمم الكثير .

تركتَ بنى ماء السماءَ وفعلهم وأشبهتَ تيساً بالحجازِ مُزَنماً^(١)
ولن أذكرُ النعمانَ إلا بصالحٍ فإن له فضلاً علينا وأنعماً^(٢)
وبلغ ذلك بنى عامر ، فخرج الأحوص غازياً لبنى دارم ، طالباً بدم أخيه خالد
ابن جعفر ، حين انطووا على الحارث وأقاموا دونه . ففزاهم فالتفتوا برحرحان . فهزمت
بنو دارم . وأمر معبد بن زرارة ، فانطلقوا به ، ومات في أيديهم . ثم أسر بنو هزّان
الحارث بن ظالم .

قال أبو عبيدة : إن الحارث - لما قتل خالد بن جعفر - خرج هارباً حتى أتى صديقاً
له في كِنْدَةَ يَحْمِلُ شُعْبَى^(٣) : فلما زاد الأسود في طلب الحارث ، قال له الكندي :
« ما أرى لك نجاةً إلا أن ألحقك بحضرموت بلاد اليمن ، فلا يوصل إليك » . فسار
معه يوماً وليلة . فلما غرّبه^(٤) قال له : « إني أقطع ببلاد اليمن فأغترب بها . وقد
برئت منك خفارتى » . فرجع حتى أتى أرض بكر بن وائل فلجأ إلى بنى عجل بن
الجهم . فنزل على زبّان^(٥) فأجاره و ضرب عليه قبة . وفي ذلك يقول العجلى :

ونحن ممنعا بالرماحِ ابنِ ظالمٍ وظلّ يُغنىّ آمِننا في خِبائِننا^(٦)
فجأته بنو ذهل بن ثعلبة وبنو عمرو بن شيبان فقالوا : « أخرج هذا المشثوم من
بين أظهرنا ، لا يعرُّنا بشر ، فإننا لا طاقة لنا بمن يطلبه » فأبى إلا أن يُجيره . فقاتلهم
فامتنعت بنو عجل . فقال لهم الحارث : « إني قد شهِرَ أمرى فيكم ومكاني ، وأنا راحل
عنكم » . فرحل فلحق بطي . وقال الحارث في ذلك :

(١) المزم : ماله هنة معلقة في حلقة تحت لحيته ، وخص بعضهم به العنز . وهو أيضاً ما تقطع
أذنه وتترك له زنمة .

(٢) اللسان (زم) : فإن له عندى يدياً وأنعماً .

(٣) كذا في غ . وفي ص : بجبل شعناء ، تحريف .

(٤) كذا في غ . وفي ص : فلما أصر به البلاد ، وهى غير واضحة .

(٥) المقدم ٥ : ١٤٧ : زياد .

(٦) د ، ي : فضل .

لَعَمْرِي ، لَقَدْ حَلَّتْ بِي الْيَوْمَ نَاقَتِي إِلَى نَاصِرٍ مِنْ طَيْبٍ غَيْرِ خَاذِلٍ
فَأَصْبَحْتُ جَاراً لِلْمَجْرَةِ مِنْهُمْ عَلَى بَاذِخٍ يعلو على الْمُتَطَوِّلِ (١)
وكان سبب أسر بني هِزَانَ للحارث بن ظالم أنه خرج يطوف في البلاد حتى سقط
في ناحية من بلاد ربيعة . ووضع سلاحه وهو في فَلَاةٍ ليس بها أثر ونام . فتر به نفر
من بني قيس بن ثعلبة ، ومعهم قوم من بني هِزَانَ من عَزَزَةَ ، وهو نائم . فأخذوا فرسه
وسلاحه ثم أوثقوه فانتبه وقد شدوه فلا يملك من نفسه شيئاً . فسأله : « من
أنت ؟ » فلم يجبرهم من هو ، وطوى عنهم خبره فضربوه حتى كادوا يقتلونه على أن
يجبرهم فلم يفعل .

فاستراه الفيسيون من الهِزَانِيِّينَ بَرِيقٍ من خمر وشاة وانطلقوا به . ويقال :
اشتراه رجل من بني سعد بإغلاق بَكْرَةَ وَعَمِيَةَ (٢) وعشرين من الشاة . فلما
انطلقوا به قالوا : « من أنت ! وما حالك ؟ » فلم يجبرهم . فضربوه ليموت فأبى .
فبينما هو على تلك الحال ، وهو قريب من اليمامة ، وهم يضربونه مرة ويهددونه
أخرى ، مآؤه ، وتركوه في قِدَّةٍ ولهوا عنه . فلم يزل يحتمل ويبول على قدمه حتى
أفلت . وتوجه إلى اليمامة فلقى غِلْمَةً يلمبون . فنظر إلى غلام هو أَخِيْلُهُم للخير عنده .
فقال له : « من أنت ؟ » فقال : « بُجَيْرُ بنِ أَبَجَرَ العِجْلِي » . وله ذُوَابَةٌ يومئذ .
وأمه امرأة قِتَادَةَ (٣) بنِ مَسْلَمَةَ الحَنْفِي . فأتاه وأخذ بحَقْوِيهِ (٤) فآثرمه ، وقال :
« أنا جار لك » . فأتى الغلام أباه فأخبره فأجاره . وقيل : إنه - لما أفلت وأتى
اليمامة - اتبعه بنو قيس حتى انتهى إلى نادي بني حنيفة ، وفيهم قتادة بن مسleme .

(١) العقد ٥ : ١٤٧ : للمجرة فيهم .

(٢) إغلاق الرهن : لإجابه للمرتهن إذا لم يفك . والمراد هنا إعطاء من باعه بكرة وعشرين

شاة . والعيبة : ما يجعل فيه الثياب . وهي غير موجودة في غ .

(٣) كذا في غ . وفي ص : أم قتادة . وذكر أبو الفرج بعد أن قتادة عم ذلك الصبي .

(٤) الحقو : الحصر .

فلما رآه يهوى نحوهم قال : « إن هذا لخائف » . وبَصُرَ بالقوم خلفه فصاح به : « الحِصْنُ الحِصْنُ ! » فوج الحِصْنُ . وحال بينه وبين بني قيس ، وقال : « لو أخذتموه قبل دخول الحصن سلمته إليكم . وأما إذ تحرّم بي فلا سبيل إليه » . فقالوا له : « أسيرنا اشتريناه بأموالنا ، وما هو لك بجار ولا تعرفه . وإنما أتاك هاربا من أيدينا ، ونحن قومك وجيرتك » . قال : « أما أن أسلمه فلا يكون ذلك أبدا . ولكن اختاروا مني : إما أن تنظروا ما اشتريتموه به تُخذوه مني ، وإما أن أعطيته سلاحا كاملا وأحملة على فرس ، وتدعوه حتى يقطع الوادي ثم دُونَكُمْوه » . قالوا : « قد رضينا » . فقال للحارث ذلك فقال : « نعم » . فألبسه سلاحا كاملا وحمله على فرس ، وقال له : « إن أفلتتهم فرُدَّ الفرس والسلاح »^(١) . فخرج وتركوه حتى جاز الوادي ثم اتبعوه ليأخذوه . فلم يزل يقاتلهم ويطاردهم حتى ورد بلاد بني قشير ، وهي قريب من اليمامة ، بينهما أقل من يوم . فبيئسوا منه ورجعوا عنه . وعرفه بنو قشير فانطوا عليه وأكرموه . ورد على قتادة بن مسامة فرسه وسلاحه . وأرسل إليه بمائة من الإبل مع ذلك ، لا أدرى أعطاه إياها بنو قشير من أموالهم ليكافيء بها قتادة أم كانت له .

ولما كانت هزيمة يوم رَحْرَحان ، مر الحارث برجل من بني أسد بن خزيمة . فقال : « يا حارِ . إنك رجل مشثوم ، وقد فعلت ما فعلت . فانظر إذا كنت بمكان كذا وكذا من بُرُقة رحرحان . فإن لي به جملا أحمر فلا تمرّض له » . وإنما يمرض لديه ويكره أن يصرّح ، فيبلغ الأسود فيأخذه . فلما كان الحارث بذلك المكان ، أخذ الجمال فنجبا عليه ، وإذا هو لا يسائر من أمامه ولا يسبق من ورائه . فبلغ ذلك الأسود ، فأخذ الأسود الأسديّ وناسا من قومه وبلغ ذلك الحارث بن ظالم ، فقال كأنه يهجوهم لثلاثتهم الأسود :

(١) غ : فرد الفرس والسلاح لك .

أراني الله بالنعم المندى
ببرقة رحرحان وقد أراي (١)
بحي الأنكدين وحي عيس
وحي نعامة وبنى عُدان (٢)
فلما بلغ قوله الأسود ، خلى عنهم .

ولحق الحارث واتمى إلى قريش فذلك قوله (٣) :

وما قومي بتملبة بن سعد
ولا بقرارة الشمر الرقابا (٤)
وقومي - إن سألت - بنو لؤي
بمكة علموا مضر الضرابا (٥)
فزوده راحة الجمحي وحمله على ناقة . فذلك قوله :

وهش راحة الجمحي رحلي
بناجية ولم يطلب ثوابا (٦)

ولحق الحارث بالشام بملك من ملوك غسان يقال له النعمان ، ويقال : بل هو يزيد
ابن عمرو الفسائي ، فأجاره . وكان للملك ناقة مُحَمَّاة في عنقها مُدْيَةٌ وزناد وصرّة فيها
ملاح ، وهو يختبر رعيته هل يجترى عليه منهم أحد . ومع الحارث امرأتان ، فوَحمت
إحدى امرأتيه . وأصابت الناس سنة شديدة ، فطلبت الشحم . فقال : « وَيَحْك ،
أني لي بالشحم والودك ا » فألحت عليه . فعمد إلى الناقة فأدخلها بطن واد فنحرها
وأخذ سنماها فأكلت المرأة ورفعت ما بقي من الشحم في عكمها . وفقدت الناقة

(١) أوردت الخزانة ١ : ٢٣٦ هذا البيت في شعر منسوب لمالك بن نورة . وفي ب :
المبدى . وتندية الإبل : أن يوردها الرجل الماء حتى تشرب قليلا ثم يأتي بها المرعى ساعة ثم يردّها
إلى الماء .

(٢) غ : لحي .

(٣) العيني : المقاصد النحوية ٣ : ٦٠٩ . شرح ابن الأنباري للمفضليات ٦١٧ .

(٤) غ مرة ، والعيني ، والمفضليات : فا قومي . والشعر : جمع أشعر ، وهو كثير شعر الجسد
والمفضليات : الشعرى رقابا .

(٥) شرح المفضليات : علموا الناس الضرابا .

(٦) الناجية : الناقة السريعة تنجو براكبها . وفي شرح المفضليات :

وحسن راحة القرشي رحلي بناقتنه ولم ينظر ثوابا

وطلبت ، فوُجِدَتْ نَحِيرًا لَمْ يَأْخُذْ مِنْهَا غَيْرَ السَّنَامِ . فَأَعْلَمُوا الْمَلِكَ بِذَلِكَ . وَخَفِيَ عَلَيْهِمْ مَنْ فَعَلَهُ . فَأُرْسِلَ إِلَى الْخُمْسِ ^(١) التَّمَلَّسِي الْكَاهِنِ ، فَقَالَ : « مِنْ نَحْرِ النَّاقَةِ ؟ » فَذَكَرَ أَنَّ الْحَارِثَ نَحَرَهَا . فَتَدَمَّهَ الْمَلِكُ وَكَذَّبَ ذَلِكَ . فَقَالَ : « إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَعْلَمَ عِلْمَ ذَلِكَ فَدُسِّ امْرَأَةٌ تَطْلُبُ مِنْ امْرَأَتِهِ شَحْمًا » . ففعل . فدخل الحارث وقد أخرجت امرأته شحما إلى المرأة . فأخذ المرأة فقتلها ودفنها في بيته . فلما فُتِدَتِ الرَّأَةُ أَيْضًا ، قَالَ الْخُمْسُ : « غَالَهَا مَا غَالَ النَّاقَةُ . فَإِنْ كَرِهَ الْمَلِكُ أَنْ يَفْتَشَّهُ عَنْ ذَلِكَ فَلْيَأْمُرْهُ بِالرَّحِيلِ وَيُبْحَثْ بَيْتَهُ » . ففعل فاستنثار الخمس مكان بيته ، فوثب عليه الحارث فقتله . فأخذ الحارث وحُبِسَ وأمر بقتله . فقال له : « إِنَّكَ قَدْ أَجْرْتَنِي فَلَا تَغْدِرْ بِي » . فقال : « لَا ضَيْرَ إِنْ غَدَرْتُ بِكَ مَرَّةً ، فَقَدْ غَدَرْتُ بِمَرَارَا » . وَأَمَرَ مَالِكُ بْنُ الْخُمْسِ أَنْ يَقْتُلَهُ بِأَبِيهِ . فَقَالَ لَهُ : « يَا ابْنَ شَرِّ الْأَطْمَاءِ ، أَتَقْتُلُنِي ؟ » فَقَالَ : « نَعَمْ ، يَا ابْنَ شَرِّ الْأَسْمَاءِ . فقتله .

قال : وأخذ ابن الخمس سيف الحارث . فأتى به سوق عكاظ ليبيعه . فجعل يعرضه على البيع ويقول : « هذا سيف الحارث بن ظالم » . فاستراه ^(٢) إياه قيس بن زهير ابن جذيمة فأراه إياه . فعلاه به في الحرم فقتله في الحرم . فقال قيس يرثي الحارث بن ظالم :
فَمَا قَصَرْتُ مِنْ حَاضِنِ سِتْرِ بَيْتِهَا أَبْرًا وَأَوْقَى مِنْكَ حَارِ بْنِ ظَالِمِ ^(٣)
أَعَزَّ وَأَحْمَى عِنْدَ جَارٍ وَذِمَّةٍ وَأَضْرَبَ فِي كَابٍ مِنَ النَّقْعِ قَاتِمِ
ويقال : إن النعمان بن المنذر هو الذي قتله .

ولما بلغ عمرو بن الإطنابة الخزرجي ملك الحجاز أن الحارث بن ظالم قتل خالد ابن جعفر - وكان خالد مضافيا له - غضب لذلك غضبا شديدا وقال : « والله ، لو لقيت

(١) كذا في غ والعقد ٥ : ١٥٠ وانظر ما بعد . وفي ص : ابن الخمس .

(٢) استراه : طلب أن يريه إياه .

(٣) قصر الستر : أرخاه . العقد ٥ : ١٥٠ : وما قصرت .

الحارث خالدا وهو يَقْظَان لَمَّا نَظَرَ إِلَيْهِ ، وَلَكِنَّهُ قَتَلَهُ نَائِمًا . وَلَوْ أَنَّنِي لَقَدْ عَرَفَ قَدْرَهُ . « فَبَلَغَ ذَلِكَ الْحَارِثَ [فَغَضِبَ] غَضَبًا شَدِيدًا وَقَالَ : « وَاللَّهِ ، لَا تَدِينَهُ » . فَبَلَغَ ذَلِكَ عَمْرُو بْنُ الْإِطْنَابَةِ . فَدَعَا بِشِرَابِهِ ، وَوَضَعَ التَّاجَ عَلَى رَأْسِهِ ، وَدَعَا بِقِيَامَتِهِ فَغَنَيْنَ لَهُ :

عَلَّلَانِي وَعَدَّلَا صَاحِبِيَا	وَاسْقِيَانِي مِنَ الْمُرُوقِ رِيَا
إِنَّ فِينَا الْقِيَانَ يَمْرُوقِنَ بِالذُّ	فَ لَفْتِيَانِنَا وَعَيْشَا رَخِيَا
يَتْبَارِينِ فِي النِّعَمِ وَيَصْبُؤُ	نَ خِلَالَ الْقُرُونِ مِسْكَ ذَكِيَا ^(١)
إِنَّمَا كَهْمُهُنَّ أَنْ يَتَحَلِّيْنَ	نَ سُمُوطَا وَمُسَبَّلَا فَارِسِيَا ^(٢)
مِنَ سُمُوطِ الْمَرْجَانِ فَضَّلَ بِالشَّدِّ	رِ فَأَحْسِنُ بِجَلِيهِنَّ حُلِيَا
وَفَتَى يَضْرِبُ الْكَتِيْبَةَ بِالسِّ	فَ إِذَا كَانَتْ السِّيُوفُ عِصِيَا
إِنَّمَا لَا تُسْرُ فِي غَيْرِ نَخْرٍ	إِنَّ فِينَا بِهَا فَتَى خَزْرَجِيَا ^(٣)
يُدْفَعُ الضَّمِيمَ وَالظَّلَامَةَ عَنَّا	فَتَجَافَى عَنهُ لَنَا يَا مَنِيَا ^(٤)
أَبْلَغِ الْحَارِثَ بْنَ ظَالِمِ الْمَو	عَدِ وَالنَّاذِرَ النَّذُورَ عَلِيَا ^(٥)
إِنَّمَا يَقْتُلُ النَّيَامَ وَلَا يَقِفُ	تَلُ يَقْظَانَ ذَا سِلَاحِ كَمِيَا ^(٦)
وَمَعَى شِكَّتِي مَعَابِلُ كَالْجَمِّ	رِ وَأَعَدَدْتُ صَارِمًا مَشْرِفِيَا ^(٧)

(١) كذا في غ . وفي ص : خلال الفروق ، تحريف . والقرون : جمع قرن ، وهو الخصلة

من الشعر .

(٢) غ : وسنبلا فارسيا .

(٣) غ : غير نجد .

(٤) غ : والظلامة عنها ،

(٥) غ : الرعد يد والناذر .

(٦) الكمي : الشجاع المتكفي وسلاحه ، أي المستترفيه . الكامل لابن الأثير : ٤١٩ : تقتل .

(٧) الشكة : السلاح . والمعابل : النصال الطويلة العريضة . والشرقي من السيوف : المنسوب

إلى المشارف من أرض اليمن .

لوهبطت الحجازَ أنَسَيْتُكَ الفِتة ك كما يُنْسِي النَّسِيَّ النَّسِيًّا^(١)
 فلما بلغ الحارثَ شمره اشتد غضبه وازداد حنقه . وسار حتى أتى ديار بني
 الحزرج . ثم دنا من قبة عمرو بن الإطنابة ، ونادى : « أيها الملك ، أغثني فإني جار
 مكثور^(٢) ، وخذ سلاحك » . فأجابه وخرج معه حتى إذا برز له ، عطف عليه
 الحارث وقال : « أنا أبو ليلى » . فاعتراك مليا من الليل . وخشى عمرو أن يقتله
 لحارث فقال له : « يا جار ، إنني شيخ كبير ، وإنه تمتريني سنة ، فهل لك في تأخير
 هذا الأمر إلى غد ؟ » فقال : « هيهات ! ومن لي بك في غد ؟ » فترجوا ولا ساعة .
 ثم أتى عمرو رحمه من يده وقال : « يا حار ، ألم أخبرك أن النعاس يغلبني ؟ قد سقط
 رمحي فاكف » . فكف . قال : « أنظرني إلى غد » . قال : « لا أفعل » قال :
 « فدعني آخذ رمحي » . قال : « خذه » قال : « أخشى أن تمجلني عنه أو تفتك بي
 إذا أردت أخذه » . فقال : « وذمة ظالم ، لا أعجلتك ولا قاتلتك ولا قتلتك حتى
 تأخذ » . فقال عمرو : « وذمة الإطنابة ، لا آخذ ولا أقاتلك » . فانصرف الحارث
 إلى قومه وقال بحميا له :

اعزفاني ببلدةٍ قيمتَيَا قبل أن تكثر الموم عَليَا^(٣)
 قبل أن يُبكر العواذلُ إني كنتُ قدما لأمرهن عَصِيَا
 لا أبالي إذا اصطبحتُ ثلاثا أرشيدا حسبتني أم غويا^(٤)

(١) غ : لوهبطت البلاد أنسيتك القتل . وكذا ورد الشطر الثاني في غ ، وفي س : كما قد ينسى
 وبأباه الوزن ، والمعنى غامض على الروايتين .
 (٢) مكثور : كثر عليه أعداؤه .
 (٣) غ : قبل أن تبكر المنون عليا .
 (٤) غ :

بمَدِّ الْآأَسْرِ^(١) اللهُ إِنَّمَا
 فِي حَيَاتِي وَلَا أُخُونَ صَفِيًّا^(١)
 مِنْ سُلَافٍ كَأَنَّهَا دَمٌ طَبِيءٌ
 فِي زَجَاجٍ تَخَالُهُ رَازِقِيًّا^(٢)
 بَلِّغْنَا مَقَالَهُ الْمَرْءِ عَمْرٍو
 فَأَنْفِقْنَا وَكَانَ ذَاكَ بَدِيًّا^(٣)
 قَدْ هَمَمْنَا بِقَبْلِهِ إِذْ بَرَزْنَا
 وَلَقِينَاهُ ذَا سِلَاحٍ كَمِيًّا
 غَيْرَ مَا نَأْتُمُّ يُمَلِّلُ بِالْحَدِّ
 مِمُّ مُمِدًّا بِكَفِّهِ مَشْرِفِيًّا^(٤)
 فَمَنْنَا عَلَيْهِ بِمَدِّ عُلُوِّ
 بُوْفَاءٍ وَكُنْتُ قَدِيمًا وَقَدِيمًا
 وَرَجَعْنَا بِالصَّفْحِ عَنْهُ وَكَانَ الْمَدِّ
 مَقَامًا عَلَيْهِ بِمَدِّ تَلِيًّا

وكانت وقعة رحرحان في رجب، وكانت مُضَرَّ تدعوهُ الأَصَمَّ، وإِنَّمَا سَمِي الأَصَمُّ
 لأنهم كانوا لا يتنادون فيه: «يا آل فلان! يا آل فلان!» ولا يتمازون فيه^(٥) فيه
 ولا يتنادون فيه بالشُّمَارَاتِ، وهو أيضا مُنْصِلُ الأَلِّ، والأَلُّ: الأَسَنَةُ، كانوا إذا
 دخل رجب أنصَلُوا الأَسَنَةَ من الرماح حتى يخرج الشهر.

وأُسْرٌ يومئذٍ مَعْبُدُ بنُ زُرَّارَةَ، أُسْرُهُ عامر بن مالك. واشترك في أُسْرِهِ طُفَيْلُ
 ابن مالك ورجل من غَنِي يُقَالُ لَهُ عِصْمَةُ بن وَهْبٍ، وكان أَخَا طُفَيْلِ بن مالك من
 الرضاعة. وكان معبد بن زُرَّارَةَ كثير المال. ثم وفد لَقَيْمِطُ بن زُرَّارَةَ على عامر فسأله
 أن يطلق له أخاه. فقال: «أما حِصَّتِي فيه فقد وهبْتُها لك، ولكن أَرْضِ أَخِي
 وَحَلِيمِي الَّذِينَ اشْتَرَكَا فِيهِ. فَجَمَلُ لَقَيْمِطٍ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِائَةٌ مِنَ الإِبِلِ. فَرَضِيَا وَأَتِيَا

(١) غ: ألا أُسر. وأسر: أكرم وأظهر.

(٢) السلاف: الحمر، شبهها بدم الطبي في طيب الرائحة لأن المسك يؤخذ منه. والرازقي:
 الكتان أو ثياب بيض تتخذ منه. وضرب من عنب الطائف أبيض طويل الحب. وفي ص: كأنه
 تحريف.

(٣) غ: بديا. الكامل لابن الأثير ١: ٤١٩: فالتقينا وكان ذلك بديا.

(٤) كامل ابن الأثير:

غير ما نأتم يروع بالفتك ولكن مقلدا مشرفيا

(٥) كذا في غ. وفي ص: ولا يتعاورون.

عامراً فأخبراه . فقال عامر للقيط : « دُونَكَ أَخَاكَ » . فَأُطْلِقَ عَنْهُ . فلما أُطْلِقَ ، فكر لقيط في نفسه فقال : « أعطيتهم مائتي بعير ثم تكون لهم النعمة على بـمد ذلك . لا والله لا أفعل ذلك » . ورجع إلى عامر فقال : « إن زُرارة نهانا عن أن نزيد على مائةٍ : ديةٍ مُضَرَّ ، فإن أنتم رضيتم أعطيتكم مائة من الإبل » فقالوا : « لا حاجة لنا بها » . فانصرف لقيط . فقال له معبد : « مالي يُخرجني من أيديهم » . فأبى ذلك عليه وقال : « إذن يقتسم العرب بنى زرارة » . فقال معبد لعامر بن مالك : « أنشدك الله لَمَّا خَلَّيْتَ سَبِيلِي ، فإنما يريد ابن الحمراء أن يأكل مالي - ولم تكن أمة أم لقيط - . فقال له عامر : « أبعذك الله ! إن لم يُشْفِقْ عليك أخوك فأنا أحنُّ ألا أشْفِقَ عليك » . وعمدوا إلى معبد فشدوا عليه القِدَّة ، وبعثوا به إلى الطائف . فلم يزل بها حتى مات . فذلك قول شريح بن الأحوص :

لَقِيطُ ، وَأَنْتَ أَمْرٌ مَاجِدٌ	وَلَكِنْ حِلْمَكَ لَا يَهْتَدِي
وَلَمَّا أَمِنْتَ وَسَاغَ الشَّرَا	بُ وَاحْتَلَّ بَيْتَكَ فِي تَهْمَدٍ ^(١)
رَفَعْتَ بَرَجْلِيكَ فَوْقَ الْفَرَا	شٍ تُهْدِي الْقِصَائِدَ فِي مَعْبَدٍ
وَأَسْلَمْتَهُ عِنْدَ جِدِّ الْقِتَالِ	وَتَبَخَلَ بِالْمَالِ أَنْ تَقْتَدِي

وقيل في ذلك أشعار .

وكان في خلال ذلك يوم شِعْبِ جَبَلَةَ ، وهو من أعظم أيام العرب . وأيام العرب العظام ثلاثة : يوم كُلاب رَبيعة^(٢) ، ويوم شِعْبِ جَبَلَةَ ، ويوم ذى قار . وكان

(١) تهمد : جبل أحر فارد بديار غنى .

(٢) كذا في الأصول . وفي النقائض ٦٥٤ : « وكانت عظام أيام العرب ثلاثة أيام : يوم الكلاب ، ويوم ذى قار لربيعه ، ويوم جبلة » . وهو الصواب ، لأن الكلاب شهد يومين : الأول بين أبناء الحارث بن عمرو وكل المرار ومعهم بكر والرباب ويربوع وتغلب والنمر وبهراء . والثاني بين تميم وبنى الحارث بن عبد المدان .

يوم شعب جيلة قبل الإسلام بسبع^(١) وخمسين سنة ، قبل مولد النبي - صلى الله عليه وسلم - بسبع^(٢) عشرة سنة ، فإن النبي - صلى الله عليه وسلم - وُلد عام الفيل ، وأوحى الله تعالى إليه بمد أربعين سنة ، وقُبض وهو ابن ثلاث وستين سنة . وقَدِم إليه عامر بن الطفيل في السنة التي قبض فيها - صلى الله عليه وسلم - وهو ابن ثمانين سنة .

وحديث يوم جيلة حديث مطول إلا أن خلاصته هي ذكر المسكيدة التي فيه ، وهي أن بني عامر - لما سمعوا بقصد تميم وذُبْيَانِ وأسد في لفَّهم وجمَّهم - اجتمعوا إلى الأحوص بن جعفر ، وهو شَيْخٌ كبير قد وقع حاجباه على عينيه ، وقد ترك الغزو ، غير أنه يدبر أمر الناس وكان مجرباً حازماً ميمون النقيية فأخبروه الخبر . فقال لهم الأحوص « قد كبرت فما أستطيع أن أجيب بالجزم . وقد ذهب الرأي مني ، ولكن إذا سمعتُ عرفتُ . فأجِمعوا آراءكم ثم يبيتوا ليلتكم واغدوا على فاعرضوا آراءكم . ففعلوا . فلما أصبحوا غدوا عليه . فوضعت عباءة بفنائها فجلس عليها . ورُفِع حاجباه عن عينيه بمصابة . ثم قال : « هاتوا ما عندكم » . فقال قيس بن زهير العبسي : « بات في كِنَانَتِي هذه مائة رأى » . فقال الأحوص : « يكفيني منها رأى واحد حازم صليبي^(٣) مُصِيب . هات فانثر كِنَانَتِكَ » . فجعل يعرض عليه كل رأى رآه حتى أنفد . فقال الأحوص : « ما أرى بات في كِنَانَتِكَ الليلة رأى واحد حازم صليبي » . وعرض القوم عليه آراءهم حتى أنفدوا . فقال : « ما أسمع شيئاً وقد صرتم إلى . احمِلوا أثقالكم وضمفاءكم » . ففعلوا . ثم قال : « احمِلوا ظمُنكم » . فحمَلوها .

(١) كذا في النقائض ٦٧٦ ، وهو الصواب بمقارنة التواريخ جميعاً . وفي ص : كتبت تسع ثم كتبت عليها سبع فصار المراد غير واضح . وفي غ ، ت : سبع ، خطأ . وفي العقده : ١٤١ : قبل الإسلام بأربعين سنة ، وهو خطأ .

(٢) كذا في غ ، والنقائض ٦٥٧ وفي ص : صائب ، ومصيب تغني عنها .

ثم قال : « اركبوا » . فركبوا وجعلوه في محفة . وقال : « انطلقوا حتى تعلموا في اليمن . فإن أدركم أحد كررتم عليه ، وإن أعجزتموهم مضيتم » .

فسار الناس حتى أصبحوا بوادي بحار ، فإذا الناس يرجع بعضهم على بعض . فقال الأحوص : « ما هذا ؟ » قيل : « عمرو بن عبد الله بن جمدة في فتیان من بنى عامر يعقرون من جاز بهم ويقطعون بالنساء حواياهن ^(١) . فقال الأحوص : « قد موني » . فقدموه حتى وقف عليهم . فقال : « ما هذا الذي تصنعون ؟ » قال عمرو : « أردت أن تفضحننا وتخرجنا هارين من بلادنا ، ونحن أعز العرب وأكثرها عددا وجلداً وأحد [ها] شوكة ! تريد أن تجعلنا موالى العرب » . قال : « فكيف أفعل ، فقد جاء ما لا طاقة لنا به ؟ فما الرأي ؟ » قال : « ترجع إلى شعب جبلة فنحرض النساء والذراري والضعفة والأموال في رأسه ، ونكون في وسطه ، ففيه تممد ^(٢) . فإن أقام من جاءك أسفل ، أقاموا على غير ماء ولا مقام لهم . وإن صعدوا إليك فالتقتهم من فوق رءوسهم بالحجارة ، وكنت في حرز وهم في غير حرز ، وكنت على قتالهم أقوى منهم على قتالك » . قال : « هذا - والله - الرأي . فأين كان هذا عنك حين استشرت الناس ؟ » قال : « إنما جاءني الآن » . فقال الأحوص للناس : « ارجموا » . فرجموا . فذلك قول نابغة بنى جمدة :

ونحن حبسنا الحى عبسا وعامرا لحسان وابن الجون إذ قيل أقبلا
وقد صعدت وادى بحار نساؤهم كإصعاد نسرى لا يرومون منزلا ^(٣)
عطفنا عليهم كالضروس فصادفوا من الهضبة الحمراء عزاً وممقلا ^(٤)

(١) الحوايا : مراكب النساء .

(٢) غ : والنقائض ثمل ، أى خصب وماء ، وهى أحسن ، لأن التمد الماء القليل لا مادة له

(٣) كذا في د ، ع عن النقائض ومعجم البلدان . وفي ص ، ب ، س : لإصعاد سير . وفي

النقائض : عن ذى بحار .

(٤) الضروس : الناقة العضوض .

الهضبة الحمراء : في شعب جبلة . وجبلة : هضبة حمراء بين الشريف والشرف .
[والشريف] : ماء لبني ثُمير . والشرف : ماء لبني كلاب . وجبلة : جبل عظيم
له شعب واسع لا يؤتى^(١) الجبل إلا من قبل الشعب . والشعب مقارب ، وداخله
متسع .

فدخلت بنو عامر شعباً منه يقال له مُسَلِّح . فحفظوا النساء والذراري والأموال
في رأس الجبل ، وحلثوا^(٢) الإبل عن الماء ، واقتسموا الشعب بالقداح ، وأقرع
بين القبائل في شظاياها^(٣) . فخرجت بنو ثُمير^(٤) وممهم بارق - حتى من الأرد حلفاء
يومئذ لبني ثُمير ، وبارق هو سَمْد بن عَدِي بن حارثة بن عمرو مَزَيْقِيَاء^(٥) بن ماء السماء ،
وسمى مزَيْقِيَاء لأنه كان يمزق عليه في كل يوم حلة - فولجوا الخليفة . والخليفة :
الطريق بين الشعبين شبه الزقاق .

وكانت كَبْشَةَ بنت عُرْوَةَ الرَّحَّال بن عُتْبَةَ بن جعفر بن كِلاب يومئذ حاملاً
بعامر بن الطفيل . فقالت : « ويلكم ، يا بني عامر ! ارفعوني فإن في بطني عز
بني عامر » . فصَفَّوا القسي على عواتقهم ثم حملوها حتى أثووها القنَّة . فقيل : إنها
ولدت عامراً يوم فرغ الناس من القتال .

وعُمِّي على بني عامر الخبر فلا يدرون ما بُمد القوم من قُرْبهم . وأقبلت تميم
وذُبْيَان وأسد ولفهم نحو جبلة . ولقوا كَرِب بن صَفْوَان بن شِجْنَةَ بن عَطَّارِد بن عوف
ابن كعب بن سعد بن زيد مَنَاء^(٦) . فقالوا له : « أين تذهب ؟ أريد أن تُنذر بنسأ

(١) كذا في د ، ي عن النقااض . وفي ب ، س ، ص : لا يرى .

(٢) حلثوا : منعوا .

(٣) الشظايا : جمع شظية ، وهي القطعة من رهوس الجبال .

(٤) غ : بنو تميم .

(٥) ص : عمرو بن مزَيْقِيَاء . خطأ ، فزَيْقِيَاء لقب عمرو . (التاج : مزق) .

(٦) كامل ابن الأثير ١ ٤٣٥ : كرب بن صفوان بن الحباب السعدي .

بني عامر؟» قال: «لا». قالوا: «فأعطينا عهداً وموثقاً أنك لا تفعل». فأعطاهم فخلوا سبيله. فمضى مسرعاً على فرس له عُرِي^(١) حتى إذا نظر إلى مجلس بني عامر، وفيهم الأحوص، نزل تحت شجرة بحيث يرويه. فأرسلوا إليه يدعونه. فقال: «استُ فاعلًا ولكنني إذا رحلت فأتوا منزلي فففيه الخبر». فلما جاءوا منزله، إذا فيه تراب في صُرّة وشوك قد كُسر رؤوسه وفرّق جهته، وإذا حَنْظَلَة موضوعة، وإذا وَطْب مُعَلَّق في فيه لبن. فقال الأحوص: «هذا رجل قد أخذ عليه الموائيق ألا يتكلم. وهو يخبركم أن القوم مثل التراب كثرة، وأن شوكتهم قليلة، وهم متفرقون، وجاءكم بنو حَنْظَلَة. وانظروا ما في الوطْب»، فإذا فيه ابن حَزْر: (قَرَص). فقال: «القوم منكم على قَدَرٍ حِلَاب اللبن إلى أن يَحْزُر». فلما تيقن بنو عامر بإقبالهم صمدوا الشعب. وأمر الأحوص بالإبل التي قد عطشت قبل ذلك فقال: «اعقلوها كل بعير بمقالين [في] يديه جميعاً».

وأصبح الناس ولقيط نزولا به. وكانت مشورتهم إلى لقيط. فقالوا له: «ما ترى؟» قال: «أرى أن تصعدوا إليهم». فقال لهم شَأْس: «لا تدخلوا على بني عامر فإنني أعلم الناس بهم: قد قاتلتهم وقاتلوني وهزمتهم وهزمتوني. فما رأيت قوماً أفلح بمنزل من بني عامر. وما وجدت لهم مثلاً إلا الشُّجَاع^(٢)، فإنه لا يقرُّ في جُجْره قلما. وسيخرجون إليكم، والله - لن يثم هذه الليلة لا تشعرون بهم إلا وهم منحدرون عليكم». فقال لقيط: «والله، لندخلن عليهم». ثم استقبلهم جمل عود أجرب أحدَّ أعْصَل كاشر عن أنيابه^(٣). فقال الحزاة من بني أسد - والحازي: القائف: «اعقروه». فقال لقيط: «والله، لا يعقر حتى

(١) كذا في غ. وفي ص، والنقائض: عربي. والعري: مالا سرج عليه.

(٢) الشجاع: الحية أو الذكر من الحيات أو ضرب صغير فيها.

(٣) العود: المسن والأخذ: خفيف شعر الذنب أو قصير الذنب. والأعصل: اللئوي الذنب.

يكون فحل إبل غدا» . وكان البعير من عَصَافِيرِ المُنْذِرِ التي أخذها قُرَّةُ بن هُبَيْرَةَ ابن عامر بن سَلَمَةَ . والمصافير : إبل كانت للملوك نَجَائِبَ .

ثم استقبلهم معاوية بن عُبَادَةَ بن عُقَيْل ، وكان أَعْسَرَ ، وهو يقول :

أنا الفِلامُ الأَعْسَرُ الخَيْرُ فِيّ والشَّرُّ

والضُّرُّ فِيّ أَكْثَرُ^(١)

فنشاءت بنو أسد وقالوا : « ارجعوا عنهم وأطيعوا » ، فرجعت بنو أسد

إلا نفرا يسيرا .

ثم إنهم دخلوا عليهم وقد أخذوا حِذْرَهُمْ . وجعل الأحوص ابنه شريحا على تعبئته .

فأقبل لقيط وأصحابه مُدْبِئِينَ فَأَسْنَدُوا إلى الجبل حين ذَرَّتْ الشمس^(٢) . فصعد لقيط

في الناس وأخذ بحافتي الشَّعْبِ . فقالت بنو عامر للأحوص : « قد أتوك » . فقال :

« دَعُوهُمْ » . حتى إذا انتصفوا الجبل وانتشروا فيه ، قال الأحوص : « حُلُوا عُقْلَ

الإبل ثم أحدروها واتبعوا آثارها . وليتبع كلُّ رجلٍ منكم بعيره حجرين أو ثلاثة » .

ففعلوا . ثم صاحوا بها . فلم يَفْجَأْ الناسَ إلا الإبل تَريدُ الماءَ والرعى . وجعلوا يرمونهم

بالحجارة والنبل . فأقبلت الإبل تَحْطِمُ كلَّ شيءٍ مرت به . وجعل البعير يَدَّهْدِي

بصدره كذا وكذا حجرا . وكان لقيط وأصحابه سخرُوا منهم حين صنعوا بالإبل

ما صنعوا . فانحطَّ الناسُ منهزمين في الجبل حتى بلغوا السهل فلما بلغوا السهل لم يكن

لأحدهم إلا إن يذهب على وجهه . وجعل بنو عامر يقتلونهم ويصرعونهم بالسيوف

في آثارهم . فانهزموا شرهزيمة .

ووقف لقيط على بُرْذُونِهِ . وجعل لا يمر به أحد من الجيش إلا قالوا له : « أنت

(١) د ، ي ، عن النقائض ، وفي ت والعقد ه : ١٤٣ أيضا : والشرق أكثر .

(٢) ذرت : طلعت .

قتلتنا وشامتنا^(١) . وجعل لقيط يقول : « من يكره وله خمسون ناقة ؟ » ويرتجز ويقول :

عَرَفْتُكُمْ وَالْعَيْنُ بِالدمعِ تَكْفِ فَارَسِ أَنْتَلَقْتُمُوهُ مَا خَافَ^(٢)
 إِنْ الشَّوَاءَ وَالنَّشِيلَ وَالرُّغْفُ وَالقَيْئَةَ الحَسَنَاءَ وَالكَأْسَ الأَنْفَ^(٣)
 وَصَفْوَةَ القِدْرِ وَتَعجِيلَ اللِّقْفِ لِلطَّاعِنِينَ الخَيْلِ ، وَالخَيْلُ كُطْفُ^(٤)
 ولما أكثروا لومه وعتابه ، قال :

يا قوم . قد أحرقتُمونِي باللَّوْمِ وَلَمْ أَفَاتِلْ عامراً قَبْلَ اليَوْمِ
 فاليَوْمِ إِذْ قَاتَلْتُمْ فِلا لومِ تَقَدَّمُوا وَقَدَّمُونِي لِلقومِ^(٥)
 شَتَانِ هَذَا والعناقُ والنومِ وَالْمَضْجَعُ الباردُ فِي ظِلِّ الدَّوْمِ
 فأجابه شريح - لما رآه يشجع الناس ويأمرهم بالإقدام ، وكان بينهما جُرفٌ منكرٌ :
 إِنْ كُنْتَ ذَا صِدْقٍ فَأَقْحِمُهُ الجُرْفُ وَقَدِّمِ الأشْقَرَ حَتَّى تَعْتَرِفَ^(٦)
 وجوهنا إنا بنو البيض العطف^(٧)

فضرب لقيط فرسه فأقبحم الجرف . فطعنه شريح فأرثت . والارتثا : أن يتحمل وهو مجروح ، فإن حمل ميتاً فليس بمرثت . فبق يوماً ثم مات .

(١) ب ، س : وشامتنا . د ، ي ، عن النقائص : وشامتنا .

(٢) ب ، هـ ، س : والدمع بالعين . د ، ي عن النقائص ٦٦٣ : والدمع من العين . ويكف :

يسيل .

(٣) غ : إن النشيل والشواء والرغف . والنشيل : اللحم المطبوخ أو الذي ينشل من القدر قبل النضج ، واللبن ساعة يحلب . والأنف : التي لم يشرب بها قبل ذلك .

(٤) اللقف : كذا عن د ، ي . وفي س : اللف . واللقف : ما يلقف ويتناول من الطعام

وقطف : جمع قطوف ، وهي المتقاربة الخطو .

(٥) غ ، ت والنقائص : إذ قاتلتهم .

(٦) غ : والنقائص وقرب الأشقر . وتعرفت : تعرف .

(٧) العطف : جمع عطوف ، وهو وصف من عطف عليه إذا رجع عليه بما يكره أوله بما يجب

وجمل بنو عمرو يضربونه وهو ميت . فقالت ابنته دَخْتَنُوس ، وكانت تحت عمرو بن [عمرو بن] (١) عدس :

أَلَا يَا لَهَا الْوَيْلَاتُ وَبَيْلَةٌ مِنْ بَكِي
لَقَدْ ضَرَبُوا وَجْهًا عَلَيْهِ مَهَابَةٌ
فَلَوْ أَنْكُمْ كُنْتُمْ غَدَاةَ لَقَيْتُمْ
غَدْرْتُمْ . وَلَكِنْ كُنْتُمْ مِثْلَ خُضْبٍ
فَمَا نَأْرُهُ فِيكُمْ وَلَكِنْ نَأْرُهُ
فَإِنْ تُعْقِبِ الْأَيَّامُ مِنْ عَامِرٍ يَكُنْ
لِيَجْزِيَهُمْ بِالْقَتْلِ قَتْلًا مُضْعَفًا
وَلَوْ قَتَلْتَهُ غَالِبٌ كَانَ قَتْلَهَا
لَقَدْ صَبَّرْتُ لِمَوْتِ كَمْبٍ وَحَافِظْتُ

لضربِ بنى عبسٍ لقيطاً وقد قضى (٢)
وما تحفل الصمُّ الجنادل من ردى (٣)
لقيطاً صبرتم للأسنة والقنا (٤)
أصاب لها القنّاصُ من جانب الشرى (٥)
شريحٌ إن أردته الأسنة أو هوى (٦)
عليهم حريقاً لا يُرام إذا سما
وما في دماءِ الحُمسِ يامالٍ من بوا (٧)
علينا من العار المُجدِّع للملا (٨)

وقيل . بل طعنه جزء بن خالد بن جعفر ، فحمل وبه طعنات ، فبقى يوماً ثم مات .

وتمت الهزيمة وكثرت القتل والأسرى .

(١) زيادة عن غ والنقائض ٦٦٥ .

(٢) د ، ي : ويلات من بكى .

(٣) ب ، س : الضيم الجنادل .

(٤) ب ، س : ضربتم بالأسنة . وجواب «لوه» هنا محذف ، أى لأصابكم منا القتل الذريع .

(٥) الخضب ، جمع خاضب وهى النعام . وأصاب : سقط ونزل . والشرى : موضع .

والنقائض : أصاب له .

(٦) د ، ي عن النقائض : شريح وأردته الأسنة إذ هوى . ب ، س : شريح أردته الأسنة

أو هوى .

(٧) ب ، س . ليجزيكم . والحمس : لقب قريش وكنانة وجديلة ومن تابعهم فى الجاهلية .

وبوا : سواء وتكافؤ .

(٨) غ والنقائض : ولو قتلنا .

وشَهِدَهَا لِيُبَيِّدَ بِنَ رَيْعِمَةَ بِنَ مَالِكِ بِنَ جَعْفَرٍ ، وَهُوَ ابْنُ تِسْعِ سَنِينَ . وَقِيلَ : ابْنُ بَضْعَ عَشْرَةَ سَنَةً .

وَأَمَّا حَاجِبُ بِنُ زُرَّارَةَ نَجْرَاجٍ مِنْهُمَا . وَخَرَجَ فِي أَثَرِهِ الزَّهْدَمَانُ : زَهْدَمُ وَقَيْسُ ابْنَا جَرِّمِ بِنِ وَهَيْبِ^(١) بِنِ عُوَيْرِ^(٢) بِنِ رَوَاحَةَ الْعَبْسِيَّانِ ، يَطْرُدَانِ حَاجِبًا وَيَقُولَانِ : « اسْتَأْسِرْ » ، وَقَدْ قَدَّرَا عَلَيْهِ . فَيَقُولُ : « مَنْ أَنْتَا ؟ » فَيَقُولَانِ : « الزَّهْدَمَانُ » . فَيَقُولُ : « لَا اسْتَأْسِرْ لِمَوْلَيْيْنِ » . فَبَيْنَمَا هُمَا كَذَلِكَ ، إِذْ أَدْرَكَهُمَ مَالِكُ ذُو الرُّقَيْبَةِ ابْنُ سَلْمَةَ بِنِ قُشَيْرٍ ، فَقَالَ لِحَاجِبِ : « اسْتَأْسِرْ » . قَالَ : « مَنْ أَنْتَا ؟ » قَالَ : « أَنَا مَالِكُ ذُو الرُّقَيْبَةِ » . قَالَ : « أَفْعَلُ . فَلَمَعَمَّرِي ، مَا أَدْرَكَتَنِي حَتَّى كَدَدْتَ أَنْ أَكُونَ عَبْدًا » . وَالْتَمَى رَحِمَهُ إِلَيْهِ . فَاعْتَنَقَهُ زَهْدَمُ وَالْقَاهُ عَنْ فَرْسِهِ . وَصَاحَ حَاجِبٌ : « يَا غَوْنَاهُ ! » وَجَعَلَ زَهْدَمُ يُرَاوِغُ^(٣) قَائِمُ السَّيْفِ . فَنَزَلَ مَالِكٌ فَاقْتَلَعَ زَهْدَمًا عَنْ حَاجِبِ . فَضَى زَهْدَمُ وَأَخُوهُ حَتَّى أَتَيَا قَيْسَ بِنِ زَهَيْرِ بِنِ جَدِيمَةَ ، فَقَالَا : « أَخَذَ مَالِكٌ أَسِيرِنَا مِنْ يَدِنَا » . قَالَ : « وَمَنْ أَسْرَتَمَا ؟ » قَالَا : « حَاجِبُ بِنِ زُرَّارَةَ » . فَخَرَجَ قَيْسٌ يَسْبِقُ النَّاسَ حَتَّى وَقَفَ عَلَى بَنِي عَامِرٍ ، فَقَالَ : « صَاحِبِكُمْ أَخَذَ أَسِيرِنَا » . قَالُوا : « وَمَنْ صَاحِبِنَا ؟ » قَالَ : « مَالِكُ بِنِ سَلْمَةَ ، أَخَذَ مِنَ الزَّهْدَمِينَ حَاجِبًا » . فَجَاءَهُمَ مَالِكٌ فَقَالَ : « لَمْ أَخْذْهُ مِنْهُمَا وَلَكِنَّهُ اسْتَأْسَرَ لِي وَتَرَكَهُمَا » . فَلَمْ يَبْرَحُوا حَتَّى حَكَّمُوا حَاجِبًا وَهُوَ فِي بَيْتِ ذِي الرُّقَيْبَةِ . فَقَالُوا : « مَنْ أَسْرَكَ ، يَا حَاجِبُ ؟ » قَالَ : « أَمَا مِنْ رَدْنِي عَنْ قَصْدِي وَمَنْعَنِي أَنْ أَنْجُو وَرَأَى مِنِّي عَوْرَةَ فَتَرَكَهَا ، فَالزَّهْدَمَانُ . وَأَمَّا الَّذِي اسْتَأْسَرْتُ لَهُ فَالْكَلْبُ . فَحَكَّمُونِي فِي نَفْسِي » . فَقَالُوا لَهُ :

(١) غ والنقائض : حزن بن وهب .

(٢) غ : عويمر .

(٣) د ، ي عن النقائض : يربغ ، وهى أوضح .

« قد جعلنا لك الحكم في نفسك » . فقال : « لمالك ألف ناقة ، وللزهدمين مائة ناقة » .

فكان بين قيس بن زهير وبين الزهدمين غضب بعد ذلك . فقال قيس :

جَرَائِي الزَّهْدِمَانِ جِزَاءُ سُوءٍ وَكُنْتُ الْمَرْءَ يُجِزَى بِالْكَرَامَةِ
وَقَدْ دَافَعْتُ قَدْ عَلِمْتُ مَعَدَّةً بَنِي قُرْطٍ وَعَمَّهُمْ قُدَامَهُ (١)
رَكِبْتُ بِهِمْ طَرِيقَ الْحَقِّ حَتَّى أَثْبَتُهُمْ بِهَا مِائَةَ ظُلَامِهِ (٢)
وَقَالَ جَرِيرٌ فِي ذَلِكَ (٣) :

وَيَوْمَ الشُّعْبِ قَدْ تَرَكُوا لَقِيمَطَا كَانَّ عَلَيْهِ حُلَّةَ أَرْجَوَانَ (٤)
وَكَبَّلَ حَاجِبٌ بِشَمَامٍ حَوْلًا فَحَكَّمْ ذُو الرُّقَيْبَةِ وَهُوَ عَانِي (٥)

وَقَالَ الْمُعَرِّبُ بْنُ أَوْسِ بْنِ حِمَارِ الْبَارِقِيِّ مِنْ قَصِيدَةٍ :

أَمِنْ آلِ شَعْمَاءَ الْحَمُولُ الْبَوَاكِرُ مَعَ اللَّيْلِ أَمْ زَالَتْ قُبَيْلُ الْأَبَاعِرِ (٦)
وَحَلَّتْ سَلِيمِي فِي هِضَابٍ وَأَيْكَةِ فَلَيْسَ عَلَيْهَا يَوْمَ ذَلِكَ قَادِرِ (٧)
وَأَلْقَتْ عَصَاهَا وَاسْتَقَرَّتْ بِهَا النَّوَى كَمَا قَرَّ عَيْنًا بِالْإِيَابِ الْمَسَافِرِ
مِنْهَا :

هُوَ زَهْدِمٌ تَحْتَ الْغُبَارِ الْحَاجِبِ كَمَا انْقَضَ أَقْنَى ذُو جِنَاحِينَ مَاهِرِ (٨)

(١) ب ، س : بنى قرط .

(٢) كذا في : د ، ي عن النقائص . وفي ب ، س : أثبتهم بها . وفي ص بدون نقط غير التاء الثانية .

(٣) ديوانه ٥٦٨ . والعقد ٥ : ١٤٣ ، والنقائص ٦٧٠ .

(٤) الديوان : في يوم الشعب . . . خلة أرجوان . النقائص : خلة أرجوان .

(٥) وشمام : موضع . غ ، والديوان . والنقائص والعقد : ذا الرقبة .

(٦) ت : من الليل . العقد ٥ : ١٤٤ : مع الصبح .

(٧) كذا في غ ، ت . وفي ص : فاست عليها قبل ذلك قادر .

(٨) الأقفى : الصقر الموعج المنقار . العقد :

هُوَ زَهْدِمٌ تَحْتَ الْعِجَاجِ الْحَاجِبِ كَمَا انْقَضَ بَازُ أَقْتَمِ الرِّيشِ كَاسِرِ

وآخرها :

لها ناهضٌ في المهد قد مهَّدتْ له كما مهَّدت للبعلِ حَسَناءُ عاقراً^(١)
وبهذا البيت سمي معقرا ، واسمه سُفْيَانُ بنُ أَوْسٍ . وإنما خص العاقر لأنها
أقل دالةً على الزوج من الولود ، فهي تُداريه ما استطاعت .

(١) ب ، س : نهدت . والناهض : الفرخ الذي وفر جناحاه حتى استقل للنهوض . والقعد :

في الوكر .

وَالْبَةِ بْنِ الْحَبَابِ*

أَسَدَى صَلْبِيَّة ، كُوفِيّ ، شَاعِرٌ مِنْ شِعْرَاءِ الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ ، كُنِيَّتُهُ أَبُو أُسَامَةَ .
وَهُوَ أَسْتَاذُ أَبِي نُوَّاسٍ ، وَعِنْدَهُ أَخْذُ أَبُو نُوَّاسٍ ، وَمِنْهُ اقْتَبَسَ .

وَكَانَ وَالْبَةُ ظَرِيفًا ، شَاعِرًا ، غَزَلًا ، وَصَافًا لِلشَّرَابِ وَالْعُلْمَانِ وَالْمُرْدِ^(١) . وَشِعْرُهُ فِي غَيْرِ ذَلِكَ مُقَارِبٌ لَيْسَ بِالْجَلِيدِ . وَهَاجَى بِشَارًا وَأَبَا الْعَتَاهِيَّةِ ، فَلَمْ يَصْنَعْ شَيْئًا ، وَفَضَحَاهُ فَعَادَ إِلَى السُّكُوفَةِ كَالهَارِبِ . وَخَمَلَ ذِكْرَهُ بَعْدَ ذَلِكَ . قَالَ الْمَهْدِيُّ لِعُمَارَةَ بْنِ حَمْزَةَ : « مِنْ أَرْقُ النَّاسِ شِعْرًا ؟ » قَالَ : « وَالْبَةُ بْنُ الْحَبَابِ الْأَسَدِيُّ الَّذِي يَقُولُ^(٢) :

وَلَهَا وَلَا ذَنْبَ لَهَا حُبُّ كَاطِرَافِ الرَّمَاحِ

فِي الْقَلْبِ يَقْدَحُ وَالْحَشَا فَالْقَلْبُ مَجْرُوحُ الْفَوَاحِي^(٣)

قَالَ : « صَدَقْتَ وَاللَّهِ » . قَالَ : « فَمَا يَمْنَعُكَ مِنْ مَنَادَمَتِهِ ، يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ »

قَالَ : « يَمْنَعُنِي مِنْ مَنَادَمَتِهِ قَوْلُهُ^(٤) :

قُلْتُ لِسَاقِينَا عَلَى خَاوِةٍ أَدْنِ كَذَا رَأْسَكَ مِنْ رَأْسِي^(٥)

وَنَمَّ عَلَى صَدْرِكَ لِي سَاعَةٌ إِنْ أَمْرُوهُ أَنْكَحُ جُلَاسِي^(٦)

أَفْتَرِيدُ أَنْ أَكُونَ مِنْ جِلَاسِهِ عَلَى هَذِهِ الشَّرِيطَةِ ؟ » .

* أَخْبَارُهُ فِي ب ١٦ : ١٤٨ ، س ١٦ : ١٤٢ ، ي ١٨ : ٤٣ ، طَقَبَاتُ الشِعْرَاءِ لِابْنِ

الْمَعْتَزِ ٨٧ .

(١) غ : وَالْعُلْمَانِ الْمُرْدِ .

(٢) ابْنُ الْمَعْتَزِ ٢٠٨ .

(٣) ابْنُ الْمَعْتَزِ : فِي الْقَلْبِ يَجْرَحُ دَائِمًا .

(٤) ابْنُ الْمَعْتَزِ ٨٩ .

(٥) الشَّعْرُ فِي غ يَأْتِي الرُّوْيَ لَا سَيْنِيَّةَ ، فَرُوِيهِ فِيهِ : رَأْسِيَا جِلَاسِيَا .

(٦) ابْنُ الْمَعْتَزِ : وَادْنُ فَضَعُ صَدْرِكَ .

ويحكى أن المنصور قال لوالبة : « ادخل إلى المهدي فجالسه وحادثه » . فدخل إليه .

فكان أول ما أنشده :

قولا لممرو لا تكن ناسيا وسقني لا تحسن كاسيا^(١)
واردد على الهيم مثل الذي هجت به ويحك! - وسواسيا
وسق إبراهيم لا نغفه حتى تراه مثلنا حاسيا
كرخية يحسب من ذاقها صاحب موم لم يجد آسيا^(٢)
وقل لمن لام على شربها اعرض برغم حجرا قاسيا
وقل لساقينا على خلوة أدن كذا رأسك من راسيا
ونم على جنبك لى ساعة إني امرؤ أنكح جلاسيا^(٣)

فبلغ المنصور ذلك ، فقال : « لا تعيدوه إليه ، أردنا أن نصلحه فإذا هو مفسده » .

قال الدعجى غلام أبي نواس : « أنشدت يوماً بين يدي أبو نواس قوله^(٤) :

يا شقيق النفس من حكم - نمت عن ليلي ولم أنم^(٥)

وكان قد سكر . فقال : « أخبرك بشيء على أن تكتمه ؟ » قلت : « نعم » .

قال : « أتدرى من المعنى بهذا :

* يا شقيق النفس من حكم * ؟ »

قلت : « لا » . قال : « أنا - والله - المعنى بذلك ، والشعر لوالبة بن الحباب قاله

في . ووالله ، ما علم بهذا غيرك ، وأنت أعلم » . فما حدثت بذلك حتى مات .

(١) الوزراء والكتاب للجهمي ١٤٩ : وسقني الخمرة من كاسيا .

(٢) الكرخية : الخمر : المنسوبة إلى الخمر . والموم : الحمى . والآسى : الطبيب .

(٣) الجهمي : ونم على صدرك .

(٤) ابن قتيبة : الشعر والشعراء ٥٠١ .

(٥) ب ، س : عن عيني .

قال الجاحظ^(١) : كان والبة بن الحباب ومطيع بن إياس ومُنقذ بن عبد الرحمن الهلالي^(٢) وحَفص بن أبي وَرْدَة^(٣) وابن المقفع ويونس ابن أبي فَرَوَة وحمّاد عَجْرَد وعلى بن الخليل وحمّاد الراوية وحماد بن الزُّبْران وُعمارة بن حمزة ويزيد بن الفَيْض وجميل بن محفوظ وبَشَّار المُرَعث وأبان اللّاحِقي^(٤) ، ندماء يجتمعون على الشراب وقول الشعر ، ولا يكادون يفترقون ، ويهجو بعضهم بعضا هزلا وجدا ، وكلّهم متهم في دينه .

كان والبة أتى بُجيرا^(٥) الأسدى . وهو يتولى الأهواز للمنصور . فدحه وأقام عنده . فألقى أبا نواس هناك وهو أمرد فصحبه . وكان أبو نواس حسن الوجه . فلم يزل معه . فيقال : إنه كشف ثوبه ليلة فرأى حمرة أليتيه وبياضهما فأعجبته فقبلها . فغضرت عليه أبو نواس . فقال والبة : « لم فعلت هذا ، ويلك ؟ » قال : « كراهية أن يضيع قول القائل : ما جزاء من قبّل الاست إلا ضرطة » . وكان والبة ماجنا مطبوعا خبيث الدّين .

قال أبو سَلَهَب الشاعر : كان والبة صديق . فكنا يوما نشرب بغمي^(٦) . فانتبه من سكره وقال : « يا أبا سلهب ، اسمع » . ثم أنشدني^(٧) :

(١) لم أجد هذا النص عند الجاحظ ، وإن أوردته عنه المرتضى في الأمالي ١ : ١٣١ . ولكن في الحيوان ٤ : ٤٤٧ ما يقرب منه ، إذ قال الجاحظ : « وكان حماد عجرد وحماد الراوية وحماد ابن الزبيرقان ويونس بن هارون وعلى بن الخليل ويزيد بن الفيض وعبادة وجميل بن محفوظ وقاسم ومطيع ووالبة بن الحباب وأبان بن عبد الحميد وعمارة بن حربية يتواصلون وكانهم نفس واحدة ، وكان بشار ينكر عليهم ثم أورد هجاء لأبي نواس فيهم بالزندقة .

(٣) المرتضى : حفص بن أبي ودة .

(٤) زاد عليهم المرتضى : يحيى بن زياد وقاسم بن زرقطة .

(٥) غ : أبا بجير .

(٦) غمى : قرية من نواحي بغداد قرب الردان وعكبرا .

(٧) ابن المعتز ٨٨ . ياقوت : معجم الأدباء ٣ : ٨٠٩ .

- شربتُ وفاتكُ مثلي جَوْحٌ بغمي بالكؤوس وبالْبِوَاطِي (١)
يُعاطيني الزجاجةَ أَرِيحِي رخيماً الدالَّ، بُورِكَ من مُعاطِي! (٢)
أقول له على طَرَبٍ : أَلِطْنِي ولو بمؤأَجَرٍ عِلْجٍ نَباطِي (٣)
فما خيرُ الشرابِ بغيرِ فِسْقٍ يتابع بالزَّناءِ وباللِواطِ؟ (٤)
جملتُ الحج في غَمِي وِبنِي وفي قُطْرُبُلِّ أبدا رِباطِي (٥)
فقلْ للخَمْسِ : آخِرُ مُلتَقانا إذا ما كان ذاك على الصِّراطِ (٦)

يعني الصلوات الخمس ، قبحه الله !

وحدث ليلة أنه كان نائماً ، وأبو نواس غلامه إلى جنبه ، إذ أتاه آت في منامه فقال له : « أتدرى من هذا النائم إلى جانبك ؟ » قال : قلت : « لا » . قال : « هذا أشمر منك ، وأشمر من الجن والإنس . أما والله ، لأفتننَّ بشعره الثقلين ، ولأغوينَّ بشعره أهل المشرقين » . قال : فعلت أنه إبليس . فقلت له : « فما له عندك ؟ » قال : « عصيت الله في سجدة فأهلكني ، ولو أمرني أن أسجد له ألف سجدة لسجدت » .

(١) ابن المعتز :

شبيهه الفاتك العيار مثلي نعيم حين يشرب بالبواطى
والبواطى : جم باطية ، وهى لئاء الخمر .

(٢) ابن المعتز : بعاطينا .

(٣) العليج : الرجل الغليظ من كفار العجم . ياقوت : على طلب . . . يناطى .

(٤) ب ، س : يتابعه زناء أو لواط . ابن المعتز :

فإن الخمر ليس تطيب إلا على وضوء الجنابة باللواط

(٥) غمى : قرية من نواحي بغداد قرب بردان وعكبرا . وبنى : قرية على شاطئ دجلة من نواحي بغداد بينهما نحو فرسخين وهى تحت كلاهما . وقطربل : قرية بين بغداد وعكبرا تنسب إليها الخمر .

(٦) ياقوت : فقل للخمر .

الوليد البحرى *

هو الوليد بن عبيد^(١) بن يحيى بن عبيد بن شمال بن جابر بن سلمة^(٢) بن مسهر
ابن الحارث بن حَيْشَم^(٣) بن أبي حارثة بن جُدَى بن تَدُول^(٤) بن [بُحْثَر بن]^(٥)
عَتُود بن عُذَيْن^(٦) بن سلامان بن نُمَل بن عمرو بن الفوث بن جُلُهْمَة ، وهو
طبيُّ بن أدد بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان . كنيته
أبو عبادة . وقيل : أبو الحسن ، فأشير عليه في أيام المتوكل أن يقتصر على أبي عبادة
فإنها أشهر ، فافتصر عليها .

شاعر فصيح ، فاضل ، حسن المذهب ، نقي الكلام . مطبوع . كان المشايخ

- رحمهم الله - يمتحنون به الشعراء .

وله تصرف في ضروب الشعر سوى الهجاء ، فإن بضاعته فيه نزرة ، وجيِّده
فيه قليل . وكان ابنه أبو الفوث يحيى يزعم أن السبب في قلة بضاعته في هذا الفن أنه
لما حضره الموت دعا به وقال : « اجمع كل شيء قلته في الهجاء » . ففعل . فأمره
فأحرقه . ثم قال له : « يا بني ، هذا شيء قلته في وقت فسفيت به غيظي وكفأت به

* أخباره في ب ١٨ : ١٦٧ ، س ١٨ : ١٦٧ ، ي ٢١ : ٣٩ ، أخبار البحرى للوصول

معجم الأدباء لياقوت ١٩ : ٢٤٨ ، تاريخ بغداد للخطيب ١٣ : ٤٧٦ .

(١) ب ، س ، وياقوت : عبيد الله .

(٢) ب ، س ، وياقوت : مسلمة .

(٣) كذا في ب ، س . وفي وياقوت : چشم وفي ص بدون نقط .

(٤) كذا في ص وصححها المرعى في عبث الوليد ١٨ وفي ب ، س : نزول . وفي وياقوت

بدول .

(٥) زيادة عن غ وياقوت والخطيب والنويرى ٢ : ٢٩٩ .

(٦) كذا في الخطيب والاشتقاق لابن دريد ٣٨٧ . وفي ص ، ي : عمير . وفي هامش س :

عبر . وفي س : عنمة . وفي نهاية الأرب : عنيز .

قبيحا فَمِلَ بِي. وقد انتضى أَرَبِي. وإن بقي رُوي. وللناس أعقاب يورثونهم المداوة والودة. وأخشى أن يعود عليك من هذا شيء في نفسك أو مماشك لا فائدة لك ولا لي فيه». فعملت أنه قد نصحتني وأشفق علي. فجمعتَه وأنتته به. فأحرقه.

وهذا الأمر إن كان كإروى أبو الفوث^(١) - لا فائدة فيه، لأن الذي وجدناه وبقي في أيدي الناس من هجائه أكثره ساقط، لا يشاكل شعره ولا يوافق طبعه ولا يليق بمذهبه، وتنبى بركتها، وغثائه أفاظها عن قلة حظه في الهجاء. وما يُعرف له هجاء جيد إلا قصيدتان: إحداهما قوله في ابن أبي قحاش^(٢):

* مَرَّتْ عَلَي عَزْمِهَا وَلَمْ تَقِفْ *

والثانية قوله في يعقوب بن الفرج النصراني^(٣):

* تَظَنَّ شَجُونِي لَمْ تَمْتَلِجْ *

وهي إن لم تكن في أسلوب الأولى وطريقتها فإنها تجرى مجرى التهكم والطنز^(٤) الطيب الخبيث.

وكان البحترى يتشبهه بأبي تمام الطائي في شعره، ويحذو مذهبه، وينحو نحوه في البديع الذي كان أبو تمام يستعمله، ويراه صاحبنا وإماما، ويقدمه على نفسه، ويقول في الفرق بينه وبينه قول منصف: إن جَيِّدٌ أَبِي تمام خير من جيده ووسطه، ورديته خير من وسط أبي تمام ورديته. وكذا حكم هو لنفسه^(٥).

(١) كذا في غ. وفي ص: وهذا الأمر وإن كان أحر وهجاؤه لا فائدة فيه، تحريف.

(٢) ديوانه (طبع الجوائب ١٣٠٠ هـ) ٢: ١٥٩، وعجزه: «مبدية للشنان والشف»

(٣) كذا في غ وديوانه ٢: ١٠٠، وفي ص: يعقوب بن أبي الفرج. وعجز البيت:

« وقد خلج البين من قد خلج ».

(٤) الطنز: السخرية.

(٥) ابن المعتز: طبقات الشعراء ٢٨٦، الصولي: أخبار البحترى ٥٧، وأخبار أبو تمام

٥٧. الآمدى: الموازنة ٨، ابن خلكان: الوفيات ٢: ١٧٦، ياقوت: معجم الأدباء ١٩٠: ٢٤٩

اليافعي: مرآة الجنان ٢: ٢٠٤ العباسي: معاهد التنصيص ١: ٢٣٤.

قيل للبحترى : « إن الناس يزعمون أنك أشعر من أبي تمام » . فقال : « والله ، ما ينفعنى هذا القول ولا يضر أبا تمام . والله ما أكلتُ الخير إلا به . ولو دِدْتُ أن الأمر كما قالوا . ولكنى - والله - تابعٌ له ، آخِذٌ منه ، لائذ به ، نَسِمْى يركُد عند هوائه وأرضى تنخفض عند سمائه » .

وقال عبدالله بن الحسين^(١) بن سعد للبحترى - وقد اجتمعا والمبرد مهمما في سنة ست وسبعين ومائتين ، وقد أنشد البحترى شعرا لنفسه ، وقد كان أبو تمام قال في مثله - : « أنت - والله - أشعر من أبي تمام في هذا الشعر » . فقال البحترى : « كلا والله . إن أبا تمام الرئيس والأستاذ . والله ، ما أكلتُ الخير إلا به » . فقال المبرد : « لله درك يا أبا عبادة ! فإنك تآبى إلا شرفا من جميع جوانبك » .

قال البحترى^(٢) : « كان أول أمرى في الشعر ونباهتى أنى صرت إلى أبي تمام - وهو بمحص - فعرضت عليه شعرى ، وكان الشعراء يعرضون عليه أشعارهم . فأقبل على وترك سائر من حضر . فلما تفرقوا ، قال لى : « أنت أشعر من أنشدنى . فكيف حالك ؟ فشكوت إليه خلة . فكتب إلى أهل مَمَرَةَ النُّعْمَان ، وشهد لى بالحدق فى الشعر ، وشفع لى إليهم ، وقال : « امتدِحْهم » . فصرت إليهم فأكرمونى بكتابه ووظفوا لى أربعة آلاف درهم . فكانت أول مال أصبته . وكان نسخة كتابه : « يصل كتابى هذا على يدى الوليد أبى عبادة الطائى . وهو على بذاذته شاعر . فأكرموه » . قال البحترى : أول مارأيت أبا تمام أنى دخلت على أبى سعيد محمد بن يوسف ، وقد مدحته بقولى^(٣) :

(١) كذا فى س وأخبار البحترى للصولى ٥٧ . وفى ص ، ي : الحسن . وانظر أخبار أبى تمام ٦٦ .

(٢) أخبار البحترى ٥٥ ، وأبى تمام ٦٦ ، وتاريخ بغداد ٩ : ٢١٢ ، ومعاهد التنصيص ١ : ٢٣٥ ، وهبة الأيام للبيدى ١٣ .

(٣) أخبار البحترى ٦٣ ، وأبى تمام ١٠٥ وديوان البحترى ٢ : ٢١٢ .

أفاق صبًّا من جَوَى فأفبقا أم خان عهدا أم أطاع شفيقا؟^(١)
فسرّ بها أبو سعيد وقال : « أحسنت ، والله ، يا فتى ! » قال : وكان في مجلسه
رجل نبيل رفيع المجلس نبيه فوق كل من حضر عنده ، تسكاد تمس ركبته ركبته ، فأقبل
علىّ ثم قال : « أما تستحى منى ؟ هذا شعري تنتحله وتنشده بحضرتى ! » فقال له
أبو سعيد : « أحقا تقول ؟ » قال : « نعم . وإنما علّقه منى وسبقنى إليك به وزاد
فيه . » ثم اندفع فأنشد أكثر القصيدة حتى شككتنى - علم الله - فى نفسى ، وبقيت
متحيرا . فأقبل علىّ أبو سعيد فقال لى : « يا فتى ، قد كان من قرابتك منا ووؤدك لنا
ما يفتيك عن هذا . » فجعلت أحلف بكل محرّجة من الأيمان أن الشعر لى ما سبقنى
إليه أحد ولا سمعته ولا انتحلتاه . فلم ينفع ذلك شيئا . وأطرق أبو سعيد . وقطع بى
حتى تميت أنبى سحّخت فى الأرض . فقامت منكسف البال أجر رجلىّ فخرجت . فما
هو إلا أن بلغت باب الدار حتى خرج الغلمان فردونى . فأقبل علىّ الرجل وقال :
الشمر لك ، يا بنى والله ، ما قلته قط ولا سمعته إلا منك . ولكننى ظننت أنك
تهاونت بموضعى فأقدمت علىّ الإنشاد بحضرتى من غير معرفة كانت بيننا ، تريد بذلك
مضاهاى ومكائرتى ، حتى عرفنى الأمير نسبك وموضعك ولوددت ألا تلد طائية إلا
مثلك . » فجعل أبو سعيد يضحك . ودعانى أبو تمام إليه وعانقنى وأقبل يقرّظنى .
ولزمته بعد ذلك وأخذت عنه واقتديت به .

وقيل : إنه دخل علىّ أبى سعيد فألقى عنده أبا تمام قد أنشده قصيدة له .
فاستأذنه البحترى فى الإنشاد وهو يومئذ حديث السن . فقال له : « يا غلام ، أنتشده
بحضرة أبى تمام ! » فقال : « تأذن ويسمع . » فأذن له . فقام وأنشده إياها ،
وأبو تمام يسمع ويهتز من قرنه إلى قدمه استحسانا لها . فلما فرغ ، قال له :
« أحسنت ، والله يا غلام ! فمن أنت ؟ » قال : « من طيبى » . فطرب أبو تمام

(١) الديوان ، والأخبار ، غ : من هوى . وفى غ : أو خان عهدا أو أطاع شفيقا .

وقال : « من طيء ، والله ! الحمد لله على ذلك » . وقبل بين عينيه وضمه إليه .
 وقال : « لوددت أن كل طائية تلد مثلك » . ثم قال لأبي سعيد : « قد جعلت
 جائزتي له » . فأمر بها له ، فضُمَّت إلى مثلها ، ودُفعت للبحترى . وأعطى أبا تمام
 مثلها . وخصَّ به . وكان مداحا له طول أيامه ولابنه من بعده . ورثاها بعد مقاتلها
 فأجاد . ومرائيه فيهما خير من مداخجه لهما . وروى أنه قيل له في ذلك ، فقال :
 « من تمام الوفاء أن تفضل المرائي الديخ » لا كما قال الآخر^(١) - وقد سُئِلَ عن
 ضعف مرائيه فقال : « كنا نعمل للرجاء ونحن الآن نعمل للوفاء ، وبينهما بُمد » .
 وكان البحترى من أوسخ خلق الله ثوباً وآلة وأبجلمهم على كل شيء . وكان له
 أخ وغلّام معه في داره . فكان يقتلها جوعاً . فإذا بلغ منهما الجوع ، أتياه بيكيان .
 فيرى إليهما بئس أفتواتهما مُضَيِّقاً مقترأ ، ويقول : « كُلا ، أجاج الله أكبادكما ،
 وأعمرى أجسامكما ، وأطال إجهادكما » .

وكان له غلام روى ليس بحسن الوجه يقال له نسيم . وكان قد جعله باباً من أبواب
 الحليل على الناس . فكان يبيعه ويمتد أن يُصَيِّره في ملك بعض أهل الروات ومن
 ينفق عنده الأدب . فإذا حصل في ملكه ، شَبَّبَ به وتشوّقه ، ومدح مولاه حتى
 يهبه له . فلم يزل ذلك دأبه حتى مات نسيم ، فكفَى الناس أمره .
 قال أبو مسلم محمد بن بحر الأصبهاني : دخلت إلى البحترى يوماً فاحتبَسني عنده .
 وجاء بطعام له ودعاني إليه . فامتنت من أكله . وعنده شيخ شامى لا أعرفه ، فدعاه
 إلى الطعام . فتقدم فأكل معه أكلا عنيفاً . فعاظه ذلك . ثم التفت إليّ فقال : « أتعرف
 هذا؟ » قلت : « لا » . قال : « هذا شيخ من بني الهُجيم الذين يقول فيهم الشاعر :
 وبنو الهُجيم قبيلةٌ ملعونةٌ حصُّ اللّحي متشابهو الألوان^(٢) »

(١) هو أبو يعقوب الحریمی . (الوزراء والكتاب للجهمياري ٢٦٨) .

(٢) الحص : جمع أحص ، وهو الساقط الشعر .

لو يسمعون بأكلةٍ أو شربةٍ بُمانٍ أضحى جمعهم بممانٍ
فجعل الشيخ يشتمه ونحن نضحك .

اجتازت جارية بالتوكل معها كوز ماء وهي أحسن من القمر . فقال لها :
« ما اسمك ؟ » قالت : « برهان » . قال : « ولما هذا الماء ؟ » قالت : « لستى
قبيحة^(١) » . قال : « صبيته في حلقى » . فشربه عن آخره . ثم قال للبحترى : « قل
في هذا شيئاً » . فقال^(٢) :

ما قهوةٌ من رَحِيقِ كَأْسِهَا ذَهَبٌ جاءتُ به الحورُ من جناتِ رضوانِ
يوماً بأطيبِ من ماءِ بلا عَطَشٍ شربته عَبَثاً من كَفِّ بُرْهانِ
بعث البحتري إلى محمد بن علي بن القاسم القمي يستهديه نبيذاً . فبعث إليه نبيذاً مع
غلام له أمرّد . فجمّسه البحتري تجميشاً غضب منه الغلام غضباً شديداً^(٣) . وعلم
البحترى أنه سيخبر مولاه بما جرى . فكتب إليه^(٤) :

أبا جعفرِ ، كان تَجْمِيشُنَا غلامك إحدى الهناتِ الدنيّةِ^(٥)
بعثتَ إلينا بشمسِ الأمدامِ نُضِيءُ لنا مع شمسِ البريّةِ
فليتَ الهديةَ كان الرسولُ وليتَ الرسولُ إلينا الهديةَ

فبعث محمد بن علي إليه بالغلام هدية . فانقطع البحتري عنه بعد ذلك مدة خجلا
مما جرى . فكتب إليه محمد بن علي :

هجرتَ كأن البرِّ أعقبَ حِسمَةً ولم أرَ براً قبلَ ذا أعقبَ الهجرا^(٦)

(١) أحب زوجات التوكل إليه وأم الخليفة المعتز ، سميت قبيحة لعظيم جمالها .

(٢) لم أجده في ديوانه .

(٣) التجميش : الملاعبة والمغازلة .

(٤) ديوانه ٢ : ٩٣ . أخبار البحتري ١٢٩ . التعف والهدايا للخالدين ٤٩ .

(٥) أخبار البحتري : الردية .

(٦) غ : ولم أر وصلا . وفي ديوان البحتري ٢ : ١٠٥ :

هجرت كأن الوصل أعقب هجرة وما خلت وصلا قبلها يعقب الهجرا

فقال فيه قصيدته التي أولها (١) :

« * فتى مدحج عَفَّوا ، فتى مدحج عَفَّرا * »

وهي طويلة (٢) . وقال البحتري فيه أيضاً (٣) :

أَمْوَاهِبٌ هَاتِيكَ أَمْ أَنْوَاهِ هُطْلٌ ، وَأَخَذْتُ ذَاكَ أُمَّ إِعْطَاءِ

إِنْ دَامَ ذَا أَوْ بَمَضُ ذَا مِنْ فِعْلٍ ذَا فَنِي السَّخَاءِ فَلَا يَمُدُّ سَخَاءِ (٤)

منها :

أحمد بن عليّ اسمعْ عُذْرَةَ فِيهَا شَفَاءُ لِلْمُسَىِّ وَدَاءِ (٥)

إِنِّي هَجَرْتُكَ إِذْ هَجَرْتُكَ حِشْمَةً لَا الْعَوْدُ يُذْهِبُهَا وَلَا الْإِبْدَاءِ (٦)

أَخْجَلْتَنِي بِنَدَى يَدَيْكَ فَسَوَّدَتْ مَا بَيْنَنَا تِلْكَ الْيَدُ الْبَيْضَاءِ

وَقَطَمْتَنِي بِالْبِرِّ حَتَّى إِنِّي مَتَوْهُمْ أَنْ لَا يَكُونَ لِقَاءِ (٧)

صِلَةٌ غَدَتْ فِي النَّاسِ وَهِيَ قَطِيعَةٌ عَجَبًا ، وَبِرٌّ رَاحَ وَهُوَ جَفَاءِ (٨)

لِيُؤْصِلَنَّكَ رَكْبُ شَعْرٍ سَائِرٍ يَرْوِيهِ فَيْكَ لِحْسِنِهِ الْأَعْدَاءِ (٩)

حَتَّى يَمَّ لَكَ التَّنَاءُ مَخْلَدًا أَبْدَا كَمَا تَمَّتْ لَكَ التَّنَمَاءِ (١٠)

(١) ديوانه ٢ : ١٠٦ ، وعجزه : « لمعتذر جاءت إساءته تترى » .

(٢) ليس في الديوان منها غير ١٤ بيتا .

(٣) ديوانه ٢ : ٢١٩ .

(٤) غ والديوان : ذهب السخاء . الديوان : فلا يحس سخاء .

(٥) الديوان : فيها دواء .

(٦) الديوان : إني صرمتك إذ صرمتك وحشة .

(٧) الديوان . وقطعتني بالجود . . متخوف ألا يكون لقاء .

(٨) الديوان : عجب .

(٩) ب ، س : لأوصلنك . غ : ركب شعري . . تهدي به ، ب ، س : في مدحك الأعداء .

ي : من مدحك الأعداء .

(١٠) الديوان : تمت لي . غ : دامت لك النعماء .

فَتَظَلُّ بِحَسْبِكَ الْمَلُوكُ الصَّيِّدُ بِي وَأَظْلُ بِحَسْبِنِي بَكِ الشَّمْرَاءُ^(١)
 ومات البحترى بالسكتمة . قال الأخفش : سألت القاسم بن عبيد [الله]^(٢) عن
 خبر البحترى ، فقلت : « إنه مات بالسكتمة » . فقال : « ويحه ! رُمِي فِي أَحْسَنِهِ » .
 قال البحترى : أنشدني أبو تمام لنفسه يوما^(٣) :

وسابح هَظَلِ التَّعْدَاءِ هَتَانِ عَلَى الْجِرَاءِ أَمِينٍ غَيْرِ خَوَانِ^(٤)
 أَظْمَى الْفُصُوصِ وَلَمْ تَظْمَأْ قَوَائِمُهُ فِجْلُ بَعِينِيكَ فِي ظَمَانَ رِيَانِ^(٥)
 فلو تراه مُشِيحًا وَالْحَصَى زَيْمٌ بَيْنَ السَّنَابِكِ مِنْ مَثْنَى وَوُحْدَانِ^(٦)
 أَيْقَنْتَ إِنْ لَمْ تَثْبِتْ أَنْ حَافِرَهُ مِنْ صَخْرٍ تَدْمُرَ أَوْ مِنْ وَجْهِ عُثْمَانَ^(٧)

ثم قال لي : « ما هذا الشعر؟ » قلت : « لا أدري » . قال : « هذا هو المستطرد »
 أو قال : « الاستطراد » . قلت : « وما معنى ذلك؟ » قال : « يُرِيكَ أَنَّهُ يَرِيدُ صِفَةَ
 الْفَرَسِ وَهُوَ يَرِيدُ هِجَاءَ عُثْمَانَ » .

وقد فعل البحترى ذلك . فقال في صفة الفرس أيضا^(٨) :

مَا إِنْ يَمَافُ قَدِّي وَلَوْ أوردته يوما خلائقَ حَمْدٍ وَيَهْ الأَحْوَلِ

(١) غ والديوان : تحسبك .

(٢) هو وزير المعتضد والمكتفي .

(٣) ديوانه (بيروت ١٨٨٩) ٤٦١ أخبار البحترى ٥٩ . الصناعتين للعسكري ٣٩٩ .

زهر الآداب للحصرى ١٠١٤ ، معجم الأديباء ٩ : ٢٥٠ . وهي في هجاء .

(٤) عثمان بن إدريس السامي . السابح : الفرس التي تسبح بيديها في سيرها . والتعداء : العدو

والجري والجراء .

(٥) الديوان والزهر والصناعتين والأخبار ، غ : فجل عينيك . الصناعتين : نظماً عرائكة

والفصوص : المفاصل ، وظموها : ضمورها .

(٦) الأخبار والديوان : والحصى رمض . وزيم : متفرق . الديوان : تحت السنابك .

(٧) ياقوت : إن تثبت . الديوان : حلفت إن لم تثبت .

(٨) ديوانه ٢ : ٢١٨ . زهر الآداب ١٠١٥ . أخبار البحترى ٥٩ . الصناعتين ٤٠٠ .

معجم الأديباء ١٩ : ٢٥٠ .

وكان حمدويه الأحوال عدواً لمحمد بن علي المدوح بهذه القصيدة ، فهجاه في عرض

مدحه لمحمد .

قال البحرى : قال أبو تمام : « بلغنى أن بنى حميد أعطوك مالا جليلا فيما مدحتهم به ، فأنشدنى شيئا منه » فأنشدته بعض ما قلت فيهم . فقال لى : « كم أعطوك ؟ » فقلت : « كذا وكذا » . فقال لى « لقد ظلموك . ، والله ما وفوك حقاك ^(١) . فلم استكثر ما دفعوه إليك ؟ فوالله ، لبيت منها خير مما أخذت منهم » . ثم أطرق قليلا وقال : « لعمري لقد استكثر ذلك واستكثر لك . لقد مات الناس وذهب الكرام وغاضت الكارم وكسدت سوق الأدب . أنت - والله يابنى - أمير الشعراء بمدى غدا » . فقامت فقبلت رأسه ويديه ورجليه . وقلت له : « والله ، لهذا القول أسرُّ لقلبي وأقوى لنفسي مما وصل إلى من القوم » .

قال البحرى : أنشدت أبا تمام يوما شيئا من شعري . فتمثل بيت أوس

ابن حجر ^(٢) :

إذا مقررٌ منا ذرا حده نابه تخمط منا ناب آخر مقرر ^(٣)

ثم قال لى : « نعت - والله - إلى نفسي » . فقلت : « أعيذك بالله من هذا القول » . فقال : إن عمرى لن يطول وقد نشأ فى طي مثلك . أو ما علمت أن خالد ابن صفوان رأى شبيب بن شيبه وهو من رهطه يتكلم ، فقال : « يابنى ، لقد نى إلى نفسي إحسانك فى كلامك ، لأنأهل بيت ما نشأ منا خطيب قط إلا مات من قبله » . فقلت له : « بل يبيحك الله ويجعلنى فداك » . قال : فات أبو تمام بعد سنة .

(١) حقاك : كذا فى غ . وفى س : حقاك .

(٢) ديوانه (طبع بيروت ١٩٦٠) ١٢٢ . الخطيب ١٣ : ٤٧٨ .

(٣) ب ، س والديوان : تخمط فينا . الديوان : وإن مقرر . وذرا : انكسر أو وقع .

وتخمط : تكبر وأخذ قهرا . والقرم : السيد المقدم .

قال أبو العنّس الصيّمرى : كنتُ عند المتوكل والبحترى يشده (١) :
عن أىّ نغـرٍ تبتسمُ ؟ وبأىّ ظرفٍ تحيكمُ ؟
حتى بلغ إلى قوله فيها :

قُلْ للخليفة جعفر الـ متوكل بن العتصم
المبتدى المجدى (٢) والمنعم بن المنعم
اسلم لدين محمدٍ فإذا سلمت فقد سلم

وكان البحترى من أبعض الناس إنشادا : يتشادق ويتزاور (٣) في مشيته مرة جانباً ومرة القهقرى ، ويهز رأسه ومنكبيه أخرى ، ويشير بكمه ، ويقف عند كل بيت ويقول : « أحسنتُ والله ! » ثم يقبل على المستمعين فيقول : « ما لكم لا تقولون لى : أحسنتُ هذا - والله - لا يحسن أحد [أن] يقول مثله » . فضجر المتوكل من ذلك وأقبل على ، وقال : « ألا تسمع - يا صيمرى - ما يقول هذا ! » فقلت : « يا سيدى ، مرّنى فيه بما أحببت » . فقال : « بجياتى أهجّه على هذا الروى الذى أنشدنيه » . فقلت : « تأمر ابن حمدويه أن يكتب ما أقول » . فدعا بدواة وقرطاس . وحضرنى على البديهة أن قلت من أبيات :

فى أىّ سلحٍ تلتقمُ ؟ وبأىّ كفٍ تلتطمُ ؟ (٤)
يا بحترى حذارٍ وئ حاك من قضاضة ضنم (٥)

-
- (١) ديوانه ١ : ٥٣ . أخبار البحترى ٨٧ ، ٨٨ ، ١٧١ . معجم الأدياء ١٨ : ١٢ .
(٢) الديوان : للمرضى بن الحجتى . ياقوت : والمجندى بن المجندى .
(٣) يتزاور : كذا فى أى ينحرف . وفى ص : يتشاور .
(٤) الأخبار مرة : من أى سلح . وفيه وفى غ : فى أى سلح ترتطم . وياقوت : فى أى سلح تلتطم . وفى غ ومعجم الأدياء : وبأى كف تلتقم .
(٥) ياقوت : ويملك القضاضة : جمع قضااض ، وهو الأسد . والضغم : جمع ضاغم ، وهو العاض بجلء فيه .

- فلقد أسلتَ بوادييَّ (١) ك من الهجا سَيْلَ العَرَمِ (١)
 وبأىِّ عَرَضٍ تَعْتَصِمُ ؟ وبهتِكِه جَفَّ القَلَمُ (٢)
 والله ، حِلْفَةَ صَادِقٍ وبقبرِ أَحْمَدَ وَالْحَرَمِ
 وَوَحَقَّ جَعْفَرِ الإِمَا م بن الإمامِ المَعْتَصِمِ (٣)
 لِأَصِيرِنَكَ شُهُرَةَ بَيْنَ المَسِيلِ إِلَى العَلَمِ
 حَى الطُّلُولِ بَدَى سَلَمَ بَيْنَ الأَرَاكَةِ وَالْحَلِيمِ (٤)
 يَا ابنَ الثَّقِيلَةِ والثَّقِيمِ لَ عَلَى قلوبِ ذَوِي النِّعَمِ
 وَعلى الصَّغِيرِ معَ الكَبِيرِ رَ من الموالىِ وَالْحَدَمِ (٥)
 يَا ابنَ المُبَاخَةِ في الوَرَى أَمِنَ العَفَافِ أَمِ التُّهَمِ (٦)
 إِذ رَحَلُ أختِكَ لِلعَجَمِ وَفراشُ أُمِّكَ في الظُّلَمِ
 وَيبابِ دارِكَ حانَةَ في بَيْتِهِ يُؤْتَى الحَكَمِ (٧)

ففضب البحترى وخرج يعدو . وجعلت أضح به :

أدخلت رأسك في الحرم وعلمت أنك تنهزم (٨)

فضحك المتوكل حتى غلب . وأمر لأبي العنابس بالصلة التي أعدت للبحترى .

(١) ب ، س : أسلت بوالديك . ياقوت : أسلت لوالديك .

(٢) غ وياقوت : فبأى .

(٣) غ وياقوت : وبحق .

(٤) غ وياقوت : حيث الأراكة .

(٥) ب . س : ابن الموالى . غ : الموالى والحشم . ياقوت : مع الموالى والحشم .

(٦) غ وياقوت : للورى .

(٧) كذا في غ وياقوت . وفي ص : وبنات دارك .

(٨) غ والأخبار مرة : في الرحم . وفي الأخبار مرة منهزم .

قال أحمد بن يزيد : حدثني أبي قال : جاءني البحتري فقال لي : « يا أبا خالد ، أنت عشيري وابن عم وصديق ، وقد رأيت ماجرى على . أفستري أن أخرج إلى منبج^(١) بغير إذن ، فقد ضاع العلم والأدب ؟ » فقلت له : « لا تفعل من هذا شيئا ، فإن الملوك تمزح بأكثر من هذا . ومضيت معه إلى الفتح ، فشكا إليه فقال له نحواً من قولي ووصله وخلع عليه وسكن منه . فسكن إلى ذلك .

ولما قتل المتوكل قال أبو العنيس الصيمري :

يا وحشة الدنيا على جعفر
على قتيل من بنى هاشم
والله رب البيت والشعر
لثار بالشام له نائر
يقدمهم كل أخى ذلة
على حمار دابر أعور
على الهمام الملك الأزهر
بين سرير الملك والمنبر
والله أن لو قتل البحتري
في ألف نغل من بنى عخرى^(٢)
فشاعت الأبيات حتى بلغت البحتري . فضحك وقال : « هذا الأحق يرى أنى أجيبه على مثل هذا ! ولو عاش امرؤ القيس فقال مثل قوله لم أجيبه » .

(١) منبج : بلدة الشاعر في شمال سورية قرية من حلب .

(٢) غ : نغل . وفي ص بدون نقط . والنغل : ابن الزنا .

فالياء

يزيد حوراء*

رجل من أهل المدينة ، من موالى بنى ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة .
كنيته أبو خالد .

مُغَنِّ مُحَسِّن . قدم على المهدي في خلافته وغمّاه . وكان حسن الصوت ، حلو
الشمايل .

فخسه إبراهيم الموصلي على شمائله وإشاراته^(١) في الغناء . فاشترى عدة جوار
وشاركه فيهن . وقال له : « علمهن . وما رزق الله من ربح فيهن فهو بيننا » .
وأمرهن أن يجملن وكدهن أخذ إشاراته^(٢) . ففعلن ذلك . فكان إبراهيم
يأخذها عنهن هو وابنه ، ويأمرهن بتعليم كل من يعرفنه ذلك ، حتى شهرها في الناس .
فأبطل عليه ما كان منفردا به من ذلك .

وكان نظيفا ظريفا شكلا^(٢) حسن الوجه ، لم يقدم من الحجاز أنظف منه
ولا أشكل .

وكان صديقا لأبي مالك الأعرج . فرض مرضا شديدا واحتضر . فأنتم عليه
الرشيد وبمث بمسرور مرات يسأل عنه . ثم مات . فقال أبو مالك فيه من أبيات :
لم يُمتع من الشباب يزيدُ صار في التراب وهو غضُّ جديدُ

* أخباره في ب ٣ : ٧٣ ، س ٣ : ٧٠ ، د ٣ : ٢٥١ ، ي ٣ : ٢٤٦ ، ت ١ : ٤٠٧ .

(١) غ : إشارته .

(٢) الشكل : ذو الدل والنزل

فكان لم يكن يزيد ولم يشج نديما يهزه التفريد
وكان يتعصب لإبراهيم على ابن جامع . فكان إبراهيم يرفع منه ويشيع ذكره
وينبه على مواضع تقدمه .

قال يزيد حوراء: « كَلَّمَنِي أَبُو الْعَتَاهِيَةِ فِي أَنْ أَكَلِمُ الْمَهْدِيَّ فِي أَمْرِ عَتْبَةَ ، وَأَنْ
أَتَنَجِّزَ لَهُ مَا كَانَ وَعَدَهُ مِنْ تَرْوِيحِهَا لَهُ . فَقُلْتُ لَهُ : « إِنْ الْكَلَامُ لَا يُمْكِنُنِي وَلَكِنْ
قُلْ شِعْرًا أُغْنِيهِ فِيهِ » . فَقَالَ (١) :

نَفْسِي بِشَيْءٍ مِنَ الدُّنْيَا مُعَلِّقَةٌ اللَّهُ وَالْقَائِمُ الْمَهْدِيُّ يَكْفِيهَا

إِنِّي لِأَيَّسُ مِنْهَا ثُمَّ يُطِمِّئُنِي فِيهَا احْتِقَارُكَ لِلدُّنْيَا وَمَا فِيهَا (٢)

قال : فَعَمِلْتُ فِيهِ لِحْنَا وَغَنِيَّتِهِ . فَقَالَ : « مَا هَذَا ؟ » فَأَخْبَرْتَهُ خَبَرَ أَبِي الْعَتَاهِيَةِ .
فَقَالَ : « نَنْظُرُ فِيهَا سَأَلَ عَنْهُ » . فَأَخْبَرْتُ بِذَلِكَ أبا الْعَتَاهِيَةِ . ثُمَّ مَضَى شَهْرٌ .
فَجَاءَنِي فَقَالَ : « هَلْ حَدَّثْتَ خَبَرَ ؟ » فَقُلْتُ : « لَا » . قَالَ : « فَاذْكَرْنِي لِلْمَهْدِيِّ » .
فَقُلْتُ : « إِنْ أَحْبَبْتَ ذَلِكَ فَقُلْ شِعْرًا تَحْرِكُهُ بِهِ وَتَذَكِّرُهُ وَعَدَهُ حَتَّى أُغْنِيَهُ بِهِ » .
فَقَالَ (٣) :

لَيْتَ شِعْرِي مَا عِنْدَكَ ؟ لَيْتَ شِعْرِي فَلَقَدْ أُخِّرَ الْجَوَابُ لِأَمْرِي (٤)

مَا جَوَابٌ أَوْلَى بِكُلِّ جَمِيلٍ مِنْ جَوَابٍ يُرَدُّ مِنْ بَعْدِ شَهْرٍ

قال يزيد : فغذيت المهدي فقال : « على بعثتة » . فأحضرت . فقال : « إن
أبا العتاهية كلمني فيك . فما تقولين ؟ ولك عندى وله كل ما تحبان مما لا تبلغه
أمانيكما » . فقالت له : « قد علم أمير المؤمنين ما أوجب الله على من حق مولاتى ،

(١) القصة في زهر الآداب ٣٢٦ . ديوانه ٣٢٤ .

(٢) غ ، ت ، والحصرى والديوان : لاني لأياس .

(٣) ديوانه ٣٢٥ .

(٤) الحصرى : إنما آخر .

وأريد أن أذكر هذا لها . قال : « فافعلى » . قال : فأعلمت أبا العتاهية . ومضت أيام فسألنى معاودة المهدي . فقلت : « قد عرفت الطريق فقل ما شئت حتى أغنيه به » . فقال (١) :

ولقد تَنَسَّمْتُ النِّجَاحَ لِحَاجَتِي فإذا لها من راحَتَيْكَ نَسِيمٌ (٢)
ولربما استيأستُ ثم أقول : لا إن الذى وَعَدَ النِّجَاحَ كَرِيمٌ (٣)
أعملتُ نفسى من رجائك ماله عَنَقَ يُحِبُّ إِلَيْكَ بى وَرَسِيمٌ (٤)
ورميتُ نحوَ سماءِ جُودِكَ ناظِرِي أرعى نَحَائِلَ بَرَقَها وَأَشِيمٌ (٥)

قال يزيد : فغنيته فقال : « على بعتبة » . فجاءت . فقال : « ما صنعتِ » . فقالت : « ذكرت ذلك لمولاتى فكرهته وأبت أن تفعل . فليفعل أمير المؤمنين ما يريد » . فقال : « ما كنت لأفعل شيئا تكرهه » . فأعلمت أبا العتاهية بذلك . فقال من أبيات (٦) :

ولئن طمعتُ لَرُبِّ بَرَقَةٍ خُلِبَ مالتُ بذي طمعٍ وَلَمَعَةَ آلِ (٧)
وقيل : إن المهدي دعا بأبي العتاهية وقال له : « أما عتبة فلا سبيل إليها لأن

(١) ديوانه ٣٢٧ .

(٢) غ : تنسمت الرياح حاجتى . ت ، والحصرى والديوان : تنسمت الرياح لحاجتى .

والحصرى : ولذا .

(٣) غ مرة والحصرى والديوان : ضمن النجاح .

(٤) ت : أعلقت نفسى . غ : والحصرى والديوان : أشربت قلبى . والعنق والرسيم :

نوعان من السير . ويحب : يسرع .

(٥) غ مرة : وأملت نحو . . برقه . وفى زهر الآداب : وأملت نحو سماء صوبك . والجود

بفتح الجيم : المطر الغزير ، وجائز أن تكون بضم الجيم بمعنى الجود . وأشيم : أطلع .

(٦) ديوانه ١٩٤ .

(٧) الحصرى : برق خلب . والخب : ما لامطر فيه . والآل : السراب . الديوان : ولئن

يئست . . برقت لذى طمع وبرقة آل .

مولاتها منعت منها ، ولكن هذه خمسون ألف درهم فاشترى ببعضها خيرا من عتبة .
فحملت إليه .

قال يزيد حوراء : كنت أجلس بالمدينة على أبواب قريش . وكانت تمرّ بي جارية
تختلف إلى الزرقاء تتعلم منها الغناء . فقلت لها يوما : « افهمي قولي ، ورُدّي جوابي ،
وكوني عند ظني » . فقالت : « هات ما عندك » . فقلت : « بالله ، ما اسمك » .
فقالت : « مُمَنمة » . فأطرقت طَيْرَةً^(١) من اسمها مع طعمي فيها . ثم قلت : « بل باذلة
أو مبدولة ، إن شاء الله . فاسمى مني » . فقالت وهي تبتمس : « إن كان عندك شيء
فقل » . فقلت :

لِيَهْنِكِ مِنِّي أَنِّي لَسْتُ مُفْشِيَا هَوَاكَ إِلَى غَيْرِي وَلَوْ مَثُ مِنْ كَرَبِ
وَلَا مَانِحَا خَلَقَا سَوَاكَ مَحَبَّةً

وَلَا قَاتِلَا - مَا عَشْتُ - مِنْ حُبِّكُمْ حَسْبِي^(٢)

فنظرت إلى طويلا ثم قالت : « أنشدك الله : أعن فرط محبة أم اهتمياج غُلْمَة
تكلمت ؟ » فقلت : « لا والله إلا عن فرط محبة » . فقالت :

فَوَاللَّهِ رَبِّ النَّاسِ ، لَا خُنْتُكَ الْهَوَى وَلَا زَلْتِ مَخْصُوصَ الْمَحَبَّةِ مِنْ قَلْبِي
فَتَيْقُ بِي فَإِنِّي قَدْ وَثِقْتُ وَلَا تَكُنْ عَلَى غَيْرِ مَا أَظْهَرْتَ لِي يَا أَخَا الْحُبِّ
فَوَاللَّهِ ، لَكَا أَنَّمَا أَضْرَمْتُ فِي قَلْبِي نَارَا . وَكَانَتْ تَلْقَانِي فِي الطَّرِيقِ الَّتِي كَانَتْ
تَسْلُكُهَا وَتَحْدِثُنِي فَأَنْتَرَجُ بِهَا ، ثُمَّ اشْتَرَاهَا بَعْضُ أَوْلَادِ الْخُلَفَاءِ ، فَكَانَتْ تَكَاتِبُنِي
وَتَلَاظِفُنِي دَهْرًا طَوِيلًا .

(١) تشاؤما .

(٢) غ ، ت : سواك مودتي .

يَزِيدُ بْنُ ضَبَّةَ *

مولى ثقيف . واسم أبيه مِقْسَم . وضبة أمه ، غلبت على نسبه لأن أباه مات وخلفه صغيرا . وكانت أمه تحضن أولاد المغيرة بن شعبه ثم أولاد ابنه عُروة بن المغيرة . وولاهم لبني مالك بن حطيظ ثم لبني عامر بن يسار .

قال عبد العظيم بن عبد الله بن يزيد بن ضبة : كان جدى يزيد منقطما إلى الوليد ابن يزيد في حياة أبيه لا يفارقه . فلما أفضت الخلافة إلى هشام ، أتاه مهتئا بالخلافة . فلما استقر به المجلس ووصلت الوفود فأثنت الخطباء عليه والشعراء تمدحه ، مثل جدى بين السامطين فاستأذن في الإنشاد . فلم يأذن له وقال : « عليك بالوليد فامدحه وأنشده » . وأمر بإخراجه . فبلغ الوليد خبره . فبعث إليه بخمسة مائة دينار وقال له : « لو أمنت عليك هشاما لما فارقتني ، ولكن اخرج إلى الطائف ، وعليك بمالي هناك ، فقد سوغتكم جميع غنّته . ومهما احتجت إليه من شيء بعد ذلك فالتسه مني » . فخرج إلى الطائف . فقال يذكر ما فعل به هشام :

أرى سلمى تصدّ وما صدّدنا	وغير صدودها كنا أردنا ^(١)
ألا من مبلغ عنى هشاما	فأما من البلاء وما بمدنا
وما كنا عن الخلفاء نقضى	ولا كنا نؤخر إن شهدنا ^(٢)
ألم يك بالبلاء لنا جزاء	فجزى بالبحاسن أم حسدنا
وقد كان الملوك يرون حقا	لوافدنا ففكرم إن وفدنا

* أخباره في ب ٦ : ١٤٦ ، ١٤١ ، ٧٥ : ٧ ، ٩٣ ، ت ١ : ٨٣٧ .

(١) كذا في غ . وفي س : ألا سلمى .

(٢) غ : وما كنا إلى الخلفاء نقضى .

وَلَيْنَا النَّاسَ أَرْمَانًا طَوَالًا وَسُسْنَاهُمْ وَدُسْنَاهُمْ وَقَدْنَا
 وَنَكْوَى بِالْعِدَاةِ مِنْ بَنَانَا وَنُسْعِدُ بِالْمُودَةِ مِنْ وَدِدْنَا
 نَرَى حَقًّا لِسَائِلِنَا عَظِيمًا فَنَحْبُوهُ وَنُنَجِّزُ إِنْ وَعَدْنَا^(١)
 وَنَضْمَنَ جَارِنَا وَنَرَاهُ مِنْهَا وَنَرَفِدُهُ وَنُجْزِلُ مَا رَفَدْنَا^(٢)
 وَكَانَ أَبُوكَ قَدْ أَسَدَى إِلَيْنَا جَسِيمَةً أَمْرِهِ وَبِهِ سَعِدْنَا

فلم يزل مقبياً بالطائف إلى أن ولى الوليد الخلافة ، فوفد عليه . فلما دخل الناس ،
 ومنهم جالس وواقف على مراتبهم ، سلم وهنأه بالخلافة . فأدناه الوليد إليه وضمه .
 وقبل يزيد يديه ورجليه والأرض بين يديه . فقال الوليد لأصحابه :

« هذا طريد الأحوال لصُحْبَتِهِ إِبَائِي وَلَا تَقْطَاعِهِ إِلَيَّ » فاستأذنه في الإنشاد وقال
 له : « يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، هَذَا الْيَوْمُ الَّذِي أَمَرَنِي^(٣) عَمَّكَ بِالْإِنْشَادِ فِيهِ ، وَقَدْ بَلَغْتُهُ
 بَعْدَ يَأْسٍ . وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى ذَلِكَ » . فَأُذِنَ لَهُ فَأَنشَدَهُ مِنْ أَيْيَاتِ :

سَلِّمِي تِلْكَ فِي الْعَمِيرِ قَفِي إِنْ شَدَّتْ أَوْ سِيرِي^(٤)

منها :

لَقَدْ لَاقَيْتُ مِنْ سَلْمَى تَبَارِيحَ التَّنَاكِيرِ^(٥)

دَعَتْ عَيْنِي لَهَا قَلْبِي بِأَسْبَابِ الْمَقَادِيرِ^(٦)

(١) غ : ونجزل إن وعدنا .

(٢) غ : فترفده فنجزل إن رقدنا . وترفد : نعطي .

(٣) غ : نهاني .

(٤) غ : قفي أسألك . ت : قفي أخبرك . والعمير : القافلة .

(٥) التباريح : الشدائد . والتناكير : الأمور المنكرة .

(٦) غ : وأسباب المقادير .

منها:

زَجَرْنَا الْعَيْسَ فَارْقَدَتْ	بِأَعْصَافٍ وَتَشْمِيرٍ (١)
تُقَاسِمُهَا عَلَى أَيْنٍ	بِإِدْلَاجٍ وَتَهْجِيرٍ (٢)
إِذَا مَا اعْصَوْ صَبَّ الْآلُ	وَمَالَ الظِّلُّ بِالْقُورِ (٣)
وَرَا حَتْ تَتَّبِعُ الشَّمْسِ	عُمُونَا كَالْقَوَارِيرِ (٤)
إِلَى أَنْ يُفْصِحَ الصَّبْحُ	بِأَصْوَاتِ الْعَصَافِيرِ (٥)
لَتَعْتَمَّ الْوَلِيدَ الْقَرَّ	مَ أَهْلَ الْجُودِ وَالْخَيْرِ (٦)
كَرِيمًا يَهَبُ الْبَزْلَ	مَعَ الْخُورِ الْجَرَّاجِيرِ (٧)
بَلُونَاهُ فَأَحْمَدْنَا	هُ فِي عُسْرِ وَمَيْسُورِ (٨)

فأمر الوليد بمتة أبيات القصيدة ويُعطى بكل بيت ألف درهم . فكانت خمسين بيتا فأخذ خمسين ألف درهم . وهو أول خليفة عدت أبيات الشعراء وأعطى بكل بيت ألف درهم . ولم يفعل ذلك بعمده أحد إلا هارون . فإنه أعطى مروان بن

(١) فارقدت : كذا في د ، ي . وفي ص ، ب ، س : فارتدت . والعيس : الإبل البيض يخاطها شقرة . وارقدت : أسرع . والإعصاف : الإسراع في السير .
(٢) الأين : الأعياء . والإدلاج : السير في الليل . والتهجير : السير في منتصف النهار .
(٣) اعصوب : اشتد . الآل : السراب . والقور : جمع قارة ، وهي الجبل المنقطع عن الجبال أو الصخرة العظيمة .
(٤) غ :

وراحت تتق الشمس مطايا القوم كالعور

(٥) غ : يفصح الصبح .

(٦) لتعام : كذا في د ، ي . وفي ب ، س : لتعام . وفي ص : لتعتاد ، تحريف . وتعام تقصد مختارة له . والقرم : السيد . والخير : الكرم والشرف .

(٧) غ : كريم . والبزل : جمع بازل ، وهو الجمل في التاسعة من عمره فما فوقها . والخور :

النوق الغزيرة اللبن . والجراجير : الكرام من الإبل .

(٨) بلوناه : اختبرناه .

أبي حَفْصَة ومنصورا النَّمْرِي - لما مدحاه وهَجَّوآ آل أبي طالب عليهم السلام -
بكل بيت ألف درهم .

وكان يزيد فصيحاً ، يطلب القوافي المتعاصية والوخشي من الشعر^(١) .
وقال مشايخ الطائف : إن يزيد قال ألف قصيدة ، فاقسمتها شعراء العرب ،
فذهبت بها ودخلت في شعرها .

(١) غ : القوافي المتعاصية والوخشي من الشعر .

يزيد بن الطَّثَرِيَّة*

هو يزيد بن الصَّمَّة^(١)، أحد بني سَلَمَةَ الخَيْر^(٢) بن قُشَيْر. وقال البصريون :
إنه من ولد الأعور بن قشير .

وقيل^(٣) : هو يزيد بن سَلَمَةَ بن سُمُرَةَ بن سَلَمَةَ الخَيْر بن قشير بن كعب بن ربيعة
ابن عامر بن صَعْمَةَ . وإنما قيل له سَلَمَةَ الخَيْر لأنه كان لقشير ابن آخر يقال له
سَلَمَةُ الشَّر .

وقيل : إنه يزيد بن المُنْشَر بن سَلَمَةَ .

والطَّثَرِيَّة أمه امرأة من بني طَثْر ، وهم حي من اليمين عِدَادُهُمْ في جَرَم . وقيل :
إن طَثْرًا من عَثْر بن وائل ، أخى بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دُعَمَى
ابن جديلة بن أسد بن ربيعة بن زرار .

وكان أبو جراد أحد بني المُنْتَفِق بن عامر بن عُقَيْل أسر طَثْرًا . فسكث عنده
زمانًا ثم خلاه وأخذ عليه إصرا^(٤) ليمعنين إليه بفدائه أو ليأتينه بنفسه وأهله . فلم
يجد فداء فاحتمل بأهله حتى دخل على أبي جراد . فوسمه سمة إبله . فهم حلفاء لبني
المنتفق إلى الآن نحو خمس مائة رجل متفرقين في بني عُقَيْل يؤولون إلى بني المنتفق .

* أخباره في ب ٧ : ١١٠ ، س ٧ : ١٠٤ ، د ٨ : ١٥٥ ، ي ٨ : ١٥٧ ، ت ١ : ٩٥٣
وطبقات فضول الشعراء لابن سلام ٥٨٣ ، ٥٨٦ ، والشعر والشعراء لابن قتيبة ٢٥٥ ، ووفيات
الأعيان لابن خلكات ٢ : ٢٩٩ ، ومعجم الأدباء لياقوت ٢٠ : ٤٦ .

(١) ذلك قول ابن الكلبي .

(٢) ابن سلام : أحد بني عمرو بن سلمة .

(٣) ذلك قول أبي عمرو الشيباني .

(٤) الإصر : العهد .

وهم يُعَيَّرُونَ بذلك الوسم : وسم أبي جراد . وفيهم يقول يزيد بن الطثرية :
أَلَا بِنَسْ مَا أَنْ تَجْرُمُونِي وَتَغْضَبُونِي عَلَى إِذَا عَاتَبْتِكُمْ يَا بَنِي طَاطِرٍ^(١)
وفيهم يقول بعض من يهجوهم :

* عَلَيْهِ الْوَسْمُ وَسْمُ أَبِي جَرَادِ *

وقيل : إن الطثرية أم يزيد كانت مولمة بإخراج زُبْد اللبَن ، فسميت الطثرية .
وَطَاطِرَةٌ^(٢) اللبَن : زُبْدَتُهُ .

وكنية يزيد أبو المَكْشُوح .

وكان يلقب مُودِقًا ، سُمِّيَ بذلك لحسن وجهه ، وحسن شعره ، وحلاوة حديثه .
فكانوا يقولون : إنه إذا جلس بين النساء أُودِقَن^(٣) .

وكان كثيراً ما يتحدث إلى النساء . وكان يقال : إنه عِنَّين . وكانت النساء
مفتونات به . ولا عَقِبَ له .

أَمَحَلَّ النَّاسُ فِي سَنَةِ حَتَّى ذَهَبَتِ الدَّقِيقَةُ مِنَ الْمَالِ وَهَسَكَتِ الْجَلِيلَةُ . فَأَقْبَلَ
صِرْمٌ^(٤) مِنْ جَرْمٍ سَاقَتَهُ السَّنَةُ وَالْجُدْبُ مِنْ بِلَادِهِ إِلَى بِلَادِ بَنِي قَشِيرٍ . وَكَانَ
بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ بَنِي قَشِيرٍ حَرْبٌ عَظِيمَةٌ ، فَلَمْ يَجِدُوا بُدَاً مِنْ رَمَى قَشِيرٍ بِأَنْفُسِهِمْ ، لِمَا قَدَّ
سَاقَهُمْ مِنَ الْجُدْبِ وَالْمَجَاعَةِ وَرَقَةَ الْمَالِ . وَوَقَعَ الرَّبِيعُ فِي بِلَادِ بَنِي قَشِيرٍ . فَانْتَجَمَهَا
النَّاسُ وَطَلَبُوهَا . فَلَمْ يَعُدْ أَنْ لَقِيَتْ جَرْمٌ قَشِيرًا ، فَنَصَبَتْ قَشِيرٌ لَهَا الْحَرْبَ . فَقَالَتْ
جَرْمٌ : « إِنَّمَا جِئْنَا مُسْتَجِيرِينَ غَيْرَ مَحَارِبِينَ » . قَالُوا : « مِمَّاذَا تَسْتَجِيرُونَ ؟ » قَالُوا :

(١) كَذَا فِي غ . وَفِي ص : أَنْ تَحْرَمُونِي ، وَفِي الْهَامِشِ : تَجْرُونِي ، تَحْرِيفٌ . وَتَجْرَمُونِي :

تَقْطَعُونِي .

(٢) كَذَا فِي غ ، ت ، وَالْمَعْجَمُ . وَفِي ص : طَاطِرَةٌ ، تَحْرِيفٌ .

(٣) أُودِقَن : مَلَنَ إِلَى الرِّجَالِ ، أَيْ فَتَنَهُنَّ .

(٤) الصِّرْمُ : الْمَجَاعَةُ .

« من السنّة والجذب والهَلَكَة التي لا باقية لها » . فأجرتهم قشير وسالمتهم وأرعتهم طرفاً من بلادها .

وكان في جَرَمٍ فتى يقال له مَيّاد . وكان غزِلاً حسن الوجه ، تامّ القامة ، آخذاً بقلوب النساء . والغزل في جَرَمٍ جازٌ حسن ، وهو في قُشير نائِرة^(١) . فلما نازتُ جرم قشيرا وجاورتها ، أصبح مَيّاد الجَرْمِي فعدّا إلى القُشِيرِيّات . فطلب منهن الغزل والصَّبِيّ والحديث . واستزار الفتيات عند غَيْبَةِ الرجال واشتغلهن بالسقى والرعيّة وما أشبه ذلك . فدفعته عنهن وأسمّنه كل ما يكره .

وراح رجالهن عليهن وهن مُغضبات . فقال عجّازٌ منهن : « والله ، ما ندرى : أَرعيتُم جَرْمًا المراعي أم أَرعيتُموهم بناتِكُم ! » فاشدّد ذلك عليهم فقالوا : « وما ذلِكُ كنههُ ؟ » قلن : « رجل ظل منذ اليوم مُجَجِّرا^(٢) لنا ما يطلع منا رأسٌ واحدة يدور بين بيوتنا » . فقال بعضهم : « يبتوا جَرْمًا فاصطلموها^(٣) » . وقال بعضهم : « قبيح ! قومٌ قد سقيتموهم مياهكم ، وأرعيتُموهم مراعيكم ، وخلطتموهم بأنفسكم ، وأجرتُموهم من القحط والسنّة ، تفتاتون عليهم هذا الاقتيات ! لا تفعلوا ؛ وأصيحوا وتقدّموا إلى هؤلاء القوم في هذا الرجل ، فإنه سفينه من سفهائهم ، فيأخذوا على يده . فإن يفعلوا تُتموا لهم إحصانكم ، وإن يمتنموا أو يُقرّوا بما كان منه فذلِك يُجِلُّ لكم التبشّط عليهم وتخرجوا من ذمتهم » . فأجموا على ذلك .

فلما أصبحوا غدا نقرّتهم منهم إلى جَرْمٍ فقالوا : « ماهذه البِدْعَة التي جاورتمونا بها ! إن كانت لكم سَجِيّة فليس لكم عندنا إرعاء ولا إسقاء . فبرّزوا عنا أنقسكم

(١) ت : مكروه ، وهو المراد من نائرة ، التي تعني العداوة ، يريد يؤدي إلى العداوة .

(٢) كذا رجحت د ، ي ، أي ألجأهن إلى البقاء في ججورهن ، تريد منازلهن . وفي ب ، س

ت : مججرا . وفي ص بدون نقط .

(٣) يبتوا : اجموا عليها ليلا . واصطلموها : استأصلوها .

وَأُذِنُوا بِحَرْبٍ . وَإِنْ كَانَ فَتَنَّا فَنَسِّرُوا عَلَيَّ مَنْ فَعَلَهُ . « فقام نفر من جرم فقالوا : « وما هذا الذي نالكم ؟ » قالوا : « رجل منكم أمس ظل يجرُّر أذباله بين بيوتنا ، ماندرى ما كان من أمره . فقهرت جرم من جفاء قشير وعجرفتهم . وقالوا : « إنكم لتُحَسِّنون من نساءكم ببلاء . ألا فابمئوا إلى بيوتنا رجلا ورجالا » . فقالوا : « والله ، ما نحس من نساءنا ببلاء ، وما نعرف منهن إلا العفة والكرم ، ولكن فيكم الذي قلتم » . قالوا : « فإننا نبعث رجلا إلى بيوتكم - يا بني قشير - إذا عدت الرجال وأخليت النساء ، وتبعثون رجلا إلى بيوتنا . وتتحالف أنه لا يتقدم رجل منا إلى زوجة ولا أخت ولا ابنة ، ولا يُعلمها بشيء مما دار بين القوم . فيظل كل واحد منهما في بيوت أصحابه حتى يردا علينا عشاء الماء . وتُخلى لهما البيوت ولا تُبرز عليهما امرأة ولا يُصادق منهما واحد واحدة ، فنقبل منه صرفاً ولا عدلاً إلا بموثق يأخذه عليها وعلامة تكون معه منها » . قالوا : « اللهم ، نعم » . فظلوا يومهم ذلك وباتوا ليلتهم . حتى إذا كان من الغد ، تواعدوا الماء وتحالفوا أنه لا يعود منهم أحد إلى البيوت دون الليل .

وغدا مياد الجرمي إلى القشريات . وغدا يزيد بن الطائية القشيري إلى الجرميات فظل عندهن بأكرم مظل ، لا يصير إلى واحدة منهن إلا فتنته به وتابعته إلى المودة والإخاء ، وقبض منها رهنا ، وسألته ألا يدخل من جرم إلا بيتها . فيقول لها : « وأي شيء تخافين وقد أخذت مني الموائيق والعهود ، وليس لأحد من قلبي بمدك نصيب » . حتى صليت العصر . وانصرف بأشياء كثيرة من ذبل^(١) وبراق . وانصرف مكحولاً مدهوراً شبعان ريان ، مُرَجَّل الأمة ، حسن القمص^(٢) .

(١) الذبل : جلد السلحفاة ، وقيل : عظام ظهر دابة من دواب البحر تتخذ النساء منه الأسورة والأمشاط .

(٢) الكلمة غير واضحة في ص ، والعبارة غير موجودة في غ ، ت .

وظل مياد الجرمي يدور بين بيوت التفسيريات مرجوماً مُقَصِّصِي لا يتقَرَّب إلى بيت إلا استقبلته الولا ئد بالعمد والجنْدل . فتهالك لهن وظنَّ أنه ازدراء منهن له حتى أخذه ضرب كثير ورمى بالجنْدل ، ورأى البأس منهن ^(١) وجَهَّده العَطش . ثم انصرف حتى جاء إلى سَمْرَةَ ^(٢) قريباً من نصف النهار .

فتوسد يده ونام نومة تحمها حتى أفرجت عنه الظهيرة وفاءت الأطلال وسكن بمض ما به من ألم الضرب وبرد عطشه قليلا . ثم قرُب إلى الماء حتى ورد على القوم قبل يزيد . فوجد أمة تَدُوْد غما في العَطْن ^(٣) . فأخذ برقعها فقال : « هذا برقع واحدة من نسائكم » . فطرَّحه بين يدي القوم . وجاءت الأمة خلفه فتعلقت ببرقعها . فرُدَّ عليها . وخجل مياد خجلا شديدا .

وجاء يزيد مُمَسِّيا ، وقد كاد القوم أن يتفرقوا . فنثر كُمه بين أيديهم ملآن براقع وذَبَلًا ، وقد حلف القوم ألا يعرف رجل شيئا إلا أخذه ورفع . فلما نثر مامعه ، اسودت وجوه جرم وأمسكوا بأيديهم إمساكاً . فقالت قشير : « أنتم تعرفون ما كان أميس بيننا من اليهود والموائيق وتحريم الأهل والأموال . فمن شاء أن ينصرف إلى حرامٍ فليُمسك يده » . فبسط كل رجل يده إلى ما عرف فأخذه . وتفرقوا على حرب . فقالوا : « هذه مكيدة ، يا قشير » . ففي ذلك يقول يزيد ابن الطثرية :

فإن شئت - يا ميادُ - زُرْنَا وَزُرْتُمُ ولم نَنفَسِ الدنيا على من يُصِيبُهَا ^(٤)
أيذهب ميادُ بِالْبَابِ نِسْوَتِي ونسوةُ ميادٍ صِحاحُ قلوبها

(١) كذا في غ . وفي ص : ورأى الناس مهينته .

(٢) السمرة : شجرة من العضاه .

(٣) العطن : المناخ حول الورد .

(٤) ت : درنا ودرتم . ب ، س : تنفس . قس عليه الشيء : لم يره جديرا به .

وقال مَيَادِ الْجُرْمِي :

لَمَمْرُكُ ، إِنَّ جَمَعَ بَنِي قُشَيْرٍ لَجْرَمٍ فِي يَزِيدَ لَطَالُمُونَا
أَلَيْسَ الظُّلْمُ أَنَّ أَبَاكَ مِنَّا وَأَنْتَ فِي كِتَابَةِ آخِرِينَا ؟
أَحَالِفَةٌ عَلَيْكَ بَنُو قُشَيْرٍ يَمِينُ الصَّبْرِ أُمُّ مُتَحَرِّجُونَا^(١)

قال : وبُلى يزيد بن الطثيرة بعشق جارية من جَرَمٍ في ذلك اليوم يقال لها وَحْشِيَّةٌ^(٢) . وكانت من أحسن النساء . ونافرتهم جرم ، فلم يجد إليها سبيلا . وصار من العشق إلى أن أشرَفَ على الموت . واشتد به الجهد . فجاء إليه ابن عم له يقال له خَلِيفَةُ بْنُ بَوَزَلٍ^(٣) بعد يأس الأطباء منه . فقال له : « يا ابن عم ، قد تعلم أنه ليس لك إلى هذه المرأة سبيل ، وأن التمزي أجمل . فإرايك^(٤) في أن تقتل نفسك وتأتُمَ بربك ؟ » فقال : « ما همّي - يا ابن عم - بنفسي ، وما لي فيها أمر ولا نهى ، ولا همي إلا نفس الجريمة . فإن كنت تحب حياتي فأرني وجهها » . قال : « كيف الحيلة ؟ » قال : « تحملني إليها » . فحمله الآخر وهو لا يطمع له في حيلة على الجريمة إلا أنه كان إذا قال له : « نذهب بك إلى الجريمة وحشية » أبَلَّ قليلا وراجع وطَمَعَ . فإذا يئس منها اشتد به الوجع . فخرج به خَلِيفَةُ بْنُ بَوَزَلٍ يحمله ويتخلل به إليهم ، إذا دخل في قبيلة انتسب إلى أخرى ويخبر أنه طالب حاجة . فأبَلَّ حتى صلح بعض الصلاح وطمع فيه ابن عمه . وصار بعد زمان إلى حى وحشية ، فلقى الرُّعْيَانَ . وكمنا في الجبل . وجعل خَلِيفَةُ يَنْزِلُ فيتمرض للرعيان ، فيسألهم عن راعي وحشية حتى لقي غنمها وغلماها . فواعدهم مَوَاعِدَ . وسألهم ما حالها . فقال غلامها : « هي

(١) يمين الصبر : التي يجبس المرء حتى يحلفها .

(٢) البرد ٥٢٤ : حوشية بنت أبي فديك بن قرة .

(٣) ت : خَلِيفَةُ بْنُ بَوَزَلٍ .

(٤) غ ، ت : فأأربك ، وهي أوضح .

— والله — بشر ، لا حفظ الله بنى قشير ولا يوما رأيناكم فيه ! فما زالت عليمته منذ رأيناكم » . وكان بها طرف مما بابن الطثرية . فقال : « ويحك ! فها هنا إنسان يُداويها ولا تقل لأحد غيرها » . قال : « نعم ، إن شاء الله » . فأعلمها ما قال له الرجل حين صار إليها . فقالت له : « ويلك ! فجيء به » .

وخرج فلقيه الغد فأعلمه . فظل عنده يرعى غنمه وتأخر عن الشاء حتى تقدمته الشاء . وجنح الليل . وأحمد يزيد بين غنمه حين راخوا ومشى فيها يزيد على أربع . وتجلل شملة سوداء بلون شاة من الغنم . فصار إلى وحشية . فسرت به سرورا شديدا . وأدخلته سراها^(١) ، وجمت عليه من الغد من تثق به من صواحيبها وأترابها . وقد عهد إلى ابن عمه أن يقيم في الجبل ثلاث ليال ، فإن لم يره فلم ينصرف . فأقام عندها ثلاث ليال . ورجع إلى أصح ما كان عليه . ثم انصرف إلى صاحبه . فقال : « ما وراءك ، يا يزيد » . لما رأى من سروره وطيب نفسه ما سره . فقال^(٢) :

لَوْ أَنَّكَ شَاهَدْتَ الصَّبَا يَا ابْنَ بَوَزَلٍ بَفَرَعِ الْغَضَا إِذ رَاجَعْتَنِي غِيَاظِلُهُ^(٣)
لَشَاهَدْتَ لَهَا بَعْدَ شَحْطِ مِنَ النَّوَى عَلَى سَخَطِ الْأَعْدَاءِ حُلُومَا شِمَائِلُهُ^(٤)
وَيَوْمَا كَرَابِهَامِ الْقَطَاةِ ، مَزِينًا لِعِمْنِي ضِحَاهُ غَالِبًا لِي بَاطِلُهُ^(٥)

(١) غ : سترها .

(٢) ابن قتيبة : الشعروالشعراء ٣٥٦ . ابن خلكان : وفيات الأعيان ٢ : ٣٠٠ . ياقوت معجم الأدباء ٢٠ : ٤٨ .

(٣) ت : يا ابن بوزك . ياقوت . غ مرة بجزع الغضا : والغياطل : جمع غيطة ، وهى الظلمة المتراكمة ، استعارها لجهالات الصبا . وروى : وغيم الصبا إذ راجعتني غياطله .

(٤) غ مرة :

لشاهدت يوما بعد شحط من النوى وبعد تنأى السدار حلوا شمائله

(٥) ب ، س : عاليًا لي باطله . ت : غالبًا أصائله . ويضرب المثل بإبهام القطا في القصر .

منها :

بِنَفْسِي مَنْ لَوْ مَرَّ بِرَدِّ بِنَانِهِ عَلَى كَيْدِي كَانَتْ شِفَاءً أَنْامِلُهُ
وَمَنْ هَابَ بِنِي فِي كُلِّ شَيْءٍ وَهَيْبَتُهُ فَلَا هُوَ يُعْطِينِي وَلَا أَنَا سَائِلُهُ (١)
وَنَزَلَتْ سَيَّارَةٌ (٢) مِنْ بَنِي سِدْرَةَ عَلَى قُشَيْرٍ بِعَالِمِهِمْ . فَجَعَلَ فُتَيَانَ قُشَيْرٍ تَتَرَجَّلُ
وَتُزَيِّنُ وَتُزَوِّرُ بِيُوتِ بَنِي سِدْرَةَ ، فَاسْتَنْهَوْهُمْ (٣) . فَقَالَ يَزِيدُ بْنُ الطَّرِيفِ : « وَمَا فِي
هَذَا عَلَيْكُمْ ؟ زُورُوا بِيُوتَنَا كَمَا زُورُوا بِيُوتَكُمْ » . وَقَالَ :

دَعَوْهِنَّ يَنْبَغِينَ الصَّبَا وَتَبَادَلُوا بِنَاءً ، لَيْسَ بِأَسْبُؤَ بَيْنَنَا فِي التَّبَادُلِ (٤)
ثُمَّ إِنَّ بَنِي سِدْرَةَ قَالُوا لِفُتَيَاتِهِمْ : « وَيَحْكُنُّ ! فَضَحَّخْتُنَا ! نَأْتِي نِسَاءً هَوْلَاءُ
وَلَا نَقْدِرُ عَلَيْهِنَّ ، وَيَأْتُونَكَنَّ فَلَا تَحْتَجِبِينَ عَنْهُمْ » . فَقَالَتْ كَهْلَةٌ مِنْهُنَّ : « مُرُوا
نِسَاءً كَمَا يَجْتَمِعْنَ إِلَى بَيْتِي ، فَإِذَا حَاطُوا لَمْ يَجِدُوا امْرَأَةً إِلَّا عِنْدِي . فَإِنَّ يَزِيدَ إِنْ أَنَانِي
لَمْ يَمُدَّ إِلَى بِيُوتِكُمْ » . فَفَعَلُوا . فَجَاءَ يَزِيدُ فَقَالَ :

سَلَامٌ عَلَيْكِنَّ الْعَدَاةَ ، فَمَا لَنَا إِلَيْكِنَّ إِلَّا أَنْ تَشَأَنَّ سَبِيلُ

فَقَالَتْ الْكَهْلَةُ : « وَمَنْ أَنْتَ ؟ » فَقَالَ :

أَنَا الْمَاهِمُ الصَّبُّ الَّذِي قَادَهُ الْهَوَى إِلَيْكَ ، فَأَمَسَى فِي حِبَالِكَ مُسْلِمًا
بَرَّتْهُ دَوَاعِي الْحُبِّ حَتَّى تَرَكْنَاهُ سَقِيمًا ، وَلَمْ يَتْرُكَنَّ لِحَا وَلَا دَمَا
فَقَالَتْ : « اخْتَرْتُ إِحْدَى ثَلَاثِ خِصَالٍ : إِمَّا أَنْ تَمُضَى ثُمَّ تَرْجِعَ إِلَيْنَا ، فَإِنَّا نَرْجُبُ
عِيُونَ الرِّجَالِ ، فَإِنَّهُمْ قَدْ سَبَّوْنَا فِيكُمْ . وَإِمَّا أَنْ تَخْتَارَ أَحَبَّنَا إِلَيْكَ ، وَأَنْ تَطْلُبَ
امْرَأَةً وَاحِدَةً خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَشْمَرَكَ النَّاسُ . وَنَسِيتِ الثَّلَاثَةَ » . فَقَالَ : « سَأَخُذُ

(١) غ وابن قتيبة : كل أمر .

(٢) غ : سارية . والسيارة : القافلة .

(٣) كذا في د ، ي . وفي ص : فاستهوهم . وفي ب ، س : فاشتهمهم . وبأباحتها السياق .

(٤) غ : بالتبادل .

إحداكن . فاختراري أنتِ إحدى ثلاث خصال « قالت : « وما هن ؟ » قال :
« إيمان أحملك على موصوف^(١) من أمرى فتركيبه ، وإيمان تحمليني على مشروج^(٢)
من أمرك فأركبه . وإما تلذّي بكري بين قلو صيك^(٣) » . قالت : « لو وقع
بكرك بين قلو صي لطمرت^(٤) به طمرة تقطعان عنقه منها » . قال : « كلا ، إنه شديد
الوجيف^(٥) ، عارم الوظيف^(٦) » . فغلبها . فلما أتاها القوم ، قالت : « إنه أتاني
رجل لا تمتنع عليه امرأة . فإما أن تغمضوا له ، وإما أن ترحلوا عن مكانكم هذا » .
فرحلوا .

وكان يزيد بن الطثيرة رجلا شريفا متلفا ، يقشاه الدين . فإذا أخذ به قضاء
عنه أخ له يقال له ثور .

وكان يزيد بن الطثيرة يتحدث إلى نساء فديك بن حنظلة الجرمي^(٧) ومنزلها
بالفليج^(٨) . فبلغ ذلك فديكا ، فشق عليه وساءه ، وزجر نساءه عن ذلك . فأبين
إلا أن يدخل عليهن يزيد . فدخل عليهن فديك ذات يوم ، وقد جمع أخواته وبنات
عمه وغيرهن من حريمه ثم قال لهن : « قد بلغني أن يزيد يدخل عليكم ، وقد
نهيتكن عنه . وإن لله علي نذرا واجبا (واخترط سيفه) أن أضرب أعناقكن » .
فلما ملأهن رعبا ، ضرب عنق غلام مولد له يقال له عصام فقتله . ثم أنشأ يقول :

(١) غ : مروض .

(٢) المشروج : المشقوق .

(٣) البكر : الفتي من الإبل . والقلوص : الشابة من النوق . والعبارة كناية .

(٤) طمر : وثب إلى أسفل وخبا . وفي غ : يتظا من عنقه منها .

(٥) الوجيف : سرعة السير .

(٦) العارم : القوى الشديد . والوظيف : ما فوق الرسغ إلى مفصل الساق .

(٧) كذا في غ . وفي ص : نساء من فديك . . تحريف . وفي كامل اللبرد ٥٢٤ : أبي فديك

ابن قرة .

(٨) الفليج : مدينة باليامة لبني جمدة وقشير .

جعلتُ عصاما عبيرةً حين رايتُني أناسيُّ من أهلي مريضاً قلوبها
ثم إن فديكا رأى يزيد قائماً عند باب أهله . فظن أنه يريد بعض نسائه فأرْتَصَدَه
في طريقه . وأمر بزُبَيْة^(١) مُفْجرت على الطريق . ثم أوقد فيها ناراً لينةً ثم إنه
اختبأ في مكانٍ ومعه عبدان له . وقال لهما : « تبصرا هل تريان أحداً ؟ » فلم يلبث
إلا قليلاً حتى خرجت بنت أخي فديك - وكان يقال لها وحشية - تهادى في
برودها لميماد يزيد . فأيقظه العبدان . ومضت حتى وقعت في الزبية فاحترق بعضها .

وأمر بها فأخرجت ، واحتملها العبدان ، وانطلق بها إلى داره . فقال فديك :

شفي النفس من وحشية اليوم أنها تهادى وقد كانت سريماً عنيقها^(٢)

فإلا تدعُ خبطَ المواردِ في الدجى تسكنُ قمناً من غشيمة لا تُفيقها^(٣)

دواء طيبٍ كان يعلم أنه يُداوى المجانين المخلى طريقها

فبلغ ذلك يزيد فقال :

ستبرأ من بعد الضمانَةِ رِجلها وتأتى الذي تهوى مُخلىً طريقها^(٤)

على هدايا البدنِ إن لم أَلَا قها وإن لم يكن إلا فديك يسوقها

مُحصَّنها مني فديك سفاهةٌ وقد ذهبت فيها الكُباسُ وحوقها

تُذيقونها شيئاً من النارِ كلاً رأت من بني كعب غلاماً يروقها

وإنما كانت وضعت رِجلها فأحرقتها النار .

وكان ثور أخو يزيد سيداً كثيراً المال والنخل والرقيق ، متنسِّكاً كثير الحج

والصدقة ، ملازماً لإبله ونخله فلا يكاد يُلمّ بالحلى إلا الفينة بعد الفينة . وكانت إبله

(١) الزبية : الحفرة يصاد بها الأسد والذئب .

(٢) العنيق : السير المنبسط .

(٣) الدجى : الظلام . القمن : الجدير .

(٤) الضمانه : العاهة ، أراد احتراق رِجلها .

ترد مع الرعاء على أخيه ابن الطرية فتسقى على عينه . فبينما يزيد ماراً في الإبل وقد صدرت عن الماء ، إذ مر بجباء فيه نسوة من الحاضر . فلما رأينه قلن : « يا يزيد أطعمنا لحماً » . فقال : « أعطيتني سكيناً » . فأعطينه . فنحر لهن ناقة من إبل أخيه . وبلغ الخبر أخاه . فأقبل فلما رآه أخذ بشعره وفسقه وشتمه . فقال (١) :

ياثور ، لاشتمن عرضي ، فذاك أبي	فإنما الشتم للقوم العواوير (٢)
ما عقر ناب لأمثال الدمي خرود	عين كرام وأبكار معاصير (٣)
عطفن حولي يسألن القرى أصلاً	وليس يرضين مني بالمعاذير (٤)
ههن ضيفاً عراكم بعد هجعتكم	في قطقط من سواد الليل مستور (٥)
وليس قربكم شأ ولا ابن	أرحل الضيف عنكم غير مجبور ؟
ما خير واردة للماء صادرة	لا تنجلي عن عقير الرجل منحور !

واستعدت جرم على يزيد بن الطرية في وحشية - وهي امرأة منهم . فكتب صاحب اليمامة إلى ثور أخيه وأمره أن يؤديه . فجعل عقوبته خلق ليمته ، فحلقتها فقال يزيد (٦) :

أقول لثور ، وهو يخلق لمتي بحجباء مردود عليها نصابها (٧)
وهذا البيت حجة الأصمعي في تأنيث الموسيقى .

(١) ابن سلام ٥٨٧ .

(٢) العواوير : كذا في غ والطبقات ، وهم الجبناء . وفي ص : المغاوير ، تحريف .

(٣) الناب : الناقة المسنة . والحرد : جمع خريفة ، وهي الحبية والبكر من النساء . والعين

الواسعة العيون ، وفي الطبقات : عون . والمعاصير : التي بلغت الشباب والإدراك .

(٤) ابن سلام : علقن حولي .

(٥) ب ، س : منشور . د ، ي والطبقات : من سقيط الليل مشور . وعراكم : أتى إليكم

والقطقط : المطر الصغير ، وهو هنا صغار البرد .

(٦) كامل المبرد ٥٢٤ .

(٧) الكامل : بمقاء : والحجباء والعفاء بمعنى واحد ، وهي كل حديدة لوى طرفها .

ترَفَّقُ بها - ياثور - ليس ثوابُها
 ألا ربحا - ياثور - قد غلَّ وَسَطَّها
 فراح بها ثور تَرَفُّ كَأَها
 مُنَمِّمة كالشَّرية الفردِ جادها
 وأصبح رأسي كالصَّخيرة أشرفت
 عليها عُقابٌ ثم طارت عُقابها^(٥)
 وقتل يزيد بن الطُّرْبِية في خلافة بني العباس ، قتله بنو حنيفة . فإن بنى حنيفة
 أغارت على طائفة من بنى عُقيل ، ومعهم جار لهم من بنى قُشَيْر . فقتل القُشَيْرى ورجلٌ
 من بنى عقيل . واطردت^(٦) إبل العقيليين . فأتى الصَّرِيح^(٧) عقيلًا . فلحقوا القومَ
 وقتلواهم . فقتلواهم . فقتلوا من بنى حنيفة رجلا ، وعَقَرُوا أفراسًا ثلاثة من خيل
 حنيفة . فانصرفوا .

ولبثوا سنة ثم إن عُقيلًا أهدرت من بلادها مُنتِجَمة لبلاد بنى تميم . فذُكر
 لحنيفة أنهم بالكُوْ كُبة والقيِّضاف^(٨) . فغزتهم حنيفة . وحَدِرهم العقيليون وأتتهم
 النذر من تميم . فانكشفوا عنهم فلم يقدروا عليهم . فبلغ ذلك من بنى عقيل وتلفوا

(١) الكامل : ولكن عند ربي ثوابها .

(٢) الكامل : يا ثور فرق بينها . وغل شعره بالطيب : أدخله في أصوله .

(٣) الكامل : فجاء بها . . لينها وانسكابها . ب ، س ، ص : خبؤها وانسكابها ، وأثبت

رواية د ، ي لوضوحها . والخير : الهيمة .

(٤) الكامل :

خدارية كالشَّرية الفرد جادها من الصيف أنواء مطير سحابها

والشَّرية : شجرة المنظل ، تشبه اللممها لحسنها لجمودتها . والنجاء : السحاب الذى هراق ماءه .
 والذهاب : المطر الضعيف .

(٥) غ ، ت : فأصبح رأسي . الكامل : ورحت برأس .

(٦) طرد الإبل فاطردت : ساقها فانسقت .

(٧) الصريح : الاستغاثة .

(٨) لم أعر على تحديد لهذين المكاين .

على بنى حنيفة ، فجما جَمًّا ليمزوا حنيفة . ثم تشاوروا فقال بعضهم : « لا تفزوا قوماً في منازلهم ودورهم ، فيمتنعوا منكم ويتحصنوا دونكم ، ولا تأمن أن يفضحوكم » . فأقاموا بالعقيق . وجاءت بنو حنيفة غازية كعبا لا تتعداها حتى وقفت بالفلج : فطائر الناس . ورأس حنيفة يومئذ المندلف . وجاء صريح كعب إلى أبي لطيفة بن مسلم العقيلي وهو بالعقيق أمير عليها . فضاقت بالرسول ذرعا وأتاه هول شديد ، فأرسل في عقيل يستمدّها . فأتته ربيعة بن عقيل وقشير بن كعب والحريش ابن كعب وأفناء خفاجة وجاش^(١) إليه الناس . فقال : « إني قد أرسلت طليعة فانظروها حتى تجيء ونعلم ما تشير » . فأصبح صُبحَ ثالثة على فرس له يهتف : « أعز الله نصركم ، وأمتعنا بكم انصرفوا راشدين فلم يكن بأس » . فانصرف الناس . وسار في بنى عمه ورهطه وأدانيه . وإنما فعل ذلك ليكون لهم الشمعة والذكر فكان فيمن سار معه القحيف بن خمير وي زيد بن الطرية الشاعران . فواجهوا القوم وأوقمهم . فقتلوا المندلف : رموه في عينه ، وسبوا وأسروا ومثلوا بهم ، فقطعوا أيدي اثنين منهم ثم أرسلوها إلى اليمامة وصنعوا ما أرادوا . ولم يُقتل ممن كان مع أبي لطيفة غير يزيد بن الطرية : نسب ثوبه في جذل من عسرة^(٢) وانقلب ، فخبطه القوم فقتل . وقال القحيف يرثيه^(٣) :

ألا تبكي سراًه بنى قشيرٍ على صنيديها وعلى فتاياها
فإن يُقتل يزيدُ فقد قتلنا سرانهم الكهول على لحاياها
أبا المكشوح . بمدك من مجامى ومن يزجى القلوص على وجاها!^(٤)

(١) جاشوا إليه : : أنه ليل .

(٢) الجذل : أصل الشجرة . والعسرة : شجرة من العضاء .

(٣) وفيات الأعيان ٢ : ٣٠١ .

(٤) غ والوفيات يزجى المطى . وزجى : يسوق . والقلوص . الشابة من النوق . والوجى :

الحفا الذي يصيب الإبل من كثرة السير .

وقُتِلَ يزيد بن حَمَلٍ أيضاً يومئذ . فقال القحيف :

يا عينُ ، بَكَّى هَمَلًا بعد هَمَلٍ على يزيدَ ويزيدَ بن حَمَلٍ^(١)

قتالِ أبطالٍ وجرارِ حُللٍ

وقالت زينب بنت الطرية ترثي يزيد أخاها - وقيل : إنها لأمّ يزيد ، وهي من

الأزد . وقيل : إنها لوحشية الجرّمية^(٢) - :

أرى الأثْلَ من بعدِ العقيقِ مُجاوِريَ مُقيماً وقد غالتُ يزيدَ غَوائِلُهُ^(٣)

فَتَى قَدْ قَدَّ السيفِ لا مَتَضائِلُ ولا رَهْلٍ لَبَّائُهُ وبَادِلُهُ^(٤)

فتى لا ترى قَدْ القميصِ بِحَضْرِهِ ولكنما تُوهِى القميصَ كواهلُهُ

إذا نزل الضيفانُ كان عَدْوَرًا على الحىِّ حتى تَسْتَقِلَّ مَراجِلُهُ^(٥)

يَسْرُكُ مظلوماً ويُرْضِيكَ ظالِماً وكلُّ الذى حَمَلْتَهُ فهو حاملة^(٦)

إذا جَدَّ عند الجِدِّ أرضاكِ جِدُّهُ وذو باطلٍ إن شئتَ أَلْهأكِ باطلُهُ^(٧)

منها :

فَتَى ليس لابنِ العَمِّ كالذئبِ إن رأى بصاحِبِهِ يوماً دما فهو آكلُهُ

سيبكيه مولاهُ إذا ما تَرَفَّعتَ عن السَّاقِ عند الرَّوعِ يوماً ذَلالُهُ^(٨)

(١) الحمل هنا : الدمع السائل لا مانع له .

(٢) القالى : الأمالى ٢ : ٨٥ . البكرى : التنبيه ٩٨ . ابن خلكان : الوفيات ٢ : ٣٠٢ .

(٣) غ ، ت ، وابن خلكان ، والبكرى : بطن العقيق . القالى : وادى العقيق . والأثْل : شجر .

(٤) كذا فى المصادر . وفى ص : وأبا جلّه ، ولا تليق بالسياق . واللبة : النجر . والبآدل :

جمع بأدلة ، وهى اللحم بين العنق والترقوة .

(٥) ت ، والقالى : الأضياف . ت : حتى تستقر . والعذور : السبي الخلق القليل الصبر عما

يهم به ، وصفته بذلك لتشده فى الأمر والنهى لتهيئة الأمور للضيوف . واستقلال المراحل : انتصابها

على الأناق .

(٦) اللسان : يعينك مظلوماً وينجيك ظالماً

(٧) ب ، س : عند الظلم .

(٨) الدلائل : جمع ذلّل ، وهو هذب الثوب وكان النساء يكشفن عن سيقانهن عند اشتداد

المركة ليثبت الرجال .

يزيد بن عبد المدان*

اسم عبد المدان عمرو ، وكنيته أبو يزيد . وهو ابن الديان بن قطن بن زياد بن الحارث بن مالك بن ربيعة بن كعب بن الحارث بن كعب بن عمرو .

كان الأعشى يُكثر مديح بني عبد المدان . فمن قوله فيهم^(١) :

وكعبةُ نجرانَ حَتَمَ عليـ لكِ حتى تُفَاخِي بأبوابِها^(٢)
 نَزورُ يَزيدا وعبدَ المسيح وقَيْسا ، هُمُ خَيْرُ أَرْبابِها
 وشاهدِنا الجُلُ والياسمِ نُ والمُسَمِّعاتُ بقُصايبِها^(٣)
 وبرَبَطُنا دائِما مُعَمَلٌ وأئى الثلاثةَ أزرى بها^(٤)
 إذا الجِبرَاتُ تَلَوَّتْ بهم وجرُّوا أسافلَ هُدائبِها^(٥)
 فلما التَمَقِينا على آيةٍ ومدَّتْ إلى بأسبابِها^(٦)

* جمع ابن المكرم هذه الأخبار من مواضع متفرقة في الأغاني ، فأخبره في ب ٩ : ١٧ ،
 ١٠ : ١٤٣ ، ١٨ : ١٦٠ ، س ٩ : ١٦ ، ١٠ : ١٣٥ ، ١٨ : ١٦٠ ، د ١٠ : ٣٥ ،
 ١٢ : ٣ ، ي ٧ : ٧ ، ١٠ : ٣٥ ، ٢١ : ٢٢ .
 (١) ديوان الأعشى الكبير (المطبعة التمجيدية) ١٧٣ .
 (٢) غ : فكعبة .

(٣) الديوان : وشاهدنا الورد . والجل : الورد ، أبيضه وأحمره وأصفره . والمسمعات :
 المغنيات . وقال تعلب : القصاب : الزامرون . وفي هامش حاشية مأخوذة من متن الأغاني هي
 « القصاب : أوتار العيوان . قال الأصمعي : قلت : لبعض الأعراب : أنشدني شيئا من شعرك .
 فقال : كنت أقول الشعر وتركته . قلت : ولم ذاك؟ قال : لأنني قلت شعرا وغني فيه حكم الوادي ،
 وسمعتة فكاد يذهل عقلي ، فأليت ألا أقول شعرا ، وما حرك حكم بذلك الشعر قصابة إلا توهمت
 أت الله عز وجل يمتلئني في النار . »

(٤) غ : وبربطنا دائم .. فأى . الديوان : ومزهرنا معمل دائم .. فأى والربيط : العود .

(٥) الحبرات : ضرب من برود اليمين منمر .

(٦) على آية : كذا في د ، ي وهى العلامة . وفي س ، ب ، س : على آلة . وفي الديوان :

على بابها .

تُنَازَعْنِي إِذْ خَلْتِ بُرْدَهَا مُعْطَرَةً بِمَدِّ جِلْبَابِهَا^(١)

الكعبة التي عنها الأعرشي يقال إنها بيمة بناها بنو عبد المدان على بناء الكعبة ، وعَظَمُوهَا مُضَاهَاةً لِلْكَعْبَةِ ، وسموها كعبة نجران . وكان فيها الأساقفة الذين وردوا للمُبَاهَلَةِ^(٢) على رسول الله ، صلى الله عليه وسلم . وقيل : بل كانت قبة من أَدَمَ وسموها الكعبة . وكان إذا نزل بها مستَجِيرٌ أُجِير ، أو خائفٌ أَمِن ، أو جائعٌ شَبِع ، أو طالبٌ حاجةٌ قُضِيَتْ ، أو مُسْتَرْفِدٌ^(٣) أُعْطِيَ ما يريد . وكانت هذه القبة لعبد المسيح ابن دارس بن عَدِيٍّ^(٤) . وكانت من ثلاث مائة جلد أَدَمَ وكانت على نهر بنجران يقال له النَّحِيرِدَان . وكان يستغل من ذلك النهر عشرة آلاف دينار . وكانت القبة تستغرق ذلك كله .

وكان أول من سكن نجران من بني الحارث بن كعب يزيد بن عبد المدان . وذلك أن عبد المسيح بن دارس زَوَّجَ يزيد بن عبد المدان ابنته رُهَيْمَةَ . فولدت له عبد الله ابن يزيد . فهم بالكوفة . ومات عبد المسيح فانتقل ماله إلى يزيد . وكان أول حارثي حلَّ في نجران .

قال الكلبي^(٥) : اجتمع يزيد بن عبد المدان وعامر بن الطفيل بموسم عُكَاظ . وقدم أمية بن الأشكر^(٦) ومعه ابنة له من أجل أهل زمانها . فخطبها يزيد وعامر .

(١) الديوان : مفضلة غير جلبابها .

(٢) المباهلة : الملاعبة .

(٣) المسترفد : طالب العطاء .

(٤) غ : عربي .

(٥) قال أبو الفرج ١٨ : ١٦١ : هذا الخبر مصنوع من مصنوعات ابن الكلبي ، والتوليد

فيه بين وشعره شعر ركيك غث لا يشبه أشعار القوم .

(٦) غ : الأشكر . واختلفت المراجع في حقيقة هذا الاسم منذ عهد بعيد ، فقد قال صاحب

خزانة الأدب ٢ : ٥٠٦ : « قال ابن حجر : الأسكر بالسين المهملة فيما صوبه الجياني . وضبطه ابن عبد البر بالمعجمة » .

فقال أم كلاب امرأة أمية بن الأشكر: « من هذان الرجلان ؟ » فقالوا : « هذا يزيد ابن عبد المدان بن الديان ، وهذا عامر بن الطفيل » . فقالت : « أعرف بنى الديان ^(١) وما أعرف عامرا » . فقال : هل سمعتِ بمُلاعِبِ الأسنَّةِ ؟ قالت : « نعم » . قال : « فهذا ابنُ أخيه » . وأقبل يزيد فقال : « يا أمية ، أنا ابنُ الديان ، صاحب الكَثِيبِ ^(٢) ، ورئيس مَذْحِجِ ، ومُكَلِّمِ العُقَابِ ، ومن كان يُصَوِّبُ أصابعه فَتَقَطُرُ ^(٣) دما ، ويدلُّك راحتيه فُتُخْرَجانَ ذَهَبًا ^(٤) » . فقال أمية : « بَيْخُ ، بَيْخُ ! » فقال عامر : « جَدِّي الأخرم ، وعمي الأَصْبَغِ ^(٥) ، وعمي مُلاعِبِ الأسنَّةِ ، وأبي فارس قُرْزُلُ » . فقال أمية : « بَيْخُ ، بَيْخُ ! مَرَعَى ولا كالسعدان ^(٦) ! » فأرسلها مثلا . فقال يزيد : « يا عامر ، هل تعلم شاعرا من قومي رَحَلَ بِمِدْحَةٍ إلى رجل من قومك ؟ » قال : « لا » . قال : « فهل تعلم أن شعراء قومك يرحلون يمدأحهم إلى قومي ؟ » قال : « اللهم ، نعم » . قال : « فهل لك نَجْمٌ يمانٍ أو بُرْدٌ يمانٍ أو سيف يمانٍ أو رُكْنٌ يمانٍ ؟ » قال : « لا » . قال : « فهل ملكناكم ولم تملكونا ؟ » قال : « نعم » . فهض يزيد وهو يقول :

أُمِّي يَا ابْنَ الْأَشْكَرِ بْنِ مُذَلِّجٍ لَا تَجْمَلُنْ هَوَاؤَنَا كَمَذْحِجِ
إِنَّكَ إِنْ تَلَهَيْجُ بِأَمْرِ تَلْجِجِ مَا النَّبْعُ فِي مَفْرَسِهِ كَالعَرَفِجِ ^(٧)

(١) كذا في غ - ١٠ ، وفي غ - ١٨ : ابن الديان ، وفي ص : بنى عبد الديان ، تحريف

(٢) غ - ١٠ : الكتيبة . والكثيب : موضع بساحل بحر اليمن .

(٣) غ : فتقطف ، وهي بمعنى تقطر .

(٤) كذا في غ ، وفي ص : دهننا ، تحريف .

(٥) غ - ١٨ : أبو الأصبغ .

(٦) السعدان : نبت ، ومنابته السهول ، وهو من أنجع المراعى في الإبل ولا تحسن على نبت

حسنها عليه . وهذا المثل يضرب للشيء يفضل على أقرانه وأشكاله .

(٧) غ : كالموسج . والنبع : ضرب من الشجر تتخذ منه القسي ، ومن أغصانه السهام ،

يفبت في أعالي الجبال . والعرفج : شجر يفبت في السهول .

* ولا الصريحُ الخضُّ كالمزج (١) *

فقال مرة بن دودان الفقيلي (٢) ، وكان عدوا لعامر :

يا ليت شعري عنك يا يزيدُ ما ذا الذي من عامرٍ تريد ؟
لكلِّ قومٍ فخرٌ كم عتيد أمْطَلَقون نحن أم عبيد (٣)
* لا بل عبيد زادنا الهبيد (٤) *

فزوج أمية يزيد بن عبد المدان ابنته . فقال يزيد في ذلك :

يا لَلرَّجَالِ إِيَّاتَاوَةٌ قَوْمِهِ لِمَحْرَقِي
ولعامرٍ بن طُفَيْلٍ الوَسْنَانِ
كانتْ إِيَّاتَاوَةٌ قَوْمِهِ لِمَحْرَقِي
زَمْنَا وَصَارَتْ بَعْدُ لِلنَّمَانِ (٥)
عَدَّ الْفَوَارِسَ مِنْ هَوَازِنَ كُلِّهَا
فَخَرَا عَلَيَّ وَجِئْتُ بِالذِّيَّانِ (٦)
فَإِذَا لِي الشَّرْفُ الرَّفِيعُ بِوَالِدِ
ضَخَمَ الدَّسِيمَةَ زَانِيًى وَنَمَانِي (٧)
يَا عَامِرُ إِنَّكَ فَارِسٌ ذُو مَيْمَةٍ
غَضَّ الشَّبَابِ أَخُو نَدَى وَقِيَانِ (٨)
وَاعْلَمْ بِأَنَّكَ - يَا ابْنَ فَارِسٍ - قُرْزُلٌ -
دُونَ الَّذِي تَسْمَعِي لَهُ وَتُدَانِي

(١) الصريح : الخالص من كل شيء .

(٢) كذا في ص ، د ، ي . وفي غ > ١٨ : العقيلي . وفي ب ، س > ١٠ : السلمي . وفي

عامر نفيل وعقيل ، فالأولى نفيل بن عمرو بن كلاب بن عامر بن صعصعة ، والثانية عقيل بن كعب
ابن ربيعة بن عامر .

(٣) ب ، س : أمطعوت نحن .

(٤) الهبيد : حب الخنظل .

(٥) محرق . لقب لاثنين من ملوك الحنم ، هما امرؤ القيس بن عمرو ، وعمرو بن هند ؛ ولو اُحد

من ملوك غسان ، هو الحارث بن عمرو .

(٦) غ > ١٨ : غدت الفوارس . . كثفا على .

(٧) د ، ي : الشرف المبين ، ب ، س > ١٠ الشرف المتين . ب ، س > ١٨ : الفضل المبين .

والدسيمة هنا : العطية .

(٨) ب ، س > ١٠ : فارس ذو مئعة . ب ، س > ١٨ : فارس متهور . والبيعة : أول

الشباب .

ليستُ فوارسُ عامرٍ بمُقَرَّةٍ
فإذا لقيتَ بنيَ الحِمْصِ ومالكِ
فاسألْ من الرجلِ المنوّهِ باسمِهِ
يُعْطَى المَقَادَةَ في فوارسِ قومِهِ
فأجابه عامرُ بأبياتِ أولِها (٣) :

عجبًا لوأصِفِ طارقِ الأحزانِ
فخروا علىَّ بحبوةٍ مُحَرِّقِ
ما أنتَ وابنُ مُحَرِّقِ وقبيلِهِ
فأقصدُ بفخرِكُ قَصْدَ قومِكُ قُصْرَةَ
إن كان سالفَةُ الإِثَاوَةِ فيكمُ
وافخر برَهْطِ بني الحِمْصِ ومالكِ
فأنا المَعْظَمُ وابنُ فارسِ قُرْزُلِ
وأبو جُزَيْءٍ ذو الفَعَالِ ومالكِ
وإذا تماظمتِ الأمورُ هوازنا

ولمّا يَجِيءُ به بنو الدِيَّانِ (٤)
وإِثَاوَةُ سَمِيتُ إلى النُّعْمَانِ (٥)
وإِثَاوَةُ اللُّخَمِيِّ في عَيْلانِ
ودَعِ القَبَائِلَ من بنى قَحْطَانَ (٦)
أولًا ففَخْرُكُ نَحْرُ كُلِّ يَمَانِي
وَبني الضُّبَابِ وزَعْبَلِ وَقَنَّانِ
وأبو بَرَاءِ زَانِي ونَمَانِي
مِنمَا الدَّمَارَ صَبَاحَ كُلِّ طِمَانِ
كُنْتُ المنوّهِ باسمِهِ والبَانِي (٧)

فلما رجع القوم إلا بنى عامر ، وثبوا على مرة بن دودان وقالوا له : « أنت من بنى عامر وأنت شاعر ، ولم تهجُ بنى الديان ! » فقال مُرَّة :

(١) كذا في غ ، وكلها قبائل من مذحج . وفي ص : لقيت بنى الحمار . وفي هامش ص ، ب

س > ١٨ : لقيت بنى الحميس .

(٢) غ : فاسأل عن . ب ، س > ١٨ : المرء المنوّه .

(٣) ليست في ديوانه ، وأضافها محققه عن الأغاني ١٥٩ .

(٤) ب ، س > ١٠ : تجيء . ب ، س > ١٨ يالرجال لطارق الأحران .

(٥) ب ، س > ١٨ : سلفت من النعمان . والحبوة : العطية .

(٦) ب ، س > ١٨ : فاقصد بذرعك قصد أمرك قصدة وقصرة : أدانيهم .

(٧) كذا في غ . وفي ص : الموهه باسمه والثاني ، تحريف . وفي غ مرة : هوازن .

تُكَلِّفُنِي هَوَازِنُ نَفَرَ قَوْمٍ يَقُولُونَ : الْأَنَا مُ لَنَا عَيْبٌ
أَبُوهُمْ مَذْحِجٌ وَأَبُو أَبِيهِمْ إِذَا مَا عُدَّتِ الْآبَاءُ هُودٌ (١)
وَهَلْ لِي إِنْ نَفَرْتُ بِنَيْرِ حَقٍّ مَقَالٌ وَالْأَنَا مُ لَهُمْ شُهُودٌ (٢)
فَإِنَّا لَمْ نَزَلْ لَهُمْ قَطِينَا تَجِيءُ إِلَيْهِمْ مِنْ الْوُفُودِ (٣)
فَأَنِّي تَضْرِبُ الْأَخْلَامُ صَفْحَا عَنْ الْعَلْيَاءِ أَمْ مَنَذَا يَكِيدُ (٤)
فَقُولُوا ، يَا بَنِي عَيْلَانَ : إِنَّا لَهُمْ قِنٌّ ، فَا عَنْهَا مَحْمِدٌ (٥)
قَدِيمٌ (٦) يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَدَانَ وَعَمْرُو بْنُ مَمْدَى كَرِبٌ وَمَكْشُوحُ الْمُرَادِي عَلَى ابْنِ
جَفْنَةَ زَوَارًا . فَلَقُوا عِنْدَهُ وَجْوهَ قَيْسٍ : مُلَاعِبُ الْأَسِنَّةِ عَامِرُ بْنُ مَالِكٍ ، وَيَزِيدُ بْنُ
عَمْرُو بْنِ الصَّعِقِ ، وَدُرَيْدُ بْنُ الصَّمَّةِ . فَقَالَ ابْنُ جَفْنَةَ لِيَزِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَدَانَ : « مَاذَا
كَانَ يَقُولُ الدَّبَّانُ إِذَا أَصْبَحَ ، فَإِنَّهُ كَانَ دَبَّانًا » . فَقَالَ : « كَانَ يَقُولُ : آمَنْتُ بِالَّذِي
رَفَعَ هَذِهِ (يَعْنِي السَّمَاءَ) وَوَضَعَ هَذِهِ (يَعْنِي الْأَرْضَ) وَشَقَّ هَذِهِ (يَعْنِي أَصَابِعَهُ) .
ثُمَّ يَخْرِجُ سَاجِدًا وَيَقُولُ : سَجِدُ وَجْهِي لِلَّذِي خَلَقَهُ وَهُوَ عَاشِمٌ ، وَمَا جَسَمْنِي مِنْ شَيْءٍ
فَإِنِّي جَاشِمٌ . وَإِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ قَالَ :

إِنْ تَغْفِرِ اللَّهُمَّ تَغْفِرْ جَمًّا وَأَيُّ عَبْدٍ لَكَ مَا أَلَمَّا

فَقَالَ ابْنُ جَفْنَةَ : « إِنْ هَذَا لِدُودِينَ » .

ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى الْقَيْسِيِّينَ فَقَالَ : « أَلَا تَحْدِثُونَنِي عَنْ هَذِهِ الرِّيحِ : الْجَنُوبِ ، وَالشَّمَالِ ،

(١) وَأَبُو أَبِيهِمْ : كَذَا فِي ب ، س > ١٨ . وَفِي ص ، د ، ح ، (ب ، س > ١٠) :
وَبَنُو أَبِيهِ ، تَحْرِيفٌ . غ : أَبُوْنَا ، تَحْرِيفٌ .

(٢) ب ، س > ١٨ : بَغِيرُ نَفَرٍ . وَالْأَنَا مُ لَهُ .

(٣) الْقَطِينِ : الْحَدَمُ .

(٤) غ : فَأَنِّي تَضْرِبُ الْأَعْلَامُ صَفْحَا . وَأَطْنَهُ تَحْرِيفًا .

(٥) غ مرة : كُنَّا لَهُمْ قَنَا ، وَأُخْرَى : كُنَّا لَكُمْ قَنَا .

(٦) الْحَبْرُ فِي ب ١٠ : ١٤٦ ، س ١٠ : ١٣٩ ، ١٢٥ : ١٣

والصِّبَا ، والدَّابُّور ، والنَّكَبَاء ، لِمَ سُمِّيَتْ بهذه الأسماء ، فإنه قد أعيانى أمرُها .
فقال القوم : « هذه أسماء وجدنا عليها العرب لا نعلم غير هذا » . فضحك يزيد
ابن عبد المدان ثم قال : « يا خيرَ الفتيان ، ما كنتُ أحسبُ أن هذا يسقطُ عليه
عن هؤلاء ، وهم أهل الوَبَر . إن العرب كانت تضربُ أبنيتها في القبلة مستقبلة
مَطْلَعِ الشمس ، لتُدْفِئَهُمْ في الشتاء ، وتزول عنهم في الصيف . فهاهبَ من الرياح
عن يمين البيت فهي الجنوب ، وما هبَّ عن شماله فهي الشمال ، وما هب من أمامه
فهي الصِّبَا ، وما هب من ورائه فهي الدَّابُّور ، وما استدار من الرياح بين هذه الجهات
فهي النَّكَبَاء » . فقال ابن جفنة : « إن هذا لَعِلْمٌ ^(١) يا ابن عبد المدان » .
وأقبل على القيسيين فسألهم عن النعمان بن المنذر فمأبوه وصغروه . فنظر ابن جفنة
إلى يزيد ، فقال له : « ما تقول أنت ، يا ابن عبد المدان ؟ » فقال له يزيد : « يا خير
الفتيان ، ليس صغيراً من مَنع منك العراق ، وشاركك في الشام ، وقيل له : أبيتَ
الأمَن ، وقيل لك : يا خيرَ الفتيان ، وألقى أباه ملكاً كما ألقى أباك ملكاً .
فلا يسرُّك من يغرُّك . فإن هؤلاء لو سألكم النعمان عنك لقالوا فيك كما قالوا فيه .
وأيُّمُ الله ، ما فيهم رجل إلا ونعمة النعمان عنده عظيمة » .

ففضبَ عامر بن مالك وقال له : « يا ابن الديان ، أما والله لتتجلبنَّ بها دما » .
فقال له : « ولم ؟ أزيد في هوازن من لا أعرفه ؟ » . قال : « بل هم القوم الذين تعرّف » .
فضحك يزيد ثم قال : « لا جرّم ! ما لهم جَمرةُ بنى الحارث ^(٢) ، ولا فتك مُراد ،
ولا بأس زبيد ، ولا كيد جُمُعي ، ولا مُغارِطِيٌّ ، ولا نحن وهم - يا خيرَ الفتيان -
بسّوا . ما قتلنا أسيراً قط . ولا اشتهينا حُرّةً ، ولا بكينا قتيلاً حتى نثار به .

(١) غ : للعلم .

(٢) غ : جرأة بنى الحارث . والحجرة : الكثرة والعدد .

وإن هؤلاء أيمّجزون عن ثأرهم حتى يُقتل السّميّ بالسمي ، والكنيّ بالكنيّ
والجار بالجار .»

وقال يزيد بن عبد المدان فيما كان بينه وبين القيسيين شعراً ، وغدا به على
ابن جفنة :

تمّالا على النعمان قومٌ إليهم	موارِدُهُ في مُلكِهِ ومَصَادِرُهُ
على غير ذنبٍ كان منه إليهم	سِوَى أَنَّهُمْ جادَتْ عليهم مَواطِرُهُ (١)
فباعدهم من كل شرٍ يخافه	وقَرَّبَهم من كل خيرٍ يُبادره
فظنّوا وأعراضُ الظنونِ كثيرةٌ	بأنّ الذي قالوا من الأمر ضائرُهُ
فلم يتقصوه بالذي قيل شعرةٌ	ولا فُلّتْ أُنْيابُهُ وأظافِرُهُ
وللحارثُ الجفنيُّ أعلمُ بالذي	ينوءُ به النعمانُ إن خفّ طائرُهُ (٢)
فيا حارٍ ، كم فيهم لنعمانُ نعمةٌ	من الفضلِ والمنّ الذي أنا ذا كرهُهُ
ذُنوبًا عفا عنها ، ومالًا أفادَهُ	وعظماً كسيرا قومته جواربُهُ
ولو سال عنك العائنين ابنُ مُنذِرٍ	لقالوا له القول الذي لا يُحاذِرُهُ (٣)

فلما سمع ابن جفنة هذا القول ، عظّم يزيد في عينه ، وأجلسه معه على السرير ،
وسقاه بيده ، وأعطاه عطية لم يُعطها أحد ممن وفّد عليه قط . فلما قرّب يزيد ركائبه
ليرتحل ، سمع صوتا إلى جانبه ، وإذا هو رجل يقول :

أما من شفيح من الزائرين	يحب الثننا زنده نابق (٤)
يريد ابنُ جفنة إكرامه	وقد يمسخ الضرة الحالب

(١) غ : سوى أنه .

(٢) كذا و د ، ي ، أي أن الحارث الجفني أعلم الناس بما ينهض به النعمان ويقوم به من
الأعمال إن استغفزه مستغف . وفي ب ، س : يبوء به النعمان إن جف طائرهُ . وفي ص بغير نقط .

(٣) د ، ي : لا يحاوره .

(٤) زنده نابق : كناية عن السكرم والحصال الحميدة .

فَيُنْقَدَنِي مِنْ أَظْفِيرِهِ وَإِلَّا فَأِنِّي غَدًا ذَاهِبٌ
فَقَدْ قُلْتُ يَوْمًا عَلَى كُرْبَةٍ وَفِي الشَّرْبِ فِي يَثْرِبٍ غَالِبٌ (١)
أَلَا لَيْتَ غَسَانَ فِي مُلْكِهَا كَلَخِمٍ ، وَقَدْ يُخْطِئُ الشَّارِبُ
وَمَا فِي ابْنِ جَفْنَةَ مِنْ سَبَقٍ وَقَدْ خَفَّ حِلْمِي بِهَا الْعَازِبُ
كَأَنِّي غَرِيبٌ مِنَ الْأَبْمَدِينِ وَفِي الْخَلْقِ مِنِّي شَجًّا نَاشِبُ

فقال يزيد : « على بالرجل » . فأنى به فقال : « ما خطبُك ؟ أنت تقول هذا الشعر ؟ » قال : « لا ، بل قاله رجلٌ من جُدَام ، جفاه ابن جفنة وكانت له عند النعمان منزلة فشرِب فقال على شرابه شيئًا أنكره عليه ابن جفنة فحبسه . وهو مُخْرِجُه غدا فقاتلُه » . فقال له يزيد : « أنا أغنيك » . فقال له : « ومن أنت أعرفك ؟ فقال له : « أنا يزيد بن عبد المدان » . فقال له : « أنت لها ، وأبيك » . قال : « أجل ، قد كفيْتُك أمرَ صاحبك . فلا يسمِعَنَّك أحدٌ تُشِدُّ هذا الشعر » . وغدا على ابن جفنة مودعًا فقال له : « حيَّاك الله - يا ابن الديان - هل من حاجة ؟ » قال : « تلحِق قُضَاعَةَ الشَّامِ بِغَسَّان ، وَتُوَثِّرُ مِنْ أَنَاكَ مِنْ وَفُودِ مَذْحِجٍ ، وَتَهَبَ لِي الْجُدَامِي الَّذِي لَا شَفِيعَ لَهُ سِوَى كَرَمِكَ » . قال : « قد فعلتُ . أما إني حبستُه لأَهْبَهُ لِسَيْدِ أَهْلِ نَاحِيَتِكَ فَكَانَتْ ذَلِكَ السَّيِّدُ » . ووهبه له . فاحتمله يزيد معه . فلم يزل مجاوره بنجران في بني الحارث بن كعب . وقال ابن جفنة لأصحابه : « ما كانت يميني لتفني إلا بقتله أو هبته لرجل من بني الديان ، فإن يميني كانت على هذين » . فعظم بذلك يزيد في يمن الشام ونبئه ذكره وشرفه .

جاور (٢) رجلان من هوازين يقال لهما عمرو وعامر في بني مُرَّة بن عوف بن ذبيان ، وكانا قد أصابا دما في قومهما . ثم إن قيس بن عاصم المنقرى أغار على بني مُرَّة

(١) الشرب : جماعة الشاربين . يثرب : المدينة .

(٢) الخبر في ب ١٠ : ١٤٨ ، س ١٠ : ١٤١ ، د ١٢ : ١٦ .

ابن عوف بن ذبيان . فأصاب عامرا أسيرا في عدة أسرى كانوا عند بني مرة .
فقدى كل قوم أسيرهم من قيس بن عاصم وتركوا الموازنى . فاستغاث أخوه من
بني مرة بسنان بن أبي حارثة ، والحارث بن عوف والحارث بن ظالم ، وهاشم بن
حرملة ، والحسين بن محام ، فلم يُغيثوه . فركب إلى موسم عكاظ . وأتى منازل
مذحج ليلا فنادى :

دعوتُ سنانا وابنَ عوفٍ وحرثنا	وعاليتُ دَعْوَى بِالْحَصِينِ وهاشمِ
أعيرُهم في كل يوم وليلة	بتركِ أسيرٍ عند قيس بن عاصم
حليفهم الأذنى وجارِ بيوتهم	ومن كان عما سرَّهم غيرَ نائم
فصموا وأحداثُ الزمانِ كثيرةٌ	وكم في بني العلاتِ من مُتصامٍ (١)
فياليتُ شعري من لإطلاقِ غلته	ومن ذا الذي يحظى به في المواسم

فسمع صوتا من الوادى ينادى بهذه الأبيات :

ألا أيُّ هذا الذي لم يُجِبْ	عليك بحجىٍ يُجَلِّى الكُربِ
عليك بذا الحى من مذحجِ	فإنهم للرِّضا والغضبِ
فنادِ يزيدَ بنَ عبدِ الدانِ	وقيسا وعمرو بنَ معدى كُربِ
يفكُّوا أخاك بأموالهم	وأقليلُ بأمثالهم في العربِ (٢)
أولاك الرءوسُ فلا تَمدُّهم	ومن يجعلُ الرأسَ مثلَ الذنبِ؟

فاتبع الصوت فلم ير أحدا . فنادى على المكشوح ، واسمه قيس بن عبد يعقوب
المرادى فقال له : « إني وأخي رجلان من جشم بن معاوية ، أصبنا دما في قومنا .
وإن قيس بن عاصم أعار على بني مرة وأخي فيهم مجاور ، فأخذه أسيرا . فاستغثتُ
بسنان بن أبي حارثة والحارث بن ظالم وهاشم بن حرملة والحارث بن أبي عوف ،

(١) بنو العلات : بنو الأمهات الشقي من الأب الواحد .

(٢) غ : وأقلل بمنهم .

فلم يُغيثوني . فَأَتَيْتُ الْمَوْسِمَ لِأُصِيبَ بِهِ مِنْ يَفْكَ أَخِي . فَانْتَهَيْتُ إِلَى مَنَازِلٍ مَذْحِجٍ
فَنَادَيْتُ بِكَذَا وَكَذَا . فَسَمِعْتُ مِنَ الْوَادِي صَوْتًا أَجَابَنِي بِكَذَا وَكَذَا ؛ وَقَدْ بَدَأْتُ بِكَ
لَتَفْكَ أَخِي » فَقَالَ لَهُ الْمَكْشُوحُ : « وَاللَّهِ ، إِنْ قَيْسُ بْنُ عَاصِمٍ لَرَجُلٍ مَا قَارَضْتُهُ
مَعْرُوفًا قَطُّ وَلَا هُوَ بِبَجَارٍ . وَلَكِنْ اشْتَرَى أَخَاكَ مِنْهُ وَعَلَى الثَّمَنِ ، وَلَا يَنْعُمُكَ مِنْهُ
غَلَاءٌ » . ثُمَّ أَتَى عَمْرُوبُ بْنُ مَعْدَى كَرْبَ فَقَالَ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ . فَقَالَ : « هَلْ بَدَأْتَ بِأَحَدٍ
قَبْلِي ؟ » قَالَ : « نَعَمْ بِالْمَكْشُوحِ » . فَقَالَ . « عَلَيْكَ بِمَنْ بَدَأْتَ بِهِ » . فَتَرَكَهُ . وَآتَى
يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَدَانِ فَقَالَ لَهُ : « يَا أَبَا النَّضْرِ ، إِنْ مِنْ قِصَّتِي كَذَا وَكَذَا ؟ » . فَقَالَ لَهُ
يَزِيدُ : « مَرَحِبًا بِكَ وَأَهْلًا ! أَبْعَثْ إِلَى قَيْسِ بْنِ عَاصِمٍ ، فَإِنْ هُوَ وَهَبَ لَكَ أَخَاكَ
شُكْرَتَهُ وَإِلَّا أَغْرَتُ عَلَيْهِ حَتَّى يَتَّقِيَنِي بِأَخِيكَ . فَإِنْ نَلَمْتَهَا وَإِلَّا دَفَعْتُ إِلَيْكَ كُلَّ أُسَيْرٍ
مِنْ بَنِي تَمِيمٍ بِنَجْرَانَ فَاشْتَرَيْتَ بِهِمْ أَخَاكَ » . قَالَ : « هَذَا الرِّضَا » . فَأَرْسَلَ يَزِيدُ
إِلَى قَيْسِ بْنِ عَاصِمٍ بِهَذِهِ الْآيَاتِ :

يَا قَيْسُ ، أَرْسِلْ أُسَيْرًا مِنْ بَنِي جُثَمِ
لَا تَأْمَنِ الدَّهْرَ أَنْ يَشْجِيَ بِغُصَّتِهِ
فَأَفْكَكَ - أَحَا مَنَقَرٍ - عَنْهُ وَقُلْ حَسَنًا
فِيمَا سُمِّيتَ وَعَقَّبَهُ بِأَنْجَازِ

وَبَعَثَ بِالْآيَاتِ مَعَ رَسُولِهِ إِلَى قَيْسٍ . فَأَنْشَدَهُ إِيَّاهَا وَقَالَ لَهُ : « يَا أَبَا عَلِيٍّ ، إِنْ
يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَدَانِ يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَ ، وَيَقُولُ لَكَ : إِنْ الْمَعْرُوفُ قَرَضَ ، وَمَعَ الْيَوْمِ
غَدًا ، فَأَطْلِقْ هَذَا الْأُسَيْرَ الْجُشَمِيَّ فَإِنْ أَخَاهُ اسْتَعَاثَ بِأَشْرَافِ بَنِي مَرَّةٍ ، وَبِعَمْرُوبِ بْنِ مَعْدَى
كَرْبَ وَبِمَكْشُوحٍ مُرَادٍ . فَلَمْ يُصِيبْ عِنْدَهُمْ حَاجَتَهُ . فَاسْتَجَارَ بِي . وَلَوْ أَرْسَلْتَ إِلَيَّ
فِي جَمِيعِ أُسَاوِي مُضَرَ بِنَجْرَانَ لَقَضَيْتُ فِيهِمْ حَقَّكَ » . فَقَالَ قَيْسُ بْنُ عَاصِمٍ لَمَنْ حَضَرَهُ
مِنْ تَمِيمٍ : « هَذَا رَسُولُ يَزِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَدَانِ ، سَيِّدِ بَنِي مَذْحِجٍ وَابْنِ سَيِّدِهَا ، وَمَنْ
لَا يَزَالُ لَهُ فِيكُمْ يَدٌ . وَهَذِهِ فُرْصَةٌ لَكُمْ . فَمَا تَرَوْنَ ؟ » قَالُوا : « نَرَى أَنْ تُغْلِبِيَهُ عَلَيْهِ
وَتَحْتَكِمَ فِيهِ شَطَطًا ، فَإِنَّهُ لَنْ يَخْذَلَهُ أَبَدًا وَلَوْ أَتَى ثَمَنُهُ عَلَى مَالِهِ » . فَقَالَ قَيْسُ :

« بئس ما رأيتم ! أما تخافون سِجَالَ الحروب ، ودَوَلِ الأيام ، ومجازاة القروض ! »
فلما أبوا عليه ، قال : « يبعونيه ؟ » . فأغْلَوْه عليه . فتركه في أيديهم ، وكان أسيراً
في يد رجل من بني سعد . وبعث إلى يزيد فأعلمه بما جرى ، وأعلمه أن الأسير
— لو كان في يده أو في مِتَقَرٍ — لأخذه وبعث به ، ولكنه في يد رجل من بني سعد .
فأرسل يزيد إلى السعدى : « أن صِرُّ إلىَّ بأسيرك ولك فيه حُكْمُك . فأتى به
السعدى إليه . فقال له : « احتكيم » . فقال : « مائة ناقة ورِعاؤها » . فقال له
يزيد : « إنك لتقصير الهمة ، قريب الغنى ، جاهل بأخطار بني الحارث . أما والله ،
لقد غَبِنْتُكَ ، يا أخا بني سعد . وقد كنتُ أخاف أن يأتى ثمنه على جُلِّ أموالنا .
ولكنكم — يا بني تميم — قوم قصارُ الهمم » . فأعطاه ما احتكيم به . فجاوره الأسير
وأخوه حتى ماتا عنده بنجران .

أغار^(١) يزيد بن عبد المدان ومعه بنو الحارث بن كعب على بني عامر . فأمر
عامر بن مالك ملاعب الأسيمة أبا براء ، وأخاه عبيدة بن مالك . ثم أنعم عليهما . فلما
مات يزيد ، رثته زينب بنت مالك أخت ملاعب الأسيمة فقالت :

بكِتُ يَزِيدَ بْنَ عَبْدِ الْمَدَانِ حَلَّتْ بِهِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا

فلامها قومها في ذلك وعيروها بأن بكت يزيد . فقالت :

أَلَا أَيُّهَا الزَّارِي عَلَى بَاتِنِي زَارِيَةٌ أَبْكِي كَرِيمًا يَمَانِيًا

ومال لا أبكي يزيد وردني أجرٌ جديداً مدرعى وردائيا

كان^(٢) رجل من ثمالة قد جاور بماله عبد الله بن الصمة . فملك عبد الله ،
وأقام الرجل في جوار دريد . وأغار أنس بن مدركة الخثعمي على بني جشم . فأصاب
مال الثمالي وأناسا من بني ثمالة كانوا جيراناً لدريد . فكف دريد عن طلب القوم ،

(١) الخبر في ب ١٠ : ١٥٠ ، س ١٠ : ١٤٣ ، ١٢٥ : ٢١ .

(٢) الخبر في ب ٩ : ١٧ ، س ٩ : ١٦ ، ١٠٥ : ٣٥ .

وشغل بحرب من يليه . وقال لجاره ذلك : « أمهنتى عامى هذا » . فقال الثمالي :
« قد أمهلتك عامين » . وخرج دريد في حاجة وقد أبطأ في أمر الثمالي ، فسمعه يقول :

كساك - دريد - الدهر ثوب خزاية وجدّك الحامي حقيقته أنس
دع الرمح والخيل الجياد لخنعم فإنت والرمح الطويل ولا الفرس^(١)
وما أنت والغزو المتابع للعدى وهمك سوق العود والدأو والمرس^(٢)
فلو كان عبد الله حيا لردّها وما أصبحت إبلى بنجران تحبّس
ولا أصبحت عرسى بأشقى معيشة وشيخ كبير من ثمالة في تأس
يراعى نجوم الليل من بعد هجعة إلى الصبح محزوناً يطاوله النفس
وكتت - وعبد الله حى - وما أرى أبالي من الأعداء من قام أو جلس
فأصبحت مهضوما خزينا لفقده وهل من نكير بعد عامين يلتمس^(٣)

فضاق دريد ذرعا بقوله وشاور ذوى الرأى من قومه . فقالوا له : « ارحل
إلى يزيد بن عبد المدان ؛ فإن أنسا قد خلف المال والعيال بنجران للحرب التى وقعت
بين خنعم . فإن يزيد يردّها عليك » . فقال دريد : « بل أقدم عليه قبل ذلك بمدحه
ثم انظر ما موقعى من الرجل » . فقال هذه القصيدة وبعث بها إلى يزيد :

بني الديان ، ردّوا مال جارى وأسرى فى كبولهم الثقال
وردّوا السبي - إن شئتم - بمن وإن شئتم مفاداةً بمال
فأنتم أهل عائدة وفضل وأيدى فى مواهبكم طوال
متى ما تمنعوا شيئا فليست حبائل أخذه غير السؤال

(١) فى غ :

دع الخيل والسمر الطوال لخنعم فإنت والرمح الطويل وما الفرس
(٢) كذا فى غ . وفى ص : وما أنت والغز المبالغ للعدى ، تحريف . والعود : المسن من

الإبل . والمرس : الجبل .

(٣) غ : بعد حولين تلتمس .

و حربكم - بنى الديان - حربٌ يَفْصُ الرء منها بازئلال
منها :

بنى الديان ، إن بنى زيادٍ همُ أهلُ التكرُم والفعال
فأَبْلُونِي - بنى الديان - خيرا أُقِرَّ لكم به أُخْرَى اللبالي (١)
فلما بلغ يزيد قوله ، قال : « وَجَبَ حَقُّ الرجلِ » . فبعث إليه أن أقدم علينا .
فلما قدم أكرمه وأحسن مثواه .

فقال دريد يوما : « يا أبا النصر (٢) ، إنى رأيت منكم خصالا لم أرها في أحد
من قومكم : رأيت أبنيتكم متفرقة ، وتناج خيلكم قليلا ، وسرَّحكم (٣) ييجيء
مُمتما ، وصبيانكم يتضاغون (٤) من غير جوع » . فقال له بعضهم : « أما قلة تناجنا
فنتاج هوازن يكفينا . وأما تفرُّق أبنيتنا فللغيرة على نساءنا . وأما بكاء صبياننا فلأننا
نبدأ بالخليل قبل العيال . وأما تمسُّينا بالنعم فإن فينا الأراملُ تخرج المرأة إلى مالها
حيث لا يراها أحد » .

قال : وأقبلت طلائعهم إلى يزيد . فقال شميخ منهم :
أنتك السلامةُ فارَعِ النِّعمَ ولا تقُلِ الدهرَ إلا نَعَمَ
* وسرَّحْ دُرَيْدا بنعمى جُثم *

فقال له دريد : « من أين جاء هؤلاء ؟ » قال : « هذه طلائعنا لا نَسْرَح
ولا نصطبح حتى يرجعوا إلينا » . قال : « ما ظلمكم من جعلكم بَجْرَةَ مَدْحَج » .

(١) غ : فأولوني .

(٢) كذا في غ . وقص : يا بنى النصر ، تحريف .

(٣) السرح : الإبل في المرعى .

(٤) يتضاغون : يتضورون ويصبحون من الجوع .

ورد عليه يزيد أسارى قومه وجيرانه . ثم قال له : « سلني ما شئت » .
فلم يسأله شيئا إلا أعطاه إياه ، فقال دريد في ذلك :

مدحتُ يزيدَ بنَ عبدِ المدانِ فأكرمُ به من فتى مُمتدَحِ
إذا المدحُ زان فتى معشرِ
حللتُ به دونَ أصحابه
وردَ النساءُ بأطهارها
وفكَّ الرجالُ ، وكلُّ امرئٍ
إذا أصلح اللهُ يوماً صلحَ
وقلتُ له بمدِّ عتقِ النساءِ
وأكرمُ بنفحتهِ إذ نفحَ^(٢)
أجرى لي فوارسَ من عامرٍ
وما زلتُ أعرفُ في وجهه
رأيتُ أبا النَّضرِ في مدحِجِ
إذا قارعوا عنه لم يُقرعوا
وإن حصلَ الناسُ لم يُخزِمِ
فذاك فتاها وذو فضلها
فأكرمُ بنفحتهِ إذ نفحَ^(٢)
بكررى السؤالِ ظهورَ الفرحِ
بمنزلةِ الفجرِ حينَ اتَّضحِ
وإن قدموه لكبشِ نطحِ^(٣)
وإن وازنوه بقرنِ رَجحِ^(٤)
وإن نابعُ بفخارِ نَبجِ

(١) اللقح : جمع لقحة ، وهى الناقة الحلوب .

(٢) غ : فأكرم . ونفح : أعطى .

(٣) كبش القوم : رئيسهم .

(٤) غ : حضر الناس .

يزيد بن مزيد*

كان الرشيد هارون قد وجّه يزيد بن مزيد الشيباني إلى الوليد بن طريف الساري. وكان الوليد رأس الخوارج وأشدّهم بأساً وشوكة وأشجعهم. وطالت أيامه. وكان من بالشَّماسية^(١) لا يأمن طُروقه. فوجّه إليه الرشيد يزيد بن مزيد. فجعل يُخاتله ويماكره. وكان البرامكة مُنحرفين عن يزيد بن مزيد، فأغروا به الرشيد وقالوا: «إنما يتجافى عنه للرّحم وإلا فشوكة الوليد يسيرة وهو يُودعه وينتظر ما يكون من أمره». فكتب إليه الرشيد كتاب مُغضب يقول فيه: «لو وجهت بأحد الخدم لقام بأكثر مما تقوم به، ولكنك مُداهن متمصّب. وأمير المؤمنين يُقسم بالله إن أخرجت مناجزة الوليد ليؤجّهنّ إليك من يحمل رأسك إليه». فلقى الوليد عشية خميس في شهر رمضان. فيقال: إن يزيد جُهد عَطشا حتى رمى خاتمه في فمه يلوّكه. ويقول: «اللهم، إنها شدة شديدة فاسترها». وقال لأصحابه: «فداكم أبي وأمي إنما هم الخوارج، ولهم حَملة. فائتبتوا لهم تحت التراس^(٢). فإذا انتقضت حملتهم، فاحملوا عليهم، فإنهم إذا انهزموا لم يرّجعوا». فكان كما قال؛ حملوا حملة وثبت يزيد ومن معه من عشيرته وأصحابه ثم حمل عليهم فانكشفوا.

فيقال: إن أسد بن يزيد كان شبيهاً بأبيه جدّاً، وكان لا يفصل بينهما إلا المتأمل، وكان أكثر ما يُباعده منه ضربة في وجه يزيد تأخذ من قصاص شعره منحرفة على جبهته. وكان أسد يتمسّي مثلها. فهوت له ضربة فأخرج وجهه من الترس، فأصابته في ذلك الموضع. فيقال: إنه لو خُطت على مثال ضربة أبيه ماعداها، جاءت كأنها هي.

* أخباره في ب ١١ : ٨ ، س ١١ : ٨ ، د ١٢٥ : ٩٢ ، ي ١٢ : ٨٥ .

(١) الشماسية : محلة ببغداد .

(٢) التراس : جمع ترس ، وهو صفحة من الفولاذ مستديرة تحمل للوقاية من السيف ونحوه .

واتبع يزيد الوليد بن طريف فلحقه بمد مسافة بميدة فأخذ رأسه . وكان الوليد

خرج وهو يقول :

أنا الوليدُ بن طريف الشَّارِي قَسَوْرَةٌ لا يُصْطَلَى بنايِ (١)
جَوْرُكُمْ أَخْرَجَنِي مِنْ دَارِي .

فلما وقع [فيهم] السيف وأخذ رأس الوليد ، صَبَّحَتْهُمْ أخته ليلي بنت طريف مستعدة عليها الدرع . فجعلت تحمل على الناس فَعُرِفَتْ . فقال يزيد : « دَعُوها » . ثم خرج إليها فضرب بالرمح قِطَاة فرسها (٢) ثم قال : « اغْرُبِي غَرْبَ اللَّهِ عَلَيْكَ فقد فضحتِ العشيْرة » فاستحيت وانصرفت . وهي التي تقول (٣) :

أيا شجرَ الخابورِ ، مالك مُورقا ؟ كأنك لم تجزَعْ على ابنِ طريفِ (٤)
فتي لا يحبُّ الزادَ إلا من التُّسقى ولا المالَ إلا من قنأَ وسيوفِ (٥)
ولا الخليلَ إلا كلَّ جرداءِ شَطْبَةٍ وكلَّ حصانٍ باليدينِ غروفِ (٦)

(١) قسورة : أسد . والشعر في وفيات الأعيان لابن خلكان ٢ : ١٨٠ .

(٢) قِطَاة الفرس : عجزه أو مقعد الرديف منه .

(٣) الحصرى : زهر الآداب ٩٦٦ . ابن خلكان : وفيات الأعيان ٢ : ١٧٩ . العسكري

الصناعتين ١٦٥ . الأمل للقالى ٢ : ٢٧٤ . حماسة البحتري ٢٧٦ .

(٤) كامل ابن الأثير ٦ : ٩٨ ، حماسة ابن الشجري ٨٩ ، معاهد التنصيص ٣ : ١٥٩ ، ابن

خلكان والبحتري : فياشجر . غ وابن خلكان والعسكري وابن الشجري : كأنك لم تحزن .

(٥) الحصرى : لا يعد الزاد . البحتري : لم يحب .

(٦) الشطر الثاني في الصناعتين : وأجرد شطب في الغنان خوف . وفي غ والأمالى :

ولا الذخر إلا كل جرداء صلدم وكل رقيق الشفرتين خفيف

وفي الوفيات ومعاهد التنصيص :

ولا الذخر إلا كل جرداء صلدم معاودة للكرب بين صفوف

وفي حماسة البحتري :

ولا الذخر إلا كل جرداء صلدم وأجرد عالي المنسجين غروف

والجرداء : القصيرة الشعر من الخيل . والشطبة : السطة اللحم أو الطويلة من الخيل . والغروف :

التي تعرف الجرى غرفا فتنهب الأرض نهبا في سرعتها .

- ألا يا لقومٍ للنوائبِ والرَدَى
وللبدرِ من بين الكواكبِ إذ هوى
بتلُّ بُنانا رَسْمُ قَبْرِ كَأَنَّهُ
تَضَمَّنَ جِوْرًا حَاتِمِيًّا وَنَائِلًا
ألا قَاتَلَ اللهُ الْجُلُثَا كَيْفَ أَضْمَرْتُ
فلا تَجْزَعَا يَا بَنِي طَرِيفٍ فَإِنِّي
فَقَدْنَاكَ فَقَدَانَ الرَّبِيعِ وَلَيْتَنَا
فَإِنْ يَكُ أَرْدَاهُ يُزِيدُ بِنَ مَزِيدٍ
- ودهي مُلِحٌّ بِالكَرَامِ عَنيفٌ (١)
وللشمسِ هَمَّتْ بَعْدَهُ بِكُسُوفٍ (٢)
عَلَى عَالَمٍ فَوْقَ الْجِبَالِ مُنِيفٌ (٣)
وَسُورَةَ مَقْدَامٍ وَقَلْبَ حَصِيفٍ (٤)
فَتَى كَانَ بِالْمَعْرُوفِ غَيْرَ عَنيفٍ (٥)
أَرَى الْمَوْتَ نَزَّالًا بِكُلِّ شَرِيفٍ (٦)
فَدَيْنَاكَ مِنْ دَهْمَانَا بِالْأُوفِ (٧)
فِيَا رَبِّ خَيْلٍ فَضَّهَا وَصُفُوفٍ (٨)

(١) س، والوفيات: ألا يا لقومى ومعاهد التنصيص: ألا يا لقومى للحماد واللبى . . وللأرض همت بعده برجيف .

(٢) الوفيات: وللشمس لما أزمعت بكسوف . والمعاهد: قد هوى . . وللشمس لما أزمعت للكسوف .

(٣) ب، س، والمعاهد: بتل نباتى. البحرى: بتل نباتا. كامل بن الأنثى: بتل نباتا. والوفيات بتل نهاكى . وقال ابن خلكان: « تل نهاكى أظنه فى بلد نصيبين، وهو موضع الواقعة المذكورة » (٤) البحرى: ورأى حصيف . الوفيات:

تضمن مجدا عدمليا وسوددا وهمة مقدام ورأى حصيف

(٥) غ وابن خلكان: حيث أضمرت . ابن خلكان والبحرى والمعاهد: غير عيوف . والجننا: جمع جنوة، وهى ما يتجمع من حجارة أو تراب .

(٦) العسكرى: أرى الموت حلالا، البحرى: أرى الموت وقاعا . والبيت فى الأمالى:

عليك سلام الله حتماً فإننى أرى الموت وقاعا بكل شريف

ومثله فى زهر الآداب والوفيات، غير أن رواية الأول: سلام الله وقفا، ورواية الثانى: عليه سلام الله .

(٧) الوفيات والمعاهد: فقدان الشباب . والوفيات وزهر الآداب والمعاهد: من فتياننا . والعقد

الفريد: من ساداتنا . وفى حماسة البحرى وابن الشجرى:

فقدناه فقدان الربيع فليتنا فديناه

(٨) حماسة البحرى: قرب زحوف . وفى الوفيات والمعاهد وحماسة ابن الشجرى: قرب

زحوف لفتها بزحوف .

فلما انصرف يزيد بن يزيد بالظفر إلى الرشيد ، حُجِبَ برأى البرامكة وأظهر الرشيد السخبط عليه . فقال : « وَحَقَّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ، لِأَصِيْفِنَّ وَلَا شَيْئَنَّ عَلَى ظَهْرِ فَرَسِي أَوْ أَدْخَلَ » . فارتفع الخبر بذلك . فأذن له فدخل . فلما رآه أمير المؤمنين ضحك وسُرَّ ، وأقبل يصيح : « مَرْحَبًا بِالْأَعْرَابِي » ، حتى دخل وأجلس وأكرم وعُرف بلاؤه ونقاء صدره .

ومدحه الشعراء . فكان أحسنهم مدحا مسلم بن الوليد إذ قال (١) :

أَجْرُتُ حَبْلِ خَلِيْعٍ فِي الصَّبَا غَزَلٍ وَشَمَّرَتْ هَمُّ الْعُدَالِ فِي عَدَلِي (٢)
 هَاجَ الْبِكَاءُ عَلَى الْعَيْنِ الطَّمُوحِ هَوَى مُفْرَقٌ بَيْنَ تَوْدِيْعٍ وَمُرْتَحَلِ (٣)
 كَيْفَ السَّلْوُ لِقَلْبٍ بَاتَ مُخْتَبَلًا يَهْنَدِي بِصَاحِبِ قَابٍ غَيْرِ مُخْتَبَلِ (٤)
 منها :

يَفْتَرُّ عِنْدَ افْتِرَارِ الْحَرْبِ مَبْتَسِمًا إِذَا تَفَيَّرَ وَجْهَ الْفَارِسِ الْبَطْلِ (٥)
 مَوْفٍ عَلَى مَهَجٍ فِي يَوْمِ ذِي رَهَجٍ كَأَنَّهُ أَجَلٌ يَسْمَى إِلَى أَمَلِ (٦)
 يَنَالُ بِالرَّفْقِ مَا يَعْمِي الرِّجَالُ بِهِ كَالْمَوْتِ مُسْتَعْجَلًا يَأْتِي عَلَى مَهَلِ (٧)

(١) ديوانه (طبع المعارف بعصر) ١ . ابن قتيبة : الشعر والشعراء ٥٣٠ . ابن المعتز : طبقات الشعراء ٢٣٦ . الحصري : زهر الآداب ٩٩٧ . ابن خلكان : وفيات الأعيان ٢ : ١٨٥ . العباسي : ومعاهد التنصيص ٣ : ١٦٢ .

(٢) في عدلي : كذا في د ، ي ، والطبقات . وق ص ، ب ، س : عن عدلي ، تحريف عن رواية ابن خلكان والمعاهد : ذيل خليم . . . وقصرت همم العدال عن عدلي والديوان : العدلي (٣) غ والديوان : توديع ومحمل . والطموح : المرتفعة في النظر إلى الأجرة وهم سائرون . والمرتحل : الارتحال .

(٤) الديوان : راح مختبلا .

(٥) افتتر مبتسما : أبدى أسنانه عند الأسنان . وافتترت الحرب : كشرت عن أنيابها دلالة على شدتها .

(٦) الرهج : الغبار .

(٧) ابن خلكان : تعيا الرجال .

- لا يرحلُ الناسُ إلا نحو حُجْرَتِهِ كالبيتِ يُفْضَى إليه مُلتَقَى السُّبُلِ (١)
- يَقْرَى النِّيمَةَ أرواحَ المُدَاةِ كما يقرى الضيوفُ شُحُومَ الكُومِ والبُرُلِ (٢)
- يكسو السيوفَ نفوسَ الناكثينَ به ويجملُ الهامَ تيجانَ القَنَا الذُّبُلِ (٣)
- إذا انتَضَى سيفه كانت مَسَالِكُهُ مسالكَ الموتِ في الأبدانِ والقَلَلِ (٤)
- لا تُكذِبَنَّ فَإِن المجد مَعْدِنُهُ وراثَةٌ في بني شَيْبَانَ لم تَزَلِ (٥)
- إذا الشَّرِيكِيُّ لم يفخر على أحدٍ تكلمَ الفخر عنه غير مُنتَحِلِ (٦)
- أُسْلِمَ يزيدُ ، فما في المُلكِ من أودٍ إذا سَلِمَتَ وما في الدينِ من خَلَلِ (٧)
- لولا دفاغكُ بأَسِ الرومِ إذ مَكَرَتُ عن بَيْضَةِ الدِّينِ لم تَأْمَنَ من الشَّكْلِ (٨)
- والمائقُ ابنُ طَرْبِفٍ قد دَلَفَتَ له بمارِضٍ للعنايا مُسْبِلِ هَظَلِ (٩)
- تراه في الأَمْنِ في درعِ مُضَاعَفَةٍ لا يَأْمَنُ الدهرُ أن يُوْتَى على عَجَلِ (١٠)
- لا يَعْبَتِ الطَّيْبُ حَدَّيْهِ ومَفْرَقَهُ

(١) ب ، س : حول حجرته . ابن خلكان : عند حجرته : الديوان وابن قتيبة والحصرى وابن خلكان : يفضى إليه . والبيت يريد : الكعبة .

(٢) الديوان وابن قتيبة والحصرى : أرواح الكمامة . والكوم : جمع كوما ، وهى الناقة العظيمة السنام - والبُرُل : جمع بازل ، وهو ما بلغ تسع سنين فما فوقها من الإبل .

(٣) غ وابن قتيبة والحصرى : رموس الناكثين . الديوان : دماء الناكثين ، والشطر الثانى عند ابن المعتز : ويجمل الروس تيجانا على الذبل . والنفوس : لعله أراد بها الدماء . والذبل : جمع ذابل ، وهو الرقيق .

- (٤) القلل : جمع قلة ، وهى أعلى الشىء ، يريد الرموس .
- (٥) الديوان : فإن الحلم .
- (٦) الشريكي : نسبة إلى شريك أحد أجداد يزيد بن يزيد .
- (٧) غ : ولا فى الدين . والأود : العوج . الديوان : فما فى الدين . . . وما فى الملك .
- (٨) الديوان : إذ بكرت * عن عثرة الدين .
- (٩) غ والمعاهد : والمارق . والعارض : السحاب . والديوان : والمارق . . . بعسكر العنايا .
- (١٠) غ وغير ابن قتيبة : أن يدعى على عجل .

يَأْبَى لَكَ الذَّمَّ فِي يَوْمَيْكَ إِنْ ذُكِرَا عَضْبُ حُسَامٍ وَعِرْضٌ غَيْرُ مُبْتَدَلٍ (١)
فَأَفْخَرُ فَمَا لَكَ فِي شَيْبَانَ مِنْ مَثَلٍ كَذَاكَ مَا لَبِنَى شَيْبَانَ مِنْ مَثَلٍ
قال محمد بن يزيد: « معنى قوله :

* تراه في الأمن في درع مضاعفة *

أن امرأة ممن بن زائدة عاتبت معناه في يزيد وقالت : « إنك لتقدمه وتؤخر
بنيك ، وتشيد ذكره وتضميل ذكرهم . ولو نبهتهم لانتبهوا ، ولو رفعتهم لارتفعوا » .
فقال معن : « إن يزيد قريب لم تبعد رحمة ، وله على حكم الولد إذ كنت عمه . وبعد ،
فإنهم ألوط (٢) بقلبي وأدنى من نفسي ، على قدر ما توجهه واجبة الولادة لهم ،
ولسكتي لا أجد عندهم . ما أجد عنده . ولو كان ما يظلم به يزيد في بعيد لصار
قريباً ، وفي عدو لصار حبيباً . وسأريك في ليلتي هذه ما بين به عندي يزول به اللوم
عني . يا غلام ، اذهب فادع جساسا وزائدة وعبد الله وفلاناً وفلاناً » حتى عدد
أسماء أولاده . فلم يلبثوا أن جاءوا في الغلائل المطيية والنعال السندية - وذلك بعد
هدأة (٣) من الليل ، فسلموا وجلسوا . ثم قال : « يا غلام ، ادع لي يزيد » وقد أسبل
سترا بينه وبين المرأة . فإذا به قد جاء وعليه السلاح كله . ودخل عجلاً فوضع راحه
بباب المجلس ثم أتى يحضر (٤) . فلما رآه قال . « ماهذه الهيئة ، يا أبا الزبير ؟ » .
وكانت كنيته . فقال : « جاءني رسول الأمير فسبق إلى نفسي أنه يريدني لوجه ،
فقلت : إن كان مضيت ولم أعرج ، وإن تسكن الأخرى فنزع هذه الآلة أيسر الخطب »

(١) العضب : السيف . الحسام : القاطع .

(٢) ألوط بقلبي : ألصق به .

(٣) أي حين هدأ الليل .

(٤) يحضر : يعدو ويسرع .

فقال لهم : « انصِرِّفُوا فِي حِفْظِ اللَّهِ » . فقالت المرأة : « قد تبين عذرك عندي » .
فأنشد من ممتثلاً :

نَفْسُ عِصَامٍ سَوَّدَتْ عِصَامَا وَعَوَّدَتْهُ الْكَرَّ وَالْإِقْدَامَا^(١)
وَصَيَّرَتْهُ مَلِكًا هَامَا

قل الأصمى : أنشدت لأخت^(٢) الوليد بن طريف الشاري ترى أباها :

ذَكَرْتُ الْوَلِيدَ وَأَيَّامَهُ إِذَا الْأَرْضُ مِنْ شَخْصِهِ بَلَقَعُ^(٣)
فَأَقْبَلْتُ أَطْلُبُهُ فِي السَّمَاءِ كَمَا يَبْتَغِي أَنْفَهُ الْأَجْدَعُ
أَضَاعَكَ قَوْمُكَ فَلْيَطْلُبُوا إِفَادَةَ مِثْلِ الَّذِي ضَيَّعُوا
لَوْ أَنَّ السِّيُوفَ الَّتِي حَدَّهَا يُصَيِّبُكَ تَعْلَمُ مَا تَصْنَعُ
نَبْتُ عَنكَ أَوْ جَمَلْتُ هَيْبَةً وَخَوْفًا لَصَوْلِكَ لَا تَقْطَعُ

(١) ابن خلكان : وعلمته الكر والإقداما .

(٢) يفهم من الأغاني أن صفة هذه المباراة : قال الرياشي : أنشدني الأصمى لأخت . .

(٣) بلقم هنا . خالية .

يزيد أبو وجزة*

هو يزيد بن عبيد ، وقيل : يزيد بن أبي عبيد^(١) . وكان له أخ يقال له عبيد ، انتسب إلى بني سعد بن بكر بن هوازن لولائه فيهم . وأصله من سليم ثم من بني ضبيس بن هلال بن قدم بن ظفر بن الحارث بن بهثة بن سليم . ولكنه لحق أباه وهو صبي [سباء] في الجاهلية . فبيع أبوه عبيد بسوق ذي الحجاز . فابتاعه وهيب بن خالد بن عامر بن عمرو^(٢) بن ملان بن سلمان^(٣) بن غاضرة ابن قبيصة^(٤) بن نصر بن سعد بن بكر بن هوازن . فأقام عنده زمانا يرعى عليه إبله . ثم ضرب يوما ضرع ناقة لمولاه فأذماها . فلطم وجهه . فخرج إلى عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - مستعديا ، فقال له : « يا أمير المؤمنين ، أنا رجل من بني سليم ثم من بني ظفر ، أصابني سباء في الجاهلية كما تصيب العرب بعضها من بعض ، وأنا معروف النسب . وقد كان رجل من بني سعد ابتاعني ، فأساء إلى ف ضرب وجهي . وقد بلغني أنه لا سباء ولا رق على عربي في الإسلام » . فلما فرغ من كلامه ، أتى مولاه في أثره فقال : « يا أمير المؤمنين ، هذا غلام ابتعته بنى الحجاز ، وهو يقوم في مالي ، فأساء فضربتة ضربة . وما أعلمني ضربته قط غيرها . وإن الرجل ليضرب ولده أشد منها . فكيف بمبده ؟ وأنا أشهدك أنه حرٌّ لوجه الله عز وجل » .

* أخباره في ب ١١ : ٧٩ ، س ١١ : ٧٥ ، ١٢ د ، ٢٣٩ ، ي ١٢ : ٢٣٩ ، والشعر والشعراء لابن قتيبة ٤٤٢ .

- (١) كذا في غ ، وخزانة الأدب ٢ : ١٥٠ ، وفي س : أبي عبيدة .
 (٢) غ : عمير . وفي الإصابة ٦ : ٣٣٠ . وهب بن خالد بن عامر بن غاضرة .
 (٣) سلمان : غير موجود في غ .
 (٤) غ : ملان بن ناصرة بن فضية .

فقال عمر: « لقد امتنّ عليك هذا الرجل ، وقطع عنك مؤنة البيئنة . فإن أحببت فأقيم معه ، وله عليك منّة ، وإن أحببت فالحق بقومك » .

فأقام مع السعدى وانتسب هو وولده إلى بنى سعد بن بكر بن هوازن . وتزوج زينب بنت عُرْفُطَةَ بن سهل بن مُسَكِّمِ المَزَنِيَّة . فولدت له أبا وجزة وأخاه . ولما بلغ ابنه طالبا أن يلحق بأصله وينتمى إلى قومه من بنى سليم . فقال : « لا أفضل ولا ألحق بهم فيميرؤنى كل يوم ويدفونى ، وأترك قوما يكرمونى ويشرفونى . فوالله ، لئن ذهبتُ إلى بنى ظفر ، لا أرى ظُمَيْة^(١) ولا أرى جَمَّة إلا قالوا : يا عبد بنى سعد » . وظمية : جبل لهم .

وبنو سعد أظفار رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان مسترضافهم عند حلّيمة السعدية . فلم يزل صلى الله عليه وسلم فيهم حتى يقع ثم أخذه جده عبد المطلب منهم فردّه إلى مكة . وجاءته حلّيمة بعد الهجرة . فأكرمها وبرّها وبسط لها رداءه ، فجلست عليه . وبنو سعد تفتخر بذلك على سائر هوان . وحقيقٌ بكل نخر ومكرمة من اتصل منه سيدنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بأدنى سبب ووسيلة .

كان أبو وجزة السعدى يقول : قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « ليس شعر حسان بن ثابت ولا كعب بن مالك ولا عبد الله بن رواحة شعرا ، ولكنه حكمة » .

وكان أبو وجزة من التابعين . روى عن جماعة من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم . ورأى عمر بن الخطاب رضى الله عنه - ولم يُسند إليه حديثا ، ولكنه حدث عن أبيه عنه بحديث الاستسقاء . ونقله عنه جماعة الرواة .

روى أبو وجزة عن أبيه قال : استسقى عمر بن الخطاب رضى الله عنه . فلما وقف

(١) كذا في معجم ما استمعتم للبكرى ٨٩٥ ، وفي ص : ظمة . وفي غ : طمة .

على المنبر ، أخذ في الاستغفار . فقلت : « ما أراه يعمل في حاجته » . وفي رواية :
 « ولم أعلم أن الاستغفار هو الاستسقاء » . ثم قال في آخر كلامه : « اللهم إني
 قد عجزت عنهم ، وما عندك أوسع لهم » . ثم أخذ ابن العباس - رضي الله عنهما - ثم قال :
 « وهذا عم نبيك - صلى الله عليه وسلم - تتوسل إليك به » . فلما أراد عمر أن ينزل
 قلب رداءه ثم نزل . فرأى الناس طُرة^(١) في مغرب الشمس فقالوا : « ما هذا ؟ »
 وما رأينا قبل ذلك قزعة سحاب أربع سنين . قال : ثم سمعنا الرعد ثم انتشر
 ثم اضطرب ، وكان المطر يَقلِدنا قلداً^(٢) في كل خمس عشرة ليلة حتى رأيت الأريئة^(٣)
 خارجة من حِقاق العُرْفُط^(٤) تأكلها صغرى الإبل .
 ومات أبو وجزة سنة ثلاثين ومائة^(٥) .

وهو أحد من شَبَّبَ بمجوز حيث يقول^(٦) :

يا أَيُّهَا الرَّجُلُ المَوْكَلُ بالصَّبَا	فِيمَ ابْنِ سُبَيْنِ المَعْمَرُ مِنْ دَدِ ^(٧)
حَقَّامَ أَنْتَ مَوْكَلٌ بِقَدِيمَةٍ	أَمَسْتُ تُجَدِّدُ كَالِإِمَانِي الجَمِيدِ؟
زَانَ الجَمَالِ كَالهَا وَرَسَابِهَا	عَقْلٌ وَفَاضِلَةٌ وَشِيمَةٌ سَمِيدٌ ^(٨)

(١) الطرة : الطريقة من السحاب . وفي ي : قزعة . وهي القطعة من السحاب .

(٢) قلدنا السحاب : أمطرونا .

(٣) الأريئة : نبت عريض الورق .

(٤) العرفط : شجر العضاه . وحقاقه : صفاره . وفي حاشية في هامش ص عن متن الأغاني :

« حقاق العرفط . نبات سنين وثلاث » .

(٥) كذا كانت في ص . ثم وضع قبل كلمة سنة حرف العطف « و » وبعد كلمة « مئة »
 كلمة « سنة » ثم كتبت العبارة في الهامش على النحو التالي : « وعمره مائة وثلاثون سنة » . وما
 أنبته هو ما ورد في غ عن ابن قتيبة ، وقد وجدته عند ابن قتيبة كما أنبته أبو الفرج . ومثلها في
 في الخزانة ٢ : ١٥٠ .

(٦) ابن قتيبة : الشعر والشعراء ٤٤٢ .

(٧) الدد : الأهو واللعب .

(٨) غ وابن قتيبة : زان الجلال .

صَدْتُ بِنَائِلِهَا عَلَيْكَ وَأَنْتَا غِرَّانِ فِي طَرْفِ الشَّبَابِ الْأَعْمِيدِ (١)
فَالآنَ تَرْجُو أَنْ تُشَيِّبَكَ نَائِلًا هِيَهَاتَ نَائِلُهَا مَكَانَ الْفَرَقِ قَدْ (٢)

خرج أبو وجزة وأبو زيد الأَسَلَمِيُّ (٣) يريدان المدينة ، وقد امتدح أبو وجزة عبد الله بن الزبير (٤) وامتدح أبو زيد إبراهيم بن هشام الخَزُومِي . فقال أبو وجزة لأبي زيد : « هل لك أن أشاركك فيما أُصِيبُ من آل الزبير وتُشاركني فيما تصيب من إبراهيم ؟ » فقال : « كلا والله ، لِرَجَائِي فِي الْأَمِيرِ الْأَعْظَمِ مِنْ رَجَائِكَ فِي آلِ الزبير » .
فقدما المدينة . فأتى أبو زيد دار إبراهيم فدخلها وأنشد الشعر وصاح وجلب . فقال إبراهيم لبعض أصحابه : « اخرج إلى هذا الأعرابي الجلف فاضربه وأخرجه » .
فَضُرِبَ وَأُخْرِجَ . وَاتَى أَبُو وَجْزَةَ ابْنَ الزَّبِيرِ وَأَصْحَابَهُ فُدْحَهُمْ وَأَنْشَدَهُمْ . فَكَتَبُوا لَهُ إِلَى مَالِ لَهُمْ بِالْفُرْعِ (٥) أَنْ يُعْطَى مِنْهُ سَتِينَ وَسَقًا (٦) مِنَ التَّمْرِ . فَقَالَ أَبُو وَجْزَةَ يَمْدَحُهُمْ :
رَاحَتْ قَلُوصِي رَوَاحًا وَهِيَ حَامِدَةٌ آلَ الزَّبِيرِ وَلَمْ تَعْدِلْ بِهِمْ أَحَدًا (٧)
رَاحَتْ بَسْتَيْنِ وَسَقًا فِي حَقِيقَتِهَا مَا حَمَلَتْ حِمْلَهَا الْأَذْنَ وَلَا السَّدَا (٨)
ذَاكَ الْقَرَى لَا كَأَقْوَامٍ عَهْدَتْهُمْ يَفْرُونَ ضَيْفَهُمُ الْمَلُوبَةِ الْجُدَا (٩)
يعني السياط . وقوله :

* راحت بستين وسقا في حقيقتها *

ليس يعني أنها حملت بستين وسقا ولا الحقيمية تسع ذلك ولا بعضه ، وإنما يعني أنها حملت الكتاب في الحقيمية . وهو توقيع بستين وسقا .

- (١) ابن قتيبة : إلفان في طرف الشباب . غ : غران في طلب الشباب . والنائل : العطاء .
- (٢) ابن قتيبة : : أفلان ترجو . . أيها .
- (٣) كذا في غ وكامل المبرد ١٦٠ . وفي ض : أبو زيد الأسلمي .
- (٤) غ ، والكامل : آل الزبير ، ولعله أصح فقد عرف عبد الله بالبخل .
- (٥) الفرع : قرية من نواحي الربذة بينها وبين المدينة أربع ليال على طريق مكة .
- (٦) الوسق : حمل البعير .
- (٧) الكامل : راحت رواحا قلوصى . والقلوص : الشابة من النوق .
- (٨) السدد : الوفق .
- (٩) الكامل : لا قرى قوم رأيتهم .

يزيد بن الحكم*

هو يزيد بن عثمان بن أبي العاص صاحب سيدنا رسول الله ، صلى الله عليه وسلم وقيل : يزيد بن الحكم بن أبي العاص ، وعثمان عمه ؛ وهو الصحيح . وأبو العاص هو بشر بن عبد دهمان بن عبد الله بن همام بن أبان بن يسار بن مالك بن حطيظ ابن جشم بن قسي بن منبّه ، وهو ثقيف (١) .

وعثمان جدّه أو عم أبيه أحد من أسلم من ثقيف يوم فتح الطائف هو وأبو بكرّة . وشطّ عثمان بالبصرة منسوب إليه ، وكانت له هناك أرض أقطمها أو ابتاعها . روى عن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم . وروى عنه الحسن بن أبي الحسن ، ومطرف ابن عبد الله بن الشخير ، وغيرها من التابعين .

قال عثمان بن أبي العاص الثقفي : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أمّ قومك ، واقدروهم بأضعفهم فإن منهم الضعيف والكبير وذا الحاجة » .

مرّ الفرزدق بيزيد بن الحكم الثقفي وهو ينشد في المسجد . فقال : « من هذا الذي ينشد شعرا كأنه من أشمارنا ؟ » فقالوا : « يزيد بن الحكم بن أبي العاص » . فقال : « نعم ، أشهد بالله أن عمّتي ولدته » . وأم يزيد بكرّة بنت الزبرقان بن بدر . وأمها هنييدة بنت صعصعة بن ناجية . وكانت بكرّة أول عريية ركبت البحر ، فأخرج بها إلى الحكم وهو بتوج (٢) . وكان الزبرقان يكنى أبا العباس . وكان له بنون منهم العباس وعياش .

* أخباره في ب ١١ : ١٠٠ ، س ١١ : ٩٦ ، د ١٢ : ٢٨٦ ، ح ١٢ : ٢٨٩ .

(١) غ : قسي وهو ثقيف . وذلك هو الصواب .

(٢) توج : بلد بفارس .

دعا الحجاج بن يوسف يزيد بن الحكم الثقفي ، فولاه كورة فارس ودفع إليه عهده . فلما دخل عليه ليودّعه ، قال له الحجاج : « أنشدني بمض شعرك » . وإنما أراد أن ينشده مديحا له . فأنشده بفتخر :

وأبي الذي سلب ابن كسرى رايةً بيضاءً تحفّق كالعقاب الطائر^(١)
فلما سمع الحجاج نغره نهض مُغضباً . وخرج يزيد من غير أن يودّعه . فقال الحجاج لحاجبه : « ارتجع منه المهدي » . فإذا رده فقل : « أيهما خير لك : ما ورثك أبوك أم هذا ؟ فرد على الحاجب المهدي وقال : « قل له :

ورثتُ جدّي بجدّه وقمّاله وورثتُ جدك أعتزا بالطائف

وخرج مغضبا فلحق بسليمان بن عبد الملك . ومدحه بقصيدته التي هي (٢) :

أمسى بأسماء هذا القلب مَعمودا إذا أقول : صحّا ، يَعتادُه عيدا^(٣)

كأنَّ أَحورَ من غزلانِ ذى بقرٍ أهدى لها شبهَ العينين والجيدا^(٤)

أجرى على موعدٍ منها فتخلفنى فلا أملٌ ولا تُوفى المواعيدا

كأننى يوم أمسى لا تكلمنى ذو بُغيةٍ يبتغى ما ليس موجودا^(٥)

منها :

سُميت باسمِ امرئٍ أشبهتَ شيمته عدلا وفضلا سليمان بن داودا^(٦)

(١) خزائن الأدب ١ : ٥٥ : في الملك تحفّق كالعقاب الكاسر .

(٢) خزائن الأدب ١ : ٥٥ .

(٣) معمود : هذه الشق .

(٤) اللسان : سنة العينين ، أى صورتها . وعقب على البيت فقال : « وكان أبو على يرويه

شبه العينين والجيدا . أراد وشبه الجيد ، فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه . وقد قيل : إن

أبا على صحفه « وذو بقر : موضع .

(٥) الجزانة : يشتهى ما ليس موجودا .

(٦) اللسان (عود) :

أَحْمَدُ بِهِ فِي الْوَرَى الْمَاضِينَ مِنْ مَلِكٍ وَأَنْتَ أَصْبَحْتَ فِي الْبَاقِينَ مَحْمُودًا
لَا يَبْرَأُ النَّاسُ مِنْ أَنْ يَحْمَدُوا وَمَلِكًا أَوْلَاهُمْ فِي الْأُمُورِ الْحَلِمَ وَالْجُودًا^(١)
فَقَالَ لَهُ سَلِيحَانُ : « كَمْ كَانَ أَجْرِي لَكَ لِعِمَالَةِ فَارِسٍ ؟ » قَالَ : « عَشْرِينَ أَلْفًا » .
قَالَ : « فَهِيَ لَكَ مَا دَمَتْ حَيًّا » .

اسْتَقْوَى الْحِجَاجَ يَوْمًا جَالِسًا ثُمَّ قَالَ : « صَدَقَ زُهَيْرُ بْنُ أَبِي سُلَيْمٍ حَيْثُ يَقُولُ^(٢) :
وَمَا الْعَفْوُ إِلَّا لِأَمْرِي ذِي حَفِيظَةٍ مَتَى يَعْفُ عَنْ ذَنْبِ أَمْرِي السُّوءُ يَلْجَجُ^(٣)
فَقَالَ يَزِيدُ بْنُ الْحَكَمِ : « إِنِّي رَثَيْتُ ابْنَ عَنَبَسَا بَيْتَ إِذْ لَشَبِيهِ هَذَا » .
قَالَ : « وَمَا هُوَ ؟ » فَقَالَ :

وَيَأْمَنُ ذُو حَلِمٍ الْعَشِيرَةَ جَهْلَهُ عَلَيْهِ وَيُخْشَى جَهْلَهُ جُهْلًا وَهِيَ
قَالَ : « فَمَا مَنَعَكَ أَنْ تَقُولَ مِثْلَ هَذَا لِمُحَمَّدِ ابْنِ تَرْتِيهِ بِهِ ؟ » قَالَ لَهُ : « إِنَّ ابْنَ
كَانَ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ ابْنِكَ » .

وهذا البيت من قصيدة رثى بها يزيد ابنه عنبسا لما مات ، وقد جزع عليه جزعا
شديدا :

جَزَى اللَّهُ عَنِّي عَنَبَسَا كُلَّ صَالِحٍ إِذَا كَانَتِ الْأَوْلَادُ سَيِّئًا جَزَاؤُهَا
هُوَ ابْنِي وَأَمْسَى أَجْرُهُ لِي وَعَزَّتِي عَلَى نَفْسِهِ رَبٌّ إِلَيْهِ وَلَاؤُهَا
جَهْلٌ إِذَا جَهْلُ الْعَشِيرَةِ يُتَنَعَى حَلِيمٌ وَيَرْضَى حَلِمَهُ حُلْمًا وَهِيَ
وَيَأْمَنُ ذُو حَلِمٍ الْعَشِيرَةَ جَهْلَهُ عَلَيْهِ وَيُخْشَى جَهْلَهُ جُهْلًا وَهِيَ
قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ : « كَانَ شَاعِرٌ ثَقِيفٌ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خَيْرًا مِنْ شَاعِرِهِمْ
فِي الْإِسْلَامِ » . ففَقِيلَ لَهُ : « مِنْ تَعْنَى ، يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ » قَالَ : « أَمَا شَاعِرُهُمْ
فِي الْإِسْلَامِ فَيَزِيدُ بْنُ الْحَكَمِ حَيْثُ يَقُولُ :

(١) اللسان : لا يمتثل الناس في أن يشكروا ملكا .
(٢) شرح ديوان زهير (دار السكتب ١٩٤٤) ٣٢٤ .
(٣) الديوان : وما الفضل إلا لامرئ .

فامنك الشبابُ ولستَ منه إذا سألتك لحيتك الخضابا
وقال شاعرهم في الجاهلية :

الشيْبُ إنْ يَظْهَرُ فإنَّ وِراءَهُ عُمْراً يَكونُ خِلالَهُ مُتَنَفِّسُ
لَمْ يَنْتَقِصْ مَنَى المَشِيبِ قُلامَةً ولَمَّا بَقِيَ مَنى أَلْبُ وَأَكْيَسُ

ولما خلع يزيد بن المهلب بن يزيد بن عبد الملك ، قال له يزيد بن الحكم :
أبا خالد ، قد هجئت حرباً مريرةً وقد شمرت حربٌ عوانٌ فشمري
فقال يزيد بن المهلب : « بالله أستعين » . فقال يزيد بن الحكم :

فإنَّ بنى مروانَ قد زال ملكهم فإنَّ كفت لم تشعُرْ بِذلك فاشعُرْ

فقال يزيد بن المهلب : « ما شعرت » . فقال يزيد بن الحكم :

فت ما جِداً أو عِشْ كَريماً فإنَّ نمتَ وسيُفكُّ مشهورٌ بِكفِّكَ تُعدَّر

فقال : « هذا ما لا بد منه » .

دخل يزيد بن الحكم على يزيد بن المهلب في سجن الحجاج وهو يُعذَّب ، وقد
حل عليه نَجْمٌ كان قد نُجِّمَ (١) عليه ، وكانت نجومه في كل أسبوع ستة عشر ألف
درهم . فقال له (٢) :

أصبح في قَيْدِكَ السَماحةُ والجوُّ دُ وفضلُ الصِلاحِ والحَسَبُ

لا يَطرُفُ إنَّ تَتابعتْ نِعمٌ وصابِرٌ في البِساءِ مُحْتَسِبُ

بَرَزَتْ سَبَقَ الجِوادِ في مَهَلٍ وَقَصَّرتْ دونَ سَعَمِيكَ العِربُ (٣)

فالتفت يزيد إلى مولى له وقال له : « أُعْطِه نِجمَ هذا الأَسبوعِ ونصبرُ على العذابِ

إلى السبْتِ الأخرِ » .

(١) تنجيم الدين : أن يقدر دفعه في أوقات معلومة .

(٢) خزائن الأدب : ١ : ٥٥ .

(٣) ب ، س ، والحزاة : برزت . غ والحزاة : سبق الجياد .

يَحْيَى أَبُو نَفِيسٍ *

هو يَحْيَى بن يَعْلَى بن مُنِيَّة . وقيل : مَيْمُون بن يعلى بن منية . وقيل حَيَّ
ابن يعلى بن منية . ومنية أمه ، وهى بنت غَزْوَان ، أخت عُتْبَةَ بن غزوان . وأبوه
أُمِيَّة بن عبدة بن همام بن جُشَم بن بكر بن زيد بن مالك بن حَفْظَةَ بن مالك بن زيد
مَنَاءَ بن تَمِيم . ويقال لبني زيد بن مالك بنسو العدوية ، وهى فُكَيْهَةَ بنت تميم بن
الدُّوَل بن حِجْل بن عدى بن عبد مَنَاءَ بن تميم . ولدت لمالك بن حنظلة زيدا وصُدَيَّا
وَيَرْبوعا ، فهم يُدْعَوْنَ بنى العدوية .

وكان يعلى بن منية حليفا لبني أمية وعديدا لهم^(١) ، وبينهم وبينه نسب وصره .
وأدرك النبي ، صلى الله عليه وسلم . وروى عنه حديثا كثيرا . وعمره بعده . وكان
مع عائشة يوم الجمل عَوْنَا على أمير المؤمنين على بن أبي طالب ، رضى الله عنه .
وقال على ، رضوان الله عليه : « مُنَيْت (أو بُلَيْت) بِأَطْوَعِ النَّاسِ فِي النَّاسِ :
عائشة ، وبأدهى الناس : طَلْحَةَ ، وبأشجع الناس : الزُّبَيْر ، وبأكثر الناس مالا :
يَعْلَى بن منية ، وبأجود قريش عبد الله بن عامر » . فقام إليه رجل من الأنصار
فقال له : « والله يا أمير المؤمنين ، لأنت أشجع من الزبير ، وأدهى من طلحة ،
وأطوع فينا من عائشة ، وأجود من ابن عامر . ولَمَالِ اللَّهِ - تَعَالَى - أَكْثَرَ مِنْ مَالِ
يَعْلَى بن منية . وليكونن كما قال الله تعالى وتقدس^(٢) : « فَسَيَنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ
عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ » . فسُرَّ على - عليه السلام - بقوله . ثم قام رجل آخر
منهم فأنشده :

* أخباره في ب ١١ : ١٢٤ ، س ١١ : ١١٩ ، د ١٢ : ٣٣٥ ، ح ١٢ : ٣٤٠ .

(١) يعد منهم .

(٢) الآية ٣٦ من سورة الأنفال .

أما الزبير فأَكْفِيكَهُ وطلحة يَكْفِيكَه وَخَوْحَهُ
ويعلی بن منية عند القتال شديدُ التثاؤب والنَّحْنَجَه
وعائشُ يَكْفِيكُهَا وَاَعْظُ وعائشُ في الناسِ مستَنْصَحَه
فلا تجزَعَنَّ فَإِنَّ الْأُمُورَ إذا ما أُتِينَاكَ مستَنْجَجَه
وما يصلح الأمر إلا بنا كما يصلح الجبن بالإِنْفَجَه^(١)

فسرَّ عليّ بقوله وقال : « بارك الله - تعالى - فيك » . ودعاه له . فأما الزبير
فناشده عليٌّ الله يومئذ . فرجع فقتلته بنو تميم . وأما طلحة فناشده وحوحة - وكان
صديقه ، وكان من القراء - فذهب لينصرف . فرماه رجل من عسكرهم بسهم فقتله .
وكان يعلی بن منية أفرَضَ الزبير - حين خرج إلى البصرة في وقعة الجمل -
أربعين ألف دينار . فقضاها ابن الزبير بعد ذلك ، لأن أباه قُتل ولم يقضها .

ولما صاروا إلى البصرة ، تنازع طلحة والزبير في الصلاة . فاتفقا على أن يصلی
ابن هذا يوما وابن هذا يوما . فقال شاعرهما :

تبارى الفلامانِ إذ صلّيا وشحَّ على المُلْكِ شَيْخَاهَا
وما لي وطلحةَ وابنِ الزبير وهذا بنى الجِرْعِ مَوْلَاهَا

يعنى عليا رضوان الله عليه .

فَأُمُّهُمَا الْيَوْمَ غَرَّتَهُمَا وَيعلی بن منية دَلَّاهَا

وكان يعلی بن منية يكنى أبا نَفِيس . واسمه هو يحيى لا حُيَيَّ^(٢) بن يعلی .
وهو من بنى المدوية من بنى تميم . وتزوج امرأة له من بنى مالك بن كنانة يقال لها
زينب . ولهم حِلْفٌ في غِفَار . وهى من بنات طارق اللاتى يقطن :

(١) الإِنْفَجَة : شئٌ يستخرج من بطن الجدى الراضع أصفر فيعصر في صوفة مبتلة في اللبن

فيحافظ كالجن .

(٢) م : يحيى لا يحيى . وليست في الأغاني . والتصحيح ظى .

* نحن بنات طارق *

وهم الذين رأتهم عائشة . قال محمد بن يحيى بن عبد الملك الهديري : جلست ليلة وراء الضحاک بن عثمان في مسجد رسول الله ، صلى الله عليه وسلم وأنا متقنّ . فذكر الضحاک وأصحابه قول هِنْد يوم أُحُد :

* نحن بنات طارق *

فقلت : « ما الطارق ؟ » قال : « النجم » . فالتفت الضحاک وقال : « يا أبا زكريا ، وكيف بذلك ؟ » فقلت : « قال الله تعالى (١) : « وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ . وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ . النَّجْمُ الثَّاقِبُ » فقالت : « إنما نحن بنات النجم » . فقال : « أحسنت » . وماتت زينب هذه بتهمة ، ورثاها بأبيات .

(١) الآيات ١ - ٣ من سورة الطارق .

يزيد بن معاوية*

هو معروف النسب .

كان^(١) قد حج بالناس في خلافة أبيه، وجلس بالمدينة على شراب . فاستأذن عليه الحسين بن علي وعبد الله بن العباس ، رضی الله عنهما . فأمر بشرابه فرفع . وقيل له : « إن ابن عباس إن وجد ريح شرابك عرفه » . فحجبه وأذن للحسين ، عليه السلام . فلما دخل وجد رائحة الشراب مع الطيب ، فقال : « لله در طيبك هذا ! ما أطيبه ! وما كنت أحسب أحداً يتقدمنا في صنعة الطيب . فما هذا ، يا ابن معاوية ؟ » فقال : « يا أبا عبد الله ، هذا طيب يُصنع لنا بالشام » ثم دعا بقدر فشربه . ثم دعا بآخر فقال . « اسقِ أبا عبد الله ، يا غلام » . فقال الحسين ، عليه السلام : « عليك شرابك - أيها المرء - لا عينَ عليك مني » : فشرب وقال :

ألا يا صاحٍ للمجَبِّ دعوتك ثم لم تُجِبِ
إلى القَيْنَاتِ واللَّذَا اتِ والصَّهْبَاءِ والطَّرَبِ
وباظِيَةِ مَكَلَّةٍ عليها سادةُ العَرَبِ^(٢)
وفيهنَّ التي تَبَلَّتْ فؤادك ثم لم تَتُبْ^(٣)

فوثب الحسين - عليه السلام وقال : « بل فؤادك أنت ، يا ابن معاوية »
قال^(٤) نافع مولى عبد الله بن جعفر : « قدِ منّا مع عبد الله بن جعفر على معاوية .

* جمع ابن المكرم أخبار يزيد من مواضع متفرقة من الأغاني .

(١) هذا الخبر في ب ١٤ : ٦٣ ، س ١٤ : ٦٠ ، د ١٥ : ٢٩٢ ، ح ١٥ : ٢٣٢ .

(٢) الباطية : وعاء الحجر .

(٣) غ : ومنهن .

(٤) هذا الخبر في ب ٧ : ١٠٣ ، س ٧ : ٩٨ ، د ٨ : ١٤٢ ، ح ٨ : ١٤٣ .

فأرسل إلى يزيد يدعوني ليلا . فقلت : « اعلم أني أخاف أن يعلم أمير المؤمنين بكاني عندك فيشكركوني إلى عبد الله بن جعفر » . قال : « فأمهل حتى إذا سمر أمير المؤمنين ، فإن ابن جعفر يكون معه فلا يفقدك ، ونخلو نحن كما يزيد قبل قيامهما » . فأثبته فغنيته . فوالله ، ما رأيت فتى أشرف أريحية منه . ولقد ألقى على من السكسا الخبز والوشى وغيره ما لم أستطع حمله . ثم أمر لي بخمسمائة دينار ذهب . وذهب بنا الحديث وما كنا فيه حتى قام معاوية ونهض ابن جعفر . وكان باب يزيد في سقيفة معاوية فسمع صوتي . فقال لابن جعفر : « ما هذا ، يا ابن جعفر » ؟ قال : « هذا - والله - صوت نافع » . فدخل علينا فلما أحس به يزيد تناوَمَ . فقال له معاوية : « مالك ، يا بني ؟ فقال : « صدعت فرجوت أن يسكن عنى بصوت هذا ما أجده » . فتبسّم معاوية وقال لي : « يا نافع ، ما كان أغنانا عن قدومك ! » فقال له ابن جعفر : « يا أمير المؤمنين ، إن هذا في بعض الأحياء يُدركي القلب » . فضحك معاوية وانصرف . فقال لي ابن جعفر : « وبلك ؟ هل شرب شيئا ؟ » قلت : « لا والله . ووالله ، إنى لأرجو أن يكون من فتيان بني عبد مناف الذين يُنتفع بهم » .

قال نافع : ثم قدمنا على يزيد مع عبد الله بن جعفر بعد ما استخلف . فأجلسه معه على سرير . ودخلت حاشيته تسلّم عليه ودخلت معهم . فلما نظر إلى تبسم . ثم نهض ابن جعفر وتبعناه . فقيل له : « إنه نظر إلى نافع وتبسّم » . فقال له ابن جعفر : « هذا تأويل تلك الليلة » . وقضى حوائج ابن جعفر وأضَمَفَ له ما كان يصله به معاوية . فلما أراد الانصراف أتاه فودعه . وأرسل إلى يزيد فدخلت عليه . فقال : « ويحك ! ما أحرّتك إلا لأتفرغ لك . هات لحنك ^(١) :

خليلٍ فيما عشتُما هل رأيتُما فتَيْلا بكي من حُبِّ قائله قَبلي

(١) البيت الجميل بثنية . وانظر ديوانه ١٧٦ .

فأسمعتَه إياه . فقال . « أَعِدْ - وبلك ، - أعد » . فأعدته ثلاثاً . فقال : « أحسنت فسل حاجتك » . فما سأله في ذلك اليوم شيئاً إلا أعطانيه . ثم قال : « إن يصلح لنا هذا الأمر من قِبَل ابن الزبير فلعلنا أن نخرج فتلقانا بالمدينة ، فإن هذا الأمر لا يصلح إلا هناك » . قال نافع : فتمننا من ذلك شوُّم ابن الزبير .

كان (١) سلم بن زياد قدم على يزيد فنادمه . وقال له ليلة : « ألا أولئك خراسان؟ » فقال : « بلى ، وسجستان » . فمعدله من ليلته وقال :

سَقَنِي شَرِبَةً تَرَوُّي عِظَامِي ثُمَّ عُدُّ وَاسِقٍ مِثْلَهَا ابْنِ زِيَادٍ (٢)
مَوْضِعَ السَّرِّ وَالْأَمَانَةِ مَنِي وَعَلَى ثَغَرٍ مَعْنَمِي وَجِهَادِي

كان (٣) معاوية قد جهَّز جيشاً إلى بلد الروم ليغزو الصائفة . فأخذهم جُدْرِي فات أكثر المسلمين . وكان ابنه يزيد مُصْطَبِحاً بدير مُرَّان مع زوجته أم كلثوم . فبلغ خبرهم فقال :

إِذَا ارْتَفَعَتْ عَلَى الْأَنْمَاطِ مُصْطَبِحَا بِدِيرِ مُرَّانَ عِنْدِي أُمُّ كَلْثُومِ (٤)
فَأَبَالِي بِمَا لَاقَتْ جَمْعَهُمْ بِالغَدَقْدُونَةِ مِنْ حَمِيٍّ وَمِنْ مُومِ (٥)
فبلغ شعره أباه . فقال : « أما والله ، ليملحنَّ بهم فليصيبنَّ ما أصابهم » . فخرج حتى لحق بهم . وغزا حتى بلغ القسطنطينية . ففطر إلى قبَّتين عليهما ثياب الديباج . فإذا كانت الحملة للمسلمين ، ارتفع من إحداها أصوات الدفوف والطبول .

(١) الخبر في ب ١٤ : ٦٣ ، س ١٤ : ٦١ ، د ١٥١ : ٢٩١ ، ح ١٥ : ٢٣٢ .

(٢) غ : فرو عظامي .

(٣) هذا الخبر في ب ١٦ : ٣٣ ، س ١٦ : ٣٣ ، ح ١٧ : ١٤١ .

(٤) ب ، س : إذا ارتفعت . وارتفعت : اتكأت على مرفق أو على الخد . واصطبح :

شرب الصبوح ، وهو خمر الصباح . وعند ياقوت ٣ : ٧٧٨ .

إذا اتكأت على الأنماط مرتفعاً يبطن مران . . .

(٥) الموم : أشد الجُدْرِي . والغدقذونة : إقليم الثغور بين الشام وبلاد الروم وعند ياقوت .

وما أبالي إذا لاقَتْ .

وإذا كانت الحملة للروم ارتفع من الأخرى فسأل يزيد عنهما . فقيل : « هذه بنت ملك الروم ، وتلك بنت جبلة بن الأيهم . وكل واحدة منهما تظهر السرور بما تفعله عشيرتها » . فقال : « أما والله ، لأسرّها » . ثم لفّ العسكر^(١) وحمل حتى هزم الروم وحجّروهم في المدينة وضرب باب القسطنطينية بعمود حديد كان في يده وهشمه حتى انحرق . فضرب عليه لوح من ذهب . فهو عليه إلى اليوم .

كانت ميسون بنت محند الكلبية تزين يزيد بن معاوية وترجل جمته^(٢) . فإذا نظر إليه معاوية قال :

وإن مات لم تفلح مزيّنة بعده فَنُوْطِي عَلَيْهِ - يَا مُزَيْنَ - التَّمَامَا^(٣)

لما احتضر معاوية ، حضره يزيد وعنّيسة بن أبي سفيان . فبكى يزيد إلى عنبسة وقال :

لوفات شيء تَرَى لَفَاتُ أَبُو حَيَّانَ لَا عَاجِزٌ وَلَا وَكَلٌ^(٤)
الْحَوْلُ الْقَلْبُ الْأَرِيبُ وَلَنْ يَدْفَعَ صَرَفَ النِّيَّةِ الْحَوْلُ^(٥)

فسمعها معاوية بعد ما ردها مرارا . فقال : « يا بني ، إن أخوف ما أخاف على نفسي شيئا صنعتُهُ فيك ولك . وإني كنت أوضي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وكساني قميصا ، وأخذتُ شعرا من شعره . فإذا أنا مت فكفني في قميصه ، واجمل الشعر في منخري وأذني وفي . وخلّ بيني وبين ربي ، لعل ذلك ينفعني شيئا » .

(١) لف العسكر : خاط بعضهم ببعض بالحرب . وفي ب ، س : كف . وفي ي : صف .

(٢) الجمّة : مجتمع شعر الرأس .

(٣) غ : فإن مات . ونوطى : علق .

(٤) غ : يرى . د : حبان . لا عاجز : كذا في غ . وفي ص : لا عامر ، تحريف . والوكل

الذي يتكلم على غيره .

(٥) غ : يدفع زوء النية الحيل . والحول : كثير الاحتيال . والقلب : الذي يقلب الأمور

قبل الإقدام عليها . والحول : الحيل .

قالوا : وهذه الحكاية غلط لأن يزيد كان بالرُّصافة^(١) لما مات معاوية . وجاء
بمنميه إلى يزيد فقال :

جاء البريد بقرطاسٍ يَحْبُّ به فأوجسَ القلبُ من قرطاسه فزَعَا
قلنا: لك الويل، ماذا في صحيفتكم؟ قال : الخليفةُ أَمسى مُثَبِّتًا وَجِعا
مادتُ بنا الأرضُ أو كادتُ تَميدُ بنا كَأَنَّ ما عَزَّ من أركانها انقلما^(٢)
مَنْ لم تَزَلْ نَفْسُهُ تُوفِّي على شَرَفٍ توشكُ مَقاديرُ تلك النفس أن تَقعَا^(٣)
لما وردتُ وبابُ القصرِ مُنصَفِقٌ لصوتِ رَمَلَةٍ هُدتِ القلبُ فأنصَدعا^(٤)

وتولى غسله ودفنه الضحاك بن فيس . فخطب الناس وقال : « إن ابن هند قد
توفى . وهذه أكفانه ، ونحن مُدْرِجوه فيها ، ومُحَلُّونَ بينه وبين ربه . ثم هو
بالبرزخ إلى يوم القيامة » . ولو كان يزيد حاضرا لم يكن للضحاك ولا غيره أن يفعل
من هذا شيئا .

روى هشام بن عروة عن أبيه قال : صلى بنا عبد الله بن الزبير يوما ثم نعى
معاوية فقال : « رحم الله معاوية ! لقد كنا نخدمه فيمَتَخَدَعُ لنا ، وما ابن أنثى
بأَمَكْرٍ منه^(٥) . وإن كنا لنَقْرِفُهُ^(٦) فيمَتَقَارِفُ لنا . وما الليثُ المجرَّبُ^(٧) بأَجْرَأَ
منه . كان - والله - كما قال بطحَاء^(٨) المُدْرِي :

- (١) غ : بالصائفة .
(٢) كذا في غ . وفي س : كأن أعين من أركانها ، تحريف .
(٣) غ : على وجل . والشرف : ارتفاع من الأرض .
(٤) هد القلب : كذا في غ . وفي : هذا القلب . وفي غ : تحريف وباب القصر منطبق .
(٥) غ : بأكرم منه .
(٦) نقرفه : تنهه .
(٧) غ : المجرَّب .
(٨) ب ، س : بطحان .

رَكُوبُ الْمَنَابِرِ وَتَابُهَا مِمَّنْ بَخَطِبَتَهَا مَجْهَرًا (١)
تَرْبِيعَ إِلَيْهِ عِيُونَ الْكَلَامِ إِذَا حَصَرَ الْهَدِيرَ الْمُتَمَهِّمَر (٢)
كان - والله - كما قالت رقيقة أو بنت رقيقة (٣) :

أَلَا ابْنِكِيهِ إِلَّا ابْنِكِيهِ أَلَا كُلُّ الْفَتَى فِيهِ (٤)
والله ابوددى أنه بقى ما بقى أبو قبيس (٥) لا يتخون له (٦) عقل ولا تنقص له
قوة . قال : فمرفنا أن الرجل قد استوحش (٧) .

لما أتى ابن عباس نبي معاوية وولاية يزيد كان يمشى أصحابه وبأكل معهم ، وقد
رفع يده باللقمة إلى فيه ، فألقاها وأطرق هنيئة وقال :

جِبِلُّ تَدَكَّدَكَ نَمَ مَالٍ بِجُمُعِهِ فِي الْبَحْرِ وَاشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ الْأَبْحُرُ
لله در ابن هند ! ما كان أجمل وجهه ، وأكرم خلقه ، وأعظم حلمه ! « فقطع عاينه
الكلام رجل من أصحابه وقال : « تقول هذا فيه ؟ » فقال : « ويحك ! إنك لا تدري
من مضى عنك ولا من ولى عليك ، وستعلم » . ثم قطع الكلام عنه .

وزيد (٨) بن معاوية أول من سنّ الملامى من الخلفاء ، وأذنى المنين ، وأظهر الفتك

(١) معن : كذا في غ . وفي ص : معنى ، تحريف . واللعن : الخطيب الذى يحسن التكلم فى
كل شىء . وفي غ : بخطبته .

(٢) تربيع : كذا فى غ ، أى ترجع . وفى ص : تربيع ، تحريف .

(٣) غ : رقيقة أو بنت رقيقة .

(٤) غ : كل الفتى .

(٥) أبو قبيس : جبل بمكة .

(٦) يتخون : ينقص .

(٧) غ : استوحش .

(٨) هذا الخبر فى ب ١٦ ، ٧٠ ، س ١٦ : ٦٨ ، ح ١٧ : ٢٢٢ .

وشرب الخمر . وكان ينادم عليها سرّجون النصراني مولاه والأخطل . وكان يأتيه
من المغنين سائب خاثر ، يقيم عنده ، ويخلع عليه ويصّله ، ففناه يوما :
يا للرجالِ لمظلومِ بضاعتهُ يبطنِ مكةَ نأى الأهلِ والنّفْرِ^(١)
فرقص حتى سقط ثم قال : « اخلعوا^(٢) عليه خِلْما يغيّب فيها حتى لا يُرى منه
شيء » . فطُرحت عليه الجباب والمطارف الخَزّ حتى غاب فيها .

(١) روى أيضا : يا آل فهر لمظلوم بضاعته . وقيل لأنه لرجل من زبيد .

(٢) كذا في غ . وفي ص : اجملوا ، سبق قلم .

يزيد جبهاء*

جبهاء لقب غلب عليه . ويقال : بل جبهاء . وهو يزيد بن عبيد - وقيل : يزيد ابن حُممة^(١) بن عبيد - بن عُميلة بن قيس بن رُوَيْبَةَ بن سُحَيْم بن عبيد بن هلال ابن زبيد بن بكر بن أشجع .

شاعر بدوي من خاليف^(٢) الحجاز . نشأ وتوفي في زمن بني أمية . وليس ممن اتَّجَع الخلفاء بشعره ولا من ممدودي الفحول . وهو مُقِل .

قالت زوجة جبهاء الأشجعي لزوجها : لو هاجرت إلى المدينة وبعت إبلك وافترضت في العطاء فكان خيرا لك . قال : « أفعل » . فأقبل بها وبإبله ، حتى إذا كان بجرّة واقم من شرقي المدينة شرعها بمحوض واقم ليسقيها . حُفَّت ناقة منها فزعت وتبعها الإبل . فطلبها ففاته . فقال لزوجته : « هذه الإبل - هي لا تعقل - تحن إلى أوطانها . ونحن أوّلَى بالحنين منها . أنت طالق إن لم ترجي . فعل الله بك وصنع ! » فردها .

جاور جبهاء الأشجعي في بني تميم بطن من أشجع . فاستمنحه مولى لهم عنزا فمنحه إياها ، فأمسكها دهرًا . فلما طال على جبهاء قال :

أموّلى بنى تيمم ، ألسّت مؤدّيا مَنيحَتنا فيما تُردُّ المناخ^(٣)

* أخباره في ب ١٦ : ١٤٦ ، س ١٦ : ١٤١ ، ي ١٨ : ٣٩ .

(١) غ ، والمؤتلف والمختلف للأمدى ٧٧ : حميمة . والنسب في الكتاب الأخير مختلف كل الاختلاف ، فهو فيه : جبهاء بن حميمة بن يزيد ، أحد بني عقيل بن هلال بن خلاوة بن سبيع بن بكر بن أشجع .

(٢) الخاليف : جمع مخلاف وهو الإقليم وخاصة من أقاليم اليمن .

(٣) تنبيه البكري ١١٠ ، شرح الفضليات ٣٣١ : فيما تؤدى المناخ .

فأرسل إليه التيمي :

بَلَى سَنُودِّبُهَا إِلَيْكَ ذَمِيمَةً لَتَنْكِحَهَا إِنْ أَعُوذْتُكَ الْمَنَاكِحُ

[فعمد به جهاء فنزل وقال :

لو كنتُ شيخاً من سِوَاةِ نَكَحْتَهَا نِكَاحَ يَسَارٍ عَنَزَهُ وَهِيَ سَارِحٌ ^(١)

قال : وَيُمَيِّرُونَ بِنِكَاحِ الْعَنَزِ .

(١) زيادة ضرورية عن غ ، لأن بني سِوَاةٍ هم الذين يعيرون بنِكَاحِ الْعَنَزِ .

يزيد بن مفرغ الحميري*

هو يزيد بن ربيعة بن مفرغ^(١). ولقبَّ جده مفرغاً لأنه راهن على سقاء ابن أن يشربه كله فشربه حتى فرغه ، فسُمي مفرغاً لتفريغه السقاء . وكنيته أبو عثمان . وهو من حمير ، كما يزعم أهله . وكان ربيعة بن مفرغ شاعراً بقبالة^(٢) ، فادعى أنه من حمير . وقال علي بن محمد النوفلي : « ليس بالبصرة أحد من حمير إلا الحجاج بن ناب الحميري ونسباً^(٣) آخر ذكره . ودفع نسب^(٤) ابن مفرغ . وهو حاييف قریش ثم حلييف آل خالد بن أسيد بن أبي العيص^(٥) بن أمية بن عبد شمس . وقيل : كان عبداً للضحاك ابن عبد عوف الهلالي فأنعم عليه . وكان شاعراً غزلاً محسناً . والسيد^(٥) من ولده . سئل الأصمعي عن شعر تبع وقصته ومن وضعهما . فقال : ابن مفرغ وضعهما . وذلك أن يزيد بن معاوية - لما سيره إلى الشام واستخلصه من عباد بن زياد - أنزله الجزيرة . فكان مقيماً برأس عين . وزعم أنه من حمير . ووضع سيرة تبع وشعره . وقال الهيثم بن عدى : هو يزيد بن زياد بن ربيعة بن مفرغ اليحصبي من حمير :

* أخباره في ب ١٧ : ٥١ ، س ١٧ : ٥١ ، ي ١٨ : ١٨١ ، طبقات فحول الشعراء لابن سلام ٥٥٤ ، الشعر والشعراء لابن قتيبة ٢٠٩ ، خزائن الأدب للخطيب ٢ : ٢١٠ ، وفيات الأعيان لابن خلكان ٢ : ٢٨٩ .

(١) ذكر أبو الفرج في ترجمة السيد الحميري أن مفرغاً هو ربيعة وأن من قال ربيعة بن مفرغ فقد أخطأ . ولعل سبب ذلك أن ربيعة جد يزيد فهو كما قال ابن السكبي يزيد بن زياد بن ربيعة . ابن خلكان ٢ : ٢٨٩ ، الأغاني ٧ : ٢٢٩ .

(٢) الشعاب : الذي يصلح الصدوع . وتبالة : موضع ببلاد اليمن بينه وبين الطائف ٦ أيام ، وبينه وبين بيشة يوم واحد . وفي الوفيات أن مفرغاً كان حدادا .

(٣) غ : بيتا . . . بيت .

(٤) أبي العيص : كذا في غ والطبقات . وكتب الصحابة والوفيات وفي ص : أبي العاص .

(٥) يريد السيد الحميري الشاعر الشيعي .

يحبص^(١) بن مالك بن زيد بن العوث بن سعد بن عوف بن عدى بن مالك بن زيد
ابن سهل بن عمرو بن قيس بن معاوية بن خيثم^(٢) بن عبد شمس بن وائل بن العوث
ابن الهميسع بن حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان .

لما ولي سعيد بن عثمان بن عفان خراسان ، اجتهد أن يستصحب يزيد بن مفرغ
معه ، فلم يصحبه وصحب عباد بن زياد . فقال له سعيد بن عثمان : « أما إذ أبيت أن
تصحبنى وآرت صحبة عباد ، فاحفظ ما أوصيك به . إن عبادا رجل لئيم ، فإياك
والدالة عليه . فإن دعاك إليها من نفسه فإنها خديعة لك منه على نفسك . وأقلل زيارته
فإنه ملول . ولا تفاخره وإن فاخرك ، فإنه لا يحتمل لك ما كنت أحتمله » . ثم دعا
سعيد بمال فدفعه إليه وقال : « استعن بهذا في سفرك . فإن يصلح لك مكانك من عباد
وإلا فكانك عندي ممهد فائتني » . ثم سار سعيد إلى خراسان . وخرج ابن مفرغ
مع عباد .

فلما بلغ عبيد الله بن زياد صحبة ابن مفرغ أخاه عبادا ، شق عليه ذلك . فلما
سار أخوه شيمه وشيمع الناس معه وجعلوا يودعونه . فلما أراد عبيد الله أن يودع
أخاه ، دعا ابن مفرغ فقال له : « إنك سألت عبادا أن تصحبه فأجابك إلى ذلك ،
وقد شق عليّ » . فقال ابن مفرغ : « ولِمَ ، أصلحك الله ؟ » قال : « لأن الشاعر
لا يقنعه من الناس ما يُقنع بعضهم من بعض ، لأنه يظن فيجعل الظن يقينا ولا يعذر
في موضع العذر . وإن عبادا يقدّم على أرض حرب فيشتغل بحروبه وخراجه عنك .
فلا تعذره أنت وتكسبنا شرا وعارا » . فقال له : « لست كما ظن الأمير .
وإن لمعروفه عندي لشكرا كثيرا . وإن عندي - إن أهّمك أمرى - عذرا ممهدا » .

(١) أورد النويرى : نهاية الأرب ٢ : ١٩٣ سلسلة مختلفة تماما لنسب يحبص .

(٢) ي والنويرى ٢ : ٢٩٢ ، ٢٩٣ : جشم .

قال : « لا ، ولكن تضمن لى إن أبطأ عنك ما تحبه منه ألا تعجل عليه حتى تكتب إلى » . قال : « نعم » . قال : « فامضِ إذن على الطائر الميمون » .

فلما قدم عباد خراسان واشتغل بحروبه وخراجه ، استبَطَّاهُ ابنُ مفرغ ولم يكتب إلى عبيد الله بن زياد يشكوه كما ضمن له ، ولكنه بسط لسانه فذمه وهجاه . وكان عباد عظيم اللحية كأنها جُوالق . فسار يزيد بن مفرغ يوما مع عباد . فدخل الريح فيها فنفسها . فضحك ابن مفرغ وقال لرجل من لَحَمٍ كان إلى جانبه ^(١) :

الآيَةَ اللَّحِّيَّ كَانَتْ حَشِيشًا فَتَعَلَّفَهَا خِيُولَ الْمُسْلِمِينَ ^(٢)

فسمى به اللخمي إلى عباد . فغضب من ذلك غضبا شديدا وقال : « لا تجمل بي عقوبته في هذه الساعة مع صحبته لى . وما أوخرها إلا لأشقى نفسى منه ، فإنه كان يقوم بشتم أبى في عدة مواطن » . وبلغ الخبر ابن مفرغ ، فقال : « إني لأجد ريح الموت من عباد » . ثم دخل عليه فقال له : « أيها الأمير ، إني كنت مع سميد ابن عثمان . وقد بلغك رأيه في . ورأيت جميل أثره علىّ وإني اخترتك عليه فلم أحظ منك بطائل ، وأريد أن تأذن لى في الرجوع . فلا حاجة لى في صحبتك » . فقال له : « أما اختيارك إياى فإننى اخترتك كما اخترتني ، واستصحبتك حين سألتنى . قد أعجبتنى عن بلوغ محبتي منك ، فطلبت الإذن لترجع إلى قومك ففضختني قبلهم . وأنت على الإذن قادر بمد أن أفضى حقتك » . فأقام . وبلغ عبادا أنه يسبه ويدكره وينال من عرضه . وأجرى عباد الخليل لجاء سابقا . فقال ابن مفرغ ^(٣) :

* سَبَقَ عِبَادٌ وَصَلَّتْ لِحْيَتُهُ ^(٤) *

(١) ابن قتيبة ٢١٠ . الخطيب ٢ : ٢١٣ ، ٥١٥ . ابن خلكان ٢ : ٢٩٠ . الطبرى ٢ : ١٩١ .

(٢) ابن قتيبة والخطيب : دواب المسلمين . والخطيب : فترعاها خيول المسلمين . ابن خلكان :

فتعلمها خيول المسلمين . الطبرى : عادت حشيشا .

(٣) ابن قتيبة ٣١٠ . الخطيب ٢ : ٢١٣ .

(٤) صلت : أتت تالية له .

فقطَّب عليه العِلل ودس إلى قوم كان لهم عليه دين ، فأمرهم أن يقدموه إليه -
فحبسه أوضرت به .

ثم بعث إليه : أن يعني الأراككة وبردا ، يعني قينة وعبداً ليزيد بن مفرغ -
كان ربها وهو ضنين بهما . فبعث ابن مفرغ إليه : « أبيع المرء نفسه ^(١) أو ولده ! »
فأضرت به حتى أخذها منه . وقيل : بل باعها عليه واشترها رجل من أهل خراسان -
فلما دخلا منزله قال له برد ، وكان داهية أرييا : « أتدري ما اشتريت ؟ » قال : « نعم ،
اشتريتك وهذه الجارية » : قال : « لا والله ، ما اشتريت إلا العار والدمار والفضيحة
أبدا ما حيت » فجزع الرجل وقال له : « كيف ذلك ؛ وبلك ؟ » قال : « نحن ليزيد
ابن ربيعة بن مفرغ . والله ، ما أصاره إلى هذه الحال إلا لسانه وشره . أفتراه
يهجو ابن زياد - وهو أمير خراسان وأخوه أمير المراقين وعمه الخليفة - في أن استبطأه
ويعسك عنك ! وقد ابتعتني وهذه الجارية - وهي روحه التي بين جنبيه . والله ، ما أرى
أحداً أدخل بيته أشأم على نفسه وأهله مما أدخلته منزلك » . فقال : « أتمهدك أنك
وإياها له . فإن شئتما أن تمضيا الليلة فامضيا ، على أني أخاف على نفسي ، إن بلغ ذلك
ابن زياد . فإن شئتما أن تكونا له عندى فافعلنا » . قال : « فاكتب إليه بذلك » .
فكتب الرجل إلى ابن مفرغ إلى الحبس ^(٢) بما فعله . فكتب إليه يشكر فعله ويسأله أن
يكونا عنده حتى يفرج الله عنه .

وقال عباد لحاجبه : « بع فرسه وسلاحه وأثائه فإني أراه لا يبالي بمقامه في الحبس
واقسم نمن ذلك بين غرمانه » . ففعل ذلك وقسم الثمن عليهم ، وبقيت عليه بقية حبسه
بها . وعمل في الأراككة بردا شعرا .

(١) س : أبيع النفس ، نفسه ، سبق قلم .

(٢) وكذا في الوفيات . وفي غ : في الحبس .

وعلم ابن مفرغ أنه - إن أقام على ذم عباد وهجائه وهو في حبسه - زاد نفسه شراً . فكان يقول للناس ، إذا سألوه عن سبب حبسه : « رجل أذبه أميرُه ليقوم من أوده^(١) ويكف من غربه . هذا - لعمرى - خير من جرَّ الأمير ذبله على مُداهنة صاحبه . فلما بلغ ذلك عبادا ، رقَّ له وأخرجه من السجن . فهرب حتى أتى البصرة . ثم خرج منها إلى الشام وجعل يتنقل في مدنها هارباً ويهجو زيادا وولده .

وقيل : إن عبادا لما بلغه قول ابن مفرغ :

* سبق عباد وصلت لحيته *

دعا به إلى مجلسه وهو حافل . فقال له : « أنشدني هجاء أبيك الذي هُجى به » . فقال : « أيها الأمير ما كُفُّ أحد مثما كلفتني » . فأمر غلاماً له أعجمياً فقال له : « قم على رأسه ، فإن أنشد وإلا فصبَّ السوط على رأسه دائماً أو ينشد » . فأنشده أبياتاً هُجى بها أبوه ربيعة ، وهي :

فَبَحَّ الإلهُ ولا أقبِحُ غيرهَ وجهَ الحمارِ ربيعةَ بنِ مفرغ^(٢)

فجعل عباد يتضاحك . وخرج ابن مفرغ من عنده وهو يقول : « لا يذهب شتم شَيْخِي باطلاً أبداً » . وقال يهجو^(٣) :

أَصْرَمَتْ حَبْلَكَ من أَمَامَهُ من بَمَدِ أَيْامِ بَرَامِهِ^(٤)

فالريحُ تبكي شَجْوَهَا والبرقُ يضحكُ في النَمَامِهِ^(٥)

(١) ص : أدبه . والأود : العوج . والغرب : الحدة .

(٢) غ : يقبح غيره .

(٣) ابن المعتز ٥٥٤ . ابن قتيبة ٢٠٧ ، ٢١١ . المرتضى : الأمالى ٥٢ ، ٤٤٠ . اللبرد :

الكامل ٢٣٤ ، ٣٢٥ . الخطيب : الخزانة ٢ : ٢١٣ ، ٥١٦ ، ٥٢٠ . ابن خلكان ٢ : ٢٩٠ .

(٤) رامة : موضع في ديار بني تميم ، على طريق البصرة إلى مكة .

(٥) ابن سلام : والريح . المرتضى والخطيب مرة : الريح تبكي شجوه . ابن سلام والمرتضى

والخطيب : والبرق يلمع .

لَهْفِي عَلَى الْأَمْرِ الَّذِي كَانَتْ عَوَاقِبُهُ نَدَامَهُ (١)
 تَرَكِي سَمِيدَا ذَا النَّدَى وَالْبَيْتَ تَرْفَعُهُ الدَّعَامَهُ
 وَتَبَعْتُ عَبْدَ بَنِي عَلَا ج ، تِلْكَ أَشْرَاطُ الْقِيَامَةِ ! (٢)
 جَاءَتْ بِهِ حَبَشِيَّةٌ سَكَاءَ تَحْسِبُهَا نَعَامَهُ (٣)
 مِنْ نَسْوَةٍ سَوْدِ الْوَجْوِ • تَرَى عَلَيْهِنَ الدَّمَامَهُ
 وَشَرَيْتُ بُرْدًا لَيْسَتَنِي مِنْ قَبْلِ بَرْدٍ كُنْتُ هَامَهُ (٤)
 هَتَافَةٌ تَدْعُو صَدَى بَيْنَ الْمُشَقَّرِ وَالْيَمَامَهُ (٥)
 وَالْهَوْلُ يَرْكَبُهُ الْفَتَى خَوْفَ الْحَازِي وَالسَّامَهُ (٦)
 وَالْعَبْدُ يُقْرَعُ بِالْعَصَا وَالْحَرْثُ تَكْفِيهِ الْمَلَامَهُ (٧)

ثم ليج في هجاء بني زياد حتى تغني أهل البصرة في أشعاره . فطلبه عبيد الله طلباً شديداً حتى كاد يؤخذ . فلحق بالشام . وردّه معاوية إلى ابن زياد . وقيل : زيد

(١) الخطيب : على الرأي .

(٢) بنو علاج : بطن من ثقف ، ومنهم الحارث بن كلدة طبيب العرب ، الذي كانت سمية أم زياد جاريته .

(٣) سكاء : صغيرة الأذنين .

(٤) ابن سلام والمبرد وابن قتيبة وابن خلكان والمرضى والخطيب : بعد برد . وشري هنا باع . والهامة : الرأس .

(٥) هتافة : كذا في الكامل . وفي ص : بهامة . وتهامة بعيدة عن المواضع المذكورة ، المشقر : حصن بين نجران والبحرين . وفي أمالي المرتضى : هامة . وفي ب ، س : فهامة . ابن سلام وابن خلكان : ياهامة ، وابن قتيبة والخطيب : أو يومه . والصدى : ذكر اليوم ، وجسد الآدمي بعد موته ، وحشو الرأس . ويزعم العرب أن المقتول إذا لم يؤخذ ثأره يخرج من رأسه طائر يسمى الصدى أو الهامة يصيح : اسقوني . يريد من دم القاتل .

(٦) غ وابن خلكان : فالهول . غ وابن قتيبة : حذر الحازي . والسامة : كذا في غ وابن خلكان . وفي ص : والسامة . وابن قتيبة : والملامة .

(٧) ابن قتيبة : العبد .

هو الذي رده . وهذا هو الصحيح؛ لأنَّ عبَّادا إنما ولي سجستان في أيام يزيد . وقيل :
إنما ولاء معاوية ، وهو الذي ولي سعيد بن عثمان خراسان ، لأنَّ سعيدا دخل على
معاوية فقال له : « علامَ جملت يزيد ولي عهد دوني . فوالله ، لأبى خير من أبيه ،
وأبى خير من أمه ، وأنا خير منه . وقد وليناك فما عزلناك . وبنا نلت ما نلت » .
فقال له معاوية : « أما قولك : إن أباك خير من أبيه ، فقد صدقت ، لعمرك الله ،
إن عثمان خير مني . وأما قولك : إن أمك خير من أمه ، فحسب المرأة أن تكون
في بيت قومها ورضاها بعلها وتنجب ولدها . وأما قولك : إنك خير من يزيد ،
فوالله يابني ، ما يسرنى أن لي بيزيد ملء الغوطة مثلك . وأما قولك : إنكم وليتموني
فما عزلتموني ، فأنتم ما وليتموني وإنما ولاني من هو خير منكم : عمر ، رضي الله عنه ،
فأقررتُموني . وما كنت بئس الوالي لكم . لقد قت بشاركم ، وقتلت قتلَةَ أبيك ،
وجملت الأمر فيكم ، وأغنيت فقيركم ، ورفعت الوضيع منكم » . فكلمه يزيد
في أمره فولاه خراسان .

ولم يزل ابن مفرغ يتنقل في قرى الشام ونواحيها ، ويهجو بني زياد ، وأشعاره
تنتشر وتبلغهم ، حتى كتب عبيد الله إلى يزيد يقول له : « إن ابن مفرغ هجا زيادا
وبني زياد بما هتكه في قبره ، وفضح بنيه طول الدهر . وتعدى ذلك إلى أبي سفيان ،
فقدَّفه بالزنا وسبَّ ولده . وهرب من خراسان إلى البصرة . وطلبته حتى لفظته
الأرض . فليجأ إلى الشام يتمضغ لحومنا بها ويهتك أعراضنا . وقد بعثت إليك
بما هجانا به لتتصيف لنا منه » . ثم بعث بجميع ما قاله ابن مفرغ فيهم . فأمر يزيد
بطلبه . فجعل يتنقل من بلد إلى بلد ، فإذا شاع خبره انتقل عنه حتى لفظته الشام .

فأتى البصرة ونزل على الأحنف بن قيس فاستجار به . فقال له الأحنف : « إني
لا أُجير على بني سمية فأعرك^(١) . وإنما يُجير الرجل على عشيرته ، وأما على سلطانه فلا

(١) غ : فأعزل .

فإن شئت أجتك من بني سعد وشعرائهم فلا يريبك منهم أحد . فقال له ابن مفرغ : « بأستاه بني سعد ! وما عساهم أن يقولوا فيّ ! هذا مالا حاجة لي به » . وأتى خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد فاستجار به . فأبى أن يجيره . فأتى عمر بن عبد الله بن مَعمر فوعده . وأتى طلحة الطلحات فوعده . فأتى المنذر بن الجارود العبدي فأجاره ، وكانت بحريّة بنت المنذر تحت عبيد الله ، وكان المنذر من أكرم الناس عليه . فاغترت بذلك وأدلّ بموضعه . وطلبه عبيد الله ، وقد بلغه وروده البصرة . فقيل له : « قد أجاره المنذر بن الجارود » . فبعث عبيد الله إلى المنذر فأناه . فلما دخل عليه ، بعث عبيد الله بالشرط فكبسوا داره وأتوه بابن مفرغ . فلم يشعر المنذر إلا بابن مفرغ قد أقيم على رأسه . فقام المنذر إلى عبيد الله فكلّمه فيه وقال : « أذكرك الله - أيها الأمير - أن تخفر جوارى فإني قد أجرته » . فقال عبيد الله : « يامنذر ، أيمدحك ويمدح أباك وقد هجاني وهجا أبي ثم تجيره على ! لاها الله (١) ، لا يكون ذلك أبدا ولا أغفرها له » . فغضب المنذر . فقال له : « لملك تُدرُّ بكريمتك عندي . إن شئت - والله - لأبينها بتطليق ألبتة ، فخرج المنذر من عنده . وأقبل عبيد الله على ابن مفرغ وقال له : « بئس ما صحّبت عبادا ! » . فقال : « بئس ما صحبني عباد ! اخترته على سميد ، وأنفقت في صحبته كل ما أفدته وكل ما أملكه . وظننت أنه لا يخلو من عقل زياد ، وحلم معاوية ، وسماحة قريش . فعدل عن ظني كله . وعاملني بكل قبيح . وتناولني بكل مكروه من حبس وغرم وشم وضرب ، فكنت كمن شام برقا خلبا في سحاب جهام فهراق ماء طمعا فيه فأت عطشا (٢) . وما هربت من أخيك إلا لما خفت أن يجري فيّ إلى ما تقدم عليه . وقد صرت الآن في يدك ، فشانك اصنع بي ما أحببت » . فأمر بحبسه .

(٢) لاها الله : لا والله .

(٣) شام : تتبع بالنظر . وخاب : لا مطر فيه . وجهام : لا ماء فيه . هراق : أراق .

وكتب إلى يزيد بن معاوية يسأله في أن يأذن له في قتله . فكتب إليه : « إياك وقتلته ولكن عاقبه بما يُنكِّله ويشدُّ سلطانك ولا يبلِّغ نفسه ، فإن له عشيرةً هي جندی وِبِطَانِي ولا ترضى بقتله مني ، ولا تقنع إلا بالقود منك . فاحذر ذلك ، واعلم أنه الجِدُّ مني ومنهم ، وأنتك مُرْتَهِنٌ بنفسه . ولك من دون تلفها مندوحة تشفى من الغميط » . فورد الكتاب على عبيد الله بن زياد . فأمر بآبن مفرغ فسُقي نبيذا حلوا قد خلط معه الشُّبْرُم^(١) ، فأسهل بطنه . وطيف به وهو على تلك الحال ، وقُرِنَ بهِرٌّ وخزير . فجعل يسلِّح والصبيانُ يتبعونه ويقولون : « أين جِيسْت ؟ » فيقول :

آبَسْتُ نَبِيذًا اسْتُ عَصَارَاتُ زَيْبٍ اسْتُ

سَمِيَّةَ رُوسِيْدَ اسْتُ^(٢)

وجعل كلما جر الخنزير وضجت ، يقول :

ضَجَّتْ سَمِيَّةُ لَمَّا لَزَّهَا قَرْنِي لَا تَجْزِعِي ، إِنَّ شَرَّ الشَّيْمَةِ الْجَزْعُ^(٣)

وجعل يُطاف به في أسواق البصرة ، والصبيانُ خلفه يصيحون به . فألح عليه

ما يخرج منه حتى أضعفه فسقط . وعرف ابن زياد ذلك ، وقيل له : « إنه لما به^(٤)

ولا تأمن الموت » . فأمر أن يُفَسَّل . ففعل به ذلك . فلما اغتسل قال^(٥) :

يفسل الماء ما فعلتَ وقولي راسخٌ منك في العظامِ البَوَالِي

(١) الشبرم : نبات له حب كالمدس مسهل .

(٢) هذه العبارات باللغة الفارسية ، وقد كثر فيها التحريف ، وظن جواب نثرا وهو شعر فالأولاد يسألون : ما هذا وهو يجيب : هذا ماء نبيذ ، هذه عصارة نبيذ ، هذه سمية البغي وانظر الطبرى ٢ : ١٩٣ .

(٣) الخطيب : خزانة الأدب ٢ : ٥١٦ : مسها القرن .

(٤) أى مشرف على الموت .

(٥) ابن قتيبة ٢١١ . الخطيب : الخزانة ٢ : ٢١٥ . ابن خلكان ٢ : ٢٩٢ . الطبرى

٢ : ١٩٣ وفيه : ما صنعت .

ورده عبيد الله إلى السجن وأمر به أن يُسلمَ حَجَمًا ، وقدموا له علوجا وأمره أن يحجمهم . فكان يأخذ المشاريط فيقطع بها رقابهم فيهربون منه . فترك ورد إلى محبسه . فقال (١) :

وما كنتُ حَجَامًا وَلَكِن أُحَلِّتِي بِمَنْزِلَةِ الْحَجَامِ نَأْيِي عَنِ الْأَصْلِ (٢)
وكان عباد قد جمع كل شيء هجاء به ابن مفرغ وكتب به إلى أخيه عبيد الله وهو يومئذ وافد على معاوية . فكان مما كتب به قوله :

إِذَا أُوْدَىٰ مَعَاوِيَةَ بْنَ حَرْبٍ فَبَشِّرْ شَعْبَ قَلْبِكَ بِأَنْصِدَاعِ (٣)
فَأَشْهَدُ أَنْ أُمَّكَ لَمْ تُبَاشِرْ أَبَاسْفِيَانَ وَاضِعَةَ الْقِنَاعِ
وَلَكِن كَانَ أَمْرٌ فِيهِ لَبْسٌ عَلَى وَجَلٍ شَدِيدٍ وَارْتِيَاعِ (٤)

وقوله (٥) :

أَلَا أَبْلِغُ مَعَاوِيَةَ بْنَ حَرْبٍ مُنْغَلَةً مِنَ الرَّجْلِ الْيَمَانِي (٦)
أَتَفْضُبُ أَنْ يُقَالَ : أَبُوكَ عَفٌّ وَرَضَى أَنْ يُقَالَ : أَبُوكَ زَانِي ؟

(١) ابن سلام ٥٥٦ .

(٢) غ وابن سلام : عن الأهل .

(٣) ابن خلكان والطبرى ٢ : ١٩١ شعب قعبك .

(٤) ي والطبرى : كان أمرا .

(٥) ابن قتيبة ٢١٢ . الخطيب : الخزانة ٢ : ٢١١ ، ٢١٦ . ابن خلكان ٢ : ٢٩٢ .

الطبرى ٢ : ١٩١ .

(٦) ابن قتيبة : وابن خلكان : عن الرجل . والمنغلة : الرسالة التي تحمل من بلد إلى بلد .

وقال ابن خلكان : إن من يروى هذا الشعر لابن مفرغ يرويه على هذه الصورة ، ومن يرويه لعبد الرحمن بن الحكم يجعل روايته :

ألا أبلغ معاوية ابن صخر لقد ضاقت بما يأتي اليمدان

وأشهدُ أن رَحْمَكَ من زيادٍ كَرِخْمِ الفَيْلِ من وَلَدِ الأَثَانِ (١)

وأشهد أنها وُلِدَتْ زيادا وصَخْرُهُ من سُمِّيَّةَ غَيْرُ دان (٢)

واتصل هجاؤه زيادا وولده وهو في الحبس . فردّه عبید الله إلى أخيه بسجستان .
ووكّل به رجالا ووجههم معه . وكان - لما هرب من عباد - يهجوّه ويكتب ما هجاه
به على حيطان الحانات . فأمر عبید الله الموكلين به أن يأخذوه بمحو ما كتبه على
الحيطان بأظفاره . فكان يفعل ذلك ويحكّه بها حتى ذهبت أظفار . فكان يحجوه
بمظام أصابعه ودمه ، حتى سلّموه إلى عباد فحبسه وضيق عليه .

فقال ابن مفرغ قصيدته التي أولها :

الأَطْرَقَتْنَا آخَرَ اللَّيْلِ زَيْنُبُ
وَقَالَتْ تَجَنَّبْنَا وَلَا تَقْرَبْنَا
قُرْنَتْ بِخَنْزِيرٍ وَهَرٍّ وَكَلْبَةٍ
وَجُرَّتْ عَنْهَا صَهْبَاءٌ فِي غَيْرِ لَذَةٍ
وَأُطِمْتُ مَا إِن لَّا يَجِلُّ لَأَمَلٍ
مِنَ الطَّفِّ مَجْلُوبًا إِلَى أَرْضِ كَابِلٍ

سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ، هَلْ لِمَا فَاتَ مَطْلَبٌ ؟ (٣)
فَكَيْفَ - وَأَنْتُمْ حَاجَتِي - أَتَجَنَّبُ ؟
زَمَانًا وَشَانَ الْجِلْدِ ضَرْبٌ مُشَدَّبٌ (٤)
تُصَعَّدُ فِي الْجَمَانِ ثُمَّ تُصَوَّبُ (٥)
وَصَلِيَتْ شَرْقًا ، بَيْتُ مَكَّةَ مَغْرِبٌ (٦)
فَمَلُّوا وَمَا مَلَّ الأَسِيرُ المَعْدَبُ (٧)

(١) غ : وابن خلكان والطبري فاشهد . ابن قتيبة :

وأشهد أن إلكَ من زياد كإلّ الفيل من ولد الأثان

وليس هذا البيت بهذه الصورة لابن مفرغ بل لحنان بن ثابت في أبي سفيان بن الحارث بن عبس
المطلب (ابن خلكان) .

(٢) ابن قتيبة : حملت زيادا .

(٣) ذكرغ أن الشطر الأول يروى أيضا : سرت تحت أقطاع من الليل زينب .

(٤) مشدب : مقشر أو ممزق .

(٥) غ : من غير . وتصوب : تنحدر .

(٦) ب ، س : مالا إن يحل .

(٧) الطف : ما أشرف من أرض العرب على ريف العراق . وكابل : عاصمة أفغانستان اليوم .

فلو أن لحى إذ وهى لعبت به
لهون وجدى أو لزادت بصيرتى
أعباد ما للوم عنك محول
سينصرنى من ليس تنفع عنده
وقل لعبيد الله : مالك والد
كرام الملوك أو أسود وأذوب^(١)
ولكنما أودت بلحمى أكلب
ولا لك أم فى قريش ولا أب
رُفَاكَ وقوم من أمية مُصعب^(٢)
بحق ولا يدري امرؤ كيف تُنسب

ولما طال مقام ابن مفرغ فى السجن ، استأجر رسولا إلى دمشق . وقال له :
« إذا كان يوم الجمعة ، فقف على درج جامع دمشق ، ثم اقرأ هذين البيتين بأرفع
ما يمكنك من صوتك :

أبلغ لديك بنى قحطان قاطبة
أضحى دعى زياد ققع قرقرة
عصت بأير أبيها سادة اليمـن
بالمعجائب - يلهو بان ذى يزـن^(٣)
ف فعل الرسول ما أمره به . فحميت اليمانية وغضبوا له ، ودخلوا على يزيد فسألوه
فيه ، فدافعهم . وبالغوا فى أمره فقاموا غضابا ، ومثوا بملهم عليه من حرمة ،
وعددوا ملهم من خدمة ، وصرحوا بالغضب . وعرف ذلك منهم فردهم ووهبه لهم .
وقال : « لو رحلتم إلى فى جميع ما يحيط به العراق لو هبته لكم » وأمر ببناء
داره ورد ماله وتخليه سبيله ، ولا إمرة لبني زياد عليه . ووجه رجلا من بني أسد ،
يقال له تخخام ، بريدا إلى عباد . وكتب له عهدا . وأمره أن يبدأ بالحبس فيخرج
ابن مفرغ منه ويطلقه قبل أن يعلم عباد فيما قدم له . ففعل ذلك . فلما خرج من
الحبس قررت له بغلة من بغال البريد فركبها . فلما استوى على ظهرها قال^(٤) :

(١) غ : لاذ هوى .

(٢) القرم : السيد . والمصعب : الفحل .

(٣) القع : البيضاء الرخوة من الكمأة ، وهى أردوها والقرقرة : الأرض المطمئة اللينة

ويضرب بكأنتها التل فى الذلة .

(٤) ابن قتيبة ٢١٣ . خزانة الأدب ٢ : ٢١٦ ، ٥١٤ . الطبرى : ١٩٣ .

عَدَسٌ ! ما لَعَبَادِ عَلَيْكَ إِمَارَةٌ نجوتِ ، وهذا تحملين طَلِيقٌ ^(١)
 وإنَّ الذي نَجَّيَ من الكَرْبِ بَمدما تَلَاخَمَ في دَرَبِ عَلَيْكَ مَضِيقٌ ^(٢)
 أَنَاكَ بِمَخْمَامٍ فَأَنْجَاكَ فَالْحَقِي بِأَرْضِكَ لَمْ يُحْبَسْ عَلَيْكَ طَرِيقٌ ^(٣)
 لَعَمْرِي لَقَدْ أَنْجَاكَ مِنْ هُوَّةِ الرَّدَى إِمَامٌ وَجِبَلٌ لِلْأَنَامِ وَثِيقٌ ^(٤)
 سَأَشْكُرُ مَا أَوْلَيْتَ مِنْ حَسَنِ نَعْمَةٍ وَمِثْلِي بِشُكْرِ الْمُزْمَعِينَ خَلِيقٌ ^(٥)

فلما دخل على يزيد بنى وقال: « ركب منى ما لم يُركب من مسلم قط على غير حَدَثٍ في الإسلام ولا خلع يدٍ من طاعة ولا جُرْمٍ » فقال: « أَلستَ القائلُ :

ألا أبلغ معاوية بن حرب مغلغلة من الرجل اليماني ؟ »

فقال: « والذي عَظَّمَ حَقَّكَ - يا أمير المؤمنين - ما فلتته . ولقد بلغني أن عبد الرحمن

ابن الحكم قاله ونسبه إلى » . قال: « أولست القائلُ :

شهدت بأن أمك لم تباشر أباسفيان واضعة القنصاع
 الأبيات .

أولست القائلُ ^(٦) :

إنَّ زيادا ونافعا وأبا بَكَرَةً عِنْدِي مِنْ أَعْجَبِ الْعَجَبِ
 إنَّ رجلا ثلاثةَ خُلِقُوا فِي رَحْمِ أُنثَى مَا كُلُّهُمْ لِأَبٍ ^(٧)

(١) الخطيب : أمنت وهذا تحملين طليق . وعدس : كلة يزجر بها البغل .

(٢) غ : فإن . ابن قتيبة والخطيب : طليق الذي نجى من الحبس بَمدما .

(٣) ي : فنجاك فالحقن بأهلك . غ : لا تحبس . ابن قتيبة والخطيب :

فضى لك مخممام أرضك فالحقى بأهلك لا يؤخذ عليك طريق

(٤) للأنام : كذا في غ وابن قتيبة والطبري . وفي س : للإمام . وفي الطبري : نجاك .

(٥) ب ، س ، والطبري والحزاة : حقيق .

(٦) ابن قتيبة ٢١٣ .

(٧) كذا في غ ، وفي س : وكلهم لأب . ابن قتيبة : من رحم أنثى مخالفي النسب .

(٨/٢٦ مختار الأغاني)

ذا قُرَشِيٌّ كَمَا يَقُولُ ، وَذَا مَوْئِي ، وَهَذَا بَرَعْمَهُ عَرَبِيٌّ
 فِي أَشْجَارٍ كَثِيرَةٍ قَلَّتْهَا فِي هِجَاءِ زِيَادٍ وَبَنِيهِ ؟ أَذْهَبُ ؟ فَقَدْ عَفَوْتَ عَنْكَ ، وَلَوْ إِيَّانَا
 تَمَامًا لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِمَّا كَانَ . فَاسْكُنْ أَى أَرْضٍ شِئْتَ . فَاخْتَارَ الْمَوْصِلَ فَتَزَلَّهَا .
 ثُمَّ ارْتَاحَ إِلَى الْبَصْرَةِ فَقَدِمَهَا . فَدَخَلَ عَلَى عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ ، وَاعْتَذَرَ إِلَيْهِ ! وَسَأَلَهُ
 الصَّفْحَ وَالْأَمَانَ ؛ فَأَمَّنَهُ . فَأَقَامَ بِهَا مَدَّةً ثُمَّ دَخَلَ عَلَيْهِ بِمَدِّ أَنْ أَمَّنَهُ فَقَالَ : « أَصْلَحَ اللَّهُ
 الْأَمِيرَ ، قَدْ ظَنَنْتَ أَنْ تَفْسِكَ لَا تَطِيبُ لِي بِخَيْرٍ أَبَدًا وَلِي أَعْدَاءُ لَا آمَنَ سَمِيحًا عَلَى
 بِالْبَاطِلِ ، وَقَدْ رَأَيْتَ أَنْ أَتْبَاعَهُ . » فَقَالَ لَهُ : « إِلَى أَيْنَ شِئْتَ » . فَقَالَ لَهُ : « إِلَى
 كِرْمَانَ » . فَكَتَبَ لَهُ إِلَى شَرِيكَ بْنِ الْأَعْوَرِ وَهُوَ عَلَيْهَا بِجَائِزَةٍ وَقَطِيعَةٍ . (١) وَأَعْطَاهُ
 شَرِيكَ ثَلَاثِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ (٢) . فَشَخَّصَ ، فَأَقَامَ بِهَا حَتَّى هَرَبَ عُبَيْدُ اللَّهِ مِنَ الْبَصْرَةِ (٣) ؛
 فَعَادَ إِلَيْهَا ؛ فَذَلِكَ حِينَ غَلَبَ ابْنُ الزُّبَيْرِ عَلَى الْعِرَاقِ . وَعَاوَدَ هِجَاءُ بَنِي زِيَادٍ . وَقَالَ
 يَذْكَرُ (٣) هَرَبَ عُبَيْدِ اللَّهِ وَتَرَكَهُ أُمَّهُ :

يَوْمَ الْهِيَاجِ دَعَا بِحَتْفِكَ دَاعٍ	أَعْبَيْدُ ، هَلَا كُنْتَ أَوْلَ فَارِسٍ
يَا لَيْتَنِي لَكَ لَيْلَةَ الْإِفْرَاقِ	أَسَلْتَ أُمَّكَ وَالرَّمَاحُ تَنَوَّشُهَا
عَبْدٌ تَرَدُّدُهُ بَدَارُ ضِيَاعٍ	إِذْ تَسْتَفِيثُ وَمَا لِنَفْسِكَ مَانِعٌ
وَتَصِيحٍ : أَنْ لَا تَنْزَعَنَّ قِنَاعِي	هَلَّا عَجَّوزُكَ إِذْ تَمَدَّ بِشَدِيدِهَا
رَبْدَاءُ مَجْفَلَةٌ بِبَطْنِ الْقِنَاعِ (٤)	أَقْدَمْتُ مِنْ أَيْدِي الْعُبَيْدِ كَأَنَّهَا
كَثُرُوا وَأَخْلَفَ مَوْعِدَى أَشْيَاعِي (٥)	فَرَكِبْتَ رَأْسَكَ ثُمَّ قَلْتَ أَرَى الْعِدَى

(١-١) العبارة في ص بعد قوله : هجاء بني زياد ، ولا يليق بها .

(٢) في سنة ٦٤ هـ .

(٣) كذا في غ . وفي ص : وقال يريد يذكر ، وهي واضحة الاضطراب .

(٤) غ : أيدى العلو ج . والربداء : السوداء الضاربة إلى الغبرة ، يصف نعامة .

(٥) غ : وأخلف موعدا الأشياع .

فانجى بنفسك وابتغى نفقا فما
 ليس الكريم بمن يُخلف أمه
 حذر المنية والرماحُ تدوشه
 متأبطا سيفا عليه يلمق
 لا خير في هدرٍ يهز لسانه
 لأبنُ الزبير غداة يذمر مُندرا
 وأحقُّ بالصبر الجميل من امرئ
 جعدِ اليدين عن الساحة والندی
 كم يا عدى الله عندك من دم
 ومعاشرٍ أنفٍ أبجت حريمهم
 أذكرُ حسينا وابنَ عروة هائسا
 ومما قال فيه :

عبيد الله عبدُ بنى علاج
 أعبد الحارث الكلدیُّ ألا
 قستَر عورةً كانت قديما
 كذلك نسبتُه وكذلك كانا
 جعلت لاسْت أمك ديدَ بانا^(٩)
 وتمتع أمك النبط البطانا

- (١) ب ، س : لى طاقة بك .
 (٢) الجعاج : الضيق الحشن .
 (٣) الكراع : الخيل .
 (٤) اليلق : القباء . واليفاع : الأرض المرتفعة .
 (٥) يذمر : يهدد . والوقاع : وقائع الحرب .
 (٦) غ : على الساحة .
 (٧) غ : كم يا عبید الله . وعدى : تصغير عدو .
 (٨) المرباع : ربع الغنيمة ، يأخذه الرئيس .
 (٩) غ : الكلدی . والكلدی : يريد الحارث بن كلدة الطيب المعروف .

ولما دخل ابن مفرغ على يزيد قال : « يا أمير المؤمنين ، اخترتني خصلة من ثلاث في كلها لي فرج : إما أن تُعيدني من ابن زياد ، وإما أن تخلي بيني وبينه ، وإما أن تقدمني فتضرب عنق » ، فقال له يزيد : « قبح الله ما اخترته وخيرتني . أما القود من ابن زياد فما كنت لأفيدك من عامل كان عليك : ظلمته وشمته عرضه وعرضي معه . وأما التخلية بينك وبينه فلا والله ولا كرامة ، ما كنت لأخلي بينك وبين أهلي تقطع أعراضهم . وأما ضرب عنقك فما كنت لأضرب عنق رجل مسلم من غير أن يستحق ذلك . ولكني أفعل بك هو ما خير لك مما اخترت لنفسك : أعطيك ديتك فإنهم كانوا قد عرضوك للقتل ، واكفف عن ولد زياد ، فلا يبلغني أنك ذكرتهم ، وانزل أي البلاد شئت » . فنزل الموصل وأمر له بأربعة آلاف درهم .

ومما قال في هربه أيضا :

أقرّ بعيني أنه عنق أمه دعتّه ، فوالها أسبته وهو يهرب^(١)
 وقال : عليك الصبر كوني سببة كما كنت أو موتى فذلك أقرب^(٢)
 وقد هتفت هند : بماذا أمرتني ابن لي ، وحدثني إلى أين أذهب
 فقال : اقصدى للأزد في عرصاتها وبكره فما إن عنهم مُتجنب^(٣)
 كان عبيد الله بن زياد يقول : « ما هجيت بشيء أشد علي من قول ابن مفرغ :
 فكّر في ذلك إن فكرت مُعتبر هل نلت مكرمة إلا بتأمير
 عاشت سمية دهرًا ثم ما علمت أن ابنها من قريش في الجماهير^(٤)

(١) الشطر الأول في غ : أقر عبيد والسيوف عن أمه .

(٢) الصبر : كذا في غ . وفي ص غير واضحة .

(٣) العرصة : كل بقعة بين الدور واسعة ليس فيها بناء .

(٤) غ : عاشت سمية ما تدرى وقد عمرت . ابن خلكان : عاشت سمية ما عاشت وما علمت .

وكان زياد يزعم أن أمه سمية بنت الأعور من بنى عبد شمس بن زيد مناة بن تميم
فقال ابن مفرغ يرد ذلك عليه :

فأقسم ما زيادُ من قُرَيْشٍ ولا كانتُ سميةُ من تميمِ
ولكن نَسْلُ عبدٍ من بنيِ عريقِ الأصلِ في النَّسَبِ اللّثيمِ
ولما قُتلَ عبيد الله بن زياد يوم الزاب^(١) : قتله أصحاب المختار بن [أبي] عبيد ،
ويقال: إن إبراهيم بن الأستر حمل على كتيبة فانهزموا ، ولقى عبيد الله فصر به فقتله .
وجاء إلى أصحابه فقال : « إني ضربت رجلا فاح منك المسك وأظنه ابن مرّجانه » .
وأوما إلى موضعه . فجاءوا إليه وفتشوا عليه ، فوجدوه كما ذكر ، وإذا هو ابن
زياد ؛ فقال ابن مفرغ يهجوهُ :

إن الذي عاش ختارا بدمته وعاش عبدا ، قتيلاً لله بالزاب^(٢)
العبدُ للعبدِ لا أصلٌ ولا طرفٌ أوتَ به ذاتُ أظفارٍ وأنيابٍ
إن المنايا إذا مارُزْنَ طاغيةً كسفنٍ عنه ستورا بين أبواب^(٣)
هلا جموعَ نزارٍ إذ لقيتهم كفتُ أمراً من نزارٍ غير مرتابٍ
لا أنت زاحمتَ عن مُلكٍ لثمنه ولا مددتِ إلى قومٍ بأسباب^(٤)
ماشقَّ جيبٍ ولا ناحيتك نائمةً ولا بكتك جياذُ عند أسلاب
لا بارك الله أنفا تعطسون به بنى العبيد شهودا غير غُياب^(٥)
أقول: بُعدا وسحقا بعد مصرعه لابن الخبيثة وابن الكودن الكابي^(٦)

(١) في سنة ٦٧ هـ .

(٢) المختار : أقيح القدر .

(٣) غ : هتكن عنه ستورا . ورازه : جربه واختبره .

(٤) غ : فتمنعه .

(٥) غ : لا يترك الله أنفا تعطسون بها .

(٦) غ : عند مصرعه . الكابي : كذا في غ . وفي ص : الياني . خطأ . والكودن :

الفرس المهجين والبغل . والكابي : المكب على وجهه .

ومن شعر يزيد بن ممرغ من قصيدة^(١) :

أى بلوى معيشةٍ قد بلّونا فنعمنا وما رجونا خلودا
 ودهورٍ لقميننا موجماتٍ وزمانٍ يكسر الجلودا
 فصرنا على مواطنٍ ضيقٍ وخطوبٍ تُصير البيض سودا
 لا ذعرتُ السوامَ في فلق الصب حـ مُفيرا ولا دُعيت يزيدا^(٢)
 يوم أعطى مخافة الموتِ ضيما والمنايا يرصدننى أن أحيدا^(٣)

ولما خرج الحسين رضى الله عنه من المدينة عند بيعة يزيد ، تمثل بهذين البيتين :

* لا ذعرت السوام *

ثم خرج فلحق بمكة هاربا .

كان ابن مفرغ لما قدم على معاوية نزل على مروان بن الحكم ، وهو يومئذ عند معاوية . وقام بأمره واسترشد له كل من قدم عليه من بنى أبي العاص بن أمية . فقال ابن مفرغ يمدحه^(٤) :

ألف المكارم فاستهّام بذكرها والمكرّمات قليلةُ المُشاقِ
 وأقام سوقاً للثناء ولم تكن سوق الثناء تقام في الأسواق^(٥)
 فكأنما جعل الإله إليكم فيمض النفوس وقسمة الأرزاق^(٦)

(١) ابن قتيبة ٢١٢ . ابن خلكان ٢ : ٢٩٣ . خزاعة الأدب ٣ : ٥٣٧ .

(٢) الخزاعة : في وضع الصبح . ابن قتيبة : في غلس الليل . ابن خلكان : في غلس الصبح

والسوام : الإبل الراحية . وفلق الصبح : الفجر أو ما انشق من عمود الصبح .

(٣) ابن قتيبة : يوم أعطى من المخافة ضيما . ابن خلكان : يوم أعطى على المخافة ضيما .

(٤) ابن خلكان ٢ : ٢٨٩ . وتنسب الأبيات إلى أحمد بن أبي فنن في مدح محمد بن يزيد بن

مزيد الشيباني وإلى أبي الشيص الخزاعي (ابن خلكان ٢ : ٢٨٨ ، ٢٨٩) .

(٥) غ وابن خلكان : وأقم سوق الثناء .

(٦) غ وابن خلكان : قبض النفوس .

ولما اختار ابن مفرغ الموصل نزل على أخواله من آل ذى العشاء من حمير .
 فزوجوه امرأة منهم . فلما كان اليوم الذى يكون البناء فى ليلته خرج يتصيد ومعه
 غلامه برد ، فإذا هو بدهقان على حمار يبيع عطراً وأدهاناً . فقال له ابن مفرغ « من
 أين أقبلت ؟ » قال : « من الأهواز » قال له : « ويحك ! كيف خلفت المسرفان (١)
 وبرد مائه ؟ » قال : « على حاله » . قال : « فما فعلت دهقانه يقال لها أناهيد بنت
 أعنق ؟ » قال : « صديقة ابن مفرغ ؟ » [قال : « نعم »] . قال : « ما تجف جفونها
 من البكاء عليه » . فقال للغلامه : « أى بُرد ، أما تسمع ؟ » قال : « بلى » قال : « هو بالرحمن
 كافر . إن لم يسكن هذا وجهى إليها » . فقال له برد : « أكرمك القوم وقاموا دونك
 وزوجوك كريمةهم ثم تصنع هذا بهم وتقدم على ابن زياد بعد خلاصك منه بغير أمره
 ولا عقد منه ولا عهد . أبقى أيها الرجل على نفسك وأقم بموضعك وابن بأهلك وانظر
 فى أمرك . فإن جدّ عزمك كنت حينئذ وما تحتاره » . فقال : « دع هذا عنك .
 هو بالرحمن كافر إن رجعت عن الأهواز ولا عرج على شيء غيرها » . ومضى لوجهه
 من غير أن يعلم أهله . وأقام بالبصرة إلى أن رحل إلى شريك بن الأعور الحارثى .
 قال عوانة بن الحكم : كتب عبيد الله بن أبى بكره إلى يزيد بن مفرغ : إني
 قد توجهت إلى سجستان فالحق بى ، فلعلك إن قدمت على الأتندم ولا تدم رأيك » .
 فتجهز ابن مفرغ وخرج حتى قدم سجستان مُسبياً فدخل عليه فشغله بالحديث .
 وأمر له سرّاً بمنزل وفرش وخدم . وجعل يطاوله حتى علم أنه قد استتم ما أمر له به ثم
 صرفه إلى الدار التى قد هيئت له ثم دعا به فى اليوم الثانى فقال له : « يا ابن مفرغ ،
 إنك قد تجشمت إلى شقة بعيدة ، واتسع لك الأمل . فرحلت إلى لأقضى عنك دينك
 وأغنمك عن الناس ، وقلت : أبو حاتم بسجستان فمن لى بالغنى بعمده » . فقال : « والله

(١) المسرفان : نهر بخوزستان .

ما أخطأتَ أيها الأمير ما كان في نفسي . فقال عبيد الله : « أم والله لأفعلن ولا قُلتن لبئسك عندي فلا تحسبن صلّتك » . وأمر له بمائة ألف درهم ومائة وصيف ومائة وصيفة ومائة نجبية . وأمر له بما ينفقه إلى أن يبلغ بلده سوى المائة ألف درهم ، وعن يكفيه الخدمة من غلّانه ومواليه ، وقال له : « إن [من] خفة السفر ألاّ تهتم بحفّ ولا حافر » . فكان مقامه عنده سبعة أيام . ثم ارتحل وشيّمه ابن أبي بكره إلى قرية على أربعة فراسخ يقال لها زالتق ثم قال له : « يا ابن مفرغ ، إنه ينبغي للودّع أن ينصرف وللمتكلّم أن يسكت . وأنا من قد عرفت فأنفق^(١) على الأمل وعلى حسن ظنك بي ورجائك في . فإذا بدالك أن تعود فعدّ ، والسلام » . وسار ابن مفرغ حتى أتى رامهرمز فنزل بقلعة أبحر . فنزلت إليه ابنة أبحر فقالت له : « يا ابن مفرغ ، لمن هذا المال ؟ » قال : « لابنة أعنق دهقانة الأهواز » وإذا رسولها في القافلة بكتابها : « إنك لو كنت على العهد لعجّلت ولم تسائر ثقلك . ولكن قد علمت أن المال الذي أعطاكه عبيد الله قد شغلك عني » . قال : فأعطى رسولها مالا على أن يقول فيه خيراً . وقال لابنة أبحر في جواب قولها :

حَبَانِي عبيدُ اللهِ يَا ابنةَ أبحرٍ	بهذا وهذا للجُمَانَةِ أجمع ^(٢)
يَقْرُ بعيني أن أراها وأهلها	بأفضلِ حالٍ ذاك مرأى ومسمَع
وخبّرْتُهَا قالت : لقد حالَ بعدنا	فقد جمعت نفسي إليها تطلّع ^(٣)
وقلت لها لما أتاني رسولها	وأى رسولٍ لا يضرُّ وينفع
أحبُّك ما دامت بنجدٍ وشيخة ^(٤)	وما رُفعت يوماً إلى الله إصبع ^(٤)

(١) غ : فأبق .

(٢) حَبَانِي : أعطاني .

(٣) حال : تحوّل وتغير .

(٤) الوشيخة : عرق الشجرة .

وإني ملى يا بُجانة بالهوى وصدق الهوى إن كان ذلك ينفع^(١)

فلما انتهت رسل عبيد الله معه إلى الأهواز، قالوا: «قد بلغنا حيث أمرنا». قال: «أجل». ثم أمر ابنة أعتق أن تفتح الباب وقال لها: «كل ما دخل بابك فهو لك». وأقام بالأهواز ودعا ندماء له كانوا من فتيان العرب، فلم يبق ظريف ولا مغنٍ إلا آتاه. واستباحه جماعة قصدوه من أهل البصرة والكوفة والشام فأعطاهم. ولم يفارق أناهيد ومعه شيء من المال. وجعل القوم يسألونه عن عبيد الله ابن أبي بكره وكيف هو وأخلاقه. فقال:

فقلت: عبيد الله حلفُ المكارمِ	يُسألنني أهلُ العراق عن الندى
وحسبك جودا أن يكون كحاتم	فتى حاتمى في سجستان رحله
بشدةِ ضرغام وبذلِ الدراهم	سما لينال المكرماتِ فلما
حبا القوم عند الفادح المتفاقم ^(٢)	وحلم إذا ما سورة الجهل أطلقت
يُحدثها الركبُ كأن أهل المواسم	وإن له في كل حي صنيعة
ومن دون مسراه عُداة الأعاجم	دعاني إليه جوده ووقاؤه
وبومين حلا من أليّة آيم ^(٣)	فلم أنو إلا جمعة في جواره
فأنبت من ريشي مهيض القوادم ^(٤)	إلى أن دعاني زانه الله بالمشلا
فعد عودة ليست كأضغاثِ حالم	وقال: إذا ما شئت يا ابن مفرغ
أعود إذا ما جئتكم غير حاشم	فقلت له: لا يُبعد الله داره:

(١) غ: يقع .

(٢) غ: سورة الحقد، وسورة الجهل: حدة السفه. والحبا: جمع حبوة، وهى أن يشتمل

الجالس بردائه فيجمع بين ظهره وساقه به .

(٣) غ: فلم أبق . وهى بمعنى لم أنو . والآلية: القسم واليمين .

(٤) غ: فأنبت ريشى من صميم القوادم .

فَأُحْدِثُ وَرِدَى إِذْ وَرَدَتْ حِيَاضَهُ وَكُلُّ كَرِيمٍ نُهْزَةٌ لِلْأَكْرَامِ (١)
فَأَصْبَحَ لَا يَرْجُو الْعِرَاقُ وَأَهْلُهُ سِوَاهُ لِنَفْعٍ أَوْ لِدَفْعِ الْعِظَامِ
وَإِنَّ عَبِيدَ اللَّهِ هُنَا رِفْدَهُ سَرَّاحًا وَأَعْطَى خَيْرَهُ غَيْرَ عَاتِمِ (٢)

كان عمرو بن مفرغ عم يزيد بن ربيعة بن مفرغ رجلا له جاه وقدر عند السلطان ، وكان ذا مال وثروة وصلاح ودين وفضل ، وكان يعنف يزيد ابن أخيه في أمر أناهيد عشيقته ويمدله ويميره بها . فلما أكثر عليه يوما ، أتاه فقال له : « يا عم ، جمعت فداك ، إن لي بالأهواز حاجة ، ولي على قوم بها نحو من ثلاثين ألف درهم ، وقد خفت أن تتوَى علي (٣) . فإن رأيت أن تتجشم العناء معي إليها حتى تطالب لي بحق وتعاونني بجهاك على غرماي ، فافعل » . وكان عمرو بن مفرغ قد استخلفه ابن عباس عليها إذ كان عامل على بن أبي طالب عليه السلام على البصرة (٤) . وكان عامل الأهواز - حين سأل ابن مفرغ عمه أن يخرج معه - ميمون بن عامر أخو قيس بن ثعلبة الذي يقال لدراهمه الميمونية ، ولم يزل ابن مفرغ بمعه حتى أجابه إلى الخروج . فاستأجر سفينة وتوجه إلى الأهواز . وكتب إلى أناهيد : أن تهيب وتزييني بأحسن زينتك واخرجي إلي مع جواريك فإني موافيك » ومنزلها يومئذ بين سرق ورامهرمز . فلما نزلوا منزلها خرجت إليهم ، جلست معهم في هيئتها وزينتها وحليها وآلتها . فلما رآها عمه قال له : « قبحك الله ، أفلا إذ فعلت ما فعلت كنت علفت مثل هذه » . فقال : « يا عم ، أوقد أعجبتك ؟ » قال : « ومن لا تعجبه هذه ؟ » قال : « أبعيد هذا منك ؟ » قال : « نعم والله » . قال : « فإنها والله هذه

(١) غ : وأحدث .

(٢) غ : وأعطى رفته . غير عاتم : كذا اقترح الشنقيطي ، أي غير كاف عنه بعد أن

مضى فيه . وفي س : غير عاتم . وفي غ : غير عاتم والسراح : التسهيل .

(٣) تتوى : تهلك وتضيع .

(٤) من سنة ٣٦ إلى ٤٠ هـ .

بمعينها » . فقال : « يا خبيث ، إنما أشخصتني لهذا يا غلام ، ارحل بنا » : فأنصرف
عنه إلى البصرة . وأقام هو معها . ولم يزل يتردد كذلك حتى مات في الطاعون في أيام
مصعب بن الزبير ^(١) .

لزم يزيد بن مفرغ غرماؤه بدّين . فقال لهم : « انطلقوا نجلس على باب الأمير
عسى أن يخرج الأشراف فيروني فيقبضوا عني ديني » . فانطلقوا به . فكان أول
من خرج إما عمر بن عبيد الله بن معمر ، وإما طلحة الطلحات . فلما رآه قال :
« أبا عثمان ، ما أقعدك ها هنا ؟ » قال : « غرماؤي هؤلاء لزموني بدّين لهم علي » .
قال : « وكم هو ؟ » قال « سبعون ألفا » . قال : « عليّ منها عشرة آلاف درهم » .
ثم خرج الآخر على أثره . فسأله كما سأل صاحبه قال : « هل خرج أحد قبلي ؟ »
قال : « نعم ، فلان » . قال : « فما صنع ؟ » قال : « ضمن عشرة آلاف درهم » .
قال : « فعلىّ مثلها » . وجعل الناس يخرجون ، فمنهم من يضمن الألف إلى أكثر
من ذلك حتى ضمنوا أربعين ألف درهم ، وكان يأمل عبيد الله بن أبي بكره فلم يخرج
حتى غربت الشمس . فخرج مُبادرا فلم يره حتى كاد يبلغ بيته . فقيل له : « إنك
مررت بيزيد بن مفرغ ملزوما ، وقد مرّ به الأشراف فضمنوا عنه » . فقال :
« واسوءُ ناه ، إنى لخائف أن يظن بي أنى تناقلت عنه » . ففكر راجعا فوجده
قاعدا . فقال له : « يا أبا عثمان ، ما يجلسك ها هنا » . قال : « غرماؤي هؤلاء
لزموني » . قال : « وكم ضمن عنك ؟ » قال : « أربعون ألفا » . قال : فاستمتع
بها وعلىّ دينك أجمع » . فقال فيه :

عشتُ بأسبابِ أبي حاتمٍ ^(٢)
لا يختمُ الأموالَ بالخطامِ

لو شئتُ أن ألقى الغنى كُلهُ
عشتُ بأسبابِ الجسوادِ الذي

(١) تولى من سنة ٦٧ إلى ٧١ هـ .

(٢) غ : لو شئتُ لم تعني ولم تنصي .

يحيى أبو محمد الزيدى *

هو أبو محمد يحيى بن المبارك ، أحد بنى عَدِيّ بن عبد شمس بن زَيْد مَقَاة بن تميم . قال أبو عبد الله محمد بن العباس بن محمد بن أبي محمد الزيدى : « نحن من رهط ذى الرِّمَّة » . وقيل : هم موالى بنى عدى ، وإنما قيل لأبي محمد : الزيدى لأنه كان خرج مع إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بالبصرة^(١) ثم توارى زمانا حتى استتر أمره ، ثم اتصل بمد ذلك يزيد بن منصور خال المهدي . فوصله بالرشيد ، فلم يزل معه ، وأدب المأمون خاصة من ولده . ولم يزل أبو محمد هو وولده منقطعين إليه وإلى ولده . وله فيهم مدائح كثيرة جياذ .

وكان أبو محمد عالما باللغة والنحو ، راوية للشعر ، متصرفا في علوم العرب . أخذ عن أبي عمرو بن العلاء ويونس بن حبيب النحوى وأكابر البصريين . وقرأ القرآن على أبي عمرو بن العلاء . وجود قراءته ورواها عنه . وهى الموئل عليها في هذا الوقت .

وكان بنوه جميعا في مثل منزلته من العلم والمعرفة باللغة ، وحسن التصرف في علوم العرب ، ولسانهم شعر جيد . فمن أولاده لصلبه محمد وإبراهيم . ومن ولد ولده أحمد بن محمد ، وهو أكبرهم وأعلمهم وأرواهم . وعبيد الله والفضل ابنا محمد أيضا ، وقد روي عن أكبر أهل اللغة وحمل عنهما علم كثير . وآخر من كان بقى من علماء هذا البيت أبو عبد الله محمد بن العباس بن محمد بن أبي محمد . وكان فاضلا عالما ثقة فيما يرويه منقطع القرين في الصدق وشدة التوق فيما يفتقه .

* أخباره في ب ١٨ : ٧٢ ، س ١٧ : ٧٢ ، ي ٢٠ : ١٨٠ .

(١) كان ذلك في سنة ١٤٥ هـ .

قال أبو محمد اليزيدى : كان الرشيد جالسا فى مجلسه ، فأتى بأسير من الروم . فقال لذفافة العبسى : « قم فاضرب عنقه » . فضربه فنبأ السيف : فقال لابن فليح المدنى : « قم فاضرب عنقه » . فضربه فنبأ سيفه أيضا . فقال : « أصلح الله أمير المؤمنين ! تقدمتني ضربة عبسية » . فقال الرشيد للمأمون ، وهو يومئذ غلام : « قم ، فذاك أبوك فاضرب عنقه » . فقام فضرب العليج فأبان رأسه . ثم دعا له بآخر وأمره بضرب عنقه ، فضربه فأبان رأسه . قال : ونظر المأمون إلى نظر مستنطق ، فقلت :

أبقى ذفافة عارا عند ضربته	عند الإمام لمبئس آخر الأبد ^(١)
كذاك أسرته تنبؤ سيوفهم	كسيف ورقاء لم يقطع ولم يكسد ^(٢)
ما بال سيفك قد خانتك ضربته	وقد ضربت بسيف غير ذى أود ^(٣)
هلا كضربة عبد الله إذ وقعت	ففرقت بين رأس العليج والجسد

كان حمويه ابن أخت الحسن الحاجب هو وسعيد الجوهري مجتمعين . فجرى ذكر أبى محمد والكسائى . ففضل حموية الكسائى ، وفضل سعيد الجوهري أبى محمد . وطال الكلام بينهما إلى أن تراضيا برجلٍ يحكم بينهما . فتراهنا على أن من غلب يأخذ برذون صاحبه . وجعلا الحكم بينهما أبى صفوان الأخوزى . فلما دخل سألاه . فقال لهما : « لو نصح الكسائى نفسه لصار إلى أبى محمد وتعلم منه كلام العرب . فما رأيت أحدا أعلم منه » . فأخذ سعيد الجوهري دابة حمويه . وبلغ أبى محمد اليزيدى هذا الخبر ، فقال :

(١) غ : بعد ضربته .

(٢) انظر ترجى ورفاء بن زهير والفرزدق فى هذا الجزء .

(٣) الأود : العوج .

تَحْوِيَةٌ ، اسْمَعْ نَبِيًّا صَادِقًا فَيْكَ ، وَمَا الصَّادِقُ كَالْكَاذِبِ (١)
 يَا جَالِبَ الْخِزْيِ عَلَى نَفْسِهِ بُعْدًا وَسُخْفًا لَكَ مِنْ جَالِبِ
 إِنَّ فَخْرَ النَّاسِ بِآبَائِهِمْ أَتَيْتَهُمْ بِالْعَجَبِ الْعَاجِبِ
 قُلْتُ - وَأَخْفَيْتَ أَبَا خَمْلًا - أَنَا ابْنُ أُخْتِ الْحَسَنِ الْحَاجِبِ (٢)
 قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ : كُنْتُ يَوْمًا جَالِسًا أَكْتُبُ كِتَابًا ، فَنَظَرَ فِيهِ سَلْمُ الْخَاسِرِ طَوِيلًا .
 ثُمَّ قَالَ (٣) :

أَبْرُؤُ يَجِي أَحْظُّ مِنْ كَفِّ يَجِي إِنَّ يَجِي بِأَبْرِهِ لَخَطُوطُ
 فقلت :

أَمْ سَلَّمَ بِذَلِكَ أَعْلَمُ مِنْي إِنَّهَا تَحْتُ أَيْرِهِ لَصَرُوطُ (٣)
 وَلَهَا تَارَةٌ إِذَا مَا عَلاهَا أَزْمَلُ مِنْ وِدَائِهَا وَأَطِيطُ (٤)
 أَمْ سَلَّمَ تَعَلَّمَ الشَّعْرَ سَلْمًا حَبِّدًا شَعْرَ أُمَّكَ الْمَنْقُوطِ
 لَيْتَ شَعْرِي ، مَا بِالِ سَلْمِ بْنِ عَمْرٍو كَاسَفَ الْبَالِ حِينَ يُذَكَّرُ لُوطِ
 لَا يَصِلُنِي عَلَيْهِ فَيَمُنْ يَصِلِي بَلْ لَهُ عِنْدَ ذِكْرِهِ تَنْبِيطُ

فَقَالَ لَهُ سَلْمٌ : وَيْحَكَ مَا لَكَ جُنِنْتَ ؟ أَيُّ شَيْءٍ دَعَاكَ إِلَى هَذَا كُلِّهِ ؟ فَقَالَ لَهُ
 أَبُو مُحَمَّدٍ : أَنْتَ بَدَأْتَ فَانْتَصَرْتُ وَالْبَادِي أَظْلَمُ .

قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ : قَالَ أَبُو حَنْشِ الشَّاعِرِ يَوْمًا : « يَا أَبَا مُحَمَّدٍ ، قُلْ أَيْبَاتًا قَافِيَتَهَا عَلَى
 هَاءٍ ». فَقُلْتُ : « عَلَى أَنْ أَهْجُوكَ فِيهَا ؟ » قَالَ : « نَعَمْ » . فَقُلْتُ :
 قُلْتُ وَنَفْسِي جَمٌّ تَأَوُّهُهَا تَصْبُو إِلَى إِلْفِهَا وَأَنْدَهُهَا (٥)

(١) غ : يا حمويه اسمع تناء .

(٢) غ : وأدغمت أبا خملا .

(٣) غ : أعلم شيء .

(٤) أزمل : كذا في غ ، أي رعدة : وفي ص : دمل ، تحريف . والوداق : الشهوة .

(٥) أندهما : أزجرها .

سُقِيَا لَصْنَمَاءَ لَا أَرَى بِلَدَا أَوْطَنَهُ الْمُوطِنُونَ يُشْبِهُمَا
 خِصْبَا وَحَسْنَا وَلَا كِبَهَجْتِهَا أَغْدَى بِلَادٍ غَدَاً وَأَنْزَهَهَا^(١)
 يَعْرِفُ صَنْمَاءَ مِنْ أَقَامَ بِهَا أَرْغَدَ أَرْضٍ عَيْشًا وَأَرْفَهَهَا
 مَا أَنْسَ لَا أَنْسَ مَا فُجِمَتْ بِهِ يَوْمَ كَثَنِي إِبْلَنَا مُجَهَّجَهَا^(٢)
 أَبْلِغْ خُصَيْرًا أَعْنَى أَبَا حَنْشٍ عَائِرَةً نَحْوَهُ أَوْجَهَا
 تَأْتِيهِ مِثْلُ السِّهَامِ عَامِدَةً إِلَيْهِ مَشْهُورَةً أَدْهَدَهَا
 كُنَيْتَهُ طَرَحُ نُونٍ كُنَيْتِهِ إِذَا تَهَجَّجْتِهَا سَتَفَقَهَا

يريد إسقاط النون من أبي حنش حتى تصير أبا حنش .

قال أبو محمد : كان عبس بن عمر أعلم الناس بالغريب ، فأتاني قتيبة الخراساني فقال لي : أفدني شيئا من الغريب أعاني به عبس بن عمر . فقلت له : أجود المساويك عند العرب الأراك ، وأجود الأراك عندهم ما كان مُتَمَرًّا عُجَارًا^(٣) ، وقد قال الشاعر :

إِذَا اسْتَكَّتْ يَوْمًا بِالْأَرَاكِ فَلَا يَكُنْ سِوَاكَكَ إِلَّا التَّمَرُّ الْمُجَارِمَا
 يَعْنِي الْأَيْرَ . قال : فكذب قتيبة ما قلت له وكتب البيت . وأتى عبس بن عمر في مجلسه . فقال : « يا أبا عمر ، ما أجود المساويك عند العرب ؟ » فقال له : « الأراك » . فقال له قتيبة : « أفلا أهدى لك منه شيئا متمرا عجارما ؟ » فغضب وقال : أهدِه إلى نفسك » . فضحك من كان في المجلس . وبقى قتيبة متحيرا ، فعلم عبس أنه قدر رمى ببليّة . فقال له : « ويحك ! من فضحك وسخر منك بهذه المسألة ؟ ومن أهلكك ودسّ عليك ؟ » قال : « أبو محمد اليزيدي » ، فضحك عبس حتى

(١) ص : حصنا وحسنا ، وأثبت ما في غ .

(٢) مجهجه : صأخ .

(٣) التمر : العليظ المستقيم . والعجارم : الشديد .

فخص برجله وقال : « هذه والله من مزاحاته وبلاياه ^(١) ، أراه عنك مُنحرفاً ، فقد فضحك » ، فقال قتيبة : « لا أعاود والله مسألته عن شيء أبداً » ^(٢) .

قال أبو محمد : صرت يوماً إلى الخليل بن أحمد والمجلس غاصّ بأهله ، فقال لي : « ها هنا عندي » . فقلت : « أضيّق عليك ! » ، فقال : « إن الأرض بحذافيرها تضيق عن متباغضين ، وإن شبرا في شبر لا يضيق عن متحابين » . وكان الخليل مصافياً لأبي محمد محبباً له .

قال أبو محمد : أمر لي الرشيد بمال وحضر شخوصه إلى السن ^(٣) . فأتيت عاصماً الغساني وكال أشبرا عند يحيى بن خالد فقلت له : « إن أمير المؤمنين قد أمر لي بمال ، وقد حضر من شخوصه ما علمت . فأحب أن تذكر أبا علي يحيى بن خالد أمره ليمجّله لي » . فقال لي : « نعم » ، ثم عدت إليه بعد ذلك نوبتين ، فقال لي بتفخيم في لفظه : « ما أصبت لحاجتك موضعاً » . قال : قلت : « فاجعلها منك - أكرمك الله - بيال » . فلما خرجت لحقني بمض من حضر المجلس ، فقال لي : « يا أبا محمد ، إنني لأغار عليك أن تأتي هذا الكلب وتسأله حاجة » ، قلت : « وكيف ؟ » قال : « سمعته يقول لما وليت : لو أن بيدي دجلة والفرات ما سقيت هذا منها شربة ماء » . فقلت : « ولم ^(٤) ذاك أصلحك الله ، فإن له قدرا وعالماً » قال : « لأنه رجل من مُضَر ، وما رأيت مضرباً قط يحب اليمانية » ، قال : فأحببت ألا أعجل ، فمدت إليه من غد فقلت : « هل كان منك أكرمك الله في حاجتي شيء ؟ » . فقال : « والله لكأنك تطلبنا بدين » . فتتحقق عندي ما بلغني عنه ، فقلت له : « لا قضى الله هذه الحاجة على يدك ، ولا قضى لي حاجة إن سألتكها . والله لا سلمت عليك مبتدئاً أبداً .

(١) كذا في غ . وفي ص : هذه والله مزاحاته وبلاياته .

(٢) س : لا أعاود والله إلى مسألته عن شيء أبداً .

(٣) كذا في غ ، وهي مدينة على دجلة فوق تكريت . وفي ص : اليمن .

(٤) كذا في غ . وفي ص : وما .

ولا رددت عليك السلام إن بدأتني به . ونقضت ثوبي وخرجت . فإني لأسير وأفكر في الحيلة لحاجتي ، إذا براكب يركض خلفي حتى لحقتي ، فقال : « بمعنى أبو علي يحيى بن خالد إليك لتقف حتى يلحقك » . فرجعت مع رسوله إليه ، فلقيته وكان قريبا فسلمت عليه وسأرتُه فقال : « إن أمير المؤمنين أمرني أن أمرك بطلب مؤدب لابنه صالح ، وإني أحدثك بحديث حدثتني به خالد بن برمك . إن الحجاج ابن يوسف أراد مؤدبا لولده ، فقيل له : ها هنا رجل نصراني عالم ، وها هنا رجل مسلم لكن ليس علمه مثل علم النصراني . فقال : ادعوا لي المسلم . فلما أتاه قال له : ألا ترى يا هذا أنا قد دللنا على نصراني ذكروا أنه أعلم منك ، غير أني كرهت أن أضمّ إلى ولدي من لا ينبهم على الصلاة عند وقتها ولا يدلهم على شرائع الإسلام ومعاله . وإن كان لك عقل فأنت قادر على أن تتعلم في اليوم ما تعلمه أولادي في الجمعة ، وفي الجمعة ما تعلمهم إياه في الشهر ، وفي الشهر ما تعلمهم إياه في السنة » . ثم قال لي يحيى : « يا أبا محمد ، فينبغي أن تؤثر الدين على ما سواه » . فقلت له : « قد أصبت من أراضاه » ، وذكرت له الحسين بن المسور ، نضمه إليه . ثم سألتني : « من أين أقبلت ؟ » فأخبرته بنجر عاصم وما كان منه وقلت له : « قد حضر هذا المسير ، ولست أدري من أي وجه أتقاضاه » . فضحك وقال : « لم لا تدري ؟ ألق صديقك جعفرا - يعني ابنه - يكلم أمير المؤمنين أو يذكركني بحاجتك ، فقد تركته الساعة على المضى إليه » . فأتيت جعفرا وقلت في طريق :

يا سائلي عما أخبره	عن جعفر كرمًا وعن شيمه
إن ابن يحيى جعفرا رجل	سيط السماحُ بلحمه ودمه ^(١)
فعلياه « لا » أبدا محرمة	وكلامه وقفٌ على نعمه

(١) سيط : خاط .

وترى مُسَابِقَه لِيُدْرِكَه بِمَكَانٍ وَطءُ النَمْلِ مِنْ قَدَمِهِ (١)
 فلما دخلت إليه أخبرته الخبر ، وأنشدته الأبيات وأعلمته ما أمرني به أبوه .
 فقال : « قل بيتين تذكرة فيهما إلى أن أجدد طهراً واكتبهما حتى يكونا معي ،
 فأذكر بهما حاجتك » . فأخذت الدواة والقلم وكتبت :

أَحَقُّ مِنْ أَنْجَزَ مَوْعُودَه خَلِيفَةُ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ
 وَمَنْ لَهُ إِرْثُ نَبِيِّ الْهَدَى بِالْحَقِّ لَا يُدْفَعُ عَنْ حَقِّهِ
 يُنْسَبُ فِي الْهَدَى إِلَى هَدْيِهِ بَرًّا وَبِالْصَّدَقِ إِلَى صَدَقِهِ (٢)
 وَمَنْ لَهُ الطَّاعَةُ مَفْرُوضَةٌ لِأُمَّةٍ بِالْوَحْيِ فِي رَقَّةٍ
 وَالرَّائِقُ الْفَتْقَ الْعَظِيمَ الَّذِي لَا يَقْدِرُ النَّاسُ عَلَى رَتْقِهِ

فأخذ الشعر ومضى . وكلم الرشيد في حاجتي وأقرأه الأبيات . فصك لي بالمال
 عليه . وقبضته بعد ذلك بيوم ، وقلت في الغساني من أبيات :

إِذَا عَاصِماً يَوْمًا أُتِيتَ لِحَاجَةٍ فَلَا تَأْتِهِ إِلَّا وَأَيْرُكُ قَائِمٌ (٣)
 وَإِلَّا فَلَا تَسْأَلْهُ مَا عَشَتْ حَاجَةٌ وَلَا تَبْكِهِ إِنْ أَعْوَلَتْهُ الْمَآئِمُ

ولما حدثت ببني برمك ما حدث قبضت ضيعته في القبوض من ضياع أسبابهم (٤) ،
 فصار إلى وكلني في أمرها وسألني كلام الجوهري في ذلك ، فقمت له به حتى رددت
 الضيعة عليه ، فجاء يشكرني ويعتذر مما كان فعله . فقلت له : « تناس ما مضى فلست
 ممن يكافيء أحداً بسوء » .

(١) غ : حدو النمل .

(٢) غ : وفي الصدق .

(٣) غ : فلا تلقه .

(٤) كذا في غ . وفي ص : في قبوض أسبابهم .

قال أبو محمد: كان أبو عبيدة يجلس في مجلس البصرة إلى سارية وكنت أنا وخلف الأحمر نجلس جميعاً إلى أخرى وكان أبو عبيدة من أكثر الناس ذكراً لمثالب الناس . فقال لأصحابه : « أتدرون أن الأحمر واليزيدي إنما يجتمعان على الوقيعة في الناس وذكر مساوئهم » . وبلغني ذلك وأنه قد رمانى بمذهبه فقلت لخلف : « دعه فأنا أكيفيكه » فلما كان مع الأذان جئت أنا وخلف إلى المسجد ، فكتبت على الجص في الموضع الذي فيه أبو عبيدة على الحائط :

صلى الإله على لوطٍ وشيمته أبا عبيدة ، قل بالله : آميناً

وأصبح الناس وجاء أبو عبيدة يجلس وهو لا يعلم ما فوق رأسه مكتوب ، وأقبل الناس ينظرون إلى البيت ويضحكون . فرفع رأسه ونظر إليه ففجأ . ولم يزل منكسا رأسه حتى انصرف الناس ، وأنا وخلف الأحمر ناحية ننظر إلى ما به . ثم قننا حتى وقفنا عليه وقلنا له : « ما قال صاحب هذا البيت إلا حقاً . نعم ، فصلّى الله على لوط » . فأقبل على وقال : « قد علمت من ابن أيت ، ولن أعاود التمريض لتلك الجهة » . فلم يعد لذكراً بعد ذلك .

قال الأصمعي : كنت جالساً مع خلف الأحمر فجرى كلام في شيء من اللغة ؛ وتكلم فيه أبو محمد اليزيدي وجعل يشغب ، فقال له خلف : « دعني من هذا يا أبا محمد ، وأخبرني من الذي يقول :

وإذا انتشيتُ فإنني رب الحربة والرُميح^(١)
وإذا صحتُ فإنني ربّ الدويّة واللّويح

يمرض به أنه معلم وأنه يلوط . فغضب اليزيدي وقام وانصرف .

قال أبو محمد اليزيدي : سألت الخليل بن أحمد أن أجمع بينه وبين عبد الله بن المقفع ، فجمعت بينهما . فررنا أحسن مجلس وأكثره علماً ، وافترقنا . فلقيت الخليل ،

(١) غ : فإذا .

فقلت له : « يا أبا عبد الرحمن ، كيف رأيت صاحبك ؟ » قال : « ما شئت من علم وأدب إلا أنى رأيت كلامه أكثر من علمه » . ثم لقيت ابن المقفع فقلت : « كيف رأيت صاحبك ؟ » قال : « ما شئت من علم وأدب ، إلا أن عقله وعلمه أكثر من كلامه » .

ومن شعر أبي محمد اليزيدى ، وقد جرى بينه وبين الكسائى وشيبة بن الوليد مجلس فيه مباحثات فانتصر فيها أبو محمد :

عِشْ بِمَجْدٍ فَا يَضْرُكْ نوكِ	إنما عيشُ من تَرَى بِالْجُدودِ ^(١)
عش بجد وكن هَبْنَقَةَ القَدِّ	سِيَّ نوكا أو شَيْبَةَ بن الوليد
شَيْبَ ياشيب يا جُدَى بنى القَمِّ	قاع ما أنت بالحليم الرشيد
لا ولا فيك خَلَّةٌ من خلال الـ	خيرٍ أحرزَتْهَا لِحْزَمِ وجودِ
غير ما أنك المَجِيد لتقطيعِ	مع غناء وضربِ دُفٍّ وعودِ
فعلَى ذا وذاك تُحْتَمَل الدهـ	رَ مُجيدا له وغيرَ مجيدِ

يوسف الصيقل*

هو يوسف بن الحجاج الصيقل . يقال : إنه من ثقيف . ويقال : إنه مولى لهم .
 صحب أبا نواس ، وأخذ عنه ، وروى له .
 وابنه^(١) الحجاج بن يوسف مُحدثُ ثقة .
 وكان يوسف كاتباً .
 ومولده ومنشؤه الكوفة .

قال أحمد بن صالح الهاشمي : قال لنا يوسف بن الصيقل يوماً ، ورأى الشعراء
 بأيديهم الرِّقاع يطوفون بها ، فقال : « صنع الله لكم » . ثم أقبل على إبراهيم الموصلي
 فقال له : « كنا نهزل فنأخذ الرِّقاع ، وهؤلاء المساكين يَجِدُّون الآن فلا يُمَطَّون
 شيئاً » . ثم قال لإبراهيم : « أتذكر ونحن بجزرُجان مع موسى الهادي ، وقد شرب
 على مستشرق عالٍ جداً ، وأنت تغنيه :

فارسٌ يضرب الكتيد بةً حتى تصدعا
 في الوعى حين لا يرى صاحبُ القوس منزعا
 واستدارت رحاهمُ بالردينيُّ شرعا^(٢)

فقال : « هذا اللحن مليح ، ولكني أريد له شعرا غير هذا ، فإن هذا الشعر
 بارد » . والتفت إلى فقال : « اصنع في هذا الوزن شعرا » . فقلت :

* أخباره في ب ٢٠ : ٩٣ ، س ٢٠ : ٩٣ ، ي ٢٣ : ٨٨ .
 (١) غ : وأبوه . وهو خطأ ، فالمراد الابن وكان يعرف بابن الشاعر ، مات ٢٥٩ أو ٢٥٧ ،
 ووثقه أبو حاتم وابن أبي حاتم وأبو داود والنسائي وابن حبان ، وروى عنه مسلم . (تهذيب
 التهذيب لابن حجر ٢ : ٢٠٩) .
 (٢) غ : واستدارت رحاهم . ويريد بالرحى الحرب . والرديني : الرمح .

لا تلعني أن اجزعا سيدي قد تمنما
وابلياني إن كان ما بيننا قد تقطما^(١)
إن موسى بفضله جمع الفضل أجمما

وغنيته بهذا اللحن، وصرت به إبل يُنقل عليها . فقال: « أَوْقِرْوها لها مالا ». فأوقرت مالا أُوحِمِلَ إلينا فاقسمناه . فقال إبراهيم : « نعم ، وأصاب كل واحد منا ستين ألف درهم » .

لما ورد الرشيد إلى الرقة ، خرج يوسف [بن] الصيقل . فكمن له في نهر جاف على طريقه . وكان لهارون خدم صغار ، يسميهم النمل ، يتقدمونه بأيديهم قسي البندق يرمون عنها من يمارضه في طريقه . فلم يتحرك يوسف حتى وافته قبة هارون على ناقة . فوثب إليها يوسف . وأقبل الخدم الصغار يرمونه . فصاح بهم الرشيد : « كفوا عنه » . فكفوا . وصاح به يوسف^(٢) :

أَغْنِيَاَ تَحْمِلُ الناقَةَ أم تحمل هارونا
أم الشمس أم البدر أم الدنيا أم الدنيا
أَلَا كُلُّ الذي عَدَدْتُ قد أصبح مقرونا^(٣)
على مَفْرِقِ هارونٍ فداء الآدميونا

فد الرشيد إليه يده وقال : « مرحبا بك ، يا يوسف . كيف كنت بعدى ؟ اذنُ مني » . فدنا منه وأمر له بفرس . فركبه وسار إلى جانب قبته ينشده ويحدثه ، والرشيد يضحك ، وكان طيب الحديث . ثم أمر له بمال .

(١) ص ، غ : ولإبلائي ، ولا يستقيم بها المعنى ولا الوزن .

(٢) نسبها ابن المعتز : طبقات الشعراء . ١٥٠ . والحصرى : ذيل زهر الآداب ٢٥٩ لعمر

ابن سلامة المعروف بابن أبي العلاء .

(٣) ابن المعتز :

ألا لا بل أرى كل الـ ذى عدت مقرونا

وكان يوسف فاسقاً مجاهراً باللواط . وله فيه أشعار ، منها ما قاله لصديق له وقد رآه علا غلاماً له :

لا تبخلنَّ على النَّديِّ مِ بَرْدِ ذِي كَشْحِ هَضِيمِ (١)
 تمّلو وينظر حسرةً نظرَ الحمارِ إلى القَضمِ (٢)
 وإذا فرغتَ فلا تُقمُ حتى تصوّتَ بالنَّديمِ
 واتَّبِعْ بلذِّكَ الهوى ودَعِ المَلامَةَ للمُلمِ (٣)
 ومن شعره في هذا الفن :

لا تَنيكنَّ ما حَيِّد تَ غلاما مكايرةً
 لا تَمُرَّنَّ باستِبه دونَ دفعِ المؤامره
 إنَّ هذا اللواطِ دِي ن يراه الأَكسره (٤)
 وهمُ فيه منصفو ن بحسنِ العاشره
 ومن قوله في هذا الفن :

دَعْ كذا صدركَ لي ياسيدي واتَّخِذْ عِنْدِي إلى الحَشْرِ يَدَا (٥)
 إنما رَدْفُكَ سِرَجٌ مُذْهَبٌ كُشِفَ البِزْبُونُ عنه فَبَدَا (٦)
 فأعزِّميه ولا تبخلْ به ليس يُبيليه ركوبِ أبدا
 بل يُصفيه ويَجْلوهُ ولا أَرَأَى فيه تراه وصدا (٧)

(١) الكشح : الحصر . الهضم : الدقيق الضامر .

(٢) القضم : شعير الدابة .

(٣) غ : للذئب ، والملم : كثير اللوم .

(٤) غ : الأساورة .

(٥) غ : ضع كذا .

(٦) البزبون : السندس ، أى الحرير .

(٧) غ : أترآه فيه أبدا .

فَأَذْنُ يَا حَبِيبُ وَطِيبُ نَفْسًا بِهِ إِنْ ذَا الدِّينِ سُمِّقْضَاهُ غَدَا^(١)
وكان قدهجاً القيان بأبيات شاعت، وتهادها الناس، وصارت عبثاً بالقيان لكل
أحد . فكانت القينة إذا عثرت قالت : « تعس يوسف » .

أحضر الرشيد عشرة آلاف دينار من ضَرْبِ السنة . ففرقها حتى بقيت منها
ثلاثة آلاف دينار . فقال : « ابغوني شاعراً أهبها له » . فوجدوا منصوراً النَّمْرِيَّ
ببأبه . فأدخل إليه فأنشده ، وكان قبيح الإبداع . فقال له الرشيد : « أعانك الله
على نفسك . انصرف » . فقال : « يا أمير المؤمنين ، قد دخلت عليك دخلتين لم تعطني
شيئاً فيهما ، وهذه الثالثة . والله ، لئن حرمتني لا رفعت رأسي بين الشعراء أبداً » .
فضحك وقال : « خذها » . وانظر الرشيد إلى الموالى قد نظر بعضهم إلى بعض . فقال :
« كَأَنِّي قَدْ عَرَفْتُ مَا أَرَدْتُمْ ، إِنَّمَا أَرَدْتُمْ أَنْ تَكُونَ هَذِهِ الدَّانِيَةَ لِيُوسُفَ بْنِ الصِّقْلِ » .
وقد كان ليوسف منقطعاً إلى الموالى يناديهم ويمدحهم فكانوا يتمصبون له . فقالوا :
« إِي وَاللَّهِ ، يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ » . فقال : « هَاتُوا ثَلَاثَةَ آلَافِ دِينَارٍ » فَأَحْضَرَتْ . فَأَقْبَلَ
عَلَى يُوسُفَ فَقَالَ : « هَاتِ أَنْشِدْنَا » . فأنشده قوله :

* تَصَدَّتْ لَنَا يَوْمَ الرَّصَافَةِ زَيْنِبُ *

فقال له : « كَأَنَّكَ امْتَدَحْتَنَا فِيهَا » . قال : « أَجَلْ ، يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ » . فقال :
« أَنْتَ مِمَّنْ يُوَثِّقُ بِنَيْتِهِ وَلَا تُهَمُّ مَوَالَاتِهِ . هَاتِ مِنْ مَلْحَكٍ وَدَعِ الْمَدِيحَ » .
فأنشده قوله :

العَفْوِ يَا غَضِبَانَ مَا هَكَذَا الْخِلَآنُ
هَبْنِي أَتَيْتُ بِذَنْبٍ أَمَا لَهُ غَفْرَانُ^(٢)

(١) غ : ذاك الدين . ي : تقضاه .

(٢) غ : هبني ابتليت .

وإن تعاطمتَ ذنبي ففوقه الهجران^(١)
كم قد تقربتُ جهدي لو ينفع القربان
ياربُّ أنت على ما يحلُّ بي المستمان^(٢)
ويلى ألسنت ترانى أهكذا يا فلان؟^(٣)

فقال له الرشيد : « من فلان ، ويحك ؟ » فقال له الفضل بن الربيع : « هو أبان مولاك ، يا أمير المؤمنين » . فقال له الرشيد : « ولم لم تنشذنى كما قلت يا نبطى » . قال : « لأنى غضبان عليه » . قال : « وما أغضبك عليه ؟ » قال : « مدت دجلة فهدمت دارى وداره ، فبنى داره وعلاها حتى ستر الهواء عنى » . قال : « لا جرم ، ليُعطيَنَّكَ الماصُّ بظُرِّ أمه عشرة آلاف درهم حتى تبني بناء يعلو ببناءه ، فتستر أنت الهواء عنه » . وقال له : « خذ فى شعرك » . [فأنشده] نحو من هذا الشعر . فقال الفضل بن الربيع : « يا عباسى^(٤) ، ليس هذا شعراً . ما هذا إلا لعب . أعطوه ثلاثة آلاف درهم مكان ثلاثة الآلاف دينار » فانصرف الموالى إلى صالح الخازن ، فقالوا : « أعطه ثلاثة آلاف دينار كما أمر له أولاً » . فقال : « أستأمره ثم أفعل » . فقالوا : « بل أعطه إياها فى ضماننا ، فإن أمضيت وإلا كانت فى أموالنا » . فدفنها إليه فى ضمانهم وأمضيت له . فكان يوسف يقول : « كنا نلعب فنأخذ هذه الأموال ، وأنتم تقتلون أنفسكم ولا تأخذون شيئاً » .

(١) غ : تعاطم .

(٢) غ : قد حل بي .

(٣) غ : أهذى بها يا فلان .

(٤) كذا فى ي . وفى ب ، س : يا عباس . وهى غير واضحة فى ص .

يحيى بن طالب*

شاعر من اليمامة ، ثم من بني حنيفة ، مُقِلّ ، من شعراء الدولة العباسية ، فصيح ، غَزَل ، فارس ، جَوَاد ، جميل ، حمال لأنقال قومه ومغارمهم ، سمح ، يَقْرِي الأضياف . ما تشاء أن ترى في فتى خَصلة جميلة إلا رأيتها فيه .
ركبه دين في بلده نخرج إلى الرى فات بها . فقال هذه القصيدة ، وغنى الرشيد بها إسحاق :

الآهل إلى شمّ الخزاعي ونظرة^(١) إلى قرقرى قبل المات سبيل^(٢)
فيا أثلات القاع من بطن توضح^(٣) حنيني إلى أطلا لكن طويل^(٤)
ويا أثلات القاع لبي موكل^(٥) بكن ، وجدوى خير كن قليل^(٦)
ويا أثلات القاع قد ملّ صحبتي وقوفى ، فهل فى ظلّكن مقبلى^(٧)
فأنجبت الرشيد وأطربته . فسأل عن قائل الشعر : فدكره له ، وأعلمه أنه حى وأنه هرب من دين عليه ، وأنشده :

أريد رجوعاً نحوكم فيصدنى - إذا رُمته - دينٌ على ثقيل^(٨)
فأمر الرشيد أن يُكتب إلى عامل الرى بقضاء دينه عنه ، وإعطائه نفقة ، وإتفاذه إليه على البريد . فوصل الكتاب يوم مات يحيى بن طالب .

* أخباره فى ب ٢٠ : ١٤٩ ، س ٢٠ : ١٤٩ ، ي ٢٣ : ٢٩٠ ، أمالى القالى ١ : ١٢٣ ، تنبيه البكرى ٤٦ ، معجم البلدان لياقوت ٤ : ٦٣ .

(١) غ : ريع الخزاعى . والخزاعى : نبات برى زهره أظيب الأزهار ريجا . وقرقرى : أرض باليمامة .

(٢) ياقوت والأمالى : أيا أثلات . توضح : موضع بنجد . والأثلات : جمع أثلة ، وهى شجرة .

(٣) ب : جدوى غير كن .

(٤) وقوفى : كذا فى غ . وفى ص : وقومى ، تحريف . وفى الأمالى وياقوت : مسيرى .

(٥) ياقوت : أريد أهدارا نحوها .

قال الجهم بن الغيرة : كذا عند حبّوش^(١) بن ثمال القرظي بصريّة^(٢) .
 فرت بنا جارية صفراء مولدة . فقال لى حبّوش : « استفتح كلامها فإنها ظريفة » .
 فقلت لها : « يا جويرية ، أين نشأت ؟ » قالت : « بقرقرى » . فقلت . « أين من
 شغب^(٣) » . فضحكت ثم قالت : « بين الحوض والعطن »^(٤) . قلت : « فمن
 الذى يقول :

يا صاحبي ، فدت نفسي نفوسكما عوجا على صدور الأبل السن^(٥)
 ثم ارفعا الطرفَ نَظُرَ صَبحِ خامسةٍ بقرقرى يا عناء النفس بالوطن^(٦)
 ياليت شعرى ، والإنسان ذو أملٍ والعينُ تدرف أحيانا من الحزن^(٧)
 هل أجملنَّ يدي للخذة مرفقة على شغب بين الحوض والعطن^(٨)

فالتفتت إلى حبّوش بن ثمال فقالت : « أخبره بقائلها » . فقال : « ما أعرفه »
 فقالت « بلى ، هذا يقوله شاعرنا وظريف بلادنا وغزّلها » . فقال لها حبّوش :
 « ويحك ، ومن ذلك ؟ » قالت : « أشهد أنك - إن كنت لا تعرفه وأنت من أهل

(١) غ : جرش .

(٢) ضرية : أرض عرفت بخصبها بقرب المدينة .

(٣) ورد هذا الاسم في ص مرة بالعين وأخرى بالعين ، وفي غ بالعين . وأورد البكري في
 معجمه الاسمين ، وصرح أن الروايات الشعرية تخاطب بينهما ، وإن أورد شعر يحيى في العين مع
 نسبته إلى عويج الطائي ، وذكر أن ابن الأنباري أنشده للصمة بن عبد الله القشيري . وأورد ياقوت
 الشعر في رسم شعيب ونسبة إلى الصمة .

(٤) العطن : مبرك الإبل حول الحوض .

(٥) عوجا : اعطفا . والشن : الغلاظ . ياقوت :

يا صاحبي أطال الله رشداكما عوجا على صدور الأبل السن

(٦) عناء : كذا في غ . وفي ص : عياء . ياقوت :

ثم ارفعا الطرف هل تبدو لنا ظعن بمائل ياغناء النفس من ظعن

(٧) البكري وياقوت : ياليت شعرى والأقدار غالبية .

(٨) البكري : بين الجد .

هذا البلد - إنها لسوءة لك . ذلك يحيي بن طالب الحنفى . أقسم بالله ، مامنك من معرفته إلا غلظ الطبع وجفاء أخلق . فجعل يضحك من قولها .

قال أبو فراس المهيم بن فراس الكلابى : كنت مع أبى ونحن قاصدون اليمامة . فلما رأيناها لقينا رجلا فقال له أبى : « أين قرقرى ؟ » قال : « وراءك » . قال : « فأين شغب ؟ » قال : « بإزائه » . قال : « أرني ذلك » . فأراه إياه حتى عرفه . فقال لى : « ارجع بنا إلى الموضع » . فقلت : « يا أبه ، قد تعبنا وتعبت ركائبنا . فما لك هنا لك ؟ » قال : « إنك لأحمق . وبلك ارجع بنا » . فرجعت معه إلى شغب . فصار إلى الحوض والعطن فأناخ راحلته وقال لى : « أخ راحلتك » . فأناختها . ونزل ونظر إلى شغب وقرقرى ساعة . ثم اضطجع بين الحوض والعطن ساعة ، وجعل يده تحت خده . ثم قام ليركب . فقلت له : « يا أبه ، ما أردت بهذا ؟ » قال : « يا جاهل ، أما سمعت قول يحيى بن طالب :

هل أجملن يدى للخذ مرفقة على شغب بين الحوض والعطن
أفليس عجزا أن نكون قد أتيناها وعبرنا عليهما - وهما منيتنا التمنى - فلا نال
ما تمناه منهما ، وقد قدرنا عليه » . فجملت أعجب من قوله وفعله .



نجز الجزء الثامن من مختار الأغاني
بحمد الله تعالى وعونه وتوفيقه

فرغ من تعليقه جامعه عبد الله محمد بن المكرم الأنصاري
في كه وفتح
وتبامه تم الكتاب

والحمد لله وحده ، وصلواته على سيدنا محمد نبيه وآله الطاهرين وسلامه
حسبنا الله ونعم الوكيل

فهرست تراجم الكتاب

- ۱۸ - الوليد بن عقبة ۲۰۶-۲۱۶
 ۱۹ - الوليد بن يزيد ۲۱۷-۲۴۹
 ۲۰ - وَهْبُ أَبُو دَهَبَلٍ
 ۲۱ - ورقاء بن زهير ۲۶۵-۳۰۸
 ۲۲ - والبة بن الحباب ۳۰۹-۳۱۲
 ۲۳ - الوليد البُحْتَرِيُّ ۳۱۳-۳۲۴

(حرف الياء)

- ۲۴ - يزيد حوراء ۳۲۵-۳۲۸
 ۲۵ - يزيد بن ضبة ۳۲۹-۳۳۲
 ۲۶ - يزيد بن الطَّزْبِيَّة ۳۳۳-۳۴۶
 ۲۷ - يزيد بن عبد المدان ۳۴۷-۳۶۱
 ۲۸ - يزيد مَزِيدٌ ۳۶۲-۳۶۸
 ۲۹ - يزيد أبو وجزة ۳۶۹-۳۷۲
 ۳۰ - يزيد بن الحکم ۳۷۳-۳۷۶
 ۳۱ - يحيى أبو نقيس ۳۷۷-۳۷۹
 ۳۲ - يزيد بن معاوية ۳۸۰-۳۸۶
 ۳۳ - يزيد جَبِيْهَاء ۳۸۷-۳۸۸
 ۳۴ - يزيد بن مفرغ الحميري ۳۸۹-۴۱۱
 ۳۵ - يحيى أبو محمد الزبيدي ۴۱۲-۴۲۰
 ۳۶ - يوسف الصَّيْقَل ۴۲۱-۴۲۵
 ۳۷ - يحيى بن طالب ۴۲۶-۴۲۸

(حرف النون)

- ۱ - ناقد الدَّلَال ۳ - ۲۲
 ۲ - نُبَيْهَةٌ ۲۳
 ۳ - النعمان = أعشى بن تغلب ۲۴ - ۲۷
 ۴ - ناهض بن ثومة ۲۸ - ۳۴
 ۵ - نبأة أبو الأسد ۳۵ - ۴۰
 ۶ - النعمان بن بشير ۴۱ - ۵۶
 ۷ - نائلة بنت الفرافصة ۵۷ - ۶۱
 ۸ - النمر بن تَوَلَب ۶۲ - ۶۶
 ۹ - نُصَيْبُ الْأَصْفَرِ مَوْلَى
 المهدي ۶۷ - ۷۵

(حرف الهاء)

- ۱۰ - هلال المازني ۷۶ - ۸۸
 ۱۱ - هارون الواثق ۸۹ - ۹۳
 ۱۲ - هَمَّامُ الْفَرَزْدَق ۹۴ - ۱۷۴
 ۱۳ - الْهَيْثَمُ أَبُو حَيَّةِ النَّمَيْرِيِّ ۱۷۵ - ۱۷۷
 ۱۴ - وقعة هرقل ۱۷۸ - ۱۸۵
 ۱۵ - هند بنت أسماء ۱۸۶ - ۱۹۱
 ۱۶ - هُدْبَةُ بْنُ خَشْرَم ۱۹۲ - ۲۰۲

(حرف الواو)

- ۱۷ - ورقة بن نوفل ۲۰۳ - ۲۰۵